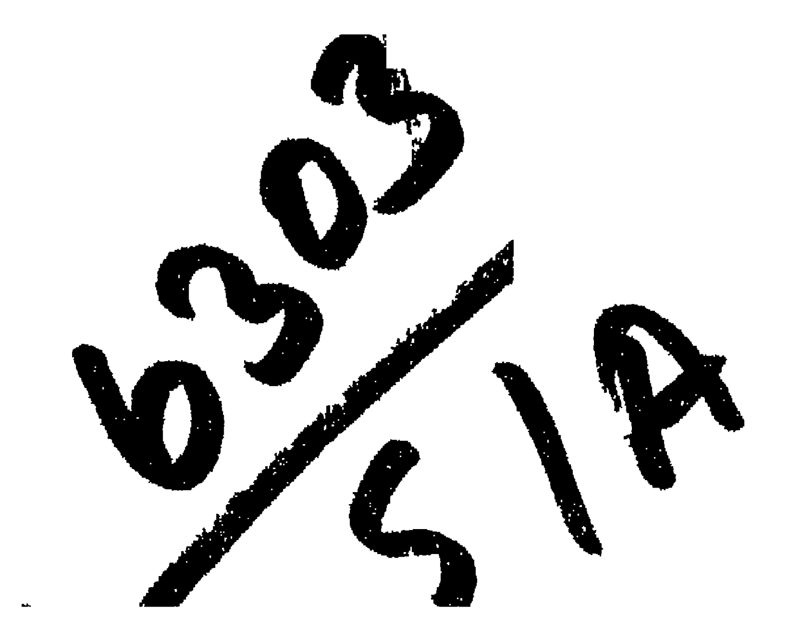


تقدمة

قدمتُ هذا الطبع الثالث من كتابي المعنون بالمرآة الوضية في علم الجغرافية الى الشيخ الجليل ذي الفضل العالم العلامة الرياضي والطبيب النطاسي جناب الدكتور ميخائيل مشاقة اقرارًا بفضلهِ العميم واشتراكهِ قولًا وعملًا مع كل من خدم المعارف في البلاد الشرقية*

كرنيليوس
ڤان دَيك

بيروت في ٢٠ ايار سنة ١٨٨٦

كتاب
المرآة الوضيّة
في
الكرة الارضية

تاليف

كرنيليوس ڤان ديك

الاميركاني

مقدمة

الحمد لله الذي جعل الارض مهادًا والجبال اوتادًا وبعد فيقول العبد الضعيف الفاني كرنيليوس فان ديك الاميركاني انني قد وضعت هذه الرسالة في علم رسم الارض تنويرًا للبصائر وتنزيهًا للخواطر وقد سميتها بالمرآة الوضيَّة في الكرة الارضيَّة واذ قد نفدت الطبعة الاولى منذ زمان والثانية الآن اعتنيت بطبعها ثالثةً مصلحًا اياها لكي توافق الاكتشافات الجديدة في هذا العلم ومضيفًا اليها بعض الشروح لاجل اتمام الفائدة واياه استمدُّ الله التوفيق الى سواء السبيل وهو حسبي ونعم الوكيل.

تنبيه . قد انقسم هذا الفن الى قسمين الاول جغرافية طبيعية والثاني جغرافية وصفية اما الاول فمدارهُ سطح الارض وما عليهِ وكرة الهواء المحيطة بهِ بدون التفات الى اقسام الارض السياسية . اما الثاني فيعتبر البلدان والممالك ونسبة بعض اقسام سطح الارض الى بعض وفي هذا المؤَّلف لا نفصل بين هذين القسمين فصلاً تامًّا بل نذكر بعض متعلقات الجغرافية الطبيعية اولاً والبعض الآخر يُذكَر مع متعلقات الجغرافية الوصفية

القسم الاول

الجغرافية الطبيعيّة

الفصل الاول

في حقيقة هذا العلم وبعض اصطلاحاته

رسم الارض علمٌ يُبحَث فيهِ عن هيئة الارض واقسام سطحها وانواع اهلها وحواصلها ونحو ذلك . اما الارض فجسمٌ مستديرٌ على شكل كرةٍ عظيمة وهي مسطَّحة قليلاً من ناحيتَي قُطبيها اي قطرها من الشرق الى الغرب اطول من قطرها من الشمال الى الجنوب بنحو ستة وعشرين ميلاً فقطرها الاستوائي ٧٩٢٥٬٦٠٤ من الميل والقطبي ٧٨٩٩٬١١٠ من الميل ومعدَّلها ٧٩١٢٬٣٥٣ والفرق بينهما ٢٦٬٤٩٤ اي $\frac{١}{٢٩٨}$ من معدلها واما كيفية الوصول الى ذلك فمن متعلقات علم الهيئة

اما استدارة الارض فقد اتفقت عليها الفلاسفة من عهد فيثاغوروس قبل المسيح بخمس مئة سنة الى الآن واما تسطيحها من ناحيتَي قطبيها فقد اوضحهُ الفيلسوف اسحق نيوتون في اوائل القرن الثامن عشر والدلائل على استدارة الارض كثيرةٌ وهي

اولاً ظهور كرويَّة سطح البحر للواقف على ساحلهِ

ثانيًا بيان اعالي الاشباح البعيدة قبل اسافلها ولو كانت

تلك الاسافل اعظم جرمًا

ثالثًا امتداد النظر كلما ارتفع الناظر

رابعًا إستدارة خيال الارض كما يُرَى في وقوعهِ على القمر عند الخسوف ومن هذه الجهة لا يُعتبَر ارتفاع بعض اجزاء سطحها وانخفاض البعض لان اعلى الجبال لا يتجاوز ثمانية اميال في ارتفاعهِ وقطر الارض ثمانية آلاف ميل بالتقريب فيكون ارتفاع ذلك الجبل واحدًا من الفٍ بالنسبة الى قطر الارض

خامسًا ان كثيرين من اهل السياحة سافروا بها شرقًا او غربًا الى جهةٍ واحدة فانتهى سفرهم الى المكان الذي ابتدأُوا منهُ من غير ان ينقلبوا راجعين

ثم انهُ اذا فُرِض خط مستقيم موصلٌ بين نقطة الارض الشمالية ونقطتها الجنوبية فلا بد لهُ من المرور بمركزها ويقال لهُ محْوَر الارض ويُسمَّى طرفهُ الشمالي القطب الشمالي وطرفهُ الجنوبي القطب الجنوبي

واذا رُسِم حول الارض خطٌ على بعدٍ واحدٍ من القطبين تحدث دائرةٌ وتنقسم بها الارض الى نصفين احدهما شماليٌّ والآخر جنوبيٌّ وتُسمَّى هذه الدائرة خطَّ الاستواء . ثم اذا رُسم حول الارض خطٌ آخر على موازاة خطِّ الاستواءِ وعلى بُعد ٢٨ ٢٣ منهُ شمالاً وآخر مثلهُ جنوبًا تحدث دائرتان وتُسمَّى الشمالية منهما خطَّ السرطان والجنوبية خطَّ الجدي والجزء من سطح الارض

بينهما يُسمّى المنطقة الحارة . واذا رُسم على سطح الارض دائرةٌ على موازاة احدى الدوائر المذكورة وعلى بُعد ٢٨ َ ٢٣ ْ من القطب الشمالي فهي الدائرة الشمالية ومثلها الجنوبية والجزء من سطح الا بين خط السرطان والدائرة الشمالية تُسمّى المنطقة المعتدلة ... وبين الدائرة الشمالية والقطب الشمالي المنطقةُ الباردة او المتجمدة الشمالية وبين خط الجدي والدائرة الجنوبية المنطقةَ المعتدلة الجنوبية وبين الدائرة الجنوبية والقطب المنطقة الباردة او المتجمدة الجنوبية فقد انقسمت الارض بذلك الى خمس مناطق

اما الدوائر فكل دائرةٍ تنقسم الى ٣٦٠ درجة والدرجة الى ٦٠ دقيقة والدقيقة الى ٦٠ ثانية والدرجة على خط الاستواء ٦٠ ميلاً من الاميال الجغرافية و٦٩ ٣/٤ من الاميال الاعتيادية وكذلك جميع الدوائر المرسومة حول الارض من الشمال الى الجنوب غير ان الدوائر الموازية خط الاستواء تصغر بالتقدم الى نحو القطبين حتى تتلاشى عندهما فقد وضح انه كلما صغرت الدائرة صغرت الدرجة ايضاً فان كانت ٦٠ ميلاً على خط الاستواء تكون ٥٩ ميلاً على دائرة ١٠ درجاتٍ شمالاً او جنوباً منهُ و٥٦ ميلاً على دائرة ٣٠ درجة شمالاً او جنوباً منهُ و٣٠ ميلاً على دائرة ٦٠ درجة و١٠ اميال على دائرة ٨٠ درجة وميلاً على دائرة ٨٩ درجة شمالاً او جنوباً منهُ وتتلاشى عند القطب . واعلم ان الخطوط المرسومة حول الارض من الشمال الى الجنوب

ليست دوائر تامة لان الارض ليست كرة تامة كما تقدم ولكن الفرق قليل كما علمت فلا يُعتدّ بهِ الّا في بعض الحسابات الفلكية الدقيقة مثل حساب الكسوف وما يشبهه

وللارض حركتان حركة يومية وهي تتمّ بدوران الارض على محورها من الغرب الى الشرق مرةً واحدة في كل اربع وعشرين ساعةً وهي علة تتابع الليل والنهار وحركة سنوية وهي تتمّ بدوران الارض حول الشمس من الغرب الى الشرق مرةً واحدةً في كل سنةٍ وهي من علل تتابع الفصول

اذا رُسِمت صورة الارض او صورة جزءٍ منها على قرطاس بترتيبٍ يبيّن اقسامها وحدود اقسامها ونسبة بعضها الى بعضٍ من حيث البعد والناحية وما يشبه ذلك فتلك الصورة هي الخارطة في اصطلاح اهل هذا الفن فان اريد رسم صورة الارض كلها على خارطةٍ واحدة يجب ان تُقسَم الى نصفين شرقي وغربي مرسومًا احدهما بجانب الاخر ومتى استقبلت خارطةً فاحسب اعلاها شمالاً واسفلها جنوبًا ويمينها شرقًا ويسارها غربًا وهذه الجهات الاربع تسمى النقط الاصلية والجهة المتوسطة بين الشمال والشرق هي الشمال الشرقي وبين الجنوب والشرق الجنوب الشرقي وبين الشمال والغرب الشمال الغربي وبين الجنوب والغرب الجنوب الغربي وهذه الجهات تسمى النقط الفرعية وبين النقط الاصلية والفرعية نقطٌ اخرى تُستنبط

بالتدقيق في تفصيل الجهات حسب احتياج النواتي في سلك البحر ولاحاجة الى ذكرها هنا

العَرْض عبارة عن بُعد موضعٍ من خط الاستواء شمالاً او جنوبًا فاذا اردت ان تستعلم عرض مكانٍ من الكرة الصناعية فأدِرْها حتى يقع المكان تحت المنطقة النحاسية فترى درجة على المنطقة عرضهُ اي الدرجات بينهُ وبين خط الاستواء وان اردت ان تستعلم العرض من الخارتة فارسم خطًّا من المكان الى جانب الخارتة على موازاة الخطوط المرسومة عليها فترى العرض على جانبها عند طرف الخط المذكور وان كان المكان شمالاً من خط الاستواء فعرضهُ شماليٌّ او جنوبًا منهُ فجنوبيٌّ وليس للعرض اكثر من تسعين درجة

الطول عبارة عن بُعد موضعٍ من احد الخطوط الموصلة بين القطبين على سطح الارض ويحسب شرقًا ١٨٠ درجة وكذا غربًا فالخطوط المشار اليها تُسمَّى خطوط نصف النهار وهلم جرا لانهُ متى وصلت الشمس الى احدها يكون نصف النهار في جميع المواضع الواقعة عليهِ ويجوز ان تحسب الطول من ايّ خطٍّ شئت من هذه الخطوط غير انهُ قد جرت العادة عند كل قومٍ ان يحسبوهُ من خط نصف النهار الذي يمرُّ بقصبة بلادهم فالانكليز يحسبونهُ من خط لندن والفرنساوية من خط باريز وهلمَّ جرًّا فان اردت ان تستعلم طول مكانٍ على الكرة

فأدِرْها حتى يقع المكان تحت المنطقة النحاسية ثمَّ تحتها وعلى خط الاستواء تجد الطول او على الخارتة فان كانت خارتة الكرة فارسم خطًّا من المكان المفروض الى خط الاستواء على موازاة خطوط نصف النهار فتجد عند طرفهِ على خط الاستواء الطول المطلوب او خارتة اخرى فارسم خطًّا كما تقدم الى أسفل الخارتة او اعلاها فتجد الطول اي بُعد المكان شرقًا او غربًا من خط نصف النهار للمكان المعدود اوَّليًا في تلك الخارتة

الفصل الثاني

في اليابسة واقسامها

ان مسافة سطح الارض هي نحو ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ من الاميال المربَّعة وهو ينقسم الى ارضٍ يابسةٍ ومياهٍ فالمياه مشتملة على مقدار ٧٠٪ منهُ والباقي اي ٣٠٪ ارضٌ يابسة وبالتدقيق نسبة اليابسة الى المياه::١٠٠:٢٨٥ وهي مقسومة الى اقسامٍ شتَّى باعتبار قَدَرها واحكامها ونسبتها الى المياه الغامرة واستوائها وارتفاعها وانخفاضها وما يشبه ذلك واكثر اليابسة واقع في نصف الكرة الشمالية

القسم الاول الارض القارَّة وهي قسمٌ متسعٌ من الارض

مشتمل على ممالك شتى والقارات ست اربع منها في نصف
الكرة الشرقي وهي اوروبا وآسيا وافريقيا واوستراليا واثنتان
في النصف الغربي وهما اميركا الشمالية والجنوبية . و
بين نصف الكرة الشرقي والنصف الغربي هو هاجرة
فرو وهي الغربية من الجزائر الخالدات لان القدماء
الطول منها فاذا اعتبرت شطوط النصف الشرقي الغ
بالنسبة الى شطوط النصف الغربي الشرقية ترى الاقسام المم
الى البحر على الجانب الواحد توافق اقسام البحر الداخلة
في البر على الجانب الآخر فالراس الشرقي من بوازيل يوافق
خليج كينيا على شط افريقيا الغربي والراس الاخضر من
افريقيا يوافق خليج مكسيكو بين اميركا الشمالية والجنوبية
ومن ذلك قد زعم البعض انهما كانا متصلين في دور من الادوار
الماضية

مساحة القارات وطول شطوطها البحرية

	مساحة	طول الشطوط
اسيا	١٧٥٠٠٠٠٠ ميل مربع	٣٠٨٠٠ ميل
افريقيا	١١٣٠٠٠٠٠ " "	١٤٠٠٠ "
اميركا الشمالية	٨٦٠٠٠٠٠ " "	٢٤٥٠٠ "
اميركا الجنوبية	٦٤٣٠٠٠٠ " "	١٤٥٠٠ "
اوروبا	٣٥٠٠٠٠٠ " "	١٧٠٠٠ "

القسم الثاني المملكة وهي قسمٌ من قارةٍ تحت حكم واحدٍ كمملكة آل عثمان ومملكة الصين ومملكة فرانسا ونظائرها وقد تنقسم المملكة الى ايالات والايالات الى ولايات والولايات الى مقاطعات وهلمّ جرًّا.

الثالث الجزيرة وهي قطعة ارض يكتنفها الماء من كل الجهات كقبرس وكريت ومالطة ونحوها. ثم ان الجزائر مختلفة مساحةً بعضها صغار وبعضها كبار فان جزيرةً اسمها كلهاصخر في الاوقيانوس الاتلانتيك الشمالي محيطها ١٥٠ ذراعًا وجزيرة اوستراليا مساحتها ٣٠٠٠٠٠٠ ميل مربع. وقد تقع الجزائر منفردة مثل جزيرة قبرس اوعلى سلسلة كما على شطوط اميركا الغربية وجزائر الوتيان بين اميركا الشمالية واسيا او متجمعة كما في الاوقيانوس المحيط واذا كثرت الجزائر في بحرٍ سُمّي ارخبيلاً مثل الارخبيل الرومي وارخبيل الهند الغربيّة. اما الجزائر المنفردة على بُعد من بر فنادرة ومنها جزيرة ماري هيلانة وهي ١٨٠٠ ميل عن برازيل و١٢٠٠ عن افريقيا وبعض الجزائر بركانية الاصل وبعضها لم تزل بركانية مثل جزيرة سترمبولي الى شمالي سيسيليا

الرابع شبه الجزيرة وهو قطعةٌ من الارض يكتنفها الماء الا من جهةٍ واحدة كالمورة والقرم وملقا .

الخامس الراس وهو حرفٌ من جبلٍ او من ارضٍ مرتفعةٍ داخلٌ في البحر

السادس الانف او اللسان وهو حرفٌ من ارضٍ سهلةٍ داخلٌ في البحر

السابع البرزخ او المختنق وهو قطعة ارضٍ ضيقة محصورة بين بحرين موصلةٌ برًّا ببرٍّ او شبه جزيرة ببرّ

الثامن الجبل وهو ما ارتفع من الارض كثيرًا فان ارتفع قليلًا فهو الهضبة ومتى اتصلت الجبال ببعضها وامتدت الى مسافةٍ بعيدةٍ سميت سلسلة جبال ولا بد لكل جبلين من وهدةٍ بينهما فان كانت صغيرةً فهي شعبةٌ او كبيرةً فهي وادٍ او ضيقةً بين صخورٍ قائمة عن الجانبين فهي مضيقٌ

التاسع السهل وهو ما استوى من الارض استواء تقريبيًا وقد يكون صغيرًا مرويًّا بالعيون فيسمَّى مرجًا وقد يكون واسعًا مرويًا بالمطر مفروشًا بالعشب دون الشجر فيسمَّى بقعةً وقد يكون مغمورًا بالرمال دون النبات فيسمى بادية او صحراء وقد يكون في الصحراء قِطَعٌ يسيل اليها الماء المطريُّ مما حولها فتتمادى في الرطوبة والخصب كانها جزيرةٌ خضراء في وسط بحرٍ من الرمل فتسمَّى روضةً فان سال اليها ماء نهرٍ او عينٍ فانبتت شجرًا كثيرًا سميت غوطة ومنها غوطة دمشق

العاشر الجبل الناري وهو جبلٌ لهُ فوهةٌ واسعة

ينقذف منها في اوقاتٍ معيَّنة او غير معيَّنة نارٌ ودخانٌ ورمادٌ وحجارةٌ كلسية وموادُّ مثل حجر النشفة اي حجر الخفان ومعادن ذائبة تسيل على جوانب الجبل ولا تقف الاَّ اذا بردت وجمدت فان انحصرت نيرانٌ هذه الجبال حدثت زلازل في الاماكن المجاورة لها وقد احترقت مدنٌ وانقلبت ورُدِمَت تحت تراكم المواد المنقذفة من بعض هذه الجبال وقد ارتفع بقربها قعر البحر حتى صارت جزيرةٌ هناك ومن هذه الجبال ما يقذف لهيبًا ومنها ما يقذف الموادَّ المذكورة بدون لهيب وعلى سطح الارض مقدار خمس مئة من هذه الجبال ويقال لها ايضًا البراكين او البُراكية

الجبال هي اجزاء من قشرة الارض مرتفعة عن استواء سطحها واعلاها يبلغ نحو خمسة اميال علوًّا ومن فوائدها انها تجذب الغيوم فتفيض مياهها على تلك الجبال بكثرة فتجري منها انهار وينابيع تسقي السهول فضلاً عن جمال منظرها ودلالتها على القوى الطبيعية التي رفعت تلك الاجسام العظيمة . والجبال في الغالب تمتد طولاً على هيئة سلسلة وقد تنفرد نادرًا مثل جبل تنريف في جزيرة من الجزائر الخالدات وجبلٌ اغمونت في زيلاند الجديدة . وسلاسل الجبال العظيمة في نصف الكرة الشرقيَّة تمتدُّ غالبًا شرقًا وغربًا وفي نصف الكرةِ الغربيَّة شمالاً وجنوبًا والسلاسل الفرعية المتصلة بهذه السلاسل الاصلية تتبع طول

البلاد التي هي فيها كالابنين في ايطاليا والدوفرفلت في نروج والغاط في هندستان ولبنان في سوريا .

اما اعلى الجبال على سطح الارض فهو جبل افرست من جبال هالايا في اسيا في طول ٨٧° شرقيّ علوهُ ٢٩٠٠٢ قدم وعلى نحو ١٠٠ ميل الى الشرق منهُ جبل كنشنجنجا علوهُ ٢٨١٥٦ قدمًا واعلى جبال اميركا الجنوبيَّة جبل تونجاتو في شيلي علوهُ ٢٢٤٥٦ قدمًا واعلى جبال اميركا الشمالية جبل ماري الياس من الجبال الصخرية علوهُ ١٧٩٠٠ قدم واعلى جبال افريقيا جبل كلمنجارو علوهُ ١٨٠٠٠ قدم واعلى جبال اوروبا جبل بلانك من جبال سويسرا علوهُ ١٥٧٦٠ قدمًا . حكى بعض السياح عن جبل في جزيرة كينيا الجديدة يضاهي جبال حملايا علوًّا والله اعلم

الجبال في الاقاليم الحارة تُسكَن الى علو نحو ١٣٠٠٠ قدم وتحت خط الاستواء يدوم الثلج على مدار السنة عند ١٦٠٠٠ قدم علوًّا وفي جبل بلانك يدوم الثلج عند ٨٥٠٠ قدم علوًّا وفي جبل لبنان الثلج موجود على مدار السنة على علو ١٠٠٠٠ قدم . وقد استُعلم اعلى الجبال بالقياسات الهندسية اذ يتعذر الوصول الى قممها من كثرة الثلوج ولطافة الهواء المحدثة رعافًا او نزفًا من العينين والاذنين واعراضًا أُخرى مزعجة والنقطة العليا التي انتهى اليها الانسان في صعود الجبال هي ١٩٧٠٠ قدم

في صعود جبل كمبورازو من جبال اميركا الجنوبيّة

اما سلاسل جبال اميركا الشمالية فهي الجبال الصخرية الممتدة من البحر الشمالي الى نحو ٣٢° من العرض الشمالي علو بعضها ١٦٠٠٠ قدم ومعدل علوها ٨٠٠٠ قدم ويخرقها شرقاً وغرباً بعض الاودية على علو نحو ٧٠٠٠ قدم فيها تمر سكة الحديد من حوض نهر مسسبي الى كليفورنيا على شط البحر المحيط وبين الجبال الصخرية وشط البحر غرباً سلاسل اخر من رؤوسها جبل ماري الياس المشار اليهِ انفًا وفي شرقي البلاد المتحدة سلسلة جبال اليكاني من عند خليج ماري لورنتيوس الى ٣٤° من العرض الشمالي وفي بلاد مكسيكو عدة جبال منفردة بعضها براكين . اما اميركا الجنوبيّة فمن سلاسل جبالها اندس بقرب شطها الغربي ممتدة من برزخ پناما الى بوغاز مجلاَّن بينها والبحر نحو ١٠٠ ميل على معظم بعدها عنهُ وعرضها ما بين ٣٠٠ ميل و٣٥ ميلاً

اما سلاسل جبال اوروبا فهي جبال البلقان الى جنوبي نهر دونو وجبال الباس في غربي اوستريا وفي سويسرا وشمالي ايطاليا وجبال ابنين في ايطاليا وجبال برنات بين فرانسا واسبانيا وعدة سلاسل جبال في بلاد اسبانيا وجبال اسكندناوية بين اسوج ونروج وجبال اورال بين اوروبا واسيا في بلاد روسيا وجبال قاف بين البحر الاسود وبحر

قزبين اعلاها ١٨٤٩٣ قدماً والثلج دائم عليها عند ١١٠٠٠ قدم علواً

اما سلاسل جبال اسيا فهي جبال التاي بين ٤٠° و٥٥ من العرض الشمالي وجبال هندكوش في اواسط القارة وجبال هملايا في جنوبي تبت وشمالي هندستان طولها نحو ١٥٠٠ ميل والثلج دائم عليها على علو ١٨٠٠٠ قدم على الوجه الجنوبي منها وعلى علو ١٥٠٠٠ قدم على الوجه الشمالي منها وجبال ارمينيا اعلاها جبل اراراط علوهُ ١٧٣٢٣ قدماً وجبال تاوروس او جبال الثور في اسيا الصغرى منها تمتد سلسلة جبال النصيرية وجبال لبنان اعلاها نحو ١٠٠٠٠ قدم وجبال سينا بين خليج السويس وخليج العقبة اعلاها ٧٠٠٠ قدم

اما سلاسل جبال افريقيا فهي جبال اطلس في بلاد مراكش وجبال الحبش اعلاها نحو ١٥٠٠٠ قدم وجبال الشط الغربي علوها بين ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ قدم وبعض الجبال في اواسط القارة اعلاها في عرض ٤° جنوبي يبلغ نحو ٢٠٠٠٠ قدم والثلج عليها مدار السنة

وفي جميع اقطار الارض بين سلاسل جبالها اراضٍ سهلة واسعة مرتفعة زاد او نقص عن استواء سطح البحر حسب علو الجبال المحيطة بها مثل ارض البقاع في سوريا مرتفعة بين ٢٥٠٠

و٤٠٠٠ قدم عن مساواة سطح البحر وبعض السهول بين جبال التاي وجبال هملايا علو بعضها ٢٠٠٠ قدم وبعضها على علو ١٣٠٠ قدم وسهول بلاد العرب على ما بين ٣٠٠٠ و٤٠٠٠ قدم علوًّا والصحراء الكبيرة في افريقيا بعضها على ٦٠٠٠ او ١٥٠٠ قدم علوًّا وعلو بعض سهول اوروبا في اسبانيا يبلغ ٢٠٠٠ قدم وسهل بقاريا في اواسط القارة علوهُ ٣٠٠٠ قدم وبعض سهول اميركا الجنوبية في بلاد پيرو على علو ١٢١٠٠ قدم وعلو سهول اواسط اميركا الشمالية بين ٤٠٠ و٥٠٠ قدم

اما السواحل فهي مرتفعة قليلاً فوق استواء سطح البحر وبعضها منخفضة تحت مساواة سطح البحر مثل سواحل بحر قزوين وبحر ارال والسواحل في الغالب خصبة تخرقها انهار كبار تسلك فيها السفن فتكثر سكانها ويفزُ غناها ومن تلك السواحل في اسيا الاراضي بين نهر الفرات ونهر الدجلة وسواحل فينيقيا وفلسطين وسواحل الانهر الكبار في الصين والهند وفي افريقيا ارياف نهر النيل وفي اوروبا سواحل البحر الاسود وبعض اقطار فرانسا وفي اميركا سواحل نهر امازون ونهر لابلاتا وشطوط البلاد المتحدة الشرقية وحوض نهر مسسبي والانهر التي تصب فيهِ

اما الجبال العالية التي يدوم عليها الثلج مدار السنة مثل

جبال هملايا واندس والبا فتنحلّ احياناً من نواحي قممها قطع ثلج وتتدحرج الى اسفل وتزيد جرماً بتجمع الثلج عليها في انحدارها حتى تصير عظيمة جدًّا وقبل بلوغها الى اسافل الوديان تاخذ في طريقها اشجارًا وبيوتًا وضياعًا وتسدّ مجاري انهر واكثر حدوث ذلك في سويسرا ونروج

وفي اودية تلك الجبال العالية يتجمع مزيج من الجليد والثلج والماء فيملأ بعض الاودية ويزحل الى اسفل زحلاً بطيئًا ويسمى بحر جليد او نهر جليد وفي جبال البا عدّة من هذه الانهر الجليدية الزاحلة بعضها يزحل في مدار السنة ٣٦٩ قدماً وبعضها ٢٤٥ وبعضها ١٩٠ وبعضها ١٢٥ قدماً ومقدار زحلها كل سنة يتوقف على حرارة الصيف في تلك النواحي فمتى اشتد حر الصيف تزحل اكثر والعكس بالعكس

اما البركان او جبل النار فاسمهُ مصحف ڤلكان اله الحدادين عند القدماء كان كورهُ في جبل اتنا حسب خرافاتهم واليهِ انتساب جبال بلقان او ڤلقان في بلاد رُوميليا وبلغاريا فهذه الجبال القاذفة دخانًا ونيرانًا ومواد رمادية علتها نيران جوف الارض حسب راي البعض وفعل المادة الكهربائية حسب راي البعض الآخر وهي على الغالب مخروطية الشكل تخرج النار من قممها او من جوانبها . وعلى سطح الارض نحو ٣٠٠ بركان ثلثاها على جزائر والباقي على قارات وبعضها يبلغ ٢٠٠٠٠

قدم علوًّا

اما تعلق الزلازل بالبراكين فواضح من حوادث شتى فعند انقلاب مدينة ليما بزلزلة انفتح اربعة براكين جديدة في جبال اندس وعندما انقلبت مدينة لشبون بزلزلة في سنة ١٧٥٥ هاجت البراكين هيجانًا بليغًا وبعد انقلاب مدينة كراكاس هاج بركان في نواحيها وانهزت الارض على مساحة ٣٠٠٠٠ ميل مربع. واشد الزلازل غالبًا اقصرها زمانًا فالتي خربت مدينة لسبون دامت ٦ دقائق والتي هدمت مدينة كراكاس سنة ١٨١٢ دامت ٥٠ ثانية والتي هدمت مدينة كنستيون في سنة ١٨٣٥ دامت ست ثوانٍ وعند حدوثها قد ترتفع الارض في اماكن وتنخفض في اخرى وقد تنشق فتبلع سكانها ببيوتها وحيوانها واشجارها كما حدث في كلابريا سنة ١٧٨٣ وقد هلك تلك السنة في ايطاليا وسيسيليا ٤٠٠٠٠ نفس بالزلزلة ومات ٣٠٠٠٠ نفس من تلقاء المصائب الحادثة من قبلها. ومن قبل زلزلة لسبون سنة ١٧٥٥ مات ٦٠٠٠٠ في نحو ست دقائق والزلزلة التي خربت حلب وانطاكية والضياع في جوارها حدثت في ١٣ آب سنة ١٨٢٢ دامت ١٠ ثوانٍ او ١٢ ثانية وهلك فيها ٣٠٠٠٠ نفس وفي سنة ١٧٥٩ خربت بلاد بعلبك وصفد بزلزلة وخربت صفد ايضًا بزلزلة في اول كانون الثاني سنة ١٨٣٧ ومات فيها نحو ٦٠٠٠ نفس وحدثت اهوال عظيمة من قبل البراكين

والزلازل في جزيرة اسخيا وساقص وكراكتوا من جنوبي صمطرة ومجاورتها

الفصل الثالث

في الماء واقسامهِ

المياه الغامرة الجانب الاكبر من سطح الارض نوعان مالحة وعذبة وهي تنقسم الى اقسامٍ شتى باعتبار اتساعها ونسبتها الى اليابسة

القسم الاول البحر المحيط ويقال لهُ الاوقيانوس وهو قسم عظيم من الماء المالح غامر اكثر الكرة الارضيَّة كالمحيط الذي بين اميركا واسيا . وطول هذا البحر من الشرق الى الغرب اثنا عشر الف ميل تقريبًا وعرضهُ من مضيق بيرين الى ٥٥° من العرض الجنوبي ٩٠٠٠ ميل تقريبًا وفيها جزائر كثيرة وصخور مرجانية تحت سطح الماء تجعل مسلكهُ خطرًا على السفن وكالاوقيانوس الاتلانتيك الذي تليهِ اوروبا وافريقيا شرقًا واميركا غربًا ومعظم عرضهِ من الشرق الى الغرب ٥٠٠٠ ميل واقلّ عرضهِ بين شمالي اوروبا وشمالي اميركا ٩٠٠ ميل تقريبًا وطولهُ من الشمال الى الجنوب ٩٠٠٠ ميل تقريبًا والاوقيانوس الهندي الى جنوب اسيا والاوقيانوس الشمالي حول القطب الشمالي ولا تسلك فيهِ السفن لكونهِ مجلدًا او مغمورًا بقطعٍ

عظيمة من الجليد ستطردها الرياح فمنهُ ما يتعذر سلوكهُ تماماً ومنهُ ما يُسلَك في ايام الصيف فقط ولكن تحت خطرٍ شديد من جَرَى الجليد المذكور وقد يكون محيط هذه القطع عدة اميال وعلوها ٠٠٠ ١ قدم تجريه مع المياه الى نحو خط الاستواء فتذوب والاوقيانوس الجنوبي حول القطب الجنوبي ويقال فيهِ ما قيل في الشمالي . وهذه الاقسام متصلة بعضها ببعضٍ واما انقسامها وتسميتها كما تقدم فلسهولة الوصف وقرب التحديد فقط ثم ان قعر البحر كالارض اليابسة غير مستوٍ وهو منقسم الى تلال وجبال واودية عميقة يتعذر قياس بعضها وقد حُسِبَ معدّل عمق الاوقيانوس سبعة اميال تقريبًا

٢ الثاني **البحر** وهو قسمٌ متسعٌ من الماء المالح اصغر من الاوقيانوس كالبحر المتوسط او بحر الروم بين اوروبا وافريقيا والابحر غالبًا اجزاء من الاوقيانوس او متصلة بهِ الاَّ بحر الخزر وبحر ارال في اسيا فانهما منفصلان عنهُ

ان حرارة ماء البحر تختلف بين النهار والليل غير ان اختلافها اقل من اختلاف حرارة الهواء الكروي ومعدلها في بعد من البرّ اعلى من معدل حرارة الهواء والماء العميق اكثر حرارة من الماء الرقيق واختلاف الفصول لا تؤثر في حرارة البحر الى اكثر من عمق ٣٠٠ قدم واشدُّ حرارة سطح البحر حادث في خليج مكسيكو وفي بعض مراسي كينيا تبلغ $\frac{1}{2}$ ٨٨ ف

اما لون ماء البحر فيختلف بين اخضر في جوار البر وازرق في البعد عنهُ وابيض في خليج كينيا واسود في جوار جزائر ملديف واصفر بين الصين ويابان واحمر في مواضع أُخرى وهذا الاختلاف متوقف على اسباب محليَّة وعلى كثرة الحُيَيْن المكروسكوبي الذي هو علة فصفورية البحر ايضاً

اما قعر البحر فمثل البر ذو مرتفعات ومنخفضات وجبال واودية وسهول وقد قاسهُ الربانيون على ترتيب بامر دولهم وبواسطة هذه المقايسات استُدِل على كونهِ سهلاً على الغالب بين ارلاندا وفوندلاند الجديدة فوُضِع عليهِ شريط التلغراف بين اوروبا واميركا وقد اصعدوا مواد من قعر البحر على عمق ١٢٠٠٠ قدم فوُجدت اصدافًا مكروسكوبيَّة على التمام بدون امتزاج رمل او مادة اخرى ومن ذلك يستدل على كون مياه البحر العميقة هادئة الى التمام اي لا تؤَثر فيها الانواءُ الهائجة على سطحهِ واشد العواصف لا تفعل فيهِ الى اكثر من ٢٠٠ قدم عمقًا وصح ايضًا من هذه المقايسات ان الاوقيانوس الاتلانتيكي لا يزيد عن ٢٥٠٠٠ قدم عمقًا وفي مواضع اخر قيس الى عمق ٤٩٠٠٠ قدم ولم ينتهِ الى القعر ومما يعسّر هذه المقايسات مجارٍ وتيارات قويَّة في الاعماق فاذا لحق الثقل القعر لا يزال الحبل يكرّ من البكرة واذا مُنِع يقطع وذلك يدل على قوة التيارات المشار اليها ويلقي شكًّا من جهة بلوغ الثقل الى القعر لا سيما في

الاعماق الزائدة

اما امواج البحر فحادثة عن فعل الريح فيه وهي تبلغ في بعض المحال ٤٠ قدمًا علوًّا مقاسة من اعمق الحوض بين موجين الى راس الموج او ٣٠ قدمًا عن استواء سطح الماء ومن فعل جاذبية الشمس والقمر في ماء البحر يحصل المدّ والجزر فيمد ست ساعات ثم يجزر ست ساعات ومقدار المد يختلف باختلاف الاسباب المحلية من تكوين الشطوط او الخلجان او المجاري او اسباب اخر فعند جزيرة ماري هيلانة يرتفع البحر بالمد ثلاثة اقدام وفي شمالي فرانسا ٥٠ قدمًا وفي بعض الاماكن على شطوط الخليج الانكليزي ٦٠ قدمًا وفي خليج فوندي ٧٠ قدمًا اما البحر المتوسط فلا مد ولا جزر له بما يعتبر وقد تزيد المياه منها وتنقص في بعض المحال حسب اختلاف الارياح الهابة لا بجاذبية الشمس والقمر التي منها المد والجزر الحقيقيان

اما المجاري والتيارات فهي واسطة لنقل المياه البحرية من موضع الى آخر فتنقل بها مياه الجهات الشمالية او الجنوبية الباردة الى الاقاليم الحارة وبالعكس وهي متوقفة على اسباب شتى منها فعل المدّ والجزر والارياح والاحالة الى تبخار بحرارة الشمس ودوران الارض على محورها . اما فعل المدّ والجزر في احداث التيارات والمجاري فيُرى بالاكثر في الخلجان والبواغيز بين الجزائر او بين الجزائر والبرّ وعند مصبات الانهر الكبار اما

فعل حرارة الشمس فيرى في البحر المتوسط والبحر الاسود فانهُ يجري الى البحر المتوسط مجرى دائم من الاوقيانوس الاتلانتيكي في بوغاز جبل طارق ومن البحر الاسود عن طريق بحر مرمرا وبوغاز القسطنطينية فضلاً عن الانهر الكبار التي تصب في هذه الابحر جميعًا وكل هذه المياه تتحول الى بخار بحرارة الشمس فلا يزيد ماء البحر المتوسط بمقدارٍ يشعر بهِ . ومن هذه التيارات التيار الشمالي عرضهُ في بعض المحال بين ٣٥٠ و٢٠٠ ميل وسرعتهُ تختلف بين ٨ اميال و١٦ ميلاً كل يوم وهو الحامل قطع الجليد الكبار من الشمال الى الجنوب اي من شمالي اوروبا الى كرينلاند ومن ثم الى شطوط لبرادور وفوندلاند الجديدة حيث يلاقي التيار المسمى تيار الخليج الآتي ذكرهُ

اما التيار الاستوائي فهو الجاري من الشرق الى الغرب على جانبي خط الاستواء بداءتهُ في الاوقيانوس الجنوبي ويجري الى الشمال الشرقي حتى يصيب شطوط اميركا الجنوبيَّة من جهة الغرب فينقسم الى قسمين قسم يدور حول راس هورن وقسم يجري على موازاة الشط الى متابلس بيرو ثم ينحرف الى الغرب ويجري الى اواسط الاوقيانوس المحيط وعرضهُ عند ذلك ٣٥٠٠ ميل وعندما ينتهي الى اوستراليا والى الارخبيل الهندي الشرقي ينقسم الى اقسام كثيرة ومن جرى ذلك يصير سلك البحر الهندي خطرًا على السفن ومن هناك يجري غربًا الى ان يصيب شطوط

افريقيا من جهة الشرق فيدور حول راس الرجاء الصالح ويجري على موازاة شطوط افريقيا من جهة الغرب الى خليج كينيا ومن ثم يقطع الاتلانتيك الى راس ماري روكس في برازيل فينفلق شطرين الشطر الواحد يجري الى الجنوب والآخر الى الى الشمال فيدخل خليج مكسيكو . اما تيار الخليج فيبتدئ في خليج مكسيكو الحامي المياه ويجري الى الشمال الشرقي على موازاة شطوط البلاد المتحدة على نحو ٥ اميال كل ساعة وعندما يصيب رقارقات فوندلاند الجديدة ينفرش ويجري من هناك الى شطوط ارلاندا وماؤه في الخليج ٨٦° ف ونقل حرارته شيئًا فشيئًا الا انه لا يزال اسخن من سائر ماء البحر عندما ينتهي الى شطوط اوروبا ولذلك ترى حرارة تلك الاقاليم زائدة عن حرارة ما يوازيها عرضًا من شطوط اميركا

الثالث الخليج وهو جزء كبير من البحر او من الاوقيانوس داخل في البر ومن هذا القبيل الجون لكنه اصغر من الخليج وقد يسمى الخور ايضًا

الرابع البوغاز وهو جزء من الماء محصور بين برين موصل بين بحرين كبوغاز جبل طارق الموصل بين البحر المتوسط والاوقيانوس الاتلانتيكي

الخامس البحيرة وهي قطعة من الماء العذب الراكد تحيط بها الارض من كل الجهات . ومن هذا القبيل الاجمة وهي اصغر

من البحيرة وتُعرَف بالبُرَكة . ومن البحيرات والبُرَك ما يكون ماؤُها جاريًا بدخول نهرٍ يتخللّها كبحيرة طَبريّة ومنها غير جاريةٍ كبحيرة المرج شرقي دمشق الشام .

السادس النهر وهو مجرًى عظيمٌ من الماء العذبْ يصبُّ في بحرٍ او بحيرةٍ بعد جريانهِ مسافةً ودونهُ الجَدْوَل ويقال لهُ النُهَير وهو نهرٌ صغيرٌ يصبُّ في نهرٍ اخر ومكان دخول احدهما في الآخر يقال لهُ مُلتقَى النهرين ومكان دخول النهر الى البحر يسمى مَصَبًّا ومكان خروجهِ من الارض عينًا او ينبوعًا والعيون تنفجر من نفوذ ماء المطر في الارض ومتى اجتمعت مياه عدَّةٍ من العيون صارت نُهَيرات واذا اجتمعت النُهيرات صارت انهارًا . والارض التي تجري مياهها الى بحرٍ ما يقال لهُ حوض ذلك البحر ويقال حوض النهر او النُهَير للوادي الذي تجري المياه من جوانبهِ الى احدهما والخط الفاصل بين حوضين متصلين يقال لهُ خط تقسيم المياه . ثم ان الانهر في جريانها من ينابيعها الى مَصَبَّاتها تنحدر احيانًا من شواهق فتحدث شلاَّلات او خرَّارات فان اسرعت في جريها بين صخورٍ كانت جنادل كجنادل النيل

السابع الترعة وهي نهرٌ مصنوعٌ بالايادي عميقٌ يجمع بين بحرين او نهرين او قِطَعٍ أُخَر من الماء ومنها ما يصلح لعبور السفن الكبيرة ومنها ما يصلح للزواريق فقط ومنها ما يفيد لسقي الاراضي فقط

ان الانهر الكبار هي التي تخرج من جبال عالية مكتسية بالثلج وتجري في سهول واسعة وتصب فيها انهر اخرى او نهيرات فلا يتكون نهر كبير في محل جباله قريبة الى البحر وربما يكون مخرج نهر قريباً من مخرج نهر آخر ويكون بين مصبيهما الوف من الاميال واوسع الاحواض هو حوض نهر امازون في اميركا الجنوبية مساحته ٢٣٧٥٠٠٠ ميل مربع وبعده حوض نهر مسسبي ونهر مسوري في البلاد المتحدة مساحته ١٢٢٣٠٠٠ ميل مربع وحوض نهر اوهيو في البلاد المتحدة ايضاً مساحته ١٣٥٠٠٠٠ ميل مربع وحوض نهر النيل في افريقيا مساحته ١٣٤٠٠٠٠ ميل مربع وحوض نهر ولكا في اوروبا مساحته ٥٣٨٧٠٠ ميل مربع وقد تكثر تعاريج نهر حتى يزيد طوله عن البعد الاقصر بين مخرجه ومصبه كما في نهر الاردن ونهر الدونا وهذه التعاريج تزيد مساحة الارض المسقية بالنهر وتخفف سرعة جريان مياهه فيسهل ركوبه على السفن . وسرعة جريان نهر متوقف على علو مخرجه فوق مصبه فمخرج نهر ولكا مثلاً يعلو مصبه ٦٣٣ قدماً وطول النهر ٢٠٠٠ ميل اي انحداره ٣/٨ ٣ القيراط في كل ميل اما نهر الكنك في الهند فمخرجه يعلو مصبه ١٣٦٧٣ قدماً وطوله ١٦٨٠ ميلاً فيكون انحداره ٨ اقدام في كل ميل واكثر انحدار الانهر حادث في قرب مخارجها في الجبال وعند انتهائها الى السهول يصير انحدارها قليلاً وجريها بطيئاً

ان لاكثر الانهر مصبًّا واحدًا غير ان لبعض الجارية في سهول وسيعة الحاملة مواد كثيرة ترابية عدة مصبات مثل نهر مسسبي ونهر الكنك ونهر النيل فتربى عند مصباتها اراضي وهذه الارض المكتسبة الواقعة بين مصبات نهر تسمّى ذلتا النهر لكونها في الغالب شبيهة بحرف الذال عند اليونانيين اي Δ فان ذلتا المسسبي تمتد الى خليج مكسيكو ٥٠ ميلاً وهذا النهر يحمل من المواد الجامدة ما يعدل $\frac{1}{١٢٤٥}$ من وزنهِ و$\frac{1}{٣٠٠٠}$ من جرمهِ فيكون المقدار الذي يحملهُ ويضعهُ عند مصبهِ كل سنة ٢٧٠٣٧٥٨٤٠٠ قدم مكعب اي ما يكسو مساحة ١١ ميلاً مربعًا الى عمق قدم . ونهر الكنك في الهند يحمل كل سنة من المواد الجامدة ٦٣٦٨٠٧٧٤٤٠ قدمًا مكعبًا وذلك يعدل ٦٣ هرمًا مثل اكبر اهرام مصر . ونهر هوانهو في الصين يحمل كل ساعة الى البحر ٣٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب من التراب فيلوّن البحر الى مسافة بعيدة حتى سُمّي ذلك البحر البحر الاصفر

اما البحيرات العذبة فالكبيرة منها في اوروبا واسيا وهي الى الشمال من دائرة ٥٠° من العرض الشمالي وفي اميركا الى شمال ٤٠° عرضًا شماليًا اما المالحة فمتفرقة وهي كثيرة في شرقي اوروبا واواسط اسيا وجنوبها وهي تنقسم الى اربعة اقسام الاول التي لا منفذ لها ولا تدخلها مياه جارية مثل بحيرة البانو قرب رومية وبحيرة اليمونة في غربي البقاع تجاه بعلبك والبحيرات

من هذا النوع على الغالب صغيرة وواقعة في اماكن عالية ومياهها من قبل ينابيع تنبع فيها وقد زعم البعض انها كؤوس براكين منطفئة

الثاني بحيرات تجري اليها سيول ولكن لا منفذ لها منها بحر قزوين وبحر ارال اما بحر قزوين فطولهُ نحو ٦٠٠ ميل ومعظم عرضهِ ٢٠٠ ميل ومعدل عرضهِ ١٠٠ وفيهِ يصب نهر فلكا طولهُ ٢٣٠٠ ميل حامل اكثر من ٥١٨٠٠٠٠٠٠ قدم مكعب ماء كل ساعة ويصب فيهِ ايضًا نهر اورال وانهر اخرى ومع ذلك لا يرتفع ماؤهُ وان لم يكن لهُ منفذ . اما بحر ارال فيصب فيهِ نهر سيحون ونهر جيحون وهو ايضًا لا يرتفع ماؤهُ ولا اتصال لهما مع البحر تحت الارض كما زعم البعض لان بحر قزوين ٨٤ قدمًا تحت استواء سطح البحر الاسود

الثالث بحيرات لا تجري اليها سيول بل تجري منها وهي غالبًا واقعة في اراضٍ عالية تخرج منها انهر ومن هذا النوع بحيرة على الجبل المستدير في جزيرة كورسيكا على علو ٩٠٠٠ قدم فوق سطح البحر

الرابع بحيرات تجري اليها ومنها سيول او انهر وهي في غالب مصب عدَّة انهر او نهيرات ويجري منها نهر واحد واعلى البحيرات بحيرة سريكول في اسيا التي هي مخرج نهر امو اي جيحون علوها ١٥٦٠٠ قدم فوق مساواة سطح البحر واوطاها

بحيرة لوط وهي ١٣١٦ قدماً تحت مساواة سطح البحر اما بحيرة طبرية فهي ٦٥٠ قدماً تحت مساواة سطح البحر

اما اكبر البحيرات العذبة فهي البحيرة الكبيرة في شمالي البلاد المتحدة مساحتها ٤٠٠٠٠ ميل مربع طولها ٤٢٠ ميلاً ومعظم عرضها ١٦٥ ميلاً وعلوها فوق سطح البحر ٦٢٣ قدماً ومعظم عمقها ١٢٠٠ قدم وهي متصلة بسلسلة بحيرات كبار تنتهي الى نهر ماري لورنتيوس وبهِ يجري مياهها الى البحر واعظم بحيرات اميركا الجنوبية بحيرة تتيكاكا مساحتها ٢٨٠٠ ميل مربع وعلوها ١٢٧٨٥ قدماً فوق مساواة سطح البحر

اما بحيرات اوروبا فبعضها في جوار بحر بلنيك وبعضها في جبال البا في سويسرا والبلاد المجاورة اكبرها بحيرة لادوغا في روسيا مساحتها ٦٣٣٠ ميلاً مربعاً واجمل بحيرات اوروبا هي بحيرات سويسرا منها بحيرة نفشاتل مساحتها ١١٥ ميلاً مربعاً وعلوها ١٤٢٧ قدماً وبحيرة جنيف مساحتها ٣٤٠ ميلاً مربعاً وعلوها ١٢٣٠ قدماً فوق مساواة سطح البحر

اما بحيرات افريقيا فمنها بحيرة نجامي بقرب عرض ٢٠° جنوبي علوها ٢٨٠٠ ميل فوق مساواة سطح البحر وبحيرة فكتور نيانزا هي مخرج نهر النيل طولها ٢٠٠ ميلاً وكذا عرضها وعلوها ٢٧٤٠ قدماً فوق مساواة سطح البحر وبحيرة تنكنييكا وسيأتي ذكرها مع غيرها من بحيرات افريقيا

الفصل الرابع

في الهواء والرياح

ـ الهواء الكروي سيال لطيف اكثف على مساواة سطح البحر
مما هو في طبقات الجو العالية يتلطف بالحرارة ويتكاثف بالبرد
وجواهرهُ المتلطفة تصعد الى الاعلى وجواهرهُ المتكاثفة تنحدر الى
الاسفل ومن قبل ذلك مع مساعدة اسباب محلية تحدث حركات
في الهواء هي الرياح فترى في بعض الاماكن الريح تهب من
البحر الى البر نهارًا ومن البرّ الى البحر ليلاً وذلك لان حرارة
الشمس نهارًا تلطف هواء البرّ اكثر من هواء البحر فيصعد
وياتي هواءٌ آخر من جهة البحر لكي يملأ الخلاء والبر يبرد ليلاً
قبل البحر فيبقى هواء البحر ليلا الطف من هواء البر فيصعد
وياتي هواءٌ من البر لكي يملأ الخلاء وهذا هو سبب ريح البحر وريح
البر في الاماكن التي تظهر فيها وكثيرًا ما تُرى جهة الريح في
الطبقات العالية عكس جهتها في الطبقات السفلى كما يعلم من
الغيوم التي تتحرك طوعًا للرياح الطاردة لها وفي مداس جبل
نريف في الغالب تجري الريح من جهة الغرب وعلى اسافله عاليًا
من جهة الشرق وقد انقسمت الرياح باعتبار هبوبها الى متغيرة
ودائمة ودورية

اما الرياح المتغيرة فهي التي لا يُعرَف لها قانون وتهب من جهات مختلفة مدات مختلفة ولا تثبت على جهة واحدة اكثر من بعض الايام والى الآن لم يُعرَف لها ضابط وهي الهابة في الاقاليم المعتدلة والباردة وعلتها اختلاف حرارة هواء البر والبحر مع علل محلّية ولكل اقليم من الاقاليم المذكورة رياح غالبة حسب اختلاف الفصول تُعرَف بالملاحظة

اما الرياح الباردة فهي الآتية من جهة القطبين والحارة هي الآتية من جهة خط الاستواء والهابة من جهة البحر متلطفة ومعتدلة والهابة من جهة الصحاري الوسيعة سخنة يابسة كالريح الشرقية في برّ الشام والخماسين في بلاد مصر

اما ريح السموم الهابة في بعض المفازات فريح شديدة الحرّ فيها تغيرت كثافة الهواء حتى صار مثل هواء الطبقات العالية كثافةً مع حرارة زائدة فتحدث انصباب دم الى الراس والرئتين وقد تقتل بذلك من تصيبهُ

اما الارياح الدائمة فهي الهابة في المنطقة الحارة وتُعرَف بالرياح التجارة . تهبّ من جهة الشمال الشرقيّ في شمالي خط الاستواء ومن الجنوب الشرقي في جنوبي خط الاستواء وتميل الى الشرق اكثر فاكثر حسب الاقتراب الى خط الاستواء ، اقليم ريح التجارة الشمالي والاقاليم المعتدلة مسافة يغلب فيها سمّي رهو السرطان وكذا الى جهة الجنوب يهو الجدي .

عن هذه الرياح بان جواهر الهواء الحامية عند خط الاستواء تصعد الى الاعلى فلا بد من اتيان هواء من ناحية كل قطب لئلا الخلاء فلو كانت الارض ثابتة لا تدور لكانت هذه الارياح تهب من الشمال والجنوب تمامًا ولكن من دوران الارض على محورها من الغرب الى الشرق وكون الهواء الآتي من القطبين غير مشترك في هذه الحركة سرعة فكأن الارض تدور تحته فيظهر انه هابٌ من جهة الشرق الى جهة الغرب فتكون جهته شمالا شرقيًا وجنوبًا شرقيًا الى ان يقرب خط الاستواء وهناك يسكن لكي يصعد الى الاعلى فتحدث منطقة تغلب فيها الرهو سميت منطقة الرهو الاستوائي ولا بد من رجوع هذا الهواء الى القطبين في طبقات الجو العالية فيجري بعكس الارياح التي تهب بقرب سطح الارض المشار اليها

اما الرياح الدورية فهي الهابة في اوقات معينة يوميًا او سويًا منها ريح البحر نهارًا وريح البر ليلاً وقد سبق الكلام بهما بالكفاية ومنها ارياح تهب في الاوقيانوس الهندي تسمى موسينًا او مُنسونًا فهي حادثة من تاثير بعض الاسباب المحلية في رياح التجارة المشار اليها فمن عرض ٣° جنوبي الى شمالي الاوقيانوس الهندي وبحر الصين تهب الريح من الجنوب الغربي من شهر نيسان الى شهر تشرين الاول ومن الشمال الشرقي من تشرين الاول الى نيسان وبين ٣° و ١٠° من العرض الجنوبي تهب من

الجنوب الشرقي بين نيسان وتشرين ومن الشمال الغربي بين تشرين ونيسان وحد هذه الرياح غربًا هو شط افريقيا الشرقي وشرقًا نحو ١٢٠° من الطول الشرقي وحدها شمالاً نحو ٣٧° عرض شمالي وجنوبًا ١٠° عرض جنوبي وقد تشتد حتى تصير عواصف

اما العواصف او التيارات الهوائيَّة فهي انواء دائرة حول مركز وهي ومركزها سائرة الى جهة من الجهات ودائرتها تختلف بين ٥٠ ميلاً و٥٠٠ ميل قطرًا وتشتد نحو المركز وتخف نحو المحيط والمركز يسير على خط معيَّن على سرعة تختلف بين ميلين و٤٠ ميلاً كل ساعة وفي نصف الكرة الشمالي حركة هذه الانواء توافق حركة عقارب ساعة وفي النصف الجنوبي بعكس ذلك واكثر حدوثها في نواحي الهند الغربية والاوقيانوس الهندي وبحر الصين

الفصل الخامس

في الاقاليم وتفريق الحيوان والنبات حسب الاقاليم

الاقليم لفظة يونانية معرَّبة معناها حرارة الهواء في اقسام الارض المختلفة وفي الاصطلاح هي عبارة عن كل ما يتعلق بهوا محل ما تتأثر به الحواس او الصحة كالحرارة والرطوبة وضغ

الهواء ونقاوته ومخالطته بابخرة مرضيّة وصفاوته وغلبة الانواء فيه وما يشبه ذلك مما يؤثر في الانسان عقلاً او جسدًا

ت ان اقليم محل حسب معنى اللفظة المشار اليه يتوقف على عدة اشياء منها (١) العرض اي نسبته الى خط الاستواء بعدًا او قربًا (٢) ارتفاعهُ فوق مساواة سطح البحر (٣) نسبته الى البحر قربًا او بعدًا (٤) ميل سطحهِ هل هو نحو الشمس او عن الشمس (٥) سلسلة جبالهِ وضعها وجهة امتدادها (٦) نوع تربتهِ (٧) درجة الفلاحة والزراعة والتحسين فيهِ (٨) رياحهُ العالبة (٩) كمية المطر الذي يقع فيهِ على المعدل

(١) اما عرض بلادٍ فهو من اشد الامور تاثيرًا في اقليمها لانهُ في المنطقة الحارة تقع شعاع الشمس عمودية على سطح الارض فهي اشد الاقاليم حرًا واشد المنطقة الحارة حرًا هو الجزء الواقع بقرب المدارين اذ من ميل دائرة البروج على خط الاستواء تستقر الشمس عمودية على تلك الاماكن زمانًا اطول من مدة عموديتها على خط الاستواء نفسهِ ومما يبرهن ذلك ان خط دوام الثلج في جبال اندس عند عرض ١٧° جنوبي هو اعلى مما هو عند خط الاستواء والحرّ في سينكال وتهامة ومكران في بلوخستان اشد مما هو على خط الاستواء

(٢) ومما يؤثر في اقليم بلادٍ ارتفاعها فوق مساواة سطح البحر لان طبقات الهواء العليا تتاثر بالحرارة المدفعة عن الارض

اقل من طبقاته السفلى وانحطاط الحرارة هو ١° على علو ٣٠٠ قدم و٢° لعلو ٥٩٥ قدماً و٣° لعلو ٨٧٣ و٤° لعلو ١١٣٤ و٥° لعلو ١٣٤٧ و٦° لعلو ١٥٢٩ وفي المنطقة المعتدلة اذا اختلف موضعان في العلو ٣٠٠٠ قدم تفرق حرارتهما ١٤° غير ان بعض الاسباب المحلية تجعل اختلافاً في هذا المعدل فيُرى في جبال المنطقة الحارة اقاليم تختلف بالنسبة الى العلو حواصلها حواصل اقاليم متنوعة مثالها ثلاث مناطق جبل اتنا في سيسيليا . السفلى المنطقة المخصبة والوسطى منطقة الاحراش والعليا المنطقة القاحلة وكذلك جبل تنريف ينبت على جوانبه الكرم الى علو ١٢٠٠ قدم وكذلك النخل وقصب السكر والزيتون ثم تتغير انواع نباته فينبت على جوانبه الغار والسنديان ثم فوق ذلك اقليم السنوبر وفوق ذلك انواع اعشاب تنتهي الى موقع الثلج الدائم

وحسن مناخ بلاد كشمير هو من قبل ارتفاعها في جبال هملايا وكونها في داخل القارة فلا يشتد فيها برد او حر وفي نواحي مدينة كيتو في بلاد بيرو على علو ٩٥٤٠ تحت خط الاستواء الربيع دائم مدار السنة

(٢) ومما يؤثر في اقليم بلاد قرب البحر او بعده لان حرارة البحر اعدل من حرارة البر اي اقرب الى درجة واحدة فتكون حرارة المواضع قرب البحر اعدل لا يشتد حرها ولا بردها كما يحدث في المواضع البعيدة عنه ولذلك نرى اقليم ايرلاندا اعدل

من اقليم بلاد المسكوب الواقع في عرضها فان معدل حرارة دبلين في ايرلاندا ٤٩°٠٥' ف ومعدل حرارة وارسو على عرضها ٤٤°١٥' والبرد في موسكو ٦°½ اشد مما هو في كوبنهاجن مع انهما على عرض واحد

(٤) ومما يؤثر في اقليم بلاد ميل سطحها فان مال نحو الشمس حتى تقع الشعاع عليه عمودية يشتد الحر وان مال الى خلاف جهة الشمس تعتدل حرارتها او يشتد فيها البرد فان اقليم الجهات الجنوبية من جبال شمالي افريقيا المتجه نحو الجنوب هو اشد حرًّا من اقليم الجهات الشمالية المتجهة نحو البحر المتوسط وفي جميع الجبال الجهات المتجهة نحو الشمس هي الطف بردًا من الجهات المتجهة الى الجهة المتقابلة

(٥) ومما يؤثر في اقليم بلادٍ وضع سلسلة جبالها وجهة امتدادها فان الجبال تجذب السحاب وتجمع بخار الماء فتحدث بذلك امطارًا غزيرة لا سيما اذا كانت في طريق الريح الهابة من جهة البحر الحاملة السحب وقد تقي الجبال المواضع خلفها من رياح باردة فتلطف بردها او من رياح حارة فتلطف حرّها

(٦) ومما يؤثر في اقليم بلادٍ طبيعة تربتها فان كانت من الانواع الخفيفة الدافعة الحرارة تزيد الحر وان كانت من الانواع التي تمص الحرارة وتخفيها تزيد البرد وبذلك تؤثر في حواصلها ايضًا ..

٧ اما امور الفلاحة والزراعة فتؤثر في اقليم بلادٍ لانهُ بها تُقطَع الغياض وتجفف الاغيال وتزال اسباب موضعيَّة مرضية لاسيما السم المرضي الحاصل من فساد مواد نباتية المعروف بالميازما وقد يعكس الامر اي بجلب مياهٍ الى موضع وتكثير النبات فيهِ قد يتحول اقليم صحيح الى فاسد

(٨) اما الرياح الغالبة فهي ايضًا تؤثر في الاقليم فالتي تهب رياحها الغالبة من الجهات الباردة يشتد بردها والتي تهب رياحها من الجهات الحارة يشتد حرها والتي تهب رياحها من جهات ميازمية تكثر امراضها

(٩) اما الامطار فتؤثر في الاقليم من جرا الرطوبة واليبوسة وفي الغالب يكثر المطر في الجزائر والاماكن في مجاورة البحر ويقل في اواسط القارات ويكثر في الجبال ويقل في السهول الوسيعة وذلك لاسباب مضى ذكرها بالكفاية

ثم ان النبات قد تفرق على سطح الارض حسب الاقاليم وكل نوع لهُ اقليمهُ الخصوصي لا ينبت في غيرهِ ما عدا البعض القليل الذي ينبت في كل اقليم فان النخل ينبت بين ٣٦° عرض جنوبي و٣٩° عرض شمالي والكرم بين ٤٥° عرض جنوبي و٥٠° عرض شمالي والبن اصلهُ من بلاد الحبش ومن ثم نُقِل الى جنوبي بلاد العرب والى الهند الشرقية والهند الغربيَّة وشجرة الشاي اصلها من بلاد الصين ونُقِلت الى الهند والى بعض اقاليم البلاد المتحدة

في اميركا والى جنوبي فرانسا اما الارز فينبت بين ٣٦° عرض جنوبي و٤٥° عرض شمالي اما شجرة الخبز فمحصورة في جزائر الاوقيانوس المحيط وجنوبي اسيا اما الحنطة فتنبت بين ٥٠° عرض جنوبي و٦٠° عرض شمالي والشعير ينبت الى ٦٨° عرض شمالي وحد نبت الاشجار في الشمال هو ٧٠° عرضًا ومن هنالك شمالاً لا ينبت غير انواع الليكن واجناس اخر من طائفتهِ اما الزيتون فلا ينبت في الحر الشديد ولا في البرد الشديد فهو محصور في منطقة عرضها نحو ١٠° بين عرض ٣٤° و٤٤° اما قصب السكر فينبت بين خط الاستواء و٣٦° من العرض شمالاً وجنوبًا

اما الحيوان فمثل النبات من جهة اختصاص كل نوعٍ باقليمهِ ما عدا البعض الذي يعيش في كل اقليم وقد انقسم سطح الارض الى عشرة اقاليم باعتبار اجناس الحيوان التي تتوطنها . الاول اقليم اوروبا الذي يشتمل شمالي افريقيا ايضًا وجبال اورال وبحر قزوين من اسيا من حيوانها الدب والذئب والضبع وابن اوى والثعلب والارنب والوعل . الثاني اقليم افريقيا ومن حيوانها فرس النهر والزرافة والكوريلاّ وانواع القرد والسعدان ونوع من الفيل صغير الحجم والكركدن ونوع من الاسد اما الجمل والهجين فمشترك بين افريقيا واسيا . الثالث اقليم جنوبي افريقيا فيهِ كثير من اجناس الغزال والوعل وحيوانات اخر لا توجد

في اقليم آخر. الرابع اقليم مداكسكر فيهِ انواع من النسناس لا توجد في اقليم آخر. الخامس الاقليم الهندي فيهِ الفهد والنمر وانواع القرد والسعدان والفيل الكبير ووعل المسك والجاموس. السادس اقليم الارخبيل الهندي. السابع اقليم جزائر سلبيس وكينيا الجديدة. الثامن اقليم اوستراليا فيها القنفر وانواع من جنس الابوسوم ونحو ١٧٠ نوعًا من جنس ذوات الكيس. وحيوان ذو اثداء يبيض بيضًا وهو الحلقة بين ذوات الاثداء والطير. التاسع اقليم اميركا الشمالية ومن حيوانهِ الدب الابيض والدب الاسود والدب الاسمر وبقر المسك والجاموس البري اي البُفل والرنه وانواع من جنس الوعل والقط البري والجاكوار وانواع الدلق والظربان واللينكس وعجل البحر وبقرة البحر اي الفظ. العاشر اقليم اميركا الجنوبية من حيوانهِ الكسلان والارمديل وانواع الميمون وانواع من جنس الحية مهولة الكبر ومن جنس الوطواط ولا يسعنا المقام ذكر حيوان هذه الاقاليم بالتفصيل

الفصل السادس

في الاحكام والاديان

الاحكام مختلفة ويمكن حصرها في ثلثة انواع

الاول الحكم الملكي المطلق وهو ان يكون سلطان الامر

والنهي بيد شخصٍ واحدٍ غير مقيَّدٍ بشرائع او قوانين فتكون مشيئة الملك شريعة المملكة.

الثاني الحكم الملكي المقيَّد وهو ان يكون المَلِك مقيَّدًا بقوانين المملكة وشرائعها فلا يستطيع ان يخرج عنها الى هوى نفسهِ

الثالث الحكم الجمهوريّ وهو ان يكون الحكم بيد اشخاص تقيمها الرعايا تحت شرائع وقوانين يفرضونها لهم فيلزمهم السلوك بحسبها مطلقًا

واما الاديان فتنحصر في اربعة انواع

الاول الديانة اليهودية وهي مبنيَّة على اسفار العهد القديم مع تفاسيرها واضافاتٍ اليها من كتاب التلمود

الثاني المسيحية وهي مبنيَّة على اسفار العهد القديم والجديد وقد انقسمت اتباعها الى ثلاثة اقسامٍ كبرى. الاول الروم او الكنيسة الشرقية وهم يبنون عقائدهم وطقوسهم على قوانين المجامع واقوال الآباء. والثاني الباباويَّة وهم يعتقدون ان بابا رومية راس الكنيسة ونائب المسيح على الارض وانهُ معصومٌ من الغلط في الامور الدينية وان للكنيسة سلطانًا على وضع العقائد الدينية فيجب ان نفهم الكتاب المقدس بموجب تفسيرها لهُ. الثالث البروتستانت او الانجيليون وهم يبنون عقائدهم على الاسفار المقدسة فقط من غير التفاتٍ الى قولٍ آخر اصلاً. اما

الارمن واليعاقبة والاقباط والنساطرة فهم فروع انشقت عن الكنيسة الشرقية في القرون الأُوَل لاجل بعض المنازعات من جهة طبيعة المسيح ومشيئته امور لم يفهموها هم ولا غيرهم •

الثالث الاسلامية وهي مبنية على القرآن والسنَّة وقد انقسمت اصحابها الى ثلاثة اقسام كبرى . الاولى السنيَّة . والثاني الشيعيَّة . والثالث الوهَّابيَّة . اما الدروز والنُصيريَّة والاسماعيلية فهم يدَّعون بالاسلامية ظاهرًا وفي الحقيقة لكل طائفةٍ منهم عقائد خصوصيَّة ممتزجة من عقائد مجوسية واسلامية ومسيحية

الرابع الوثنية وهي انواع كثيرة منها البَرَهْمية وهي تعلّم بوجود اله واحد ضابط الكل وانهُ قد اقام ثلاثة الهة نوّابًا عن نفسهِ وهم بَرَهْمَة ووَشْنُو وسيوًا وتحت هولاء آلهة أُخَرى كثيرة حسب عددها اربع مئة الف واصحاب هذا المذهب ينقسمون الى اربع مراتب وهي الكهنة والجنود والتجار مع الفلاحين واهل الصنائع ولا تختلط هذه المراتب بعضها اصلاً والذي يولد في احداها لا يمكنهُ الانتقال الى غيرها البتة وهذه الديانة شائعة بالاكثر في بلاد هندستان وفي هذه السنين الاخيرة قد تنور وتمدن جانب عظيم من اهل الهند فلا يعتبرون هذه الرتب ومن وُلد في احداها يخالط المولودين في الأُخَر •

ومن انواع الديانة الوثنية ايضًا البُوذيَّة وهي تعلّم بان ما تكوّنت عَرَضًا ومن هذه المادة تكوّن اولاً العقل وهو المسمى

ثم الهيولى ومنها كل موجود. ومن عوائد اصحابها انهم يعبدون اسلافهم وهذه الديانة شائعة بالاكثر في الصين وصيام وبرما وشرقي هندستان وجزائر يابان

ومن انواع الوثنية ايضًا الفتشية وهي عبادة كل ما ينفع ويضرّ ولا توجد الّا بين السودان في اواسط افريقيا وعدد اصحاب هذه المذاهب تقريبًا كما في هذا الجدول

اهل العالم بالتقريب ١٣٠٠٠٠٠٠٠٠

وثنية	٦٦٠٠٠٠٠٠٠
مسيحية	٣٧٠٠٠٠٠٠٠
اسلامية	١٦٥٠٠٠٠٠٠
يهود	٥٠٠٠٠٠٠

جدول عدد اصحاب الاديان

وثنيون	بوذية	٣٥٠٠٠٠٠٠٠
	برهمية	١٦٠٠٠٠٠٠٠
	فتشية وبقية الانواع	١٥٠٠٠٠٠٠٠
مسلمون	سنية	١١٠٠٠٠٠٠٠
	شيعة	٥٠٠٠٠٠٠٠
	وهابية	٤٩٠٠٠٠٠
	صوفية	١٠٠٠٠٠
مسيحيون	باباوية	١٧٠٠٠٠٠
	روم	٩٠٠٠٠٠٠
	بروتستانت	٠٠٠٠٠٠٠
	نساطرة وارمن واقباط وغيرهم	٠٠٠٠٠٠٠

الفصل السابع

في انواع البشر ولغاتهم

اذا نظرنا الى بعض اجناس الحيوانات العجم كالخيل والكلاب مثلاً نراها منقسمة الى انواعٍ كثيرة كل نوعٍ يمتاز عمّا سواهُ بهيئةٍ خصوصية وتكوينٍ خصوصي مع اتفاقٍ كليّ في الفصل القريب والمقوّم يستدلُّ بهِ على انها من اصلٍ واحدٍ وان الاختلاف الواقع بينها انما هو عَرَضٌ حاصلٌ من اختلاف الاقاليم والتربية والاطعمة وما اشبه ذلك . وهكذا الامر في البشر فاننا نراهم منقسمين الى انواعٍ شتى مع اتفاقٍ كليٍّ في الاشياء الجوهرية المقوِّمة للجنس كما اتضح من بحثٍ طويلٍ مدقّق في تكوين الاجسام. فلم يوجد بين انواع البشر من الفرق ما يوجد بين انواع الحيوانات التي لا ريب في كونها من اصلٍ واحدٍ . وانقسام البشر الآن الى انواع ممتازةٍ في اللون والشكل والهيئة لا يناقض كونهم من اصلٍ واحدٍ واذا تقرر ذلك نقول ان الجنس البشري ينقسم الى ثلاثة اقسامٍ كبرى

الاول الابيض او القوقاسي نسبةً الى قوقاس او قوه قاف اي جبل قاف وهو جبلٌ في بلاد الجركس بين بحر الخزر والبحر الاسود وهو يمتاز ببياض البشرة وحسن استدارة القحف

ولين الشعر وكثافة اللحية وعلو الجبهة ودقة الانف والثغر وبيضية الوجه ومنهُ سكَّان بلاد اوروبا ونسلهم في اميركا وسكَّان غربيّ اسيا اي العرب والفرس واليهود والسريان والتتر وهو في شماليّ اوروبا واواسط اسيا يدرج في النوع الثاني حتى لا يكاد يمتاز عنهُ وقد انتسب الى قوقاسوس لان اهل تلك النواحي اي الجراكسة والكرج اجمل اهل الدنيا واكمل هذا القسم في صفاتهِ الخصوصية

الثاني الاصفر او المغول نسبةً الى المغول وهو قسمٌ من التتر ويقال انهم في الاصل من جبال ألتائي في شمالي الصين وهذا القسم يمتاز بصفرة البشرة وقلة الشعر وخشونتهِ ووقوفهِ وخفَّة اللحية واستواءِ الوجه وانخفاض الجبهة وضيقها وتربع القحف وفَطَس الانف وارتفاع عظم الخد وضخامة الشفتين وانحراف شق الجفون عن خط مستعرض بحيث يكون الموق الانسي اوطى من الوحشيّ وهو اقصر قامةً من القسم الاول ومنهُ اهل الصين والهند ويابان وشمالي اسيا وشمالي بلاد المسكوب والمجيار في اوروبا وسكان شمالي اميركا . غير ان سكان شمالي اميركا المعروفين بالاسكيمو لهم تعلقٌ مع النوع الثالث حتى زعم البعض انهم نتاج اختلاط القسم الثاني والثالث

الثالث الاسود وهو يمتاز بسواد البشرة ولهُ ثلاثة فروع

الاول المَلَقِيّ نسبةً الى شبه جزيرة مَلَقَّا ويمتاز باللون الزيتوني

وسواد الشعر الكثيف وغزارته مع جعودة قليلة وضيق الراس وكبر الانف ومنهُ سكان ملقا وجزائر البحر المحيط وجزيرة مادغسكر . الثاني الاميركاني ويمتاز باللون النحاسي وسواد الشعر واسترساله وخفة اللحية وانخفاض الجبهة وارتفاع عظم الخد . ومنهُ سكان اميركا الاصليون الذين وُجدوا في القارّتين الغربيتين قبل وصول اهل اوروبا الى هنالك . الثالث الزنجي ويمتاز بشدة سواد البشرة وجعودة الشعر وسواده وانخفاض الجبهة ومقدم القحف وفطس الانف وضخامة الشفتين وبروز الفك الاعلى عن مساواة الوجه واتساع الفم ومنهُ اكثر سكان اواسط افريقيا وجنوبها . وهذه الاقسام في بعض البلاد قد امتزجت بعضها ببعضٍ فنتجت من ذلك فروع عديدة يتعسر الحاقها باصولها

اما لغات الدنيا فالدلائل على انها من اصل واحد كثيرة وذلك الاصل مفقود او بالاحرى قد تغيّر بتمادي الاجيال بالتحسين حتى لم يبقَ على اصله والاقرب اليهِ لغة الصين وغيرها من اللغات المتشابهة بها التي تركبت كلماتها من حرفين فقد انقسمت اللغات بمراعاة نسبتها الى اللغة الاصلية الى ثلاثة . نوع الاول اللغات الطورانية ومنها الصينية والتترية التي منها التركية والجركسية والمجيارية ولغات القبائل في شمالي روسيا وسيبريا

الثاني اللغات الاريانية منها اللغات الهندية والفارسية واليونانية واللاتينية والمسكوبيّة والنمساوية وما تفرع من هذه كالايطاليانيّة والفرنساوية والاسبانيولية والانكليزيّة

الثالث اللغات السامية اي الارامية. التي منها العبراني والسرياني والعربي والقبطي والحبشي والاشوري والبابلي والبربري وفروعها

القسم الثاني

الجغرافية الوصفية

الفصل الاول

في قارة اسيا

هذه القارة اعظم القارات اتساعًا واكثرها سكّانًا وهي ليست بادنى اعتبارًا مما سواها في حسن اراضيها وتنوّع غلّاتها ومما يزيدها اعتبارًا انها هي الارض التي جرت فيها اعظم الحوادث التاريخيّة في القرون الغابرة ونمى فيها الجنس البشري غاية النمو ومنها تفرقت الناس الى سائر الارض شرقًا وغربًا من نواحي اواسطها وفيها انتشرت اكثر المذاهب القديمة كاليهودية والمسيحية والاسلامية والمجوسية والصابئيّة وبقية الشيع الوثنيّة وفي الاعصار القديمة ارتقى اهلها الى طبقة سامية في العلوم والصنائع وسائر

متعلقات الهيئة الاجتماعية وكانت بقية العالم يومئذٍ متوغلة في تيه الجهالة والبربرية

اما حدود اسيا فمن الشمال البحر المتجمد الشمالي ومن الشرق بوغاز بيرين والاوقيانوس المحيط الفاصلان بينها وبين اميركا واجزاء هذا الاوقيانوس المتصلة بالبرّ قد سُمّيت باسماء مختلفة على حسب ما اتّصلت بهِ كبحر كمشتكا وبحر اوخوتسك وبحر يابان والبحر الاصفر وبحر الصين وهلمّ جرًّا ثم من الجنوب الاوقيانوس الهنديّ ولاقسامهِ ايضًا اسماء مختلفة كبحر بنكالا وبحر العرب ومن الغرب البحر الاحمر وترعة السويس بينها وبين افريقيا وبحر الروم وبحر مرمرا وبوغاز القسطنطينية والبحر الاسود ونهر دون وجبال اورال بينها وبين اوروبا

فاذا رُسِم خطٌّ من الراس الشرقي عند بوغاز بيرين الى راس بابا يكون طولهُ ٧٥٠٠ ميل اعتيادي واذا رُسِم خط آخر من الراس الشمالي الذي يقال لهُ راس سِيَيرُ وستَكوي في ١٠ ′ ٧٦ ° من العرض الشمالي الى راس روماتيا في جوهور ملقا في ١٨ ′ ١ ° من العرض الشمالي يكون طولهُ ٥١٦٦ ميلاً اعتياديًّا وقد اختُلِف في مساحة القارة فقيل انها ٣٠٠٠٠٠٠٠ ميل مربع وقيل ١٨٠٠٠٠٠٠ وقيل ١٦٠٠٠٠٠٠ وقيل ٠٠٠٠٠٠٠ [illegible] ميل اعتيادي مربع واختُلف ايضًا في عدد سكانها فقيل ٦٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس وقيل ٠٠٠٠٠٠٠ [illegible] وقيل ٤٠٠٠٠٠٠٠٠

وقيل ٣٤٠٠٠٠٠٠٠ نفس

ثم ان اواسط هذه القارة مرتفعة فوق مساواة البحر نحو ٤٠٠٠ او ٥٠٠٠ قدم وهذه الاراضي العالية [illegible] شامخة يبلغ علو بعضها نحو ٢٨٠٠٠ قدم فمن الجهة الشمالية [illegible] جبال ألتائي بين الصين وسيبيريا ومن الجهة الجنوبية جبال هملايا او همالة في شمالي هندستان وهذه السلاسل تمتدُّ غربًا الى ان تتصل بجبال قاف وجبال اسيا الصغرى اي القسم الواقع بين البحر الاسود شمالاً وبحر الروم جنوبًا فقد انقسمت القارة بهذه الجبال الى ثلثة اقسام اراضيها منحدرة من اواسط القارة الى ثلث جهات كما يدلُّ جريان الانهر العظام التي تخرج من الجبال في وسط القارة فان منها ما يصبُّ في البحر الشمالي كنهر اوبي وايرتيش وجينيسي وليما ومنها ما يصبُّ في الابحر الشرقية كنهر عامور وهوَانهو وينكسيكان ومنها ما يصبُّ في الابحر الجنوبية كنهر سينام وايرابدي والكنك والهند والفرات ومنها ما يصبُّ في بحر ارال وبحر الخزَر كنهر جيحون ونهر سيحون ونهر اورال ونهر كور

ثم ان بحر الخزَر وبحر ارال هما منفصلان عن بقية الابحر وليس لهما مخرجٌ البتة وسطحهما اوطى من سطح الاوقيانوس بنحو ٣٠٠ او ٤٠٠ قدم . اما بحر ارال فطولهُ نحو ٢٧٠ ميلاً وعرضهُ بين ١٠٠ ميل و ١٢٠ ميلاً وماؤهُ مالح والذين حولهُ يستخرجون

منهُ ملحًا بتجفيف مائهِ وشطوطهُ مستوعرة وفي السهول المجاورة لهُ خيل وحمير وحشية وذئاب وغزلان . واما بحر الخزر ويقال لهُ ايضًا بحر قزبين وبحر الديلم وبحر جرجان وبحر طبرستان فطولهُ نحو ٧٥٠ ميلاً وعرضهُ نحو ٣٥٠ ميلاً ومياههُ مالحة مرَّة لسبب امتزاجها بالنفط وفيها انواع كثيرة من السمك وعلى شطوطهِ كثيرٌ من الحيوان المسمى عجل البحر واصناف كثيرة من طيور الماء وسلوك السفن فيهِ خطيرٌ لشدة انوائهِ وعدم وجود المواني الامينة على ارياقهِ

وتتبع هذه القارة جزائر كثيرة منها في بحر الروم كقبرس وكريت ورودس وسكيو اي ساقس ومدلّي وغيرها ومنها في الاوقيانوس الهندي كجزيرة سرنديب المعروفة الآن بجزيرة كيلان وجزائر مالديفن وجزائر نكبار ومنها في الاوقيانوس المحيط كجزيرة سومطرا وبورنيو ويابا وجزائر فيلبين وجزائر ياپان او ياپونيا وغيرها وسياتي الكلام عليها في محلهِ

ولما كانت هذهِ القارة ممتدة من الدائرة الشمالية الى قرب خط الاستواء ومخترقة بجبال وسهول انقسمت الى عدة اقاليم مختلفة في الهواء والحواصل فان البرد يشتدّ جدًّا في الجهات الشمالية من سيبيريا . والانهر تبقى مجلَّدة من شهر ايلول الى شهر حزيران . وفي جنوبيها يتلطف البرد قليلاً فيبقى الجلد في الانهر من شهر تشرين الاول الى شهر ايار . ثم انهُ في الجهات المتوسطة

من القارة يقوى البرد في الجبال . فمنها ما لا يخلو من الثلج على مدار السنة . واما في السهول والاودية فيعتدل الهواء في اكثر الاحيان . واما الجهات الجنوبية فهي واقعة في المنطقة الحارة . وليس لها الاَّ فصلان فصل الشتاء من نيسان الى تشرين الثاني وفصل الصيف في بقية السنة وينقطع فيهِ المطر الا في بعض الاماكن

وفي هذه القارة اجناس كثيرة من حيوانات برّية وأَلائف اي دواجن . فتكثر انواع القرود في بلاد هندستان والجزائر والفيل موجود في غياضها ايضًا والفهد والنمر والاسد والكَرْكَدَنّ ايضًا . وفي انهارها التمساح . وهنالك ايضًا اصناف كثيرة من الحيَّات السامَّة والاحناش والهوام . وفي الجهات المتوسطة الثعلب وابن آوى والضبع والذئب والغزال ونوع من الفهود اصغر من فهد الهند . وكذلك الدبُّ في بعض الجبال . وفي سهول بلاد التتر وسيبيريا غزال المسك وانواع أُخر من الغزلان واشكال كثيرة من الجُرَذ والفار . وفي جبال سيبيريا نوع من الثعلب جلدهُ الين من جلد ثعلب الجنوب اذا اتُّخِذ منهُ فروة . وهناك ايضًا السمُّور والسنجاب . واهل تلك الاطراف يصطادونها لاتخاذ الفراء من جلودها فيباع احيانًا جلد السنجاب بالف وخمس مئة غرش فما فوق . وفي بلاد تبت حيوان من جنس الجُرَذ لهُ رائحة المسك ولذلك يقال لهُ جُرَذ المسك . وهنالك ايضًا معز كشمير

ذو المِرعزّى الذي منهُ تُنسَج اقمشة نفيسة جزيلة الثمن . وفي بلاد العرب الخيل الكريمة والجمال والهجن والجمل موجود الى حدّ ٥٥° من العرض الشمالي والهجين الى حدّ ٥٠° وحمار الوحش الى حدّ ٠ ٤٢° وفي هذه القارة من انواع الطيور النعام والطاووس والدرّة وطائر الجنة وانواع النسور والبزاة والبوم مع انواعٍ اخر معروفة لا حاجة الى ذكرها . وفي الاوقيانوس الشمالي والجنوبي اصنافٌ كثيرة من طيور الماء مثل طائر الدشعة الذي يستخدمهُ اهل الصين لصيد السمك وهو الجع وما تسميهِ العامة بجعًا هو اللقلق . وفيها من الاشجار والنباتات غير المألوفة شجرة البُنّ في جنوبي بلاد العرب . والقاقلّة والفلفل والزنجبيل والنارجيل وجوز الطيب واصنافٌ من الرياحين والازهار في الهند . والشاي في الصين خاصةً وفيها ايضًا قصب السُكَّر وقيل سبعة وعشرون نوعًا من الرزّ ما خلا بقية الحبوب والجوارش وفيها من العقاقير الطبيّة التنبل والافيون والراوند والمرّ والصبر والمصطكى والحنظل والحلتيت والبلسم والكافور . وكثيرٌ من الاشجار كالنخل والبلّوط والتمر الهنديّ والارز والصنوبر والسرو والصفصاف والحور والدوم والازادرخت والطرفاء والفستق واللوز والتين وغير ذلك . وفي الهند شجر التيك الذي خشبهُ يصلح لبناء السفن في الاقاليم الاستوائية . وشجر البنيان الذي تتدلّى اغصانهُ الى الارض فتتأصّل فيها ويصير كلّ غصن منها شجرة قائمة

بالامّ وعلى هذا المنوال تمتدّ شجرة واحدة الى مساحة عظيمة . وقد ذكر بعض السيّاح ان واحدة من هذه الاشجار لها ثلث مئة جذع ويمكن ان يستظلّ تحتها سبعة آلاف نفر . وهنالك ايضًا شجر الخيزران والصندل واللبان وغير ذلك

لاريب ان هذه القارة غنية في المعادن وان لم يُكتشَف الا عن القليل منها فان البلور والجمست موجودان في اماكن كثيرة منها . واليصب والزَبرْجَد وحجر الفتيلة في جبال اورال . واللازورد بقرب بحيرة بيكال في سيبيريا . والياقوت في جزيرة كيلان والجزع في بلاد فارس . وتراب الخَزَف الصيني في الصين ويابان . والماس في الهند . واللولو في بحر الهند ولاسيما في نواحي عُمَان والبحرين . وهناك ايضًا البهرمان والفيروز . وايضًا في اسيا معادن فصة وذهب وقصدير ونحاس وفحم حجري وملح ونطرون ونفط وحُمَّر وزئبق ورصاص وزِنجفر وحجر المغناطيس وغير ذلك

ثم ان بلاد اسيا قد كانت قديمًا معدن العلوم والصنائع واما الآن فهي دون اوروبا في الهيئة الاجتماعية والصناعة غير انهُ لا يزال يُصطنَع فيها اشياء كثيرة ولاسيما بعض الانسجة التي يُتاجَر بها تجارةً واسعة في سائر اقطار الدنيا

اننا في النظر الى هذه القارة بالتفصيل نقسمها عشرة اقسام . الاول املاك روسيا او بلاد المسكوب في اسيا . الثاني بلاد

الترك او مملكة آل عثمان في اسيا . الثالث بلاد العرب . الرابع بلاد فارس الغربية . الخامس بلاد فارس الشرقية او افغانستان . السادس بلاد التتر المستقلّة . السابع هندستان . الثامن الهند الصينية . التاسع الصين . العاشر الجزائر

الفصل الثاني

في املاك روسيا وهي بلاد المسكوب في اسيا

ان لحكم روسيا او المسكوب املاكًا متسعة في اسيا كما له في اوروبا . وحدها من الشمال البحر المتجمد الشمالي ومن الشرق بوغاز بيرين وبحر كمشتكا وبحر اوخوتسك . ومن الجنوب جبال ألتائي الفاصلة بينها وبين الصين وبلاد التتر المستقلّة وبحر الخزر وجزء من بلاد العجم وبلاد الترك التي في اسيا والبحر الاسود . ومن الغرب البحر الاسود ونهر دون وجبال اورال الفاصلة بينها وبين روسيا في اوروبا وقد استولت على بلاد التتر حتى صار حدها الجنوبي هناك افغانستان . وهذه الاراضي اكبر مساحة من قارة اوروبا باسرها لانها مشتملة على نحو ٥٨٠٠٠٠٠ ميل مربع وتلك تشتمل على نحو ٣٨٠٠٠٠٠ ميل مربع . وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام كبرى الاول بلاد سيبيريا والثاني بلاد قوقاف اي بلاد الكرج والقزق والثالث الجزائر

القسم الاول بلاد سيبيريا ١٠

في هذا القسم نحو ٥١٦٣٠٠٠ ميل مربع وهو يشتمل على جميع الاراضي المذكورة انفًا ما عدا الجزائر والجزء الواقع بين نهر اورال وبحر الخزر شرقًا وبلاد العجم وبلاد الترك جنوبًا والبحر الاسود ونهر دون ولكا غربًا وشمالاً . وبقي هذا الجزء مجهولاً الى اواخر القرن الخامس عشر حينما دخل الى هناك اهل روسيا لاجل التجارة في الفراء والجلود مع القبائل الساكنة هناك. ومن ثمّ امتدّ فيها الحكم المسكوبيّ بالتدريج حتى بلغ الى اقصى القارة من ناحية الشرق بل قطع بوغاز بيرين ايضًا واستولى على بعض الاراضي في الشمال الغربي من اميركا الشمالية باعوها منذ عهد قريب الى البلاد المتحدة في اميركا الشمالية . وكانت ساكنة بلاد سيبيريا يومئذٍ اكثر من مئة قبيلة متوحشة كلها مختلفة في الطباع والعوائد واللغات والديانة . اشهرها التتر الرحّل في نواحي بحر الخزر ومنهم عبدة اصنام ومنهم مسلمون . والمغول في النواحي الجنوبية . وهم على نوعٍ من الديانة البوذية . والمندشور على شطوط نهر لينا ونهر ينيسي ونهر عامور . وهم رحل ودينهم عبادة الاصنام والفنّ في الجهات الشمالية وهم وثنيون . والسموايد في الشمالي الغربي وبين نهر ينيسي ونهر لينا وهم في غاية التوحش.

والياكوت على جانبي نهر لينا وهم يعتنون بتربية المواشي ويشبهون التتر في طباعهم والمغول في ديانتهم . والكورياك في ناحية الشمال الشرقي على شطوط نهر انادير . واهل كمتشكا في شبه جزيرة كمتشكا . ولكل واحدة من هذه القبائل فروع كثيرة لاحاجة الى ذكرها هنا . وبعدما تملّك المسكوب على تلك البلاد دخل اليها كثيرون من الغرباء من اهل روسيا والارمن واليهود والمسلمين . ومن اهل هندستان ايضًا حتى صارت نسبة الغرباء الى الاهالي الاصليين كنسبة ثمانية الى ثلاثة . والحكم المسكوبي الزم بعضًا من الاهالي الاصليين ان يتدينوا بالديانة المسيحية على مذهب الكنيسة الشرقية ولكن الاكثر منهم لم يزالوا على ما كانوا عليه . واكثر اهل روسيا المستوطنين هناك هم الذين نفاهم الحكم المسكوبي من بلادهم اما لاجل جنايات ارتكبوها واما خوفًا منهم وقد حسب عدد سكان روسيا في اسيا من الغرباء والاصليين فكان كما ترى

(١)	اهل روسيا وغيرهم من الغرباء	٧٥٨٦٠٠٠
(٢)	قبائل بلاد قوه قاف	٨٨٨[illegible]
(٣)	التتر	١[illegible]
(٤)	المنغول	[illegible]
(٥)	المندشور	٨[illegible]
(٦)	الفن	٦٢٠[illegible]
(٧)	السموايد	٣٠٠٠٠
(٨)	الكورياك	٣٤٠٠٠
(٩)	اهل كمشتكا	٦٠٥٠
	المجموع	١١٣٦٤٠٠٠

واما عددهم باعتبار المذاهب الدينية فكما ترى

نصارى من كل طائفة	٨٣٢٤٠٠٠
مسلمون	١٦٠٠٠٠٠
بوذية وغيرهم	١٤٤٠٠٠٠
المجموع	١١٣٦٤٠٠٠

وفي تلك البلاد سلاسل جبال كثيرة متشعبة منها جبال اورال الفاصلة بين سيبيريا وروسيا في اوروبا اولها عند راس بحر كارا في ٦٨° من العرض الشمالي وقيل اولها من جزيرة زمبلاالجديدة وهي مادة من هناك حنوبًا مائلة الى الغرب نحو مسافة ١٣٠٠ ميل . وارتفاع اعلاها نحو ٥٤٠٠ قدم فلا تخلو

من الثلج على مدار السنة . ومن جبال سيبيريا سلسلة آلتائي بينها وبين الصين . ارتفاع اعلاها نحو ١١٠٠٠ قدم وتمتد من هذه السلسلة شُعَبٌ كثيرة الى جهة اواسط البلاد . منها جبال بيكال المحيطة ببحيرة بيكال . وجبال داور الممتدة الى جهة الشمال الشرقي بين مخرج نهر لينا ونهر عامور وتنتهي الى بوغاز بيرين وهناك تُسمَّى جبال استنوفوي . واما جبال كمشتكا فارتفاع اعلاها نحو ١٥٧٠٠ قدم وفيها عدة براكين . وفي سيبيريا ايضاً سهول واسعة منها مغمورة بالاشجار والنبات . وهي مرعى لمواشي القبائل الرحَّل . ومنها سباخ مالحة يظهر الملح فيها على وجه الارض . ومنها اجامٌ ورواشح

وانهر هذه البلاد من اعظم انهر اسيا ولكنها غالبًا تجري في ارضٍ قاحلة غير معمورة . وعوضاً عن ان يُرَى على شطوطها مدن وضياع وسفن يُرَى بعض الزواريق للصيادين الذين يصطادون السمك او طيور الماء وحواليها غياض ومستنقعات واسعة . فمن هذه الانهر نهر كارا الخارج من جبال اورال جاريًا الى جهة الشمال الغربي وهو يصبُّ في بحر كارا . وهذا النهر هو الحد الفاصل بين مقاطعة اركانكل في روسيا ومقاطعة توبولسك في سيبيريا . ونهر أوب ومخرجهُ من جبال ألتائي في ٤٨° من العرض الشمالي و٩٦° من الطول الشرقي. وهو يجري الى جهة الشمال الغربي ويصبُّ في خليج أوبي . وطولهُ نحو ٢٦٠٠ ميل .

وهذا النهر ينصبُّ اليهِ عدَّة انهر اعظمها نهر ابرتيش . وطولهُ نحو ٢٢٠٠ ميل . وهو يدخل في نهر اوبي بقرب مدينة سمروفو . وينصبُّ الى نهر ابرتيش ايضاً عدَّة انهر ونهيرات . ومن اعظم انهر سيبيريا نهر ينيسي . مخرجهُ من جبال ألتائي في شمالي الصين . وهو يجري الى جهة الشمال ويصبُّ في البحر المتجمد الشمالي وطولهُ نحو ١٩٠٠ ميل . ويصبُّ فيهِ انهر كثيرة من الشرق والغرب . ومن انهر هذه البلاد نهر لينا . مخرجهُ من جبال اورجك الى غربي بحيرة بيكال . وهو يجري اولاً الى جهة الشمال الشرقي حتى ينتهي الى مدينة ياكوتسك فيرتدُّ الى محض الشمال ويصبُّ في البحر المتجمد الشماليّ وطولهُ نحو ٣٠٠٠ ميل ومجراهُ واسعٌ وفيهِ جزائر كثيرة . ويدخل البحر الشمالي انهر كثيرة غير التي ذكرناها لكنها غير معروفة معرفة جيدة . ومن الانهر التي الى جهة الشرق نهر انادير . مخرجهُ من جبال استنوفوي وهو يصبُّ في بحر انادير . ومنها نهر اودا الذي يصبُّ في بحر اوخوتسك . ونهر عامور وهو مشترك بين سيبيريا والصين . اما نهر اورال فمخرجهُ من جبال اورال . وهو يجري اولاً الى جهة الغرب ثم يرتدُّ الى الجنوب ويصبُّ في بحر الخزر . وفي كل جهةٍ من هذه البلاد بحيرات كثيرة اعظمها بحيرة بيكال في مقاطعة ايركوتسك طولها ٤٠٠ ميل وعرضها بين ٣٠ و٥٠ ميلاً . ومياهها عذبة راكدة وفيها نوعٌ من عجل البحر لونهُ فضيٌّ والاهالي يصيدونهُ ويبيعون جلدهُ

لاهل الصين . وفيها ايضاً كثيرٌ من انواع السمك . وفي الجهة الشمالية منها جزيرةٌ يقال لها جزيرة اولكهون طولها ٤٠ ميلاً وعرضها نحو ١٧ ميلاً . وسكانها يعتمدون على الفلاحة وتربية المواشي . ويصبُّ في هذه البحيرة عدَّة نُهيرات مخارجها من الجبال المحيطة بها . ومن بحيراتُ سيبيريا بحيرة جاني طولها نحو ٨٠ ميلاً . وفي مجاورتها بحيرات وآجام كثيرة كلها في سهلٍ واسع يقال لهُ سهل رابا طولهُ نحو ٧٠٠ ميل وعرضهُ بين ١٦٠ او ١٩٠ ميلاً وتربتهُ جيدة . وفي سهل ايتيم وعند سفح جبال اورال بحيرات وآجام كثيرة عذبة . وفي اماكن كثيرة بحيرات مالحة . ومما يستحق العجب ان بعض الآجام العذبة صارت مالحة وبعض المالحة قلَّت ملوحتها . وبين نهر كارا ونهر اوبي وبين الاوبي واليينيسي ارض متسعة تترشح منها المياه فتبقى مجلَّدة اكثر ايام السنة وليس فيها من النبات الاَّ الطحالب وشيءٌ من الاعشاب الصغيرة

وهذه البلاد باعتبار هوائها تنقسم الى اربعة اقاليم الاول الاقليم المزمهِرُ . وهو مشتملٌ على الاراضي الواقعة في جهة الشمال من عرض ٦٧° يشتدُّ فيهِ البرد جدًّا ويغطي الثلج الارض والجليد الانهر نحو تسعة اشهر من السنة فلا ينكشف عنها من اواخر ايلول الى اواخر حزيران . والثاني الاقليم البارد وهو الواقع بين ٦٠° و٦٧° من العرض الشمالي . ولهُ فصلان فقط فصل الصيف وفصل الشتاء . والثالث الواقع بين ٥٠° و٦٠° من العرض

الشمالي . ولهُ الفصول الاربعة . والرابع الواقع من سيبيريا الى جهة الجنوب من ٥٠° من العرض الشمالي وهو محسوب من الاقاليم المعتدلة . اما الجهاتُ الشرقية والشمالية فتكثر فيها الامراض الغدديَّة لشدَّة البرد وفرط رطوبة الهواءِ . وامراض العيون البهريَّة من سطوع نور الشمس الواقع على الثلوج . والناس هناك يرسلون على وجوههم براقع دفعًا لهذا الاذى . وفي السهول يعرض للخيل والبقر مرضٌ شديد يقال لهُ ياسوا بلغة التتر . ويحدث منهُ احيانًا موتٌ ذريع

ومن حيوانات سيبيريا نوعٌ من الايل يقال لهُ الرنه . وهو عندهم في الجهات الشمالية بمنزلة البقر في امدادهِ اياهم باللبن الطيب . وبمنزلة الغنم في اتخاذ اللباس من جلدهِ والطعام من لحمهِ وبمنزلة الخيل في سحب العربات على الثلج فانهُ يعدو عدوًا سريعًا طويلاً ولا ياخذهُ الكلال وهم يتخذون اوتار القسيّ من عروقهِ وقد يفسخونها فتغني عن الخيطان . ولهُ قرونٌ طويلة دقيقة متشعبة بارزة الى قدام . وارتفاعهُ يبلغ الى نحو اربع او خمس اقدام . والغنى عندهم يكون على حسب ما يملك الرجل من هذا الحيوان . فنهم من يكون لهُ عدة الوفٍ منهُ في سرب واحدٍ . وفي بعض الاماكن منها نوعٌ من الايل البرّيّ . والمعزى البريَّة والغنم البريّ ايضًا موجودة في جبال ألتائي وعلى شطوط نهر ايرتيش . وفي السهول انواع الغزلان ونحو عشرة اصنافٍ من جنس الفار .

ونوعان من الجاموس في قوه قاف وجبال اورال وعند القبائل الرحّل نوعان من الغنم . واما الجمال فلا توجد شمالاً من عرض ٥٥° . وخيل المنغول جيدة حسنة مختلفة الالوان . فتراها احياناً مزرّدة كجلد الفهد او حمار الزرد واحياناً منقّطة كجلد النمر ولكن اكثر خيل سيبيريا بيض . وفي الجهات الشمالية ولا سيما في شبه جزيرة كمشتكا يعتنون بتربية الكلاب وهي عندهم بمنزلة الرنه في جرّ العربات على الثلوج . ومن حيوانات تلك البلاد حمار الوحش في نواحي بحر الخزر . والثعلب الاسود وغيرهُ من انواع هذا الجنس في جبال اورال وعلى شطوط البحر الجليد والسنّور البرّي والسمّور والسنجاب والدبّ الابيض . وفي البحر الشمالي بعض اصناف الحيتان والدلفين وعجل البحر وذئب البحر في كمشتكا . وفي هذه البلاد ايضاً انواع كثيرة من طيور الماء كالبطّ والاوزّ ودجاج الماء ودجاج الارض والحجل واما النحل فلا يوجد في سيبيريا ولكن تكثر فيها انواع الهوام والبعوض . وانهرها مشحونة بانواع السمك . وقد انكشف في بعض الاماكن عظام نوع من الفيل وجثث منهُ ليس لهُ وجود الآن ولكن ضخامة هذه العظام وكبر الجثث تدلّ على انهُ كان اكبر من الفيل الموجود في عصرنا هذا في الهند وغيرها

واما اشجار سيبيريا ونباتاتها فليست كثيرة الانواع لانهُ لا ينبت هناك سوى اقوى الشجر والنبات على احتمال البرد

الشديد . والبلوط والبندق والاقطى موجودة في الجهة الجنوبيّة . والصنوبر والارز الى حدّ ٦٠° من العرض الشماليّ . وعلى شطوط الانهر ينبت الحور والصفصاف . وفي بعض الاماكن للاجاص البرّيّ . وفي الجهات المتوسطة والجنوبية تصحّ الحبوب ما عدا القمح فانهُ قليلٌ جدًّا . ويخصب هناك القِنَّب والبطاطة والكتان الى حد ٥٥° من العرض الشمالي . وقد حُسِب ان ثلاثة اخماس من بلاد سيبيريا لا تصلح للفلاحة والزراعة اصلاً

وهذه البلاد المذكورة غنيّة بالمعادن والحجارة الكريمة والجواهر . فان الزبرجد والماس والبلاتين وحجر الفعيلة موجودة في جبال اورال . والبِلّور واللازورد في جبال التائي والنطرون وملح البارود في السهول . والنفط والذهب والفضة والحديد وحجر المغناطيس والنحاس والخارصيني والبزموث والزرنيخ والكوبلت وغيرها من المعادن في اماكن عديدة

واما حالة الصنائع في سيبيريا فليست ناجحة كما كان يُظَنّ مما تقدم من احوال البلاد ولكن في مدينة كترينبرج مسبك حديدي يقلّ نظيرهُ في الدنيا . وهناك يُصطَنع شيء كثير من آلات الحديد . وفي مدينة تُيُمنسك معامل الزجاج واقمشة الصوف والكتان . وفي كاسان كرخانة لعمل البارود وفي ايانسكي كرخانة لاستخراج ملح الطعام من ماء بحيرة مالحة بالقرب منها

واكثر متجر هذه البلاد على طريق البر بواسطة القوافل

التي تقطع المسافات البعيدة بين مدينةٍ واخرى من حدود الصين الى توبولسك واسترخان . وبضاعة التجارة هي غالبًا الفراء الجلود والمواشي والشحم . ويتاجرون الى الصين باقمشة الصوف والمعادن والبارود والحبوب والمواشي وياخذون من عندهم الشاي والحرير والقطن والخزف الصيني والتبغ والراوند والمسك وغير ذلك من العقاقير الصينية .

وهذه البلاد مقسومة الى مقاطعات شتى . منها مقاطعة توبولسك اضافةً الى قصبتها وهي مبنيةٌ على الجانب الشرقي من نهر ارتيش . وعدد سكانها نحو ١٠٠٠٠ نفس وسكان المقاطعة كلها ١٣٤٨٧٥ سنة ١٨٨٠ . ومقاطعة تومسك اضافةً الى قصبتها ايضًا . وهي بالقرب من ملتقى نهر توم ونهر ارتيش . وفيها من الناس نحو ٢٣٧٠٠ وفي المقاطعة كلها ١٥٥١٠٥١ سنة ١٨٨٠ وبها مدرسة عسكرية ناجحة ومدرسة علوم لم يكن فيها احدٌ من المعلمين ولا من التلاميذ . ومقاطعة ايركوتسك باسم قصبتها ايضًا سكانها ٣٨٨١٤٢ وموقع هذه المدينة الى جهة الغرب من بحيرة بيكال . وعدد اهلها نحو ٣٣٨٠٠ ومن مدن هذه المقاطعة مدينة كيلختا على حدود الصين وهي مجتمع تجار المسكوب واهل الصين وقد بنى المسكوب قسمًا منها وبنى اهل الصين قسمًا اخر (ويقال لها ايضًا ميماصين) ومقاطعة ياكوتسك وهي قصبتها وفيها من الاهالي نحو ٣٠٠٠٠ وليس لها اعتبارٌ الآن من حيث انها مكان

ابتناء السفن للمسكوب لان في جوارها غياضاً واسعة من الاخشاب الصالحة لهذا العمل . ومقاطعة شبه جزيرة كمشتكا . واهلها الاصليون كسالى غلاظ الطباع متوحشون . واكثر اعتمادهم على صيد الحيوانات التي تكثر جداً في بلادهم وصيد الاسماك التي امتلأت منها مياه ابحرهم . وهم يستخدمون الكلاب لسحب العربات على الثلج . وقد حسب عددهم نحو ٢٧٠٠ نفس . واما اهل روسيا المستوطنون هناك فعددهم نحو ١٣٠٠ نفس

القسم الثاني

اما القسم الثاني من املاك المسكوب في اسيا فهو مشتمل على الاراضي الواقعة بين جبال اورال ونهر اورال وبحر الخزر شرقاً . وبلاد العجم وبلاد الترك في اسيا والبحر الاسود جنوباً . والبحر الاسود ونهر رون ونهر ولكا غرباً وشمالاً . وهذا القسم ينقسم الى اربع مقاطعات وهي كاسان واورنبرج واسترخان وقوقاف

اما مقاطعة كاسان ويقال لها مقاطعة كازان ايضاً عدد سكانها ١٩٣١ سنة ١٨٨١ فكانت من املاك خانات التتر الى سنة ١٥٥٣ فغلب عليها المسكوب . وهي واقعة على جانبي نهر كاما ونهر ولكا . ومن اشهر مدنها مدينة كاسان بينها وبين نهر ولكا ثلثة اميال . وعدد سكانها ١٣٤٦٠٠ نفس منهم ١٢٠٠٠

تتر . وفيها ١٤ كنيسة و ٤ اديرة ومدرسة جامعة ومدرسة متوسطة يُعلَّم فيها اكثر لغات اوروبا ومدرسة عسكرية تَسَعُ ٢٥٠ تلميذًا . وفيها مكانٌ لابتناء السفن التي تجري في بحر الخزر ولها متجرٌ واسع مع بطرسبرج واركانكل واسترخان وتوبولسك وموسكو واورنبرج . وبضاعة هٰذا المتجر الحنطة والعسل والشمع والقلى والصابون والجلود والخيل . وفي الجهات الشرقية من هذه المقاطعة غوابٌ عظيمة توخذ منها اخشابٌ لبناء السفن

واما مقاطعة اورنبرج سكانها ١١٣٠٦٦٦ سنة ١٨٨١ فكانت قصبتها مدينة اورنبرج على نهر اورال . وفيها من الاهالي نحو ٣٥٠٠٠ نفس والتتر يجلبون اليها كل سنةٍ من الخيل نحو ١٠٠٠٠ فرس ومن الغنم نحو ٦٠٠٠٠ شاة . ومنها تنطلق القوافل الى بخارى وغيرها من بلاد اسيا . ومن مدنها مدينة اوفا . وهي تحوي نحو ١٤٠٠٠ نفس والآن هي قصبة المقاطعة . وقيل انها كانت قديمًا مدينة عظيمة للتتر . وفيها آثار قديمة عليها كتابة عربية بالحرف الكوفيّ

واما مقاطعة استرخان فقصبتها مدينة استرخان وهي مبنية على جزيرة في اعظم افواه نهر ولكا وفيها عدة كراخين لاصطناع اقمشة القطن والبارود واستخراج الملح وصبغ الاقمشة . واهلها نحو ٥٧٧٠٤ سنة ١٨٨١ وبضاعة متجرها جلود المعزى وجلود عجل البحر والشحم والخمر والبقر والسمك وقيل ان نحو ٦٧٠٠ من اهلها

يشتغلون بصيد السمك . وهي مركز تجارة واسعة بين روسيا وبلاد العجم وبخارى . واما تربتها فليست مخصبة ولكن اصح فيها الحنطة والتبغ والتوت واثمارها شهية جدًّا . وعلى شطوط الانهر وجزائر نهر ولكا كثيرٌ من المراعي . وقد حُسِب عدد اهل هذه المقاطعة سنة ١٨٨١ فكانت ٧٨٠٩١١ نفسًا . وهم من اسباط مختلفة كالروس والارمن والتتر والكلموك والقزق والهنود والكرج . فالقزق يسكنون الحصون والقلَع . والكلموك والتتر رُحَّل . ومن انهر هذه المقاطعة نهر ولكا طولهُ نحو ٢٥٠٠ ميل . وتصعد فيهِ السفن والزواريق نحو ٢٠٠٠ ميل . ونهر اورال طولهُ نحو ٤٥٠ ميلاً . وهو فاصلٌ بين هذه المقاطعة ومقاطعة اورنبرج . ونهر كوما وهو صغير

واما مقاطعة قوه‌قاف فقد اختلسها المسكوب شيئًا فشيئًا من العجم والاتراك حتى وقع الاتفاق بين هذه الدول الثلاث سنة ١٨٢٩ ان يكون حد المسكوب عند مدينة استارا على بحر الخزر . وهي الى نحو الشمال الشرقي من مدينة ارديبل . ومن هنالك يخرج الحد الى جهة الشمال الغربي حتى يصل الى نهر الرس ثم يلحق مجرى النهر الى مخرجهِ ومن هنالك يقطع الجبال الى جهة الشمال الغربي حتى يصل الى النهر الذي يصبُّ في نهر كور فيتبع مجرى النهر الى ملتقى النهرين ومن ثمَّ يرتدُّ غربًا الى مخرج نهيرٍ يقال لهُ باتونابي فيتبعهُ الى مصبّهِ في البحر الاسود عند قلعة

ماري نقولا وهي لم تقف على هذه الحدود وقد اخضعت دولة روسيا اكثر بلاد قوه قاف الى حكمها واستولت على مدينة البنطوم على البحر الاسود وعلى مدينة القرس وعلى الاراضي الى شمالي خط من القرس على نهر الرس الى بحر الخزر وسكان المقاطعة كلها نحو ٦٠٠٠٠٠٠ نفس سنة ١٨٨٣ ا

ثم ان هذه المقاطعة تخترقها جبال قاف فيختلف هواؤها وحواصلها لان البرد يشتد في الجبال وبعضها لا يخلو من الثلج على مدار السنة كجبل ألبرز الذي له من الارتفاع نحو ١٦٥٠٠ قدم اما الوجه الجنوبي والاودية والسهول فهواؤها معتدل وفيها من جميع غلات الاقاليم المعتدلة

وقد انقسمت هذه المقاطعة الى اقسام شتى منها بلاد الكرج او كرجستان على الجانب الجنوبي من جبال قاف . وهذه البلاد هواؤها معتدل يابس ومن غلاتها القطن والرز والحنطة والقنب والكتان . ومن اثمارها اللوز والمشمش والدراقن والسفرجل والتين والرمان والقراصية والعنب . وفي جبالها البلوط والارز . وفيها من المعادن النحاس والرصاص والحديد . ومن انهارها نهر كور ونهر الرس . واما اهلها فهم نحو ٣٦٨٠٠٠ نفس من طوائف الكرج والارمن والاتراك واليهود . والكرج منهم مسلمون ومنهم نصارى على مذهب كنيسة الروم او كنيسة الارمن. ومن اعظم مدن هذا القسم مدينة تفليس على نهر كور يبلغ عدد

اهلها ١٠٤٠٠٠ نفس . وكانت تفليس وايروان ورساتيقها قديمًا تابعةً لقسمٍ من بلاد العجم يقال لهُ اران ثم أُسلمت للمسكوب سنة ١٨٢٩ كما تقدم . قال ابو اسحق الاصطخريُّ (١) في كتاب الاقاليم اما تفليس فانها مدينةٌ عليها سورٌ من طينٍ ولها ثلثة ابواب . وهي مخصبة جدًّا وبها حمَّامات كحمَّام طبرية ماؤُها سخن من غير نارٍ . وليس في اران مدينة اكبر من بردعة والباب وتفليس . انتهى

ومن اقسام هذه المقاطعة قسمٌ يُسمَّى ايمريتيا حدودهُ من الشمال جبال قاف ومن الشرق بلاد الكرج . ومن الجنوب بلاد الترك . ومن الغرب البحر الاسود . وكان هذا القسم قديمًا جزءًا من بلاد كلخيس . وحواصلهُ كما تقدم في كرجستان . واكثر اهلهِ من اصل الكرجيين . وقد حُسِب عددهم نحو ١٦٥٠٠٠ والى جهة الشمال من هذا القسم على جوانب الجبل قبيلة الاباسية وهم اصحاب مكرٍ وشرور ويعتمدون على التجارة مع الارمن والاتراك

---

(١) ابو اسحق الفارسي الاصطخري الف كتابهُ المسمَّى كتاب الاقليم بين سنة ٣٢٢ وسنة ٣٩٢ للهجرة ومن المولفات العربية في هذا الفن كتاب المسالك والممالك لابي القاسم عبد الله الذي توفي سنة ٣٠٠ للهجرة وكتاب المسالك في معرفة الممالك لمحمد الجيهاني توفي سنة ٣٣١ للهجرة والتذكرة لابي الفرج البغدادي توفي سنة ٣٣٧ هجرية وكتاب المسالك والممالك والمفاوز والمهالك لابن حوقل كتبهُ سنة ٣٦٧ للهجرة وتصانيف اخر للمسعودي وابي الفداء وابن الوردي والادريسي والقزويني وغيرهم

في اللبد وجلود الثعالب والعسل والشمع وخشب البقس

ومن اقسام هذه المقاطعة بلاد الجركس على الجهة الشمالية من جبل قاف . وفي بلادهم يجري نهر كوبان الذي يصبّ في البحر الاسود . ونهر ترك ونهر كوما اللذان يصبّان في بحر الخزر . واهل هذه الارض ينقسمون الى قبائل شتى . وقد حُسِب عدد الجميع نحو ٤٧٠٠٠٠ نفس . وهم بالاسم تحت الحكم المسكوبي وبالحقيقة هم مستقلّون على نوعٍ تحكم عليهم اكابرهم . ولهم غاية الكمال في الخبث والمكر والخيانة . واكثر اعتمادهم على الخيل والمواشي والنهب والسرقة

ومن اقسام هذه المقاطعة بلاد داغستان على بحر الخزر . وهي تحوي من الناس نحو ٢٠٠٠٠٠ بين جركسية وتركمان وارمن ويهود . ومن انهرها نهر سمور . ومن مدنها مدينة دربند على شاطئه بحر الخزر . وبلاد شروان وحدودها من الشمال داغستان . ومن الشرق بحر الخزر . ومن الجنوب مقاطعة غيلان واذربيجان من مملكة العجم . ومن الغرب كرجستان . ويجوز بها نهر كور من الغرب الى الشرق . وعدد اهلها من فُرس وارمن وتركمان ويهود نحو ١٢٠٠٠٠ نفس وبضاعة متجرهم الخمر والزعفران والافيون والنفط والسمك . ومن اصول مدنها باكو وهي ذات تجارةٍ عظيمة في البضائع المذكورة ولا سيما في النفط . وتحسب عند مجوس الفُرس والهند مدينة مقدسة فيحجّون اليها

لاجل ما فيها من فوّارات النفط التي تشتعل من ذاتها حتى تغمر وجه الارض بالنار الى مسافةٍ بعيدة. واهل هذه المقاطعة الاصليون مشهورون بجمال الصورة حتى انتسب اليهم قسمٌ من اقسام البشر. ويوخذ من هناك كثيرٌ من السراري والمماليك ويباعون في البلاد العثمانية والفارسية

القسم الثالث

اما القسم الثالث من بلاد المسكوب في اسيا فهو الجزائر. وهي تشتمل على جزائر سيبيريا الجديدة في البحر الشمالي وليس فيها سكان. وبعض جزائر صغيرة في بوغاز بيرين وسلسلة جزائر ألوتيان وجزائر الثعالب بين كمشتكا واميركا وكان لها ألاَسكا في اميركا وعددها نحو ٥٠ جزيرة منها ٤٠ مسكونة والبواقي قفراء. وجزائر كوريل الى جنوبي كمشتكا وهي ٢٦ جزيرة واكبرها وهي الجنوبية منها تابعة لمملكة يابان. واهل الجزائر التابعة المسكوب يدفعون جزيةً في الفراء والجلود اما املاك روسيا في اميركا الشمالية فقد اشتريها جميعها البلاد المتحدة

الفصل الثالث

في بلاد الترك وهي المملكة العثمانية في اسيا

ان للدولة العثمانية املاكًا واسعة في اسيا كما لها في اوروبا.

وحدود هذه الاملاك من الشمال بحر مرمرا والبحر الاسود وجزء من كرجستان . ومن الشرق جزء من كرجستان ايضاً ومملكة العجم . ومن الجنوب خليج العجم وبادية الشام وبلاد العرب وبحر الروم . ومن الغرب بحر الروم ايضاً وبحر مرمرا وبوغاز كليبولي الموصل بينهما ويُسمّى ايضاً الدردنيل وبوغاز القسطنطينية الموصل بين بحر مرمرا والبحر الاسود . فمعظم طول هذه البلاد نحو ١٠٠٠ ميل اعتيادي . وهو يقاس من راس بابا في ٢٥°٥١َ٤٠ من الطول الشرقي . و٣٩°٤٠َ من العرض الشمالي الى السفح الغربي من جبل ارارات في نحو ٤٥° من الطول الشرقي . ومعظم عرضها نحو ٩٣٠ ميلاً . وهو يقاس من راس خليج العجم الى مصب نهر ناتوناي . ومساحتها نحو ٦٦١٠٠٠ ميل مربع . وسكانها ١٦١٧٣٠٠٠ نفس

وهذه المملكة تنقسم الى ستة اقسام كبرى الاول اسيا الصغرى وهي برّ اناضول الثاني ارمينيا وهي بلاد الارمن الثالث كردستان وهي بلاد الاكراد الرابع الجزيرة بين الفرات والدجلة الخامس العراق العربي عند راس خليج العجم السادس سورية وفلسطين ويقال له برّ الشام ولنذكر كل قسم بالتفصيل

القسم الاول وهو اسيا الصغرى والجزائر التابعة لها

هذا القسم يسمى عند الاتراك برّ اناضول وذلك في الحقيقة اسم جزء منه كما ستعلم . وحدوده من الشمال بحر مرمرا والبحر

الاسود . ومن الغرب بوغاز القسطنطينية وبحر مرمرا وبحر الروم والبوغاز الموصل بينهما . ومن الجنوب بحر الروم . ومن الشرق خط مفروض من راس خليج اسكندرون الى جهة الشمال المشرقي حتى ملتقى جبل اللكام وجبل كورين المعروف عند القدماء بجبل طوروس او جبل الثور ومن هنالك على رؤوس هذه الجبال الى ثغر انوشروان بقرب نهر الفرات ومن هناك على الجبال التي تلي غربيّ الفرات الى قرب ٤٠° من العرض الشمالي و٤٢° من الطول الشرقي حيث يلاقي حد بلاد ارمينيا الغربي وينتهي الحدّ الشرقيّ الى البحر الاسود . وقد سمّى العرب هذه البلاد ارض الروم لانها كانت تابعة لقياصرة رومية والقسطنطينية ومن ذلك اسم مدينة ارض روم او ارزروم في ارمينيا واسم الجزء الشمال الشرقي عند الاتراك الذين يسمونهُ بالروملّي . وفي تلك الايام سمّوا المدن الواقعة بقرب الحد بين املاك المسلمين واملاك الروم ثغور الشام والجزيرة . فمنها ملطية والحَدَث ومَرْعَش والهارونيّة نسبةً الى هرون الرشيد وعين زربة واذنة وطرسوس . قال ابو اسحق الاصطخريّ في كتاب الاقاليم وقد جُمِعَت الى الشام الثغور وبعضها يُعرَف بثغور الشام وبعضها يُعرَف بثغور الجزيرة وكلاهما من الشام وذلك ان كل ما وراء الفرات فهو من الشام . وانما سمي ما من ملطية الى مرعش بثغور الجزيرة لان اهل الجزيرة بها يرابطون وبها يغزون لا لانها من الجزيرة انتهى .

وقد انقسمت هذه البلاد قديمًا الى عدة ممالك صغار مستقلة منها ميسيا الى جنوبي بحر مرمرا وليديا الى جنوبي ميسيا . وكاريا الى جنوبي ليديا . وليسيا وبسديا وكيليكيا على بحر الروم في جنوبي البلاد . وبيثينيا وفنطوس على البحر الاسود . وكبدوكيا في الجهة الشرقية على حدود ارمينيا وسورية . وبين فنطوس شمالاً وكيليكيا جنوبًا وغلاطية وفروغية في الجهات المتوسطة . ثم قويت شوكة مملكة فروغية وخضع لها اكثر هذه الاقسام . وبعد ذلك قويت مملكة ليديا وفي ايام الملك كريسوس تسلطت على جميع الاراضي الواقعة الى جهة الغرب من نهر هاليس الذي يسمى الآن قزل إرمق . والبقية كان قد غلب عليها ملوك ماديا وفارس ثم انتصر قورش ملك ماديا وفارس على الملك كريسوس ق م ٥٤٨ سنة وضمّ الجميع الى مملكته . وبقي على ذلك الى ايام اسكندر بن فيلبس المكدوني الذي انتصر على ملوك الفرس واخذ اكثر املاكهم في اسيا . وبعد وفاة اسكندر صارت هذه البلاد جزءًا من مملكة سورية تحت ملك الدولة السلوقدية. ثم اخذ الرومانيون جميع اقسام اسيا الواقعة غربًا من نهر الفرات وبقيت هذه البلاد تابعة قياصرة رومية والقسطنطينية الى القرن الحادي عشر بعد المسيح حين استولت الدولة السلجوقية على الاجزاء الجنوبية الشرقية . وعند انقراض هذه الدولة بعد وفاة السلطان علاء الدين الثاني السلجوقي في حواشي سنة ١٣٠٠

مسيحية غلبت على جانب عظيم منها الاتراك العثمانية تحت راية السلطان عثمان الغازي . وفي سنة ١٤٨٦ صار كل ذلك تابعًا سلاطين آل عثمان . واصل هؤلاء الاتراك العثمانية من التتر جاءوا من بلاد التتر في نواحي بحر الخزر . وقد ألّف الشيخ ابو بكر بن بهرام التركيّ الذي كان في القرن السابع عشر كتابًا في جغرافية هذه البلاد وقبل اتمامهِ توفي فكمّلهُ حجي خلفه الذي ألّف ايضًا كتابًا في جغرافية ارمينيا وسورية والاراضي الواقعة بين النهرين

وهذه البلاد عند الاتراك ثلاثة اقسام كبرى الاول اناضولي في الشمال الغربي . الثاني قرمان في الجنوب الشرقي . الثالث ارض روم وهي ارض الروملي في الشمال الشرقي وقد انقسمت ايضًا الى ايالات شتى كايالة اناضول وقرمان وسيواس وطرابزون وقونيا ومرعش واذنة . وهذا التقسيم الثاني لا يثبت على حالةٍ واحدة ولذلك لا نلتفت اليهِ

ثم ان بلاد اسيا الصغرى مخترقة بسلاسل جبال شامخة بينها سهول واسعة واودية حسنة مخصبة منها سلسلة جبلي إيدا في جهة الشمال الغربي وتُسمّى عند الاتراك قره طاغ . واعلى رؤوسها بقرب راس خليج أدْرَميت ارتفاعهُ ٥٢٩٣ قدمًا ويسمى جبل غرغار . ثم تمتد السلسلة شرقًا نحو ١٠٤ اميال اعتيادية وتفصل بين مخارج الانهر التي تجري الى بحر مرمرا والتي تجري الى بحر

الروم . ثم تنحرف الى جهة الجنوب الشرقي وتمتدُّ نحو ٢٣٠ ميلاً اعتياديًّا الى طرف سهل قونيا . وهذا الجزء اسمهُ عند الاتراك مراد طاغ . وهو يرسل شُعبًا كثيرة الى جهة الجنوب الغربيّ . وعند طرفهِ الغربي يلاقي سلسلة جبال طوروس التي تمتدُّ في الجهات الجنوبية شرقًا . وبينها وبين بحر الروم سهلٌ ضيق . وهي تتصل بجبل اللكام وهو الذي يمتدُّ جنوبًا الى سورية . وفي جبال طوروس المذكورة راسٌ علوُّهُ نحو ١٠٠٠٠ قدم . والى شمال هذه السلسلة سلسلةٌ اخرى تسمى حسنة طاغ . وبين السلسلتين سهلٌ خصيبٌ جيد التربة كثير النبات والشجر يُسمَّى البستان . وفيهِ مدينة البستان بقرب مخرج نهرٍ يُسمَّى قزل ارمق . ومن مدينة البستان تمتدُّ سلسلة حسنة طاغ الى الشمال الشرقي حتى تلي شرقي مدينة سيواس ومن هناك شرقًا الى نهر الفرات . اما اركي طاغ الذي هو على ١٠ اميال الى الجنوب من مدينة قيسارية فهو اعلى جبال اسيا الصغرى لان ارتفاعهُ ١٢١٠٠ قدم . وهو يُرَى من بعدٍ على مسافة ١٥٠ او ١٨٠ ميلاً . ومن جبال هذه البلاد سلسلةٌ تمتدُّ من مخارج الفرات غربًا الى قزل ارمق بين سيواس وطوقات . وهي ترسل شُعَبًا كثيرة شمالاً وجنوبًا . اما جبل اولمبوس المشهور في كتب القدماء فهو بقرب مدينة برسا واسمهُ الآن اناضولي طاغ وارتفاعهُ نحو ٩١٠٠ قدم . واما الاراضي الواقعة بين نهرَي سكاريا وقزل ارمق فهي مشحونة بجبال وشُعَب

تسمى ألكس طاغ . واكثر هذه الجبال مكوّنة من الحجارة كسية الاين نهر سكاريا وقزل ارمق حيث يكثر البنادي وهو نوع من الصخر على شكل الاعمدة القديمة التي اجتُلِبَت الى الآفاق من بلاد مصر . ورخام هذه البلاد وانواع مرمرها اشتهرت جدًّا في الايام القديمة . ثم ان الزلازل تكثر في هذه النواحي حتى قيل انهُ في ايام طيباريوس قيصر انقلبتْ بالزلازل ثلث عشرة مدينة في اسيا الصغرى بيوم واحد . وكان جبل اولمبوس في الايام القديمة بركانًا . وفي مراد طاغ دلائل كثيرة على براكين قديمة ايضًا ولكن الآن لا يوجد في اسيا الصغرى بركان هائج . وفي اواسطها سهول واسعة خالية من الاشجار بعضها معشبٌ وبعضها سباخ . وفي تربتها ملح البارود وملح الطعام

وينحدر من جبال هذه البلاد الى الابحر المحيطة بها انهرٌ ونهيرات كثيرة ولكن اكثر انهارها صغيرة واعظمها يجري الى جهة الشمال وذلك لقرب جبال طوروس الى بحر الروم فلا منفَذ من جهة الجنوب للمياه الخارجة من اواسط البلاد واعظم هذه الانهر نهر هاليس المسمَّى الآن قزل ارمق . وهو مجتمعٌ من نهرين احدهما شرقيٌّ والآخر جنوبي وهو يخرج من حسنة طاغ بقرب مدينة البستان ويجري اولاً الى الغرب في وادي البستان حتى يلاقيهِ نهر ابركلي ثم يرتدُّ الى الشمال اما الشرقيُّ فمخرجهُ الى الشمال الشرقي من سيواس وهو يجري الى الغرب حتى يلاقي الجنوبيَّ .

ومن هناك يجري بين الجبال في تعاريج كثيرة حتى يصبُّ في البحر الاسود في ٥٢ َ٣٢ ٤١ْ من العرض الشمالي و٤٥ َ١١ ٣٦ْ من الطول الشرقي . وطوله مع قطع النظر عن اعوجاجهِ نحو ٦٠٠ ميل

واما نهر ايريسا وهو المسمى الآن يشيل ارمق فهو اصغر من نهر هاليس وهو يجتمع من التقاء ثلاثة انهر اثنان من الجنوب وهما يلتقيان بقرب مدينة اماسيا والثالث يلاقيهما جاريًا من الشرق بقرب مدينة تكمه ثم يجري الى الشمال مائلاً الى الشرق ويصبُّ في البحر الاسود بقرب مدينة سمسون . وطوله من مصبّهِ الى مخرج النهر الشرقي بقرب قره حصار نحو ٣٠٠ ميل

واما نهر فتسا فمخرجهُ في الجبال الفاصلة بين المياه التي تجري الى الفرات والتي تجري الى البحر الاسود . واكثر جريهِ الى جهة الشمال الغربي مسافة نحو ١٦٠ ميلاً . وهو يصبُّ في البحر الاسود . واما نهر سكاريا فمخرجهُ في اواسط البلاد . وهو يجري اولاً الى الشمال الغربي ثم الى الشمال الشرقي ويصبُّ في البحر الاسود . وطوله نحو ٢٥٠ ميلاً . ويلاقيهِ نهيرات كثيرة مخارج الغربية منها في مراد طاغ . ومخارج الشرقية في شعب الكس طاغ وينحدر من الجانب الغربي من مراد طاغ انهر كثيرة تصبُّ في بحر الروم ومن جانب الشمال الغربي من قره طاغ عدة انهر تصبُّ في بحر مرمرا

اما التي تصبُّ في بحر الروم فاعظمها نهر ميأندر الذي يسمَّى الان غريمكلي وبيوك مندر مخرجهُ في مراد طاغ وهو يجري الى الجنوب الغربي ويصبُّ في بحر الروم بقرب ٣٠َ ٣٧ْ من العرض الشمالي . ويلاقيهِ نُهَيرات كثيرة من الشمال والجنوب . اما الانهرا التي تجري الى جهة الجنوب فاعظمها نهر سيحون مخرجهُ في الوجه الشمالي من جبل طوووس . وهو يجري اولاً الى الجنوب الغربي ثم ينفذ في الجبال بمضيقٍ تسميهِ الاتراك كولك بوغاز وسميت قديمًا ابواب كيليكيَّة . وتسمى الجبل الذي هناك تَكِرطاغ . ثم يرتدُّ النهر جنوبًا ويمرُّ على مدينة اذنة ويصبُّ في بحر الروم . والمضيق الذي يجري فيهِ هذا النهر هو منفذٌ في جبال طوروس الفاصلة بين كيليكيا القديمة جنوبًا وكبدوكيا القديمة شمالاً ولا يُعبَر من احداها الى الاخرى الاَّ بهذا المضيق . ولذلك يسمُّونهُ باب كيليكيا . ولما استولى ابرهيم باشا صاحب الدولة المصرية على ايالة اذنة حصَّن هذا المضيق تحصينًا منيعًا

وفي اواسط هذه البلاد مسافةٌ طولها نحو ٣٥٠ ميلاً وعرضها نحو ١٥٠ ميلاً ليس لمياهها منفذٌ الى البحار اصلاً لان الجبال محيطةٌ بها من كل جانبٍ . وتنحدر المياه من هذه الجبال الى بُحَيرات كثيرة هناك منها بحيرةٌ مالحة في سهل قونيا . وهذا السهل تغمر المياه اكثرهُ في ايام الشتاء . والى الشمال من سهل قونيا سهولٌ اخرى فيها بحيراتٌ كثيرة اكثرها مالحة . واعظمها بحيرةٌ تصله

بقرب مخرج نهر سكاريا طولها نحو ٣٠ ميلاً يُستخرَج منها الملح ويُحمَل الى كل مكانٍ في تلك الاطراف

وهواءُ هذه البلاد محمودٌ جدًّا . وهو اكثر اعتدالاً من هواءِ ما يعادلها في العرض من بلاد اوروبا . وذلك لان الجبال تلطّف حرّ الصيف والابحر المحيطة تلطّف برد الشتاء . غير ان الحرّ يشتدُّ في الاماكن الجنوبية التي تلي بحر الروم والرطوبة تزيد في نواحي البحر الاسود

وفي اسيا الصغرى معادن نحاس بقرب طوقات وقونيا وكمش خانة الى جنوبي طرابزون . وهناك ايضًا معدن فضةٍ ولكنهُ لا يُستخرَج منهُ الآن اكثر من ثلث ما استخرج قبلاً . وفي كل الجبال المجاورة لنهر الفرات والبحر الاسود دلائل على وجود النحاس فيها وبقرب مدينة عرب كير على الفرات معادن فضة وذهب غنيّة . قال حزقيال النبي ٢٧ : ١٣ ان قوم توبال ومساخ كانت تجارتهم في اواني من نحاس وهولاء القوم سكنوا في تلك الارض . وهناك ايضًا معادن حديد والاهالي يصنعون منهُ فولاذًا . وفي الايام القديمة وُجِد الزنجفر في اناضولي . والذهب في ليديا والبلّور في فنطوس . وانواع المرمر في الجهات المتوسطة . ولكن من هذه المعادن ما قد فرغ في هذه الايام ومنها ما لا يُشتغَل بهِ لعدم اعتناء الدولة والاهالي بهِ . وقد وُجد في ليديا قديمًا حجر المغناطيس واسمهُ ماخوذٌ من المغنيط وهم قوم كانوا يسكنون في

نواحي مدينة مغنيسيا على نهر ميندر وهناك ايضًا حجر ليديا وهو حجر المحكّ

ومن حواصل هذه البلاد جميع انواع الحبوب والمصطكى والتمر الهندي على شطوط نهر ميندر والكرم والقطن والاجاص والسرو وانواع الارز والعرعر والصنوبر والبرأتي والبلوط الذي منهُ العفص . وهذه الاشجار يوجد منها غياض واسعة . وكذلك من الحور والآس والياسمين والجُمَّيز والمشمش والخوخ والتفاح والقراصية وشجرة البقّ المسمى ايضًا البوقيصا وفي اللغة التركية تسمى قره اغاج . وهناك ايضًا شجر الوشيج والصفصاف والجوز والليمون والبرتكال والرمان وانواع البطيخ ونحوهِ من النبات المفروش على الارض . وقيل ان جذع الكرم البري يبلغ احيانًا ان يكون بغلظ جسم الرجل وهو يتعرَّش على الشجر في الغياض والغابات . ومع خصب هذه البلاد وجودة تربتها نراها غالبًا خَرِبة قليلة السكان بالنسبة الى اتساعها وخصبها

ومن حيوانات اسيا الصغرى خيل التركمان والبقر السود والغنم والمعزى . وفي نواحي مدينة انكورا وهي من مدن غلاطية القديمة نوعٌ من المعزى شعرهُ طويل يشبه الحرير في الدقة والرونق يصنع منهُ شالاتٌ تعادل شالات كشمير . وهناك ايضًا نوعٌ من الغنم حسن الصوف جدًّا يجزُّ كل سنةٍ مرتين . ونوعٌ من الهرّ كبير الجثة شعرهُ ناعمٌ في الغاية . وفي الجبال كثيرٌ من

الحيوانات والطيور البرّية

ومتجر هذه البلاد منهُ بحريٌّ ومنهُ برّيٌّ اما البحريُّ فاكثرهُ بيد الافرنج والاروام واما البرّيُّ فبيد الارمن . ومركز الاكثر منهُ مدينة ازمير . وبضاعتهُ الحرير والتين وشعر المعزى وصوف الغنم والجمال والقطن وجلود المعزى مدبوغة والعفص والكهرباء واللازورد وبعض العقاقير كالافيون والمسك والراوند والقنّة وبعض الانسجة كالطنافس والبسط وقد صُنعت سكة حديد من ازمير الى ايدين في داخل البلاد بها توسعت التجارة كثيرًا . وفي مدينة برسا مناسج الحرير . وفي مدينة اماسيا مناسج الكتان . وفي افيون قره حصار مصانع اللبد الاسود . وفي طوقات معامل آلات النحاس ولا سيما بكارج القهوة . ومن هنالك ايضًا تجلب جلود المعزى مدبوغةً باللون الازرق . ومن ترسيس تُجلَب الحنطة والقطن والسمسم والشعير والعفص والنحاس . ويُستبدَل عن هذه البضائع بالرزّ والبن والسكّر واقمشة اوروبا واميركا

واهل اسيا الصغرى اتراك وارمن واروام وتركمان واكراد . وان اضفنا اليها ارمينيا فثلثة اخماس اهلها ارمن واروام والارمن منهم اكثر من الاروام وهم غالبًا يشتغلون بالمتجر ويوصفون بمحبة المال . واما الاروام فمنهم يشتغلون في الارض ومنهم تجّار كالارمن ولكنهم على حسب اخلاق جنسهم مطلقًا اصحاب مكر وكذب وحقد وهم على ذلك منذ قديم الزمان اذ لم يقُم بينهم رجل صالح الّا

وقتلوهُ او نفوهُ كما فعلوا بسقراط وارستيذس وغيرها ولكنهم يتحاشون اكل اللحم يوم الجمعة . واما الاتراك فمنهم من يعمل في الارض ومنهم ارباب صنائع ولهم اليد الطولى في عمل النحاس والفولاذ واما التركمان فهم قبائل شتى وعلى كل قبيلة شيخ او امير يستولي عليها . واعتمادهم على الخيل والمواشي وهم بالحقيقة اتراك لم يزالوا على حالتهم الاصلية حين قدموا من نواحي بلاد التتر . ولا تُعرَف السرقة عندهم الاَّ قليلاً بخلاف الاكراد الذين اشهر خصالهم السرقة والنهب . واكثر وجود الاكراد في نواحي مرعش وعلى حدود الجزيرة

اما مدن اسيا الصغرى فقد انحطَّت عن شهرتها القديمة بل خرب منها جانبٌ كبير ولم يبقَ الآن سوى رسوم دارسة من اشهر مدن العالم كافسس واللاذقية وسرديس ومليطوس . ومن اشهر مدنها في هذه الايام مدينة ازمير الكائنة على راس خليج ازمير وهي مولد الشاعر اليوناني هوميروس وكان فيها قديمًا هيكلٌ على اسمهِ . وبالقرب منها هيكلٌ على اسم اسكيلاب اله الطبّ . وهي محلُّ احدى الكنائس السبع المذكورة في سفر الرؤيا وقد خربت بالزلازل والحروب عشر مراتٍ . والآن فيها من السكَّان ما يقارب ١٥٠٠٠٠ نفس منهم اتراك ٧٥٠٠٠ واروام ٤٥٠٠٠ وارمن ٢٠٠٠٠ وافرنج ١٠٠٠٠ وسبب قيام هذه المدينة بعد الخراب الذي توالى عليها هو وقوعها على راس خليج داخل

في البر على انحناء فيحدث من ذلك ميناء امينة للسفن . وايضًا جودة الاراضي المجاورة لها المسقيَّة بانهرٍ كثيرة . فتجتمع فيها التجار من البرّ والبحر . وبضاعة متجرها الحرير والقطن والصوف وشعر المعزى والطنافس والبسط والتين والزبيب والعقاقير وبعض الجواهر ولو كثرت سكك الحديد الى داخل البلاد لزاد متجرها اضعافًا .

والى جنوبيّ ازمير على نحو ٣٥ ميلاً بقرب ريف البحر موقع مدينة افسس القديمة ولم يبقَ منها الاَّ بعض الآثار وبعض القناطر التي كان مبنيًّا عليها هيكل ارطاميس . واما مدينة غزل حصار على نهر ميندر فهي مدينة مغنيسيا القديمة . ومحيطها الآن نحو اربعة اميال ومتجرها متسعٌ في القطن والغزل وفيها آثار هيكل على اسم ارطاميس . وبساتينها واسعة مشحونة بشجر السرو والبرتكال واما موقع مدينة مليطس القديمة فهو بقرب مصب نهر ميندر على الجانب الجنوبي منه ولم يبقَ منها الآن سوى بعض الآثار .

والى جهة الشرق من ازمير على نحو ٥٠ ميلاً بلدة يقال لها سرْت وهي سردبس القديمة التي هي قصبة مملكة ليديا . واهلها الآن رعاة بقر يسكنون في بيوتٍ من التراب ولكنَّ الخرب الباقية تدل على عظمتها القديمة . والى نحو الشمال من سرديس قرية آق حصار وهي مدينة ثياتيرة القديمة . وموقعها على نهيرٍ يصبُّ في نهر هرموس في بقعةٍ عرضها نحو ١٨ ميلاً وتربتها مخصبة

جدًّا . وطول هذه البلدة ١٥َ ٤٨ً ٣٧° شرقي وعرضها ١٠َ ٥ً ٣٩° شمالي . وفيها نحو ١٠٠٠ بيت منها ٣٥٠ روم و٢٥ او ٣٠ ارمن والباقي اتراك . والى جهة الشرق من سرديس مائلاً الى الجنوب نحو ٤٠ ميلاً قرية الله شهر وهي فيلادلفيا القديمة . واهلها للآن مشهورون بصناعة الصباغة ومتجرها ليس بقليلٍ لانها على احدى طرق القوافل التي موردها ازمير

والى نحو الجنوب الشرقي من الله شهر مدينة اللاذقية القديمة وتُسمَّى الآن اسكي حصار وهي في وادي نهر ميندر على نُهَيرٍ يصبُّ في النهر المذكور . وقد خربت خرابًا كاملاً حتى لم يبقَ فيها بيتٌ ولا كنيسة ولا جامع . وبقربها مدينة دنزلو لها غوطة شبيهة بغوطة دمشق الشام . وفي سنة ١٧١٥ خربت بزلزلةٍ عظيمة مات فيها ١٢٠٠٠ نفس وفي ذلك الوادي علامات براكية كثيرة ولكثرة حدوث الزلازل سميت تلك الاراضي عند اليونانيين البلاد المحترقة . والى جهة الشرق من اسكي حصار على بعض الاميال موقع مدينة كولوسايس القديمة . والى جهة الشمال من ازمير على نهر كايكوس مدينة برغما وهي برغاموس القديمة وفيها من الاهالي نحو ١٥٠٠٠ نفس من اتراك واروام وارمن ويهود . وطول هذه المدينة ٢٧° شرقي وعرضها ١١َ ٣٩° شمالي وفيها جامع كبير قيل انهُ كان كنيسةً للمسيحيين الذين كاتبهم يوحنا كما ذكر في الرؤيا ٢: ١٢ وكان فيها قديمًا مكتبة تشتمل على نحو ٢٠٠٠٠٠ مجلَّد نقلها

مرقس انطونيوس والملكة كليوباترة الى مصر . وهذه المدينة اشتهرت ايضاً بكونها مولد جالينوس الطبيب المشهور . واما مدينة تروادة القديمة فلا يعلم موقعها بالتحقيق الاّ انها كانت بقرب ريف البحر تجاه جزيرة تينيدوس بقرب مدخل بوغاز الدردنيل وقد كشف هناك عن آثار قديمة مطمورة دالة على موقع المدينة

واما مدينة برسا فطولها نحو ٣٧ َ٥٨ ً٢٨ ْ شرقي وعرضها نحو ٣٧ َ٣ ً٤٠ ْ شمالي وهي مبنية في الطرف الجنوبي الشرقي من وادٍ او بقعةٍ حسنة مخصبة طولها نحو ٣٠ ميلاً وعرضها نحو ٤ اميال وابنيتها من خشب ولذلك يكثر فيها الحريق واسواقها ضيقة واهلها بين ٣٥٠٠٠ و ٤٠٠٠٠ نفس وكانت سابقاً مقرّ تخت السلاطين العثمانية . وفيها الآن حوانيت كثيرة يُصطنع فيها انسجة حريرية مشهورة

واما مدينة نيقيا القديمة المسمّاة الآن ازنيك فهي على الطرف الشرقي من بُحيرة متصلة بالخليج الجنوبي من بحر مرمرا وهي بُنيت من حجارة المدينة القديمة ولا تكاد تستحق الذكر وعلى الطرف الشرقي من خليجٍ آخر ممتدّ من بحر مرمرا مدينة نيكوميديا القديمة وتُسمّى الآن ازنكميد . وفيها مات الملك قسطنطين والآن فيها نحو ٧٠٠ بيت . والى نحو الشمال الغربي منها موقع مدينة خلكيدون القديمة ولا يُرَى هناك الآن سوى بساتين وكروم

واما مدينة اسكودار فهي تجاه القسطنطينية واهلها نحو

٢٥٠٠٠ نفس. وتمرّ فيها جميع القوافل الواردة من داخل البلاد منطلقة الى القسطنطينية

واما المدن الواقعة على ريف البحر الاسود فمنها مدينة سمسون في نحو ٣٨° من الطول الشرقي و٤٢° من العرض الشمالي. واهلها نحو ٢٨ نفسًا. ومدينة طرا زون واهلها نحو ٣٢٠٠٠ نفس. وفيها آثار مينا للسفن. بناها الملك ادريانوس واقام مدةً فيها السلطان سليم الاول. وبضاعة متجرها اثمار الارض والخمر ونسائج الحرير والقطن. ومن المدن التي على ريف بحر الروم او بالقرب منهُ في جنوبي البلاد مدينة اذنة على نهر سيحون. ويحيط بها بساتين وكروم واسعةٌ فيها من شجر التوت والدراقن والمشمش والتين والزيتون وهي في سهل مخصب جدًّا. وعلى النهر قنطرة من عهد الملك يوستنيانوس. واهل هذه المدينة بين ٢٥٠٠٠ و٣٠٠٠٠ نفس. قال ابو الفداء قال احمد الكاتب واذنة بناها الرشيد وهو ايضًا الذي بنى طرسوس (ولعل المراد اصلاحها لانهما كانتا قبل الرشيد) وقال ياقوت في المشترك اذنة مدينةٌ مشهورةٌ كانت بالثغور قال ابن حوقل واذنة مدينة تكون مثل احدجانبي المصيصة على نهرٍ يُسمَّى سيحان. وهي مدينةٌ مخصبة عامرة في غربي النهر المذكور. وعلى هذا النهر قنطرةٌ من حجارة عجيبة البناء طويلةٌ جدًّا. واذنة تكون على اثني عشر ميلاً من المصيّصة وبينها وبين طرسوس ثمانية عشر ميلاً.

انتهى كلام ابي الفداء

اما طرسوس فكانت قديمًا قصبة كيليكيا وهي مولد بولس الرسول وسكانها الآن نحو ٣٠٠٠٠ نفس . وبضاعة متجرها الحنطة والشعير والسمسم والقطن والعفص والنحاس قال ابو الفداء طرسوس مدينة مشهورة كانت ثغرًا من ناحية بلاد الروم على ساحل البحر الشامي وقال ابن حوقل طرسوس مدينة كبيرة عليها سوران من حجارة وهي في غاية الخصب وبينها وبين حدّ الروم جبالٌ هي الحاجز بين الروم والمسلمين انتهى . وهي تضاهي اسكندرونة في رداءة المناخ

ومن المدن الجنوبية ايضًا مدينة ادالية في ٣٠°٤٥′٥ من الطول الشرقي و٣٦°٥٠′ من العرض الشمالي . وسكانها نحو ٨٠٠٠ نفس . وهي على راس خليج ادالية وهي مخصبة في الغاية. وبقربها مدينة مقري على راس خليج مقري وهي خرائب عظيمة . ومنها ترسل الاخشاب الى مصر والقطران والملح والمواشي والخشب الى جزيرة رودس . وتجاه جزيرة رودس خليج مرمريس وهو مينا امينة للسفن ومحيطه نحو ٣٠ ميلاً

ومن المدن الواقعة في داخل البلاد مدينة كوتاهية وهي تحوي من الناس نحو ٥٠٠٠٠ نفس . وهي مقرّ والي أيالة اناضولي . وموقعها على الجانب الغربي من نهرٍ يجري الى الشمال الشرقي ويصبُّ في نهر سكاريا . والى جهة الشمال الشرقي منها

على النُهَير المذكور ايضًا مدينة اسكي شهر. والى جهة الشمال الغربي من اسكي شهر مدينة شغوت بقربه شط نهر سكاريا. والى الجنوب من كوتاهية مائلاً الى الشرق افيون قره حصار سميت بذلك لتجارتها بالافيون . وفيها من السكان نحو ١٢٠٠٠ بيت . ويُصطَنع فيها كثير من اللبد الاسود . ويباع فيها من الافيون كل سنة نحو ١٠٠٠٠ اقة . وطول هذه المدينة ٣١° ٣٥′ ٣٠″ شرقي وعرضها ٣٨° ٤٣′ شمالي . وهي من ازمير على ١٤٠ ميلاً . ومن انكورة على ١٠٤ اميال . واكثر البسط التي تباع في ازمير تُصنع في البلاد الواقعة بينها وبين افيون قره حصار .

اما مدينة قونيا فهي بالقرب من وسط البلاد . وكانت سابقًا محلّ اقامة سلاطين الدولة السلجوقية . وهذه الدولة منسوبة الى سلجوق وهو ابن الوزير لواحدٍ من خانات التتر. وفي سنة ١٠٩٠ مسيحية اتى سلجوق المذكور بجيشٍ عظيم وتملك في سمرقند بخارا وهناك دخل في دين الاسلام مع قومهِ . ثم امتدَّ ملك دولتهِ من حدود الصين شرقًا الى اناضولي غربًا واتصل الى سوريا ومصر ايضًا وانقرضت بها الدولة الغزنويّة. وبعد وفاة السلطان مالك شاه انقسم ملكهُ الى مملكة ايران وقرمان وسوريا وقونيا وهيَ أعظمها . وامتدَّ ملكها من الفرات الى قرب القسطنطينية ومن البحر الاسود الى بحر الروم وتخوم سوريا . وبعد انقراض دولة قونيا تغلَّبت الاتراك العثمانية حتى ملكت جميع اسيا الصغرى .

ومدينة قونيا الآن يحيط بها سورٌ طولهُ نحو ثلاثة اميال . وبالقرب منها بساتين واسعة فيها انواع كثيرة من الفواكه والاثمار . وهي تُسقى بنهيراتٍ تنزل من الجبال من ناحية الغرب وتصبُّ في بُحيرةٍ من ناحية الشمال الشرقي . وهذه البحيرة في ايام الشتاء تعطّي مسافة كبيرة من السهول المجاورة . وتلك الاراضي مخصبة ومن حواصلها الحنطة والقطن والكتان . وفي المدينة يُصطنع شيء من البُسط والطنافس ويؤخذ منها ايضًا جلود مدبوغة باللون الازرق والاصفر . واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس

والى الجنوب الشرقي من قونيا على بعد ٥٠ ميلاً مدينة قرمان وكانت قديمًا محلّ اقامة سلطان مملكة قرمان المشار اليها آنفًا

واما مدينة انقرة ويقال لها ايضًا انكورية فعرضها ٣٩°٢١′ شمالي . وطولها ٣٣°٤١′٤٣ شرقي . وهي في سهلٍ مرتفع كثيرًا عن مساواة البحر . وفيها قلعةٌ كبيرةٌ في داخلها جانبٌ عظيمٌ من المدينة ومن آثار المدينة القديمة خرائب هيكل جو بتير وهيكل على اسم اوغسطوس قيصر واهلها نحو ١٠٠٠٠ من المسلمين و٥٠٠٠ من النصارى و٣٠٠٠ من اليهود . ويُصنع فيها شيء كثير من نسائج شعر المعزى المشار اليها آنفًا . ويُجلب منها كل سنة نحو ٥٠٠٠٠ اقّة صوف ومقدار جزيل من الفوّة والمصطكى وصمغ القتاد والشمع والعسل وجلود المعزى

ومن مدن اسيا الصغرى مدينة اماسيا في طول شرقي ١٣َ ٣٦ْ وعرض شمالي ٣٠َ ٤٠ْ وهي في وادٍ على جانبي نهر ايريسا . ولها بساتين كثيرة تسقى بالنواعير . واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس اكثرهم نصارى . وهي مولد استرابون المشهور بمؤلفاته في علم الجغرافية

ومن مدنها توقات . وعرضها ٥٥َ ٣٩ْ شمالي وطولها ٣٠َ ٣٦ْ شرقي . وهي على نهر ايريسا بمسيرة ١٨ ساعة من اماسيا الى جهة الجنوب الشرقي . ولها تجارة واسعة برية بضاعتها آلات نحاسية واقمشة حرير وجلود معزى مدبوغة باللون الازرق . واهلها مقدار ٢٥٠٠٠ نفس

ومن امهات مدن اسيا الصغرى مدينة سيواس . وهي الى جهة الجنوب من توقات على نحو ٤٠ ميلاً بقرب احد مخارج نهر قزل ارمق . وقد صارت الآن بحالةٍ دنية واعتماد اهلها على تربية الخيل وعددهم نحو ٥٠٠٠٠ نفس

اما مدينة قيسارية فهي الى جهة الجنوب الغربي من سيواس على بعد ٣٦ ساعة . وهي على نهر قره صو الذي يصب في الفرات بقرب ملطية وموقعها عند سفح الجبل الذي يقال له اركي طاغ . وعلو هذا الجبل نحو ١٠٠٠٠ قدمٍ وهو لا يخلو من الثلج على مدار السنة . وقيل كان اسمها في القديم مساخة على اسم مساخ بن يافث بن نوح ثم انتسبت الى طيباريوس قيصر . واهلها ٦٠٠٠٠

نفس منهم نحو ٣٠٠٠ ارمن و ١٠٠٠ روم و ٥٠٠ يهود والباقي اتراك . وقيل ان في كنيسة الروم التي هنالك قبر القديس باسيليوس . وهذه المدينة مركز تجارة واسعة ولا سيما في القطن وما يُنسج منهُ

واما مدينة ملطيَّة فهي بقرب الفرات ومصبّ نهر قره صو . واهلها نحو ١١٠٠٠ منهم ٨٠٠٠ مسلمون و ٣٠٠٠ ارمن . وكانت سابقًا مدينة مشهورة ولكنها الآن انحطت عن عظمتها كثيرًا قال ابو الفداء هي بلدة ذات اشجار وفواكه وانهار . وهي بالقرب من كختا وكركر بينهما نحو مرحلتين وهي شمالي زبطرة وبينها مرحلة كبيرة . وللملطية ايضًا اقنية تدخلها وتجري في دورها وسككها والجبال محيطة بها على بعدٍ منها انتهى . وقال ابو اسحق الاصطخريّ ملطية مدينة كبيرة من اكبر الثغور يحفّ بها جبال كثيرة الجوز وسائر الثمار وكل ذلك مباح لا مالك لهُ انتهى . والظاهر ان موقعها الآن ليس هو موقعها القديم

والى الجنوب من ملطية مدينة سُميساط على الفرات . والى الغرب من سميساط مدينة مرعش . والى الجنوب الغربي من مرعش عين ذربة . وهذه كلها ثغور وقد عدَّنا بعضهم من الشام وبعضهم من اسيا الصغرى . وبحسب الحدّ المذكور في اول هذا الفصل تكون من اسيا الصغرى ولذلك ذكرناها هنا

اما الجزائر التابعة لهذا القسم من الاملاك العثمانية في اسيا

فهي جزيرة مرمرا وجزيرة ارتاكوي وغيرها في بحر مرمرا وجزيرة تنيدوس بقرب مدخل بوغاز الدردنيل . وهي مشهورة بذكرها في اشعار هوميروس اليوناني وفرجيليوس الروماني وقد وصفاها بالغنى والخصب . وفيها الان مدينة صغيرة على طرفها الشرقي لها قلعة وميناء وخمرها من افخر الخمور . وجزيرة متلينو ويقال لها ايضًا لسبوس وهي تجاه فم بوغاز ادرميت . وقد اشتهرت قديمًا بجودة خمرها وجمال نسائها وطيب اصوات مغنياتها ولم تزل على ذلك الى الآن . وهواؤها جيد في الغاية حتى كان زمانها كله فصل الربيع . وفيها اشجار كثيرة من الكرم والزيتون والمصطكى وسائر انواع الثمار والفواكه واراضيها تسقى بعيون وجداول كثيرة تنحدر من جبالها . وفيها عدة موانٍ امينة للسفن . وطول هذه الجزيرة نحو ٣٦ ميلاً جغرافية . وعرضها نحو ٣٥ ميلاً . ومحيطها نحو ١٠٠ ميل . واهلها نحو ٤٠٠٠٠ نفس . ومن مدنها كسترو على الجانب الشرقي . وموليفو الى الجهة الشمالية منها . وكالوني على راس خليج داخل الى قرب وسط الجزيرة . وقيل ان نساء هذه الجزيرة لهنّ التقدم على الرجال وهنّ اصحاب الاملاك والتدابير والرجل يتكنى بكنية امرأته والميراث لبكر البنات فقد اخذت النساء عندهم مقام الرجال في جميع الامور فما اقبح هذه العادة السمجة . وجزيرة شيو ويقال لها ايضًا جزيرة المصطكى لكثرته فيها . وفيها ايضًا جميع انواع الثمار والفواكه

وكان اكثر سكانها من الاروام الى سنة ١٨٢٢ وهم نحو ١١٠٠٠٠
نفس منهم ٣٠٠٠٠ في مدينة ساقس وهي قاعدة الجزيرة وكان فيها
مدرسة عظيمة لاولاد الاروام من جميع بلادهم . وفي السنة المذكورة
دخل اليها الاتراك وقتلوا من اهلها نحو ٢٥٠٠٠ نفر واستأسروا
منهم نحو ٣٠٠٠٠ من الرجال والنساء وباعوهم في اسواق ازمير
والقسطنطينية . وجزيرة ساموس وهي مولد فيثاغوروس
الفيلسوف المشهور وهي الى الجنوب الشرقي من شيو نحو ٤٣ ميلاً.
وطولها نحو ٢٤ ميلاً وعرضها نحو ١٢ ميلاً ومحيطها نحو ٧٠ ميلاً.
وفيها سلسلتان من الجبال يبلغ ارتفاع البعض منها ٤٧٥٣ قدماً.
ومن غلاتها الحبوب والعنب والتين وانواع البطيخ والرمان
ونحو ذلك . واهلها نحو ٥٤٠٠٠ نفس وبينها وبين البرّ بوغازٌ
عرضهُ ميل واحد . والى غربيها جزيرة نيكاريا وهي ذات تربة
غير جيدة وفيها كثيرٌ من اخشاب البناء . واهلها فقراء متكبرون
يدَّعون انهم من سلالة الملك قسطنطين فصح فيهم المثل قالوا
للبغل من هو ابوك قال الحصان خالي . وعددهم نحو ٣٠٠٠
نفس وجزيرة ستانكيو وهي مولد بقراط الطبيب المشهور . وكان
فيها هيكل على اسم اسكولاب اله الطبّ . وجزيرة بطمس وهي التي
نُفي اليها يوحنا الرسول وفيها كتب كتاب الرؤيا . وجزيرة
كريد ويقال لها اقريطش ايضاً . طولها نحو ١٧٣ ميلاً وعرضها
نحو ٣٥ ميلاً ومحيطها نحو ٥٠٠ ميل . ويخترق اواسطها جبال

شامخة واثمارها واخشابها وسائر حواصلها كثيرة ولاسيما الزيتون . ومن مدنها كانيا في جهة الشمال الغربي واهلها نحو ١٥٠٠٠ نفس . وكنديا في الشمال واهلها كذلك وقد نزل في الجزيرة قديمًا قومٌ من العرب ولم تزل بقاياهم في نواحي جبل ايدا في اواسط الجزيرة وهم يتكلمون باللغة العربية . واكثر اهل هذه الجزيرة اتراك واروام والجميع في حالة الجهل والغباوة

وجزيرة رودس طولها نحو ٤٠ ميلاً وعرضها نحو ١٥ ميلاً ومحيطها نحو ١٢٠ ميلاً . وبينها وبين البر مسافة ثمانية اميال وهواؤها جيد معتدل وتربتها مخصبة . وقد كانت قديمًا كثيرة الحواصل والآن صارت تحتاج الى اجتلاب كثيرٍ من لوازمها من الخارج . لكن يُوخذ منها الخمر وبعض الاثمار وعيدان الورد. واهلها يبلغون نحو ٣٠٠٠٠ نفس وقاعدتها مدينة رودس في جهة الشمال الشرقي واهلها نحو ٥٠٠٠ نفس من الاتراك و١٠٠٠ نفس من اليهود ولا يُسمَح للنصارى ان يسكنوا فيها . وكان لها مينا شهيرة بتمثالٍ من النحاس الاصفر راكبًا فوق مدخلها وكانت السفن الداخلة والخارجة تجري بين ساقيهِ على ما قيل فكان يعدُّ من عجائب الدنيا السبع [1] قيل كان ارتفاع قامتهِ سبعين ذراعًا

---

(١) القدماء عدوا عجائب الدنيا سبعًا وهي صنم رودس واهرام مصر وهيكل ارطاميس في افسس وجنائن بابل المعلقة وقبر ماوسوليوس وكهف جزيرة انتي باتروس ولغز كريت

وبين قدميهِ مسافة خمسين قدماً . وهذه الجزيرة فتحها المسلمون في ايام معاوية بن ابي سفيان وتملكها فرسان ماري يوحنا في سنة ١٣٠٧ وسكنوها وبنوا فيها ابنية كثيرة هي باقية الى اليوم ثم تملكها السلطان سليمان في سنة ١٥٢٣

وجزيرة قبرس وهي الثالثة في الاتساع بين كل جزائر البحر المتوسط وطولها ١٤٠ ميلاً ومعظم عرضها ٦٠ ميلاً ولها ذَنَبٌ دقيقٌ يمتدُّ الى جهة الشمال الشرقي . وتخرقها من الشرق الى الغرب سلسلتان من الجبال تغطيها الثلج في الشتاء وهما تصدّان الريح الشمالية في الصيف فتتسلط على الجزيرة الريح الجنوبية الحارة التي تهبُّ من صحاري افريقية ولذلك هي شديدة الحرّ وهواؤُها رديء . وقد كان فيها قديمًا تسع ممالك واثنتا عشرة مدينة وثمانمئة وخمس ضياع فضلاً عن المزارع .وكان اهلها ينيفون على ١٠٠٠٠٠٠ نفس .ثم تملكتها الاتراك سنة ١٥٧٠ مسيحية وصارت سكانها في سنة ١٨٨١ ١٨٦٠٠٠ نفس . واستولى عليها الحكم الانكليزي بالاتفاق مع الدولة العثمانية سنة ١٨٨٠ ومن مدنها نيقوسية او العقسية وهي في اواسط الجزيرة في سهل تحيط بهِ الجبال وكانت قبلاً كرسي ملوك قبرس ومدينة لارنيكة على ريف البحر في الجنوب الشرقي وهي مينا الجزيرة وبها قناصل الدول الغربية والى الجنوب منها على شط البحر ايضاً مدينة لياسول وهي من امهات مدن قبرس في عصرنا هذا .

ومن حواصل قبرس النحاس وحجر القتيلة والمصب الاحمر والكهرباء . وينبت فيها التوت والزيتون والصنوبر والسرو والآس والبوقيصا وشقائق النعمان والنرجس والخشخاش وانواع كثيرة من الثمار ويصحّ فيها القطن والحبوب وخمرها جيد مشهور وحريرها حسن. وفيها من اكثر الحيوانات والطيور الاهلية وعدّة من انواع الطيور البرية . وليس فيها من الحيوانات البرية الاّ الثعالب والارانب وحيّاتها كثيرة ومنها ما تكون لسعتها ردية قاتلة ويُصنع فيها اقمشة قطنية وطنافس ويُجلب منها كثيرٌ من الاطعمة الجبنيّة ونحوها . وقد اكتشف في محلات شتى منها عن آثار قديمة منها من عصر الفينيقيين الذين استملكوا الجزيرة كما يتضح من الكتابة الفينيقية عليها ومنها من عصر اليونانيين والرومانيين ويوجد فيها ايضًا المُغل وهو الشاة البري ولكنهُ نادر

القسم الثاني

من الاملاك العثمانية في اسيا وهو ارمينية اي بلاد الارمن

هذا القسم يحدهُ من الشمال البحر الاسود وكرجستان . ومن الشرق كرجستان ايضًا وجزء من بلاد العجم . ومن الجنوب كردستان والجزيرة . ومن الغرب اسيا الصغرى . اما مملكة ارمينية القديمة فكانت اكثر اتساعًا من ذلك لكن أُضيف جانبٌ منها الى المملكة الرومانية قبل التاريخ المسيحي بمدةٍ وجيزة . ثم

استقلت بعد ذلك وبقيت على استقلالها حتى تملكتها الاتراك فاضيف جزء منها الى بلاد العجم . وهي مخترقة بجبال كثيرة شاهقة فان بين مدينة ارزروم ومدينة طرابزون خمس سلاسل متوازية . وفي جهتها الشرقية جبل اراراط الذي استقرت عليهِ سفينة نوح وهو في الحقيقة جبلان احدهما اكبر من الآخر . اما الاكبر فارتفاعهُ نحو ١٧٣٠٠ قدم وراسهُ في ٤٢´ ٣٩° عرض شمالي . و٥٥´ ٦١° طول شرقي . واما الاصغر فارتفاعهُ نحو ١٤٥٠٠ قدم . وهو في ٢٩´ ٣٩° عرض شمالي . و٣´ ٦٣° طول شرقي . والصغير الى جهة الجنوب الشرقي من الكبير وبينهما وادٍ عريض ارضهُ سهلة . وقد صعد الى راسهِ بعض السياح بمشقةٍ عظيمة . وجعل ابو اسحق الاصطخريُّ هذين الجبلين تابعين لبلاد اذربيجان وسماها الحرث والحُوَيرِث . قال فيها جبلٌ عظيمٌ يسمى الحرث لا يُرتقى اليهِ من صعوبتهِ وتعذُّر مسلكهِ والثلوج عليهِ دائمة ودونهُ جبلٌ اصغر منهُ يُسمى الحُوَيرِث انتهى . والاكبر يُرى من بُعدٍ على مسافةٍ طويلة وقال احد السياح انهُ رآهُ من مدينة دربند على بحر الخزر وهو على بعدِ منهُ نحو ٢٤٠ ميلاً . وعلى سفحهِ الشمالي آجامٌ واسعة يأوي اليها الخنزير البري والطيور وفيهِ كهوفٌ ومغائر كثيرة وهي مأوى للصوص من الاكراد

ومن انهر هذه البلاد نهر الفرات وهو مصطنعٌ من نهرين احدهما مخرجهُ بقرب مدينة ارزروم ويُسمَّى قره صو والثاني مخرجهُ

في الجبال الى الجنوب الغربي من اراراط ويُسمّى مراد صو. وهو يجري الى الجنوب الغربي ويلتقيان عند مدينة كبان ومن ثمّ يجريان غربًا بجنوبٍ الى مدينة درين. ومن هناك ينحرف النهر الى الجنوب آخذًا الى قرب ملطية وهو يفصل بين الجزيرة واسيا الصغرى. ونهر الرس ومخرجهُ في الجبال الى شمالي ارزروم. وهو يجري الى جهة الشرق مارًّا ببلاد كرجستان وقد تقدم ذكرهُ

وفي ارمينية عدة بُحَيرات اعظمها بحيرة وان على الحدود بين ارمينية وكردستان وتسمى ايضًا بحيرة ارجيش. طولها نحو ٢٠ ميلاً وعرضها بين ٩ اميال و١٢ ميلاً. وبحيرة نزوك الى شمالي بحيرة وان بينهما سلسلة جبال عالية

اما هواء هذه البلاد فبارد والثلج على بعض جبالها لا يزال دائمًا وهو احيانًا يقع في شهر حزيران وتموز ولكن الى ناحية الجنوب على حدود الجزيرة يكون الهواء معتدلاً. والمراعي هناك جيدة والمواشي كثيرة وفي تلك الارض تخصب الحبوب والجوز والتفاح وعلى شطوط الفرات يوجد الكرم والزيتون ومن معادنها الحديد والنحاس. اما سكان ارمينية فهم ارمن واتراك وتركمان وأكراد. والارمن هم السكان الاصليون وقد قبلوا الديانة المسيحية في القرن الرابع. ومن مدن ارمينية مدينة ارزروم ويقال لها ارزن الروم. وهي في سهل واسع يرتفع عن مساواة البحر نحو

٥٧٠٠ قدم واهلها نحو ٦٠٠٠٠ نفس وهي المسمّاة في بعض مؤلّفات العرب بمدينة قالي قلا. قال به ابو الفداء . ومنها المدينة المسماة بايازيد بقرب جبل اراراط وهي الى الشمال الغربي من حدود بلاد العجم نحو عشرة اميال واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس . ومدينة موش على الجانب الجنوبي من قره صو . وكذلك مدينة وان على الطرف الشرقي من بحيرة وان واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس

القسم الثالث

من الاملاك العثمانية في اسيا وهو كردستان

هذا القسم يحدّهُ شمالاً ارمينية . وشرقًا سلسلة جبال فاصلة بينهُ وبين بلاد العجم . وجنوبًا نهر الزاب الاصغر . وغربًا نهر دجلة . واكثر اهلها اكراد ونساطرة . وهولاء النساطرة اكثرهم في الجبال الى الشمال الشرقي من الموصل الى حدّ بحيرة أُرْمِيَة في بلاد العجم . ومن مدة سنين هجم عليهم الاكراد وقتلوا وسبوا خلقًا كثيرًا . والاكراد قبائل شتى تتولى عليهم اكابرهم فمما نكبوا النساطرة تلك النكبة ارسلت الدولة العثمانية جنودها فتغلّبت عليهم واخضعتهم لحكمها

ومن انهر هذه البلاد نهر خابور ومخرجهُ في الجبال بين مدينة بتليس وبحيرة وان وهو يجري الى الجنوب الغربي مارًّا على

بتليس وسِعِرْت ويصبُّ في نهر الدجلة على بعد ١٥ ميلاً من مدينة زاخو . ومنها الزاب الاعلى ومخرجهُ في الجبال على حد آذربيجان. ومجراهُ الى الجنوب وهو يصبُّ في الدجلة بقرب موضع يقال لهُ السنُّ . ويسمى ايضاً الزاب المجنون لحدَّتهِ وشدةِ جريانهِ. ومنها الزاب الاسفل او الاصغر . وهو يخرج من الجبال على حدود بلاد العجم ويجري الى جهة الجنوب الغربي ويصبُّ في الدجلة

اما تربة هذه البلاد فهي جيدة في الاودية والسهول التي بين الجبال . وتاتي باكثر انواع الحبوب والفواكه واكثر جبالها مكتسية بشجر البلوط الذي يُجنى منهُ العفص . وفقراء الاكراد يصنعون من ذلك البلوط خبزًا

ومن مدن كردستان مدينة بتليس او بدليس وهي الى غربي بحيرة وان بقرب ملتقى نهرين يتالف منهما نهر الخابور . وهي قديمة جدًّا وقد كانت مقرّ امراء الاكراد . وفيها من الناس نحو ١٢٠٠٠ نفس نصفهم ارمن ويجري فيها جداول كثيرة عليها قناطر . وهي في ٥٠′ ٤٢° طول شرقي و ٣٠′ ٣٧° عرض شمالي وبينها وبين بحيرة وان ٢٠ ميلاً

ومدينة سِعِرْت الى الجنوب الغربي من بتليس على مسافة نحو ٥٤ ميلاً وهي في سهلٍ يسقيهِ ماء الخابور الذي بينهُ وبينها مسافة ميلين . واهل هذه المدينة نحو ٣٠٠٠ نفس من اكراد

وارمن ويعقوبية ونساطرة وعرضها ٣٨° شمالي وطولها ٤٠ ´٤٣° شرقي وبالقرب منها كثيرٌ من الرمان والتين والكرم وكلهُ يُسقى بماء المطر. ومدينة زاكو على جزيرةٍ في الخابور تبلغ مسافتها ١٥ ميلاً من مصبهِ في الدجلة والاراضي حولها مخصبة كثيرة الفواكه

ومدينة عمادية الى الشمال الشرقي من الموصل على ثلاث مراحل. وهي ذات قلعةٍ تحتها مياهٌ جارية وبساتين واكثر سكانها الآن يهود ونساطرة. وهي في عرض شمالي ٣٩ ´٢٧ ´٣٦° وارتفاعها فوق مساواة البحر نحو ٤٦٦٥ قدماً واكثر بيوتها مهدّمة واسواقها خَرِبَة. والى الشمال الشرقي منها في احد الاودية الداخلة الى وادي الزاب الاكبر مدينة جمار ويقال لها جُولاَمِرك وهي كرسيٌّ بطريرك النساطرة

القسم الرابع

من الاملاك العثمانية في اسيا وهو الجزيرة

تنقسم الاراضي التي بين الفرات ودجلة الى قسمين احدهما جنوبيٌّ وهو المسمى بالعراق العربيّ والآخر شماليٌّ وهو الجزيرة وهي تحدُّ شمالاً بارمينية وشرقاً بكردستان وجنوباً بالعراق العربي وغرباً بآسيا الصغرى وسوريا وبادية الشام. وهي في التوراة تُدعى ما بين النهرين قيل انهُ بعد سيل العَرِم رحل ثلاث من قبائل العرب من اليمن وهي ربيعة وبكر ومضر وسكنت في شمالي ما بين

النهرين . ولم تزل تلك النواحي تُسمَّى ديار بكر وديار ربيعة وديار مضر . واكثر هذه البلاد سهلة غير ان في الشمال الشرقي منها سلسلة جبل سنجار وطولها نحو ٥٠ ميلاً من الشمال الغربي الى الجنوب الشرقي . وهي ترتفع فوق السهل المحيط بها نحو ٢٠٠٠ قدم وسكانها يزيدية وهم قومٌ يعبدون روح الشرّ وعندهم المعمودية والختان كلاهما ويعتقدون بالتناسخ ويسجدون للشمس الطالعة ثلاث ركعات عند اول ظهورها فوق الافق . ومن انهر هذا القسم الفرات ودجلة والخابور وهو غير المذكور انفًا . وهذا الخابور نهرٌ مخرجهُ بقرب مكانٍ يسمى راس عين ويقال له عين وردة ايضًا . قال ابن حوقل راس عين في مستوٍ من الارض ويخرج منها فوق ثلاث مئة عينٍ كلها صافية ومن هذه الاعين يجتمع نهر الخابور . وهي اول مدن ديار ربيعة وموقعها على مسيرة يومين من حرّان انتهى . وقيل هي من ديار بكر قال الشيخ صفيّ الدين الحليّ وهو من الحلة المجاورة لتلك الديار

هَوًى يتمادني بديار بكرٍ وآخرُ نحو ارض الجامعَينِ
ساسرع نحو راس العين خطوًا واقصدها على راسي وعيني

* والخابور هذا يجري الى الجنوب الشرقي ثم الى الجنوب الغربي ويصبُّ في الفرات بقربِ مدينة قرقيسيا وعلى جانبيهِ اشجارٌ كثيرة وقد اشار الى ذلك قول الخارجية في رثاء ابن طريف

ايا شجر الخابور ما لك مورقًا كأنك لم تجزع على ابن طريف

اما تربة هذه البلاد فجيدة في الغاية ولا سيما في ما يجاور انهارها . ولا يلزمها غير العناية بها حتى تعود الى ما كانت عليه قديمًا من الخصب والعمار . واما هواؤها فليس بجيد لتسلط ريح السموم عليها . ويوجد في بواديها وصحاريها الاسد ونوع من السباع غير معهود في ما سواها . وفيها ايضًا حمار الوحش والغزال والنعام . وفيها من الشجر السرو والصفصاف والقراصية والبرتوكال والليمون والتوت والتمر الهندي . وينبت فيها الافسنتين بكثرة حتى يغطي مسافات كبيرة من الارض . ويصعب السفر في هذه البلاد لطول مفاوزها وقلة مائها في بعض الاماكن . وقد تقطعها القوافل من البصرة الى حلب وذلك مسافة نحو ٨٠٠ ميل ولكنها تلازم شطوط الفرات على قدر الامكان . واهلها اكراد ويعاقبة ونساطرة وارمن واتراك ويزيدية وعرب . وهولاء العرب منهم بادية وهم اصحاب خيل وغنم وجمال ومنهم حاضرة متصلون بالقرى وهم اصحاب خيل وغنم والجمال عندهم اقل من جمال البادية . ومنهم قبيلة بني ملان بين الرها وماردين فيها نحو ٢٠٠٠ فارس . وقبيلة بني ايوب وهي نحو ٨٠٠٠ بيت . والى جنوب الموصل العرب الطائية وهي قبيلة حاتم بن عبد الله الطائيّ المشهور بالكرم وأوس بن حبيب المعروف بابي تمّام

الطائي المشهور بالشعر وهم من بقايا بني مُضَر كما يُظَنُّ بالآخرين انهم من بقايا بكر وربيعة

اما مدن الجزيرة فمنها سروج وهي على مسافة يوم عن البيرة في جهة الشرق والشمال عنها . واليها يُنسب ابو زيد السروجي الذي بنى الشيخ الحريري مقاماتهِ عليهِ . وكانت كثيرة المياه والبساتين والفواكه لكنها الآن لا تستحقّ الذكر . ومدينة الرها ويقال لها أُرفا ايضًا وليست هي اور الكلدانيين مسكن ابرهيم الخليل قبلما دعاهُ الله ليخرج من ارضهِ وقبيلتهِ (انظر سفر التكوين ١١:٢٨ انما اور هي المساة اليوم ام قير على الفرات بقرب اتصالهِ بدجلة كما يتضح من كتابات قد وُجدت فيها في الحرف البابلي القديم) وهي مدينة عظيمة ذات مياهٍ عذبةٍ غزيرة تخرج من عينٍ في الجنوب الغربي من المدينة وتصبُّ في بحيرةٍ صغيرة يقال لها بركة ابرهيم . وعلى جانبها جامع ابرهيم الخليل وهو حسنٌ جدًّا ولهُ ثلاث قباب متساوية وحولهُ كثيرٌ من شجر السرو . ومحيط المدينة ما بين ثلاثة واربعة اميال . وبناؤُها جيدٌ متين واسواقها ضيقة كثيرة البضائع نظيفة ويوجد فيها شيءٌ كثير من الفواكه وانواع الاطعمة . واهلها نحو ٢٠٠٠٠ نفس منهم نحو ٣٠٠٠ نفس من الارمن واليعاقبة والباقي من المسلمين . وقد كانت كرسي الاسقف يعقوب براديوس الذي احيا طائفةً من النصارى كانت تعتقد بان للمسيح طبيعة واحدة فقط وكانت قد كادت تتلاشى

فانتسبت اليهِ وتسمّت الطائفة اليعقوبيّة منهُ لامن يعقوب الرسول كما يدّعون . والى جهة الجنوب من الرها على بُعد ٨ ساعات مدينة حرّان التي انتقل اليها ابو ابرهيم بعد انطلاقهِ من اور الكلدانيين كما ذُكر في سفر التكوين (ص ١١) وهي الآن خراب. قالَ ابو الفداء وحَرّان مدينة مشهورة تُعَدّ من ديار مُضَر قال ابن حوقل وهي مدينة الصابئين وبها سَدَنتهم السبعة عشر (اي خدام هياكلهم) وفيها تلّ عليهِ مُصَلّى للصابئين يعظمون قدرهُ ويُنسَب الى ابرهيم انتهى . وكان للصابئين فيها هيكلٌ على اسم هرمس. ولم تزل خرابة هيكل من هياكلهم باقيةً الى الآن . وبالقرب منها مدينة الرقّة ويقال لها ايضًا البيضاء وكانت قاعدة ديار مضر. واليها ينسب الامام البيضاويُّ صاحب تفسير القرآن. وقد يقال لها الرافقة ايضًا . اما مدينة راس عين فقد تقدم ذكرها . واما مدينة ماردين فهي الى جهة الشرق من الرها على راس جبل ماردين . ويُصعَد اليها بدَرَجٍ منقورٍ في الصخر على طول نحو ميلين . واهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس منهم نصارى ومنهم مسلمون وبعضهم عبدة الشمس والنار . وعلى سطح جبل ماردين قرية مار ايليا وهم يزعمون ان ايليا النبي صعد الى السماء من هناك

والرَحَبة وهي على غربي الفرات بقرب موقع رحبة مالك بن طوق وهو من قوّاد الرشيد العبّاسي . وفي موقع الرحبة القديمة

اثار من المواذن الشاهقة وغيرها . والحديثة على نحو فرسخ من الفرات وهي محط القوافل من العراق والشام وهي من ديار بكر

ومدينة قرقيسا على الفرات والخابور وقد سبق ذكرها وهي مدينة هند بنت الريّان التي قتلت جذيمة الابرش وتعد من ديار مضر . اما مدينة دارة فهي في لحف جبل ماردين وهي التي اراد الشاعر بقوله

ولقد قلتُ لرحلي بين حرّان ودارا .
اصبري يارحل حتى يرزق الله حمــــارا

وبالقرب منها قبور كثيرة منقورة في الصخر على جانب الجبل وعلى بعضها كتابة باليونانية لا تقرأ لانها قد كادت تنمحي . ودارا ايضًا اسم لوادٍ في بلاد بني عامر . ودارات العرب كثيرة ذكر ياقوت في المشترك فوق الاربعين منها وانهاها الفيروزابادي الى ما فوق المئة . وقد ألّف الشيخ ابو الحسين احمد بن فارس كتابًا في المواضع المعروفة بهذا الاسم وهو ايضًا دارة بالتاء المربوطة

ومدينة ديار بكر وهي مبنية بحجارةٍ سوداء ولذلك تسميها الاتراك قره اميد . ومحيطها نحو ثلاثة اميال ولها قلعة مشرفة على

دجلة . واهلها ارمن واتراك ويعقوبية ونساطرة . وتصنع فيها انسجة الحرير والقطن . والدجلة هناك نهرٌ صغيرٌ يُقطَع بدون جسرٍ ما لم يكن قد اجتمعت اليهِ مياه المطر . وطول هذه المدينة ٣٩°٥٢′ شرقي وعرضها ٣٧°٥٥′ شمالي . وهي على بعد ١٨ ساعة من ماردين

ومدينة نصيبين وهي الى الجنوب الشرقي من دارا على نحو ١٨ ميلاً . قال ابو اسحق الاصطخري هي مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخصب والخيرات الآن فيها عقارب شديدة الضرر قتالة كبيرة جدًّا . وهي ايضًا وبائية كثيرة العلل ومنها يُجلَب الورد الى الآفاق انتهى . وهي من ديار ربيعة مختصة بالورد الابيض ولا توجد فيها وردة حمراء . وفوقها جبل الجودي قيل ان سفينة نوح استقرت عليهِ . والى جانبهِ قرية تسمّى ثمانين ومن الجبل يجري نهرٌ على سور نصيبين يقال لهُ الهرماس وهو يصبُّ في نهرٍ اخر ينتهي الى الخابور

ومدينة الموصل وهي قاعدة ديار الجزيرة وموقعها على الجانب الغربي من دجلة . واهلها يبلغون نحو ٤٠٠٠٠ نفس . ومقابلها على الجانب الشرقي من دجلة موقع مدينة نينوى التي ارسل الله اليها يونان النبي وقد انكشف هناك عن اثارٍ قديمة من ابنية وصور ونقش بعد الحفر في التلال والروابي الموجودة في تلك النواحي

وجزيرة ابن عُمَر وهي مدينة صغيرة على غربي دجلة والنهر محيط بها مثل الهلال . وموقعها على ناحية الشمال الغربي من الموصل . قال ياقوت في المشترك ويُنسَب اليها طائفةٌ كبيرةٌ من اهل العلم منهم بنو الاثير وهم المبارك صاحب كتاب جامع الاصول في احاديث الرسول ونصرالله صاحب الانشاء والبلاغة وعليٌّ صاحب التاريخ فيقال لكل واحدٍ منهم الجزَرِيُّ نسبةً الى هذه الجزيرة . وعانة وهي بلدةٌ صغيرة على جزيرة في وسط الفرات غير بعيدة من موقع بابل القديمة وهي موصوفة بجودة الخمر قال الشاعر

أَمن بابلٍ ام من لواحظك السِحرُ
ومن عانةٍ ام من مراشفك الخمرُ
وهل ما اراهُ الموت امِ حادث النوى
وهل هُوَ شوقٌ بين جنبيَّ ام جمرُ

والسوازيج وهي بين إربِل وتكريت واليها ينسب بعض العلماء . والسنُّ وهي على دجلة بقرب مصبّ الراب الاصغر فيها وقد تقدم ذكرها . وتِكريت وهي آخر مدن الجزيرة مما يلي العراق . وموقعها على غربي دجلة بمسافة ستة ايام من الموصل . وفي جنوبيها تُرعةٌ تُسمَّى النهر الاسحاقيَّ وهي اول حدّ سواد العراق

وقيل ان تكريت هذه سميت بتكريت بنت وائل اخت بكر بن وائل . وكان فيها قلعة بناها سابور بن اردشير بن بابك وهي الآن خرابٌ

القسم الخامس

من الاملاك العثمانية في اسيا وهو العراق

قال ابو الفداء انما سمي عراقًا لانهُ سفل عن نجد ودنا من البحر اخذًا من عراق القربة وهو الخرز الذي من اسفلها والعراق على ضفتي دجلة مثلما بلاد مصر على ضفتي النيل انتهى . ويحد العراق شمالاً الجزيرة وكردستان . وشرقًا بلاد العجم . وجنوبًا خليج العجم المسمَّى ايضًا بحر فارس والبادية . وغربًا البادية . واول العراق شمالاً عند خطٍ مفروضٍ من فلوجة على الفرات بقرب الانبار الى بغداد ومن ثمَّ على شرقيّ دجلة الى مصبّ الزاب الاصغر فيها . ويفصل بينهُ وبين بلاد فارس سلسلة جبال خوزستان الممتدة جنوبًا من جبال كردستان ويتبعها جزءٌ من الاراضي الواقعة على الجنوب الغربي من الفرات وهو المسمى قديمًا ارض الكلدانيين . والجزء الواقع بين الفرات ودجلة هو مملكة بابل القديمة . وكان يخترق ارض العراق عدة ترع وانهر بين الفرات ودجلة وتسقي السهول والاباطح . منها نهر عيسى نسبةً الى

عيسى بن عبدالله العباسي مخرجهُ من الفرات بقرب الانبار مقابل الكوفة ومصبهُ في دجلة في وسط بغداد . ونهر صرصر الى جنوبي نهر عيسى . ونهر مالكة الى جنوبي نهر صرصر وكلها واصلة بين الفرات ودجلة وبعضها مردوم . واما شط الحية فهو مجرى طبيعي يصل بين دجلة والفرات اولهُ عند قرية عمارة على دجلة . واما شط الواسط فهو الى شرقي شط الحية ويقال لهُ شط ابرهيم ايضاً وهو الآن مردوم

ومن مدن العراق مدينة بغداذ . قال ابو الفداء انما سميت بذلك لان كسرى أُهدِي اليهِ خصيٌ من المشرق فاقطعهُ اياها وكان لهم صنمٌ يعبدونهُ في المشرق يقال لهُ البغ فقال ذلك الخصيُّ بغ داذ اي اعطاني الصنم . والفقهاء يكرهون هذا الاسم من اجل هذا . وسمَّاها المنصور مدينة السلام لان دجلة كان يقال لهُ وادي السلام ولذلك يقال لهُ نهر السلام ايضاً قال وكان ابن المبارك يقول لا يقال بغداذ بالذال المعجمة فان بغ صنم وداذ عطية وانما يقال بغداد بالمهملتين وبغدان ايضاً . وقال بعضهم ان بغ بالعجمية بستان وداذ اسم رجل يعني بستان داذ انتهى . وهي على جانبي دجلة في عرض شمالي ٣٣°١٩′٤٠″ وطول شرقي ٤٤°٤٥′٤٥″ . قيل ان الجانب الغربي يسمى الكرخ وهو الذي يقول فيهِ ابن زُرَيق البغداذي

استودع الله في بغداذ لي قمرًا
بالكرخ من فلك الازرار مطلعهُ

وبهِ كان سكنى ابي جعفر المنصور . ولما بنى بغداذ لُقِّبت بالزوراء
لانهُ جعل ابواب المدينة الداخلة مزورَّة عن الابواب الخارجة .
قال الشيخ عُمَر بن الفارض

أَرَجُ النسيم سرى من الزوراء سَحَرًا فاحيا ميّت الاحياء

قال ياقوت في المشترك والزوراء اسمٌ لدجلة ببغداذ
سميت بذلك لميلها وانعراجها انتهى . ويُسمَّى الجانب الشرقيُّ
منها بالرصافة سمَّاهُ بذلك هرون الرشيد وكان قد بنى فيهِ
قصرًا لهُ وكانت الرصافة يومئذٍ ذات بهجةٍ عظيمة وفيها يقول
عليُّ بن الجهم

عيون المَهَى بين الرصافة والجسرِ
جَلَبْنَ الهوى من حيث ادري ولا ادري

وما زالت الرصافة كذلك في عصر الخلفاء العباسيين حتى
انقرضت دولتهم فانحطَّت عن عظمتها القديمة . والمدينة ذات
سورٍ وبناؤُها من الخزف المعروف بالقرميد . واهلها في ايام
الصيف يسكنون سراديب تحت الارض في النهار لشدة الحر
ويرقدون ليلاً على السطوح. وفيها بقايا من دور الخلفاء وقصورهم
التي منها قصر زُبَيدة بنت جعفر ابن المنصور العباسي زوجة

الرشيد. وكثيرٌ من الجوامع والخانات والحمامات. واهلها يبلغون نحو ٦٠٠٠٠ نفس. وكانت معدن العلماء والشعراء والفقهاء والمشاهير في كل علمٍ وفنٍّ ومن احدثهم عهدًا العالم العلّامة الشيخ عبد الباقي افندي العُمَريّ نسبةً الى الامام عُمَر بن الخطاب والى ذلك اشار الشيخ ناصيف اليازجي اللبناني في قصيدتهِ التي يقول في مطلعها

بين قلب المُحبّ والاحداقِ   كلُّ حربٍ قامت على كل ساقِ

الى ان يقول

وتركتُ القريضَ بالشام حتى   ساقني نحوهُ امام العراقِ
علَمٌ ينتمي الى عُمَر الفا   روق في نسبةٍ وفي اخلاقِ

وقال منها ايضًا

لم اكن شاعرًا فصرتُ بتقريظٍ   اتاني كالطوق في الاعناقِ
ان ذاكَ القليلَ غيرُ قليلٍ   من امام القريض عبد الباقي

واليهِ اشار المعلم بطرس كرامة الحمصيّ في قصيدتهِ التي اولها

لاقِ المدامةَ بالمسرّة لاقِ   واقرن مع الصهبا رضابَ الساقي

الى ان يقول

غنّى العراقَ وقد عرضْتُ بهِ الصبا
فغدوْتُ اصبو نحو كلّ عراقي

درٌّ بجيدكِ ام حبابكِ فلاثدا
من شعرهِ العمريُّ عبد الباقي

وهذا الشيخ هو الذي نظم القصيدة التي الذم لفظ الخال في قوافيها لداود باشا وزير بغداد قائلاً في مطلعها

الى الروم اصبو كلما اومض الخالُ
فاسكبُ دمعًا دون تسكابهِ الخالُ

ومنهم الشيخ عبد الحميد الموصلي والشيخ صالح التميميُّ الذي وقعت المناقشة بينهُ وبين المعلم بطرس كرامة وغيرهم من شعراء العصر

اما تجارة بغداذ فاكثرها في البضائع الهندية التي تُجلَب اليها من الهند وبنكالا وتتوزع في نجد وكردستان وسوريا والجزيرة . واهلها عرب وفُرس واتراك وهنود

ومن مدن العراق هِيْت على غربي الفرات فوق الانبار وهي من فُرَض الفرات . والحلّة على غربي الفرات ايضًا وهي مدينة الشيخ صفيّ الدين بن سرايا الحلّيّ صاحب الديوان المشهور في الشعر والمحبوكات الارتقية . وقيل انها مبنية من حجارة بابل القديمة وموقع بابل الى الشرق منها وهي الى الجنوب الغربي من بغداذ على نحو ٥٨ ميلاً . وهناك اثارٌ وتلال ورسوم كثيرة تدل على عظمة المدينة القديمة غير ان العلماء واهل السياحة اختلفوا

كثيرًا على حقيقة موقعها بالحصر ولم يعلموا يقينًا الاَّ انها كانت في تلك الناحية . والقادسية على حافة البادية وحافة سواد العراق . وكذلك الحيرة وكانت مدينة عظيمة ذات زروعٍ وانهار. وهي مقام الملوك اللخميين من آل النعمان بن المنذر. وبها تنصَّر المنذر بن امرء القيس وبنى بها الكنائس العظيمة واقام قصرًا سمَّاهُ الزوراء . واليهِ اشار النابغة الذبياني بقولهِ

وتُسقَى اذا ما شئتَ غيرَ مصرَّدٍ بزوراء في اكنافها المسك كارعُ

قيل ان تبعًا لما سار من اليمن الى خراسان وانتهى الى موضع الحيرة ليلاً فتحير ونزل وامر ببنائها فسميت الحيرة وهي الآن خراب . اما الكوفة فقد مصَّرها سعد بن ابي وقَّاص احد الصحابة في خلافة عمر بن الخطاب ونقل اليها اهل الحيرة . قيل هي على ذراعٍ من الفرات ولعلهُ هو المسمى بالخَوَرْنق قال ابو الفداء الخورنق نهرٌ بارض الكوفة وهو ايضًا قصرٌ بها انتهى. وقد لهجت شعراء العرب كثيرًا بذكر الخورنق كما قال ابو العتاهية

لهفي على الزمنِ القصيرِ بين الخورنق ِوالسديرِ

وقال الاسود بن يعفر

اهل الخورنق والسدير وبارقٍ
والقصرِ ذي الشرفات من سندادِ

وقال المخَّل اليشكري

ولقد شربتُ من المدا مة بالكبيرِ وبالصغيرِ
وإذا سكرتُ فانني ربّ الخورنق والسديرِ
وإذا صحوت فانني ربّ الشويهة والبعيرِ

وبين الكوفة والقادسية موضع وقعةٍ كانت بين العرب والفرس والى ذلك الاشارة في قوله

ويوم القادسيّة قد دعتنا الى تبديد شملهم دواعي

وبينها وبين واسط ذو قار وهو موضع كانت فيه وقعة عظيمة بين الفرس والعرب ايضًا وهي من اعظم وقائعهم وفيها يقول بُكير بن الاصمّ التغلبي

هم يومَ ذي قارٍ وقد حَمِسَ الوغى خلطوا لهاما جمعهم بلهام
ضربوا بني الاحرار يومَ لقوهمُ بالمشرفيّ على صميم الهامَ

والى الكوفة تُنسَب جماعةٌ من العلماء وكان اهلها ممن يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم وفي جوارها ... الحسين المعروف بالمشهد المشهور بالنجف وكان مواضع لاسم ... بالنجف ... وبالقرب منها مسجد عليّ و ... الحسين والبه يحجّ كثيرون من ... الفرس وغيرهم . وفي ... كراصي نشأت الطائفة ... المرتضى الذي منها ... ومن البابلية ... السرور

واما الانبار فهي على شرقي ... عيسى

وقد نسب اليها جماعة كثيرة في كل فنٍ وكان بها مقام السفّاح اول خلفاء بني العباس . واما عكبرى فهي بُلَيدة على دجلة فوق بغداذ . وبقربها قَطْرَبُل الى جهة بغداذ . وكانت مجمعًا للخلفاء ومألفًا لاهل القصف وفيها يقول محمد بن جعفر الحِليّ

يقولون ها قَطْرَبُلٌ فوق دجلةٍ
عدمتُكِ الفاظًا بغير معاني
اقلّب طرفي لاارى القصف دونها
ولا النحل بادٍ من قرى البَرَدانِ

وهي توصَف بجودة الخمر حتى صار يُنسب اليها قال ابو الطيّب المتنبي

بلادٌ اذا زار الحسانَ بغيرها
حصى تربها ثَقَّبْنَهُ للمخانقِ
سقتني بها القَطْرَبُليَّ مليحةٌ
على كاذبٍ من وعدها ضوءُ صادقِ

وقال ابو نواس الحكميُّ حكايةً عن الخمر

قَطْرَبُلٌ مربعي ولي بقرى الكرخ مصيفٌ وأُمّيَ العنبُ

وبقرب بغداذ الى الشمال منها موضعٌ كان يقال له سَرَّ من رَأَى فخففها الناس وقالوا سامِرّى وعلى ذلك قول ابي الطيب في كاتبٍ كان من اهلها عند سيف الدولة العدوي

أسامِرّيٌ ضحكة كل راء فطنتَ وكنت أغبى الاغبياء

. بناها المعتصم العبَّاسيُّ وهي الآنَ خرابٌ ليس فيها غير القليل من البناء العامر. والبَرَدان قرية اخرى كانت على شاطئ دجلة الشرقي . وصرصر على طريق الحج من بغداذ بالقرب منها. واما المدائن فعلى دجلة الى جنوبي بغداذ على بعد مرحلةٍ منها وسميت قديمًا طيسيفون وكان فيها بقايا ايوان كسرى قيل سعتهُ من ركنة الى ركنة ٩٥ ذراعًا وارتفاعهُ ٨٠ ذراعًا قال بذلك بعض القدماء . واما واسط فعلى مجرى دجلة القديم وهو الآنَ يَبَسٌ لا ماء فيهِ . وعند ملتقى الفرات ودجلة قلعةٌ اسمها قرنة . واما مدينة البصرة فعلى غربي النهر الحادث من التقاء الفرات ودجلة على بُعد ٧٠ ميلاً من مصبهِ في خليج العجم . قيل مصِّرت في ايام عُمر بن الخطَّاب قبل الكوفة بعامٍ واحد . وكان يقال للبصرة والكوفة العراقان . واهلها الآنَ نحو ٥٠٠٠٠ نفس . وفيها كثيرٌ من النخل ويؤْتى اليها بالخيل من جميع نواحي بلاد العرب. وكانت نظير الكوفة في صحة العربية وثقتها إلاَّ انَّ اهلها كانوا يخالفونَ الكوفيين في كثيرٍ من المسائل اللغوية لكن قال بعض الفضلاء حيثما وُجِد خلافٌ بينهم فمذهب البصريين اصحُّ من جهة اللفظ ومذهب الكوفيين اصحُّ من جهة المعنى . والى البصرة يُنسَب جماعةٌ من اهل الادب منهم الشيخ الحريريُّ صاحب

المقامات المشهورة . والى جنوبيّ البصرة جبلٌ يقال لهُ السنام . وفي الجنوب الغربي منها وادٍ يقال لهُ واديّ النساء لان النساء يخرجن اليهِ ويجتنين منهُ الكما . وفيها مكانٌ عظيمٌ من جهة البرية يقال لهُ مربد البصرة كانت العرب تجتمع اليهِ من الاقطار فكانوا يتناشدون الاشعار ويبيعون ويشترون كما يفعلون بسوق عكاظ . وبقرب البصرة الى الغرب منها قرية أُبُلَّة وهي ذات مياهٍ وبساتين تُسقَى من شعبةٍ تاتيها من الفرات ويرتفع ماؤُها بالمدّ حتى تتغطَّى بها البساتين والنخيل ثم ينحطُّ بالجزر فينكشف عنها . وتحت البصرةِ ينشق النهر الى مجرَيين كبيرين عند مكانٍ يُسمَّى المحمَّرة ويصبّان في راس خليج العجم . وبين بغداذ وواسط بلدةٌ يقال لها جَبُّل ينسب اليها خلقٌ كثير منهم ابو الخطَّاب الشاعر الجَبُّليّ كان بينهُ وبين الشيخ ابي العلاء المعرّي مشاعرةٌ وفيهِ قال المعرّيُّ قصيدتهُ المشهورة التي اولها

غيرُ مُجدٍ في ملّتي واعتقادي   نوح باكٍ ولا ترنُّم شادِ

القسم السادس

من الاملاك العثمانية في اسيا وهو برُّ الشام

هذا القسم يحدُّهُ شمالاً آسيا الصغرى . وشرقًا الفرات والبادية. وجنوبًا جزءٌ من بلاد العرب ويقال لهُ تيه بني اسرائيل . وغربًا

بحر الروم . وكان قديمًا مقسومًا الى قسمين سوريا وفلسطين ولكن أُطلِق اسم "سوريا على الاثنين منذ اضافتها الى المملكة الرومانية قبل التاريخ المسيحي بمدةٍ يسيرة. وأُطلِق عليهما اسم الشام منذ افتتاحها من العرب المسلمين في اثناء سنة ٦٣٣ للمسيح وهذه التسمية اوجه" .قال ابو الفداء وإنما سمي شامًا لان قومًا من بني كنعان تشاءموا اليهِ اي تياسروا لأنهُ عن يسار الكعبة . وقيل سمي شامًا بسام بن نوح واسمهُ بالسريانية والعبرانية شام . وقيل سمي شامًا لبقعٍ فيهِ بيض وحمر وسود تشبيهًا لها بالشامات وهي تجمع ايضًا على شام كما تجمع الهامة على هام انتهى . وفي الكلام على هذه البلاد نقسمها الى اربعة اجناد الاول حلب والثاني دمشق والثالث بيروت والرابع اورشليم اي القدس الشريف وذلك لسهولة الوصف . وقبل الشروع في ذكر هذه الاقسام مفصَّلاً نقول انهُ يخرقها من الشمال الى الجنوب سلاسل جبال منها جبل اللكَّام وهو الممتدُّ من جبل طورس في اسيا الصغرى جنوبًا في بر الشام . قال ابو اسحق الاصطخريُّ ويسمى اللكام الى ان يجاوز اللاذقية ثم يُسمَّى جبل بهراء وتنوخ الى حمص ثم يُسمَّى جبل لبنان انتهى . والحق ان جبل اللكام انما ينتهي عند مصبّ نهر العاصي الى جهة الشمال منهُ بقرب السويدية . وعلى جنوبي مصبّ نهر العاصي جبلٌ شامخ يقالُ لهُ الجبل الاقرع . ومن هناك تمتدُّ السلسلة جنوبًا الى وادي قلعة الحصن ودير الحُميراء

وهي جبال النُصَيرية . ومن ثمَّ يبتدئُ جبل لبنان الذي اعلى رؤوسهِ في مكانٍ فوق طرابلس يقال لهُ فم الميزاب ارتفاعهُ نحو ١١٠٠٠ قدم . وراس صَنّين اخفض منهُ قليلاً . وتنتهي هذه السلسلة في وادي الليطاني عند نواحي قلعة الشقيف التي اخذها من الافرنج الملك صلاح الدين الايوبي سنة ١١٩٠ مسيحية . ثم صارت ايضًا للافرنج باتفاقٍ بينهم وبين الملك اسمعيل . ثم استرجعها الملك الظاهر بيبرس بالقاء الفتنة بين اهلها سنة ١٢٦٨ ويقال لتلك الاراضي جبل عاملة . ومن هناك تمتدُّ السلسلة جنوبًا الى نواحي صَفَد والناصرة . ثم تنحرف شرقًا الى نواحي نابلس . والى جنوبي الناصرة سهلٌ واسعٌ يقال لهُ مرج ابن عامر فاصلٌ بين الجبال المذكورة وجبل الكرمل . وهذا السهل يُرسل قطعةً منهُ الى جهة طبرية والاردن . وفيهِ جبلٌ منفرد يقال لهُ جبل الطور ويزعم البعض انهُ جبل التجلّي وليس هو جبل التجلي . اما جبل الكرمل فاولهُ عند البحر بقرب حيفاء وتمتدُّ السلسلة الى الجنوب الشرقي حتى تلاقي جبال نابلس . ومن ثم تمتدُّ الى الجنوب حتى جبل الشَرَاة الى جنوبي بحيرة لوط

واما الجبل المعروف بالجبل الشرقي فاولهُ الى جنوبي حمص على نحو مرحلةٍ منها بين حَسياء وشمسين تجاه اخر جبال النصيرية . ومن هناك تمتدُّ السلسلة الى الجنوب الغربي . وبينها وبين جبل لبنان سهلٌ واسعٌ مخصبٌ يُسَمّى البقاع . واعلى رؤوس هذه

السلسلة جبل الشيخ فوق حاصبيا وارتفاعهُ نحو ١٠٠٠٠ قدم . وتمتدُّ منها شعبةٌ الى الجنوب الشرقي ثم الى الجنوب الصريح وتنتهي في موضعٍ يقال لهُ تلّ الفَرَس . وبينها وبين جبل الشيخ وادي التيم الاسفل . وهذه الشعبة تُسَمّى جبل حيش . والى جنوبيها في شرقي الاردن جبل عجلون . والى جنوبي هذا الجبل جبل جلعاد ويقال لهُ جبل الصَلْت . والى جنوبي هذا جبل البلقاء . والى جنوبيهِ جبال مواب او جبال قوم لوط الى شرقي بُحيرة لوط . ومن طرف هذه البحيرة الجنوبي موقع الغور وهو وادٍ بين سلسلتي جبل . واذا سافر احدٌ فيهِ جنوبًا اداهُ الى آيلة على راس خليج ممتد من البحر الاحمر

ومن انهر هذه البلاد نهر حلب مخرجهُ في الجبال بقرب عين تاب وهو يجري الى الجنوب مارًّا على حلب ويصبُّ في اجمة الى جنوبي المدينة المذكورة على نحو عشرين ميلاً ويقال لهُ نهر قُوَيق اضافةً الى قُوَيق اغا الذي اعتنى بهِ ورصف مسافةً من ارضهِ بالبلاط الحجريّ . ونهر العاصي ويقال لهُ الارنط مخرجهُ في موضعٍ الى جهة الشمال من بعلبك نحو ست ساعات ويقال لهُ نبع اللبوة وهو يجري الى جهة الشمال حتى يقرب من انطاكية. ثم ينحرف الى الجنوب الغربي ويمرُّ بين جبل اللكام والجبل الاقرع ويصبُّ في بحر الروم بقرب السويدية . وعليهِ زروع وبساتين وارحية ونواعير كثيرة . ونهر عفرين ونهر يغرا والنهر الاسود

مخارجها في شرقي جبل اللكام وهي تجري الى جهة الجنوب مائلةً الى الغرب وتصبُّ في بحيرة انطاكية واعظمها نهر عفرين وهو شرقيها والنهر الاسود غربيها والنهر الكبير مخرجهُ في جبال النصيرية وهو يجري الى الجنوب الغربي ويصبُّ في بحر الروم بقرب اللاذقية . والى جنوبيهِ نهر الصور . والى جنوبي هذا النهر ايضًا نهر الملك . والى جنوبيهِ نهر الحسين ثم النهر الكبير غير المذكور اولاً ثم نهر عكار ثم النهر البارد وكل هذه الانهر مخارجها في جبال النصيرية وتصب في بحر الروم

اما نهر ابي علي فمخرجهُ في جبل لبنان فوق بشرّي . وهو يجري الى الشمال الغربي ويصبُّ في بحر الروم عند مدينة طرابلس . واما نهر ابرهيم فمخرجهُ في جبل لبنان بقرب العاقورة ومجراهُ الى الجنوب الغربي ومصبهُ في بحر الروم الى الجنوب من مدينة جبيل . وعليهِ جسرٌ من قنطرةٍ واحدة هائلة في طولها وارتفاعها ليس لها نظيرٌ في قناطر هذه البلاد . قيل ان الامير ابرهيم احد امراء مَرَدة لبنان بنى هذا الجسر فنسب النهر اليهِ . واما نهر الكلب فمخرجهُ في جبل لبنان بقرب جعيتا من مغارةٍ هناك . وهو يجري الى الجنوب الغربي ويصبُّ في بحر الروم الى الجنوب من جونة كسروان . وكان عليهِ جسرٌ قديمٌ بناهُ الملك انطيوخوس قيصر بالقرب من شاطئ البحر فهدم بتراكم اشجارٍ عليهِ قد اقتلعها السيل واقام الامير بشير الشهابي جسرًا غيرهُ فوق

المكان الذي كان فيهِ سنة ١٢٣٤ للهجرة وهو ثابتٌ الى الآن .
ونهر بيروت مجتمعٌ من نهرين احدهما مخرجهُ من جبل لبنان بقرب ترشيش وكفر سلوان والآخر مخرجهُ بقرب فالوغا وحمّانا وهما يلتقيان في الوادي تحت دير القلعة ويجري النهر الى جهة الغرب ثم يرتدُّ الى الشمال ويصبُّ في خليج مار جرجس بقرب مدينة بيروت

اما نهر الدامور فهو مجتمعٌ من نهيراتٍ احدها نهر الغابون وهو يخرج من مكانٍ بقرب بحمدون والاخر نهر الصفا وهو يخرج من مكانٍ بقرب عين زحلتا ويضاف اليهِ ماء خارجٌ من كهفٍ هناك يقال لهُ نبع القاعة ويأتيها نهيرٌ آخر من وادي عين دارة فتلتقي هذه المياه عند جسر القاضي ويجري النهر منها الى الغرب مائلاً الى الجنوب ويصبُّ في بحر الروم بالقرب من معلّقة الدامور . وكان لهذا النهر جسرٌ متينٌ بناهُ الامير بشير الشهابي سنة ١٢٢٠ للهجرة ثم هُدِم والى الآن لم تزل حجارتهُ ملقاةً في مجراهُ قطعًا مشتبكة كالصخور العظيمة وفي سنة ١٨٦٩ و ١٨٧٠ بُني فوق هذا النهر جسر آخر حسن من الحديد بامر دولتلو داود باشا ودولتلو نصري فرانقو باشا متصرف جبل لبنان . واما نهر الاولي فمخرجهُ في جبل لبنان بقرب الباروك من مقاطعة العرقوب . وهو يجري الى الجنوب الغربي ثم يرتدُّ الى الغرب ويصبُّ في بحر الروم بقرب مدينة صيدا . وهو يسقي بساتينها

بترعةٍ منهُ واهلها يشربون من مائهِ

واما نهر الليطاني فمخرجهُ بقرب بعلبك وهو يجري في سهل البقاع حتى يتجاوزهُ فينفذ بين شعاب جبل لبنان وجبل الشيخ مارًّا تحت قلعة الشقيف ويصبُّ في بحر الروم بقرب مدينة صور وهو هناك يسمى نهر القاسمية . والنهر المقطَّع مخرجهُ في الجبال الى شرقي مرج ابن عامر وهو يجري الى الشمال الغربي ويصبُّ في بحر الروم بقرب حيفا . وهو الذي عليهِ قتل ايليا النبي انبياء بعل كما ذُكِر في سفر الملوك الثالث ١٨: ٤٠ . والنهر الاعوج مخرجهُ بقرب لُدّ وهو يجري الى الشمال ثم يرتدُّ الى الجنوب الغربي على تعاريج كثيرة ويصبُّ في بحر الروم الى الشمال من يافا

واما نهر بَرَدَى فمخرجهُ بقرب الزبداني . وهو يجري الى الجنوب الشرقي ثم تضاف اليهِ مياه عينٍ غزيرة يقال لها عين فيجة . وبعد ان يتشعَّب في غوطة دمشق وفي دورها وشوارعها يصبُّ في بُحيرة المرج . والنهر الاعوج غير المذكور آنفًا مخرجهُ من عينٍ دوريَّة بقرب منبج على السفح الشرقي من جبل الشيخ وهو يجري الى الشمال الشرقي ويصب في بحيرة المرج . واما نهر الاردنّ فهو مجتمعٌ من مياه عدة انهرٍ ونُهَيرات منها النهر الحاصباني مخرجهُ بقرب حاصبيا وهو يجري الى الجنوب ويصبُّ في بحيرة الحولة . ومياه بانياس وتلّ القاضي ايضًا تجري الى الحولة

وجميع هذه المياه تصبُّ من الحولة في بحيرة طبرية ومن هذه البحيرة يخرج الاردن ويجري الى الجنوب بتعاريج كثيرة ويصب في بحرة لوط وتاتيهِ نهيراتٌ كثيرة من الشرق والغرب اعظمها اليرموك والزرقاء . ويصب في بحرة لوط ايضًا النهر المجب آتيًا من الجبال التي تلي شرقيَّها

اما بحيرات بر الشام فمنها بحيرة انطاكية الى الشمال الشرقي من المدينة . وهي التي يصب فيها النهر الاسود ونهر يغرا ونهر عفرين كما تقدم ذكرهُ . ويصب في جنوبيها نُهيرٌ يسمى البراك جاريًا من نواحي الجبل الاعلى . وهذه البحيرة في ارض مستوية تُعرَف بالعمق . ويخرج منها نهرٌ يتصل بالعاصي بقرب جسرٍ يقال لهُ جسر الحديد . وبحيرة افاميا وهي الى ناحية الشمال الغربي من حماه مجتمعة من عدة آجامٍ وبحيرات . وربما كانت في الزمان القديم اعظم مما هي الآن . قال ابو الفداء يحيط بها القصب والصفصاف من كل جانبٍ وفي وسطها غابةٌ من القصب والبرديّ وبها من انواع الطيور مثل التَّمات مثلثة التاء والغُريرات والبجع والاصواغ والاوزّ والطيور التي تاكل الاسماك مثل البجلط والابيضانيات وغير ذلك من طيور الماء . وفي ايام الربيع ينبت فيها النيلوفر الاصفر حتى يغطي جميعها انتهى . وبحيرة حمص الى الجنوب الغربي من المدينة ويقال لها بحيرة قدس . وهي بمسافة ساعاتٍ عن حمص ويجوزها نهر العاصي وطولها نحو عشرة اميال

وعرضها نحو ستة . قيل اصطُنِعت هذه البحيرة بِسُدٍّ بُني على العاصي وكان على السدّ بروجٌ لم يبقَ منها الاّ واحدٌ يقال لهُ برج بلقيس . وفيها كثيرٌ من السمك ولاسيما الانكليس ويُؤْخذ منها العَلَق . وبحيرة المرج الى الجنوب الشرقي من دِمشق في طرف الغوطة وهي التي تنصبُّ اليها فضلة نهر بَرَدَى وغيرِهِ . والى جهة الشمال الشرقي من بانياس بحيرةٌ يقال لها بركة ران يوخذ منها شيءٌ كثيرٌ من العلق . وبحيرة الحولة وهي التي يصب فيها النهر الحاصباني ومياه بانياس ويخرج منها نهر الشريعة ويصب في بحيرة طبريَّة . وبحيرة طبرية اعظم بحيرات بر الشام وهي المسمّاة في الكتب المقدسة بحر الجليل وبحيرة جناشر وكنروث ويخرج من جنوبيها نهر الاردن وهي اوطى من سطح بحر الروم ٦٥٣ قدمًا

اما بحيرة لوط وهي التي يقال لها البحر الميت والبحيرة المنتنة وبحيرة زغر فهي التي يصب اليها نهر الاردن ويغور الماء فيها ولا يخرج منها شيءٌ من الانهر بل هي مفرغةٌ لتلك المياه العظيمة التي تجري اليها من كل ناحيةٍ . ومياهها مرّةٌ جدًّا ثقيلةٌ يعوم عليها ما يغرق في غيرها. وطولها نحو خمسين ميلاً وعرضها نحو عشرة اميال . ويُظَنُّ انها تغطي ارض سدوم وعمورة وصبوييم المدن التي انقلبت بنارٍ وكبريت كما ذُكِر في سفر التكوين ص ١٩ وسطحها اوطى من سطح بحر الروم ١٣١٧ قدمًا

اما هواء بر الشام فمختلفٌ باختلاف المواقع فان السواحل

البحرية حارة رطبة وبعض الاماكن فيها وبائية مثل اسكندرونة التي تكثر فيها الحُمّيات الردية لفساد هوائها من ابخرةٍ تتصاعد من أَجَمَةٍ واسعة في جوارها . وحيثما يكثر الماء في فصل الصيف كما في طرابلس وراس العين تكثر الامراض هناك . اما الجبال فهواؤُها جيدٌ مقوٍّ للابدان ولا يشتدُّ فيها البرد في الشتاء غير انهُ يبقى الثلج في بعض الاودية من رؤُوس جبل لبنان وجبل الشيخ من سنةٍ الى سنة . ولا يشتدُّ فيها حرُّ الصيف . واما السهول التي في داخل البلاد فهي حسنة الهواء في الربيع والخريف ويشتد فيها البرد في الشتاء والحرُّ في الصيف ويتسلط عليها احيانًا رياحٌ حارة من جهة البادية ولكن يقال في هواء البلاد على الاطلاق انهُ حسنٌ جيد

ومن حيوانات الشام الجمل والجاموس والغزال والثعلب وابن آوى والضبع ونوعٌ من النمورة والدبُّ في بعض الجبال كجبل صنّين وجبل الشيخ والخنزير البرّي في جبل الريحان وما يليهِ . وفيها انواعٌ من الطيور الاهلية والبرية توجد كثيرًا . وفي بعض السنين يسطو عليها الجراد وفي بعض الاحيان يسطو على الجراد طائرٌ صغيرٌ يقال لهُ السمرمر فيهلكهُ

اما اهل البلاد فمن اصولٍ مختلفة ويعسر الحاق طائفةٍ منهم بالسكان الاولين . وكانت هذه البلاد قديمًا بلاد الكنعانيين وغيرهم من نسل حام بن نوح . وسكن نسل سام في نواحيها ثم

اتاها بنو اسرائيل وطردوا الكنعانيين من ارض فلسطين وبعد ذلك تسلط عليها ملوك اشور ثم ملوك بابل ثم ملوك مادي وفارس ثم ملوك مصر ثم استقلّت مدةً من الزمان ثم أُضيفت الى مملكة مكدونية ثم الى المملكة الرومانية ثم استفتحها العرب في اثناء سنة ٦٢٣ للمسيح. وبعد ذلك تملكت عليها التتر والاتراك العثمانية وصارت سكانها من تواتر تقلبات الدول ممتزجة من اجناسٍ كثيرة . وهم باعتبار الاصول والمذاهب الدينية اثنتا عشرة طائفةً وهم مسلمون ومتاولة ودروز ونصيرية واسماعيلية وروم وپروتستانت وموارنة وسريان وارمن ويهود وسامرة . اما المسلمون منهم فعربٌ واتراك . والعرب دخلوا البلاد في وقت استفتاحهم اياها سنة ٦٢٣ الى ما يليها واستوطنوا وتملكوا في جميع اطرافها وغلبت اللغة العربية على اللغة السريانية التي كانت لغة البلاد قبل ذلك . واما الاتراك فنوعان عثمانية وتركمان وكلا الفريقين في الاصل تترٌ جاءوا من بلاد التتر وشمالي بحر الخزر . والتتر منهم حضَرٌ ومنهم مدَرٌ ويقال لهم رُحَّلٌ ايضًا . قيل ان التتر الرحّل نزلوا على خراسان وخطفوا نساء تلك البلاد فنتج من ذلك جنسٌ يسمّى عند الفرس تركمان اي شبيه بالاتراك . واسم الترك ماخوذٌ من تُرك وهو من نسل يافث بن نوح

واما الاتراك العثمانية فقد تقدم ذكرهم في الكلام عن اسيا الصغرى . واما المتاولة ويقال لهم الشيعة فالظاهر من اعتقادهم

وهيئاتهم انهم من اصل فارسي . واما النصيرية فزعم البعض انهم بقايا الكنعانيين والحثيين القدماء اختلطوا بجميع الاجناس التي استولت على بلادهم منذ القديم وزعم آخرون انهم فروع من القرامطة الذين نشأوا في اراضي الكوفة من العراق العربي . وهذا اللقب ماخوذ من حمدان بن قرمط الذي كان يُلقّب بصاحب الخال والمُدثر والمطوّق ظهر في اثناء سنة ٢٦٤ للهجرة وسُمّي تعليمهُ علم الباطن فسُمّيت طائفتهُ الطائفة الباطنيّة. وارسل دُعاةً الى اماكن كثيرة فكثرت اصحابهُ جدًّا وقام من هذه الطائفة رجلٌ يقال لهُ نُصَير النمريُّ وكان شيخًا كثير الصلوات والاصوام معدودًا عندهم من الاولياء . فاختار من اصحابهِ اثني عشر رسولاً ينذرون بتعليمهِ . ولما شاع امرهُ قبض عليهِ الوالي والقاهُ في السجن وكان للسجّان جاريةٌ اخذتها الشفقة على الشيخ حتى سكر السجان ذات يومٍ واستغرق في نومهِ ففتحت السجن واطلقت الشيخ ثم ردّت المفاتيح الى مكانها . فلما استيقظ السجان راى ان الشيخ قد هرب ولم يجد علامةً لفتح السجن فزعم ان ملاكًا اطلقهُ واذاع هذا الخبر لكي ينجو من غضب الوالي وبلغ الشيخ ايضًا فكان يؤكدهُ للناس ويزداد اجتهادًا في اذاعة تعاليمهِ وكتب كتابًا يقول فيهِ انا فلان الذي يُظَنُّ بهِ انهُ ابن عثمان رايت المسيح الذي هو كلمة الله وهو احمد بن محمد بن حنفيّة من ولد عليّ وهو ايضًا جبرائيل الملاك فقال لي انت القاري انت الصادق

انت الجمل الحافظ الغضب على الكافرين . انت البقر الحامل خطايا المومنين . انت الروح . انت يوحنا بن زكريا . فعلّم الناس ان يعملوا في صلواتهم اربع ركعات اثنتين قبل شروق الشمس واثنتين قبل غروبها متجهين الى جهة اورشليم الى اخره. قيل انطلق هذا الرجل من ارض الكوفة الى بر الشام واذاع تعاليمهُ هناك بين الناس الساذجين واخيرًا اختفى ولم يُسمَع عنهُ بعد ذلك. قال ابو الفداء عن ابن سعيد ان النصيرية منسوبون الى نُصَير مولى علي بن ابي طالب . ويزعمون ان عليًّا وقفت لهُ الشمس كما وقفت ليشوع بن نون وكلمتهُ الجمجمة كما كلمت المسيح عيسى بن مريم وانحلوا فيهِ الالهيّة انتهى . فالنصيريّة على ذلك فرعٌ من القرامطة اي من الطائفة الباطنيّة

ومن الطائفة الباطنية ايضًا الاسماعيلية . قويت منهم دولةٌ في العراق العجميّ وكان عليها ثمانية ملوك ملكوا في تلك البلاد مدة احدى وسبعين سنة . والفرس يسمونهم اشياخ الجبل والمسلمون يسمونهم ملاحدة لفساد تعاليمهم . وفي نفس ذلك الوقت وجد قومٌ من هذه الطائفة في بر الشام . وقويت منهم دولةٌ اخرى في مصر وهناك تسمت الدولة الفاطمية نسبةً الى فاطمة الزهراء زوجة علي بن ابي طالب . فالباطنية والقرامطة والاسماعيلية والفاطمية والرافضية في الحقيقة طائفة واحدة او فروع طائفة واحدة اعتقدت بوجود شيء من الالوهية في علي بن ابي

طالب والائمة من نسلهِ وهم اثنا عشر اساسًا لا حاجة الى ذكر اسمائهم هنا

وكان الخليفة السادس من الدولة الفاطمية في مصر هو الحاكم بامر الله ابوعلي المنصور بن العزيز بالله وكان اول ملكهِ سنة ٣٨٦ للهجرة وعمرهُ يومئذٍ احدى عشرة سنة . وكان تارةً يتظاهر بغيرةٍ شديدةٍ على دين الاسلام وتارةً يقتل المسلمين ويقطع الحج ويظلم الناس ظلمًا عنيفًا ولهُ في مثل ذلك احاديث كثيرة لا نطيل الكلام بذكرها . وكان يدَّعي بعلم الغيب وهو قد استخدم بعض العواهر يرسلهنَّ الى منازل الناس فيتجسَّسْنَ اخبارهم ثم يخبرنهُ بها فيدعو ارباب تلك المنازل ويخبرهم بما جرى في منازلهم كانهُ قد عرف ذلك بسريرةٍ فيهِ . وفي سنة ٣٩٥ قام رجلٌ يُعرَف بابي ركوة ودعا الناس الى نفسهِ وكان يدَّعي انهُ من بني أُمَيَّة فاجابوهُ وكانوا قد ضجروا من دولة الحاكم بامر الله وكان عند الحاكم قائدٌ يقال لهُ الفضل بن عبد الله فخرج الى قتالهِ وظفر بهِ بعدما كان قد استظهر على جيش الحاكم واتى بهِ الى القاهرة اسيرًا فامر الحاكم بقتلهِ وحسِب ذلك معجزةً فعَلَها بقدرتهِ الالهية . وانعم على الفضل وقرَّبهُ الى ان دخل عليهِ مرةً فراى بين يديهِ طفلاً جميل الصورة وفي يدهِ سكينٌ فلما دخل الفضل ضرب الحاكم ذلك الطفل بالسكين في بطنهِ فشقَّهُ واخذ كبدهُ وامعاءهُ فقطَّعها افلاذًا ولما راى الفضل هذا المنظر الفظيع

اتخذ منهُ علامةً لغضب الحاكم عليهِ فانصرف الى بيتهِ واوصى باولادهِ متوقعًا للموت فلم يكن الاَّ ساعةٌ حتى حضر امر الحاكم بقطع راسهِ فقُطع . قال الجعفريُّ وفي اواخر سنة ٤٠٧ للهجرة قدم الى مصر رجلٌ يقال لهُ محمد بن اسمعيل الدرزيُّ وكان في ما قيل عجميًّا وداعيًا من دعاة الطائفة الباطنية . وهو المُسمَّى في كتب الدروز نشتكين الدّرزيّ . فدخل هذا الرجل في خدمة الحاكم ووافقهُ على اثبات دعوتهِ بالالهية . وعلَّم الدرزي بهذا التعليم جهرا وكتب كتابًا يقول فيهِ ان نفس آدم جازت الى علي بن ابي طالب ومنهُ الى اسلاف الحاكم متقمّصةً من واحدٍ الى آخر حتى انتهت الى الحاكم وهو خالق الكون الى آخرهِ . ثم قرأ كتابهُ في احد الجوامع فهجم عليهِ الناس ليقتلوهُ ففرَّ منهم وحدث شغبٌ عظيمٌ في القاهرة ونهبوا بيت الدرزي وقتلوا كثيرين من اصحابهِ. فارسلهُ الحاكم سرًّا الى برّ الشام فنزل في وادي التيم بالقرب من جبل الشيخ وهناك نادى بالهيَّة الحاكم . وكان الامراءُ التنوخيون الذين قدموا من العراق الى بر الشام من الطائفة الباطنية . ولوجود هذه الدخيلة في انفسهم كانوا مستعدّين لقبول دعوة الدرزي فانقادوا اليها ومن ذلك تسمية طائفة الدروز . وقُتِل الدّرزي المذكور في وقعةٍ مع التتر سنة ٤١٠ للهجرة . وفي حاشية كتابٍ من كتب الدروز انهُ قتل سنة ٤١١ . وكان عند الحاكم رجلٌ اخر اسمهُ حمزة بن عليّ بن احمد وهو عجميٌّ ايضًا ويلقَّب

عندهم بالهادي فوقع الخلاف بينهُ وبين الدرزي حتى ارسلهُ الحاكم الى الديار الشامية فتقدم حمزة مكانهُ وعلَّم بالهيَّة الحاكم وجعل نفسهُ ثانيًا لهُ . والدروز يكرمونهُ جدًّا ويلعنون الدرزي ويكرهون التسمية باسمهِ فيسمون انفسهم موحّدين اي قائلين بتوحيد الحاكم . وكان اول ظهور تعليم حمزة سنة ٤٠٨ للهجرة . وفي سنة ٤١١ احتالت على الحاكم اختهُ سيّدة الملك وقتلتهُ عن يد رجل يقال لهُ ابن دواس كان متَّهمًا بها وكانت تخاف من اخيها ان يقتلها جميعًا فسبقتهُ . وكان ذلك لثلاث بقين من شهر شوال من السنة المذكورة وبعد وفاة الحاكم كتب حمزة الرسالة المسمّاة بالسجلّ المعلَّق وعلَّقها على باب الجامع وفيها يقول ان الحاكم اختفى امتحانًا لايمان المومنين

هذا اصل طائفة الدروز وكيفية امتدادهم في بر الشام . ولا حاجة الى ذكر عقائدهم الخصوصيّة لان كتبهم قد انتشرت بين الناس في هذه الايام . ومن اراد الاطلاع على حقيقة معتقداتهم بالتفصيل فعليهِ بالوقوف على كتاب كشف ديانة الدروز المطبوع في باريس وكتاب مختصر البيان في مجرى الزمان . واما كتبهم فهي رسائل الحاكم وحمزة وتعليقاتٌ أُخَر الشيخ بهاء الدين الصاري والشيخ زين الدين معضاد من فلجّين والشيخ يوسف الكفرقوقي من وادي التيم وقد كتب شروحًا على هذه الرسائل الامير عبد الله التنوخي الملقب عندهم السيد من قرية عبيه في

مقاطعة شحّار الغرب من جبل الشوف . وهوَ وليٌّ من اوليائهم
ولهُ مقامٌ في القرية المذكورة يزورونهُ بالهدايا والنذور . وبلاد
الدروز هي الجزء الجنوبي من جبل لبنان وكثيرٌ منهم في جبل
الشيخ وفي حوران وفي الجبل الاعلى قرب نهر العاصي من معاملة
حلب الشهباء . وهم قسمان عُقّال وجهّال فالعقال هم اصحاب
المعرفة بدينهم السرّي والجهّال في الحقيقة لا دين لهم . وهذا الذي
ذكرناهُ من امرهم قد نقلناهُ من تاريخ الجعفري وكتاب ابي المحاسن
جمال الدين في اخبار مصر للاسحقيّ وكتاب السكردان للتلمسانيّ
وكتاب زبدة الحلَب في تاريخ حلب وكتاب وفيَات الاعيان لابن
خِلّكان وكتاب البيان في مجرى الزمان ومن عدة تواريخ اخر
ومن كتب الدروز ايضاً

اما اليهود فمن اقدم سُكّان هذه البلاد ولا حاجة الى ذكر
اصلهم لانهُ معلومٌ . واما السامرة فاصلهم مذكورٌ في سفر الملوك
الثاني ص ١٧ وذلك ان شلمناصر ملك اشور سبى عشرة اسباط
من بني اسرائيل واخذهم الى اشور واتى بقومٍ من بعض اهالي
مملكتهِ واسكنهم في مدن هولاء الاسباط وقراهم . ولما افترست
الاسود بعضهم ونما خبر ذلك الى الملك ارسل كاهناً من سبط
لاوي لكي يعلمهم طريق عبادة اله البلاد فجعلوا الله سبحانهُ بين
الهتهم وعبدوهُ كواحدٍ منهم مدّةً من الزمان ثم استخلصوا من
العبادة الباطلة . ولما رجع اليهود من جلاء بابل اراد السامريون

ان يتفقوا معهم على بناء الهيكل في اورشليم فلم يرضَ اليهود بذلك فبنى السمرة هيكلاً على جبل جرزيم بقرب مدينة نابلس . ومن ثمَّ ابتدأت العداوة الواقعة الى الآن بين الفئتين . وبقي هذا الفريق في نواحي نابلس مع جميع التقلبات التي حدثت في البلاد . وهيجوا فتناً عديدة على ملوك الرومانيين الى ان قاموا ضد الملك يوستينيانوس سنة ٥٢٩ مسيحية واقاموا على انفسهم ملكاً منهم اسمهُ بوليانوس وقتلوا كثيرين من المسيحيين في فلسطين واحرقوا كثيرًا من ضياعهم وكنائسهم . فارسل الملك اليهم جيشهُ فانتصر عليهم وقتل بوليانوس المذكور وهرب اكثر السامريين الى حماية كسرى ملك الفرس . ومن ثمَّ قلما يذكر هذا الجنس في التواريخ . وكان منهم جماعة في مصر وفي غزة ودمشق الشام واما الان فلا يُوجَد منهم على ما نعلم الا في نابلس وهم نحو مئة وعشرين نفساً. ولا يزالون معتمدين على اسفار موسى الخمسة فقط منتظرين مجيء المسيح وفي كل سنةٍ يصعدون الى راس جبل جرزيم ثلاث مرات للعبادة وذلك في عيد الفصح وعيد الخمسين وعيد المظال . وفي عيد الفصح يذبحون هناك سبعة حملان . واما هيكلهم فلم يبقَ لهُ رسمٌ والاثار القديمة الباقية هناك هي بقايا حصنٍ بناهُ الملك يوستينيانوس

واما الارمن فاصلهم من أرمينية . وهذا الشعب تمسَّك بالديانة المسيحية في القرن الرابع وبعدُ حينٍ قبلوا التعليم بان

المسيح طبيعة واحدة فقط كما سياتي

واما طائفة السريان او اليعاقبة فاصلها انهُ في سنة ٤٤٨ قام رجلٌ اسمهُ افتيخوس وعلَّم بان للمسيح طبيعة واحدة فقط. وثبَّت هذا التعليم مجمعٌ انعقد في افسس بامر الملك ثاودوسيوس سنة ٤٤٩ ثم انعقد مجمعٌ اخر في خلكيدون سنة ٤٥١ بامر الملك مرسيانوس وهو المجمع الرابع المسكوني عند الشرقيين وهذا المجمع حرم التعليم المذكور فهاج على اصحابهِ اضطهاد شديد وأُنزِلت اساقفتهم عن مراتبها وكادت الطائفة تتلاشى الى ان قام رجلٌ اسمهُ يعقوب براديوس وهو المشار اليهِ في كلامنا السابق على مدينة الرها. فطاف كل المشرق واحيا تعليم افتيخوس حتى تمسَّك بهِ الارمن ايضًا ورسم اساقفة كثيرين وكثرت طائفتهُ في بر الشام وبلاد الارمن ومصر وبلاد الصعيد والحبش وكان اكثر المسيحيين في بر الشام من هذه الطائفة . وبعد ذلك اراد الملك هرقل ان يردَّ السريان الى الكنيسة الشرقية فخاطب بذلك رجلًا من الارمن اسمهُ بولس سنة ٦٢٢ وفي سنة ٦٢٩ خاطب بطريرك السريان وكان اسمهُ انسطاسيوس فاجاب البطريرك ان مراد الملك يتمُّ فيقبلون حكم مجمع خلكيدون ولكن بشرط ان الروم يقبلون التعليم بان للمسيح مشيئة واحدة فقط ويغضُّون النظر عن الطبيعة هل هي واحدة ام اثنتان . ووافق على ذلك سرجيوس بطريرك القسطنطينية فاصدر الملك اوامر بقبول هذا التعليم والمناداة بهِ

في الكنائس. واثبتهُ مجمعٌ انعقد في الاسكندرية سنة ٦٣٣ وعند ذلك عاد كثيرون من اصحاب التعليم بالطبيعة الواحدة الى كنيسة الروم . وكان ذلك الوقت في جبل لبنان قومٌ يقال لهم مَرَدة لبنان لانهم كانوا قد تمرَّدوا وعصوا على الملوك القياصرة . وكان عليهم امراءٌ من انفسهم لقبوهم ملوكًا وامتدُّوا من انطاكية الى جبل الكرمل وقيل الى اورشليم وقد ورد ذكر احد هولاء الملوك في حوادث سنة ٦٢٢ وقد اورد القسُّ السمعانيُّ في كتابهِ المسمى المكتبة الشرقية شاهدًا من تاريخٍ مجهول المؤلّف يقول في ابتداء دولة المسلمين كان يوسف ملكًا على جُبَيل وكسرَى على الداخلية التي منهُ قيل لها كسروان . وفي خلافة الامام عُمَر كان ايوب متوليًا قيسارية وفيلس بيت المقدس وبعد ايوب تخلف الياس. ولما توجه هرقل الملك الى بلاد الشام كان يُنجدهُ بعساكرهِ . وبعد هولاء تولى الملك يوسف امر جبيل وجبل لبنان وبعد وفاتهِ تخلف الامير يوحنا انتهى .وعلى حسب قول بعض المورخين من السريان ان الملك يوسف غزا قومًا اعترضوا الزوّار في طريق القدس الشريف وعاد عنهم بغنيمةٍ وافرة وسكن في قرية نسكنتا ومات هناك بشيخوخةٍ صالحة

وبعد ما ذكرناهُ من عمل الملك هيركليوس في اجتذاب السريان ومطابقة الاسقف سرجيوس على ذلك قام رجلٌ من فلسطين اسمهُ سفرونيوس وقاوم هذا التعليم مقاومةً شديدة وانتشر

حزبة في مملكة الروم كلها واشتدَّت الفتنة في الكنيسة الى سنة ٦٨٠ وحينئذٍ انعقد المجمع السادس المسكوني في القسطنطينية فحرم التعليم المذكور ووقع على اصحابه اضطهادٌ شديد ولم يجدوا لهم مأمنًا الاَّ بين المَردة المذكورين في جبل لبنان .

وفي ذاك الوقت كان قد وقع الاختلاف بين الشرقيين والغربيين على مسائل طفيفة كاليوم الذي ينبغي ان يُعيَّن لعيد الفصح وما اشبه ذلك مما لا طائل تحتهُ . وفي سنة ٧٠١ اشتهر يوحنا مارون . قال القس السمعاني في المجلد الاول من كتابهِ (صفحة ٤٩٩) ان اوجان وجميع الافرنج الذين بانطاكية حملوهُ الى الكردينال رسول الكرسي الروماني وساموهُ اسقفًا على البترون وتكفَّل بان يجلب الى ايمانهم اهل الجبل الا الطائفة اليعقوبية وقول السمعاني هذا غير صحيح اذ لم يكن للبابا الروماني سلطة في الشرق في ذلك العصر ولم يكن من الافرنج في انطاكية في ذلك الوقت بل كانت الطائفة المارونية من المعتقدين بالمشيئة الواحدة . والظاهر انهُ نجح في سعيهِ وصار لهُ حزبٌ كبير وطائفة كثيرة العدد اجتلبها من اصحاب المشيئة الواحدة . واليهِ انتسبت الطائفة المارونية . وبقيت هذه الطائفة مستقلَّة في جبل لبنان عاصية على سلاطين آل عثمان . وقد كسرت جيش السلطان سليم سنة ١٩٨١ ثم قهرها السلطان مراد الثالث عن يد ابرهيم باشا والي القاهرة سنة ٩٩٠م واتحدت هذه الطائفة مع الكنيسة

الرومانية سنة ١١٨٠ لما اشتدت الحروب بين المسلمين والافرنج. ومنها قوم في حلب وفي اكثر مدن سوريا يبلغ عددهم نحو ٢٣٠٠٠٠ نفس . منهم نحو ١٨٠٠٠٠ نفس في جبل لبنان وقد ضيّقت عليها الكنيسة الرومانية كثيرًا على نية خنقها تمامًا عند وقوع الفرصة

اما طائفة الروم فاصلهم مثل اصل السريان وغيرهم الّا انهم في المذهب الديني استمرّوا على حكم الجامع التي اختاروا منها سبعة وسمّوها الجامع المسكونية وتركوا بقيّة الجامع واشتقّ عنهم طائفة الروم الملكية التي اتّحدت مع الكنيسة الرومانية فاختلفت الّا بالاسم . وكان هذا الانشقاق اولًا في مدينة حلب سنة ١١٧٥ للهجرة حسب تاريخ الامير حيدر الشهابي . وفي تلك السنة خرجت الفتاوى بمنع بطاركة الروم ومطارنتهم عن التسلط على الطائفة المشار اليها . ويوجد في بر الشام من طائفة البروتستانت اي الانجيلية جماعة في عين تاب وبيروت وحاصبيا وبعض الانفار منهم في حلب وطرابلس ودمشق واورشليم وفي عدة اماكن من جبل لبنان . وعدد سكان بر الشام من جميع الطوائف بالاجمال نحو ١٦٦٠٠٠٠ نفس . منهم نحو ١٥٦٠٠٠٠ من الحضر والباقي من عرب البادية . وتفصيل ذلك بالتقريب كما ترى

مسلمون	٨١٠٠٠٠
روم	٣٠٠٠٠٠
موارنة	٣٠٠٠٠٠
روم ملكية وغيرهم من الطوائف البابا وية	٣٠٠٠٠
دروز	٨٠٠٠٠
متاولة	٣٥٠٠٠
نصيرية واسماعيلية	٣٠٠٠٠٠
ارمن و بقية الطوائف	٣٠٠٠٠

اما حواصل بر الشام فمنها اخشاب البناء والوقود لا سيما في الجهات الشمالية حيث توجد غياضٌ واسعة من الصنوبر والبلوط الذي يجنى منهُ العفص . ويوجد في جميع اقطارها الصنوبر والحور والازدرخت والميس والزيتون والنخل والجميز والكرم والجوز والتوت واللوز والصفصاف والخرنوب والارز والسرو والطرفاء والآس . ومن الفواكه التين والتفاح والمشمش والكمثرى والخوخ والاترج والدراقن والليمون بانواعهِ والرمان والصبير . ومن الحبوب الحنطة والشعير والعدس والماش والكرسنة والحمص والفول والذرة والرز والسمسم وهلمَّ جرًّا . وفيها ايضًا الخروع والسوس والجُلَّنار والعنَّاب وقصب السكر وشجر الحنَّاء وانواع الورد والياسمين والزنبق والقرنفل والفلّ والنرجس وما اشبه ذلك. وفيها ايضًا اكثر انواع الخُضَر والبقول

التي توكل . واما قطن بر الشام فيُزرَع كل سنةٍ وهو لا يُرغَب فيهِ كثيرًا لاصطناع الاقمشة ويُجنى منهُ كل سنة نحو خمسة عشر الف قنطار يُرسَل منها مقدار الثُلُثَين الى بلاد فرانسا وايطاليا . والحرير فيها جيد غير انهُ لا يناسب لاصطناع الاقمشة في البلاد الافرنجية لقصور تصفيتهِ واستوائهِ ولذلك اقامت الافرنج كراخين الحرير في بعض الاماكن من بلاد الشام لعمل الحرير فيها كما يوافق كراخين بلادهم . ويوخذ من بر الشام ايضًا مقدار جزيل من صوف الغنم ولكن لكثرة اقذارهِ قلما يُرغَب فيهِ الاَّ لاصطناع الانسجة الدنية منهُ . ويُؤتى كل سنةٍ بنحو ثمانين الف شاةٍ من نواحي بلاد الارمن والاكراد فتباع في هذه البلاد . ويُستخرَج في كثيرٍ من اقطارها جانبٌ عظيمٌ من زيت الزيتون وفي بعض الاماكن يستخرج كثيرٌ من دهن السمسم المعروف بالشيرج ويستخرجون ايضًا زيت الخروع وزيت نوى المشمش . واما خمر بر الشام فقلما يستحبُّ منهُ الاَّ الاسود المرئيُّ وهو ما كان قليل العفوصة وبعض الاصفر في نواحي كسروان وما يليها الى معاملة طرابلس ولا سيما خمر سِبعِل الذي يقول فيهِ بعض المشايخ

كل النبيذ محرَّمٌ الاَّ النبيذ السبعلي

وفي السهول التي في نواحي حلب وحماه وحمص ودمشق توجد

اصول الفُوَّة ونبات الزعفران وفي بعض الاماكن يزرعون عشبة النيلة وادخل اليها ابرهيم باشا صاحب الدولة المصرية دودة القرمز وصحّت في نواحي طرابلس . ويوخذ من نواحي عين تاب وانطاكية شيءٌ من شعر المعزى فتُعمَل منهُ انسجةٌ كثيرة . ومن حواصل هذه البلاد التبغ المعروف بالتُتُن واجودهُ ما نبت في بلاد جبيل والبترون وجبل الريحان ويُجلَب منهُ كثيرٌ الى القسطنطينية ومصر ودمشق . وفي بعض الاراضي ينبت القِنَّب ويُفتَل منهُ كثيرٌ من الحبال . ومن جبال عين تاب وانطاكية يوخذ كل سنةٍ قناطير من الشمع واكثرهُ يرسل الى بلاد اوروبا . ومن اراضي حلب وجبال البترون توخذ السقمونيا المعروفة بالمحمودة وتُغَشُّ كثيرًا بالنشا وصمغ المرّ فقلما توجد خالصة . ويجلب القِلي من نواحي نهر الفرات واكثرهُ يُستعمل في البلاد لعمل الصابون واكثر ذلك في بلاد نابلس فان فيها على ما قيل ثمان مئة مصبنة . وفي السنة التي يخصب فيها الزيتون يرسلون كثيرًا من الصابون الى كريد ومصر والجزيرة . واهل الارياف البحرية يجمعون الاسفنج ويرسلون جانبًا منهُ الى ازمير .

واما معادن بر الشام فمنها معدن فضة ورصاص في الجبال التي الى شمال اسكندرونة . ومعدن حديد في الجبل الاقرع وجبل لبنان . ومعدن فحم في جبل لبنان ايضًا بقرب قرنايل من اعمال بيروت والملح موجود في بعض الاماكن واكثرهُ يُجلَب

من نواحي تدمر والفرات وكذلك ملح البارود واما بضائع التجارة فيجلب اليها الصمغ العربي من بغداذ ومصر وكثيرًا يُغَشّ بصمغ الفستق والمشمش . ويؤتى بصمغ القتاد من بر الاناضول ونواحي مرعش والجزيرة . وبالحلتيث من الهند ومسقاط على طريق بغداذ . وبالسنا واللبان من مصر . وبالافيون من اسيا الصغرى . وتُجلب من الجهات الشمالية جلود الثعالب والارانب وترسل الى بلاد فرانسا . ويُرسَل ايضًا الى اقاصي البلدان مقدارٌ من العفص الذي يُؤتى بهِ من نواحي الموصل وكردستان ومن الفوة وهي من نواحي حمص

ومن مصنوعات بر الشام انسجة الحرير والقطن والصوف وقصب الفضة والذهب . وفي نواحي اورشليم وبيت لحم يُصنع كثيرٌ من المسابح والصُوَر من صدَف يُسمّى عرق اللولو وهو يُجلب من البحر الاحمر وكثيرًا ما تُرَصَّع بهِ الأَسِرَّة والموائد ويُرسل منهُ جانبٌ الى بلاد ايطاليا وفرانسا

ذكر اجناد برّ الشام

من أُمّهات مدن بر الشام مدينة حلب الشهباء . قيل سميت بذلك لان ابرهيم الخليل كان لهُ بقرةٌ شهباء يحلبها على التلّ الذي عليهِ قلعة حلب الآن وينادي رجلٌ على الفقراء قائلاً

ابرهيم حلب الشهباء فيجتمعون اليهِ ويتصدق عليهم بلبنها . والصحيح ان العلة مجهولة في تسميتها واما في لقبها فهي بناؤها من حجرٍ ابيض او على ارضٍ بيضاء . وهي مدينة قديمة في بريةٍ خالية من الاشجار ولها نهرٌ يقال لهُ قُوَيق تُسقى بهِ البساتين . واهلها يشربون من مياهٍ تنبع من مكانين الى شمالي المدينة على نحو ثمانية اميال . وهي تجري في اقنيةٍ تتفرع في البيوت والاسواق والخانات والحمامات ويكثر في بساتينها شجر الفستق . ويوجد فيها شجرٌ من التوت عجيبٌ في حجمهِ حتى ان البعض منهُ يكون محيط جذعهِ نحو اربع اذرعٍ ولهُ ثمرٌ يقرب من ثمر النخل وهو شديد الحلاوة . واسواق حلب ضيقة وابنيتها حسنة المنظر لكنها سخيفة لضعف حجرها وتصاغر اجزائهِ ورقتها ولذلك لا تثبت على نوائب الزمان . واسوارها قوية البناء لكنها قد تهدمت من الزلازل . ومحيطها نحو سبعة اميال . وفي ارضها علامات براكينة وهي علة الزلازل التي من تواترها خربت المدينة الاَّ قليلاً مرات عديدة . وفي سنة ١٨٢٢ مسيحية في ١٣ شهر آب حدثت زلزلة عظيمة خرب بها جانبٌ كبيرٌ من حلب وانطاكية والقرى المجاورة لها ومات بها نحو عشرين الف نفس . وفي سنة ١٨٥٠ اثار البعض من اهالي حلب فتنةً في المدينة فاضطرَّ الوالي بها ان يطلق المدافع على باب النيرب وما يليهِ من صوايح اصحاب الفتنة فهدم جانبًا من المدينة . وموقع القلعة فيها على تلّةٍ مستديرة

في جهة الشمال الشرقي من المدينة وحولها خليجٌ عظيم . ومن ابنية حلب المشهورة برجٌ قديم يسمَّى سراية بني جنبلاط كانت لاسلاف المشايخ بني جنبلاط المشهورين بين مشايخ جبل لبنان والمقدَّمين على جميع مشايخ جبل الشوف . وهواء حلب جيدٌ تصحُّ به الابدان ولكن لا بدَّ لاهلها دائمًا وللغريب الذي يمكث بها غالبًا من ظهور بثرةٍ يقال لها عندهم حبَّة السنة لانها لا تبرأُ قبل سنةٍ من ظهورها ولاينجع فيها العلاج ويقال لها عند غيرهم حبَّة حلب لانها مختصةٌ بها في المشهور . على انها توجد ايضًا في عين تاب وعلى شطوط الفرات الى بغداذ وقد ادخلها الى جبل لبنان رجلٌ من دروز قرية بشامون كان من جنود ابرهيم باشا في حلب والآن تظهر احيانًا في مجاورات تلك القرية ويقال لها عندهم الحبَّة البشاموية . واهل حلب يتصفون غالبًا بحسن الصورة والصوت والخط فان ذلك عندهم اكثر مما عند غيرهم من اهالي بر الشام . واما تجارة حلب فقد قلَّت كثيرًا عما كانت قديمًا . والآن تجتمع فيها القوافل من بغداذ ودمشق والموصل وديار بكر وبعض مدن اسيا الصغرى . وفي اواسط القرن الثامن عشر كان اهلها يبلغون نحو مئتين وثلثين الف نفس واما الآن فليس فيها اكثر من ٧٠٠٠٠ نفس وهي في عرض شمالي ٣٥ ١١ ٣٦° وطول شرقي ٩ ٣٧°

والى ناحية الجنوب من حلب مائلاً الى الغرب على بعد

مرحلةٍ صغيرة موقع قِنَّسرِين كانت في اوائل الاسلام مدينة اعظم من حلب ولكنها الآن خراب . قال ابن حوقل اخربها الملك باسيليوس ثم تجددت عن يد الامراء بني بُسَيس التنوخية ثم اخربها عن اخرها تاج الدولة في اواخر القرن الحادي عشر. وبقربها قرية يقال لها حاضر قنّسرين

وفيها يقول عِكرِشة

سقى الله اخوانًا ورائي تركتهم
بحاضر قنّسرِينَ من سُبُل القطرِ

وبالقرب منها موضعٌ يقال لهُ الفراديس وهو مأسَدةٌ مرَّ بهِ ابو الطيب المتنبي فزأَرت عليهِ الاسود فقال

أجارُكِ يا أُسْدَ الفراديس مكرَمُ
فتسكُنَ نفسي ام مُهَانٌ فمُسلَمُ
ورائي وقدَّامي عداةٌ كثيرةٌ
أُحاذِرُ من لصٍّ ومنكِ ومنهمُ

والى الجنوب الشرقيّ من حلب على نحو عشرين ميلاً قرية يقال لها صفيرة فيها نحو ثلاثين بيتًا . والى جهة الشرق منها على نحو ستة اميال وادي الملح محيطهُ مسافة اربعة ايام وارضهُ جميعهُ مكتسية بالملح . ويراهُ الناظر من بعيدٍ كانهُ بحيرة ماء صافية .

والظباء البيض ترِدهُ لتلحس الملح منهُ. وفي الشتاء يغمرهُ ماء المطر الجاري اليهِ من الاماكن المجاورة لهُ . وعمق الملح الذي فيهِ مقدار سماكة الكف لا غير . وهو يحمل الى حلب وبقية المواضع في تلك الاطراف . وهذا الملح يجتمع هناك من املاحٍ معدنية في تلك الاراضي تحملها السيول الى الوادي فتنحصر فيهِ الى ان يجفَّ الماء فيبقى الملح على وجه الارض . وكلما كثرت الامطار زاد عمق الملح. وفي جهة الجنوب الشرقي من هذا الوادي خرابةٌ قديمة تسمَّى زوبا وربما كانت هي المشار اليها في سفر الملوك الثاني ص ٨ . ومما يؤيد ذلك قول احد المورخين القدماء انهُ كان على الفرات مدينةٌ اسمها كعب سكنها بنو اسرائيل وطُردوا منها تسع مرات قبل ما تركوها انتهى . والفرات ليس بعيدًا عن هذه الوادي الى جهة الشرق منهُ. وزعم البعض ان صوبا المذكورة في المكان المشار اليهِ انما هي قنّسرين

وبقرب قنسرين موقع مدينة الخُناصِرة . قال ابو اسحق الاصطخري كان يسكنها عُمَر بن عبد العزيز احد خلفاء بني أُميَّة وهي حصنٌ على طرف البرية . وقد ذكرها ابو الطيب المتنبي بقولهِ

احبُّ حمصًا الى خُناصرةٍ وكلُّ نفس تحبُّ محيْاها

وفي تلك النواحي الآن قبيلةٌ من العرب يلقبون بالسُلَيب قيل

ما زالوا جاهليةً لا يُعرَف لهم دينٌ . وهم لا يعتنون بالمواشي ولا بالفلاحة ولا ياكلون الخبز ولا يختلطون بغيرهم من القبائل ولا يتخذون من الدواب غير الحمير . وطعامهم لحوم الغزلان واكسيتهم من جلودها

اما مدينة عين تاب فهي الى الشمال من حلب على ثلاث مراحل . وهي مدينةٌ عامرةٌ ذات مياهٍ وبساتين . واهلها ارمن واتراك وبروتستانت وعددهم نحو ٢٠٠٠٠ نفس . والى الجنوب الشرقي منها قرية نِزِّيب . اشتهرت بالوقعة التي صارت بالقرب منها بين عساكر الدولة العثمانية تحت لواء حافظ باشا وعساكر الدولة المصرية تحت لواء ابرهيم باشا . وكانت في ٢٣ شهر حزيران سنة ١٨٣٩ . والى الجنوب الغربي من عين تاب مدينة كِلِّس . وبين حلب والنهر الاسود وحول حلب الى كل الجهات ضياع وقرى كثيرة اهلها عرب واكراد وتركمان ويزيدية ونصيرية ونصارى واكثر النصارى من طائفة الارمن . وكذلك حول عين تاب وكِلِّس

اما مدينة انطاكية فكانت قديمًا من اشهر مدن العالم وكانت قصبة مملكة سوريا في عصر الدولة السلوقية . بناها الملك سلوقس الملقب بالغالب . وقد أُحصي عدد سكانها يومئذٍ فبلغ نحو سبع مئة الف نفس . وفيها قويت الديانة المسيحية في ابتداءها . ثم افتتحها المسلمون في سنة ٦٣٧ مسيحية ثم استرجعها

الافرنج في سنة ١٠٩٨ وبعد خروجهم من بر الشام اخربها سلطان مصر سنة ١٢٦٨ وقتل كثيرين من اهلها وهدم كنائسهم. ثم توالترت عليها الزلازل فاهلكتها وهي الآن في حالةٍ دنية ولم يبقَ من عظمتها القديمة الا السور الذي يحيط بها من جوانبها الثلاثة وعلى الرابع منها وهو الشمالي نهر العاصي. وهذا السور صاعدٌ من الجانب الغربي الى راس الجبل المشرف على المدينة ثم ينعطف الى الشرق وينحدر على الجانب الشرقي الى شاطىء النهر. وقد هدم جانبًا منهُ ابرهيم باشا المصريّ وبنى بحجارتهِ منازل لعسكرهِ. واهل هذه المدينة يبلغون الآن نحو ٩٠٠٠ نفس من اتراك ونصيرية وروم وارمن ويهود ولقد احسن من قال

واذا نظرت الى البلاد رأيتها
تُشقَى كما تشقى العبادُ وتسعدُ

وحول انطاكية الى كل الجهات ضياعٌ وقرى كثيرة. والى الجهة الغربية منها على مسيرة خمس ساعات موقع مدينة دفنة ويقال لها الآن بيت الماء وهي على جنوبي العاصي يحتفُّ بها جبالٌ تخرج منها عيونٌ كثيرة. وكان فيها كثيرٌ من الهياكل لعبادة الاصنام. وكانت انزه المواضع في ايام بهجتها واما الآن فلم يبقَ منها الاَّ المياه الجارية على عهدها القديم

اما السويدية فهي بالقرب من مصبّ العاصي وهي مع

الضياع التي في سهلها تشتمل على نحو ٩٠٠٠ نفسٍ من النصيرية والارمن والروم . والى الشمال الغربي منها على نحو ستة اميال موقع مدينة سلوقية التي بناها سلوقس السابق ذكرهُ . وهي على سفح جبلٍ يقال لهُ جبل موسى . وقد حُفِر فيها على جانب العاصي ميناء للسفن

واما اسكندرونة فهي الى الشمال من انطاكية على ريف البحر وهي ميناء حلب . وبين انطاكية واسكندرونة قرية بيلان . والى الشمال من اسكندرونة باياس . والى الشمال الشرقي من باياس الكنيسة السوداء والمارونية نسبةً الى هرون الرشيد الذي اختطّها وكانتا من الثغور في طرف جبل اللكام . قال بهِ ياقوت الحمويّ في المشترك . والى جهة الشرق من انطاكية على نحو مرحلةٍ واحدة قرية حارم وهي على شعبةٍ من الجبل الاعلى ذات مياه وبساتين . وقد اشتهرت بالحروب بين الافرنج والمسلمين وقلما بقي من ابنيتها القديمة سوى قلعتها . والى الشرق منها مائلاً الى الشمال قرية دانا وهي الان لا تستحق الذكر الاّ لكثرة الآثار القديمة من الهياكل وغيرها في مجاورتها . والى الشمال منها جبل سمعان فيهِ كثيرٌ من الخرائب القديمة وبعضها يسمّى القلعة . وقد كانت قديمًا هيكلاً وربما صارت كنيسةً . واكثر سكان تلك النواحي رعاة مواشٍ من اليزيدية

ويمتد من حارم الى جهة الجنوب سلسلة جبال الى شرقي

العاصي . ومن قرى هذا الجبل ايضا سقّاد وهي نحو ٥٠ بيتًا واهلها نصيرية . وسلفين وهي نحو ٤٠٠ بيت من النصيرية والعلاّني وهي نحو ١٠٠ بيت . والحمزي وهي نحو ٣٠ بيتًا من النصيرية ايضًا. وتل عمار وهي كذالك والدويلة نحو ٣٠ بيتًا واهلها نصيرية ايضًا وفيها قلعة عظيمة . وديركوش نحو ١٠٠ بيت من النصيرية ايضًا

والى شرقيّ هذا الجبل مقاطعة تُسمَّى الروج فيها عدة قرى وضياع وكلها تشتمل على نحو ١٣٠٠ بيت واكثر اهلها نصيرية . والى شرقي الروج الجبل الاعلى . وفيهِ وفي نواحيهِ نحو ٥٠ قريةً . واكثر الاهالي دروز . وقد تناقص عددهم عما كان كثيرًا لان عيالاً عديدة منهم رحلت الى جبل لبنان . ومن هذه القرى كِفتين وهي في سهلٍ الى الغرب من موقع قنسرين . وفيها كثيرٌ من طائر الحمام الاهليّ يربّونهُ ويبيعون فراخهُ في اسواق حلب . وسهل كفتين مخصبٌ فيهِ كثيرٌ من شجر الزيتون وهو يمتدّ جنوبًا الى قرب حماه . والى الجنوب من كفتين على نحو ستة اميال معرّة مصرين ويقال لها ايضًا معرّة نسرين كان لها قديمًا سورٌ وقلعةٌ والآن ليس فيها شيء من ذلك سوى الآثار . واهلها نحو ٣٠٠٠ نفس . وفيها سوقٌ تُقام كل يوم جمعة . وفي الجبل الاعلى الى الشرق من هذه الاماكن خرائب متسعة . وفي الطرف الجنوبي منهُ قرية بتسدلايا فيها اختبأ المشايخ من بني جمبلاط

ونكد بعد وقعة حماه بين ابرهيم باشا صاحب مصر والعساكر العثمانية سنة ١٨٣٢ مسيحية وفي هذا الجبل كثيرٌ من الخنزير البرّي والدب والنمر .

والى الجنوب من كفتين على نحو ١٨ ميلاً قرية إدلِب وهي قريةٌ كبيرة يصنع فيها شيءٌ كثير من الصابون واهلها نحو ٨٠٠٠ نفس منهم نحو ١٠٠ بيت روم . قيل انهُ من مدة مئة سنة اشتدَّ البرد في تلك الاطراف حتى تجلد نهر العاصي وبقي على ذلك اياماً فيبس كل شجر الزيتون الذي هناك والزيتون الموجود الآن جددوهُ بعد ذلك .

والى الجنوب من ادلب على نحو ثلاث ساعاتٍ ريحا قال ياقوت في المشترك تُمَدُّ وتُقصَر والقصر اكثر وهي بُلَيدةٌ من عواصم حلب من اعزه بلاد الله كثيرة البساتين انتهى . وهي على سفح جبل اربعين من جهة الشمال وفي هذا الجبل مياهٌ عذبة ومواقف حسنة للتنزه . وفيهِ ايضاً قبورٌ كثيرة منقورة في الصخور وخرائب واسعة . وسكان ريحا مسلمون وهم نحو ٣٠٠٠ نفس . وبقربها مغارةٌ كبيرة يزعمون ان اربعين وليًّا يجتمعون فيها ليلاً ولذلك يسمى الجبل اربعين . والى الجنوب من ريحا على نحو نصف مرحلةٍ البارة وهي لا تستحق الذكر الاّ لكثرة الخرائب التي في جوارها . وقد بقي الى الآن كثيرٌ من الكنائس والهياكل والابراج والبيوت حيطانها قائمة كما كانت ولا تحتاج الاّ

السقوف . والاراضي هناك جيدة

اما معرّة النعمان فهي الى الجنوب الشرقي من البارة . قال ياقوت في المشترك هي منسوبة الى النعمان بن بشير الانصاريّ اجتازَ بها فمات لهُ ولدٌ فيها فاقام عليهِ فنُسِبَت اليهِ بهذا السبب الضعيف انتهى . ومات النعمان قتيلاً سنة ٦٥ للهجرة قتلهُ اهل حمص وكان قد هرب منهم فتبعوهُ حتى ادركوهُ واشهر من ينسب اليها ابو العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخيُّ المعريُّ الشاعر الاعمى المشهور وفيها يقول

يا ماءَ دجلةَ ما اراك تلذُّ لي شوقًا كماء معرّة النعمانِ

توفي في شهر ربيع الاول سنة ٤٩٤ للهجرة . واهل معرّة النعمان يشربون من الابار . والى نحو الجنوب الغربي منها كفرطاب . وبقرب كفرطاب معرّة حَرمة . قال ياقوت وكان في تلك النواحي عدة اماكن تُسمَّى معرّة كمعرّة بيطر ومعرّة دلياء ومعرّة بجولين . قال ابو الفداء وكانت كفرطاب قديمًا قاعدة ولايةٍ . ويُزعَم انها ارض طوب المشار اليها في سفر القضاة (١١:٣) . اما موقع مدينة افامية فبالقرب من بحيرة افامية المذكورة سابقًا الى جهة الغرب منها وهناك كثيرٌ من الاعمدة وآثار الهياكل والبيوت والاسوار لكنها مهدومةٌ الى الارض . وفيها قلعةٌ يقال

لها قلعة المضيق وداخلها قريةٌ وهي على رابيةٍ تنفجر من حوارها عيونٌ كثيرة تجري مياهها الى العاصي . وفيها كثيرٌ من سمك السلور . والى جهة الجنوب منها على مسافة اربع ساعات قلعة شيزر على غربي العاصي . وهناك ضيعةٌ صغيرة داخل القلعة . ومن قلعة شيزر الى حماه مسافة خمس ساعات الى جهة الجنوب الشرقي

اما مدينة حماه فعلى جانبي العاصي واهلها نحو ثلاثين الف نفس وهي ذات نواعير وبساتين . قال ابو الفداء الحمويّ هي انزه البلاد الشامية وهي كشيزر مختصة بكثرة النواعير دون غيرها من بلاد الشام . انتهى . وهي قديمةٌ جدًّا قال يوسيفوس المورخ اليهودي بناها حمث بن كنعان بن حام بن نوح . وهي المسماة في التوراة حمث باسم بانيها كما في سفر التكوين (١٠: ١٨ وصموئيل الثاني ٨: ١٠ والايام الثاني ٨: ٣ و٤) وكانت على الحدّ الشمالي من الارض الموعود باعطائها لبني اسرائيل كما يشير سفر العدد (العدد ص[٣٤] ونبوة حزقيال ص[٤٧] وزكريا ص[٩]) وكان لها سورٌ عظيمٌ وفيهِ يقول الشيخ شهاب الدين البارزيُّ سورُ حماه بربها محروسٌ وهي عبارة بديعةٌ في الصناعة لاستوائها في القراءة طردًا وعكسًا كما ترى . واليها يُنسَب كثيرٌ من الادباء كياقوت وابي الفداء المورخَين والشيخ تقي الدين بن حجة الشاعر وشيخ الشيوخ بحماه وغيرهم قال ابو الفداء كانت حماه في زمن

الفتوح وقبلهُ صغيرة هي وشَيْزَر وكانت حمص كرسي مملكة هذه البلاد وقد ذكرها امرؤ القيس في قصيدته التي اولها

سما لك شوقٌ بعد ما كان اقصرا
وحلّت سُليمى بطنَ قوٍّ فعرعرا

الى ان قال

تقطع اسبابُ اللبانةِ والهوى عشيّةَ جاوزنا حماةَ وشيْزرا

وعلى نصف المسافة بين حماه وحمص موقع مدينة الرستان وهي الآن خرابٌ .والى شرقيها على مسيرة نحو ساعةٍ زفرون ولعلها هي المشار اليها في سفر العدد ص ٣٤ . والى الشرق من حماه على مسافة اربع ساعات خرائب مدينة سَلَمْيَة التي اشتهرت في ايام اليونانيين وفي اوائل الاسلام . وقد ذكرها ابو الطيب المتنبي في صفة واقعة جرت مع سيف الدولة العدويّ سنة ٣٤٤ للهجرة بقولهِ

فأقبلها المُرُوجَ مُسوّماتٍ ضوامرَ لاهزالَ ولا شيارُ
تُثيرُ على سَلَمْيَة مُسْبطِرًّا تناكرَ تحتهُ لولا السِعارُ

وكانت ذات مياهٍ وبساتين وهي على جانب البرّية

اما مدينة حمص فهي الى الجنوب الشرقي من حماه على بعد نحو ٢٥ ميلاً وهي بقرب العاصي وهناك يسمّونهُ المقلوب . وقد

استفتحها المسلمون سنة ٦٣٦ للمسيح تحت راية خالد بن الوليد وابي عُبَيدة بن الجرّاح قال ابو اسحق الاصطخري هي مدينة في مُستَواةٍ خصبة جدًّا اصحّ بلاد الشام هواءً وتربةً وفي اهلها جمالٌ مفرط وليس بها حيات ولا عقارب انتهى. وفيها الآن قلعة قريبة من الخراب . واهلها يبلغون نحو ٢٥٠٠٠ نفس منهم ٨٠٠٠ من طائفة الروم . والى الجنوب الغربي من حمص على نحو ٣٥ ميلاً قرية ربلة على شرقي العاصي وهي في سهلٍ مخصب ويقال انها هي المشار اليها في سفر الملوك الثاني (٢٣: ٣٥) والى الجنوب الغربي منها الهرمِل وهي كثيرة الماء وبقربها تلٌّ عليهِ بناءٌ قديم يقولون لهُ قاموع الهرمل على حجارتهِ صورٌ منقوشة . وهذا المكان هو الفاصل بين ارض حماه وارض البقاع . وفي تلك النواحي مخرج نهر العاصي من ينبوعٍ يقال لهُ عين اللبوة . ويضاف اليها مياهٌ من عينٍ بالقرب من دير مارمارون يسميها ابو الفداء مغارة الراهب وهذا الدير مهجورٌ من قديم الزمان وهو غير دير مار مارون الذي كان بقرب حمص

ومن الاماكن المشهورة في تلك النواحي تدمر وموقعها في البرية الى الشرق من حمص على نحو ٩٠ ميلاً . والى الجنوب الشرقي من حلب نحو ١٩٠ ميلاً والى الشمال الشرقي من دمشق نحو ٩٠ ميلاً قيل بناها سليمان بن داود (ملوك اول ٩: ١٨) ولعل المراد انهُ حسّنها وزاد في ابنيتها وقد ذكرها ابو الطيب

المتنبي حين تحصَّن بها بنو عامر وكلاب من سيف الدولة بن حمدان العدويّ سنة ٣٤٤ هجرية فقال

وليسَ بغيرِ تدمُرَ مستَغاثٌ وتدمُرُ كاسمها لهُمُ دِمار
ارادوا ان يُدِيروا الراي فيها فصبَّحَهُم براي لا يُدَارُ

وكانت العرب تزعم انها من بناء الجنّ لما ترى من قوتها الباهرة وعلى ذلك قول النابغة الذبياني

الا سُليمانَ اذ قال الالهُ لهُ
قم في البريَّة فاحدُدْهَا عن الفَنَدِ
وجَيِّشِ الجنَّ اني قد أَذِنتُ لهم
يبنون تدمُرَ بالصُفَّاحِ والعُمُدِ

وقد اشتهرت جدًّا لكونها على طريق القوافل بين راس خليج العجم والمدن التي على البحر المتوسط . وكانت في اعظم زهوتها في عصر الملكة زينب في اواخر القرن الثالث للتاريخ المسيحي وهذه الملكة انتصر عليها الملك اوريليانوس الروماني واخذها اسيرةً الى رومية . ومن ذلك الوقت ابتدأَت تدمر تنحطُّ عن عظمتها . والآن لم يبقَ منها سوى آثار هياكلها وابنيتها القديمة وهذا اخر الكلام في جند حلب

اما جند دمشق فاصل مدنهِ واشهرها مدينة دمشق الشام .

وهي في طول شرقي ٣٠ ´٣٦° وعرض شمالي ٣٠ ´٣٣° وهي من اقدم مدن العالم (انظر سفر التكوين ١٤: ١٥) وقد استفتحها المسلمون في السنة الرابعة عشرة للهجرة في خلافة عمر بن الخطّاب تحت لواء خالد بن الوليد . والخلفاء من بني امية نقلوا تخت الخلافة اليها . وهي في غوطة حسنة جدًّا تُسقَى بمياه نهر بَرَدَى . وهذه المياه تجري ايضًا في دورها وجوامعها وشوارعها . قال ابو الفداء وغوطتها احدى الجنان الاربع المفضلة على منتزهات الارض وهي غوطة دمشق وشِعب بوّان ونهر الأُبُلَّة وسُغد سمرقند . وقد فُضّلت غوطة دمشق على الثلاث المذكورات . وفي شماليها جبلٌ يعرف بجبل قاسيون انتهى . اما شِعب بَوّان فهو بين أرّجان ونوبندجان في ارض فارس وقد لهجت به الشعراء قال بعضهم

اذا اشرف المحزونُ من راس تلعةٍ
على شعب بَوّان استراح من الكربِ

وقد ذكر كل ذلك ابو الطيب المتنبي بعد دخولهِ الى بلاد فارس فمن ذلك قولهُ في ارجان

أَرَجَان ايتها الجياد فانهُ ... عزمي الذي يذر الوشيج مكسَّرا

وقولهُ في النوبندجان

منازل لم يزل منها خيالٌ يشيعني الى النوبندجان

وقولهُ في شعب بوَّان وقد غالَى في مدحهِ

مغاني الشِعب طيبًا في المغاني بمنزلة الربيع من الزمانِ

الى انْ يقول من قصيدتهِ هذهِ

يقول بشعب بوَّانٍ حصاني آعن هذا يُسَارُ الى الطعانِ
ابوكم آدمٌ سنَّ المعاصي وعلَّمكم مفارقة الجنانِ

واما نهر الأُبُلَّة فهو شعبةٌ من دجلة وهو يتفرع في اراضي البصرة والأُبُلَّة التي اضيف اليها مدينة بجانب البصرة . واما سُغد سمرقند فهو بساتين نَزِهة واماكن مثمرة في اراضي سمرقند من بلاد بخارا يضرب بها المَثَل عند الاعاجم . وليس في دمشق ما يحقُّ لهُ الذكر من الابنية القديمة واكثر بيوتها مبنيَّةٌ من اللبن لا منظر لها من خارج وداخلها مزخرفٌ بالرصايف والنقوش واسواقها احسن من اسواق اكثر مدن المشرق . ويُصنَع فيها كثيرٌ من اقمشة الحرير وادوات الخيل ولصاغتها صناعةٌ في صياغة الذهب لا يقدر عليها غيرهم وكان لها شهرةٌ في عمل السيوف قديمًا والآن فقدت هذه الصناعة منها واهلها يبلغون نحو ١٥٠٠٠٠ نفس وهم يوصفون غالبًا بالوداعة وسلامة الضمير. وارضها جيدة التربة ردية الهواء لكثرة المياه والاشجار ويقال ان

في مائها سريرة لدفع مرض الجذام عن اهلها فلا يصيبهم البتة وكسر عاديتهِ عن الغريب المصاب بهِ فانهُ اذا اقام فيها توقف بهِ في الدرجة التي بلغ اليها فلا يزيد عليها ونشا بدمشق جماعة من مشاهير العلماء والمتادبين منهم الشيخ محمد بن مالك الاندلسي صاحب الالفية المشهورة في النحو والشيخ محمد الحريري صاحب الحاشية على شرح الفاكهي للقطر والشيخ حسن البوريني شارح ديوان الفارض والشيخ عبد الغني النابلسي وعائشة الباعونية صاحبة البديعية المشهورة وكثيرٌ من العلماء والشعراء وكانت قبل الاسلام تخت آل جفنة ملوك غسَّان الذين يقول فيهم حسَّان بن ثابت الانصاري

اولاد جفنة حول قبر ابيهم
قبرُ ابن مارية الكريم المفضلِ
يسقون من وردَ البريصَ عليهمِ
بردَى يصفق بالرحيق السلسلِ

وحول دمشق ضياعٌ وقرى كثيرة افضلها الصالحية وهي التي يقول فيها الشيخ عبد الغنيّ النابلسي

الصالحيَّة جنَّةٌ والصالحون بها اقاموا

والى الشمال من دمشق مقاطعة يقال لها جبَّة عِسَّال

نسبةً الى مكانٍ يقال لهُ عسال الورد لكثرة الورد الذي فيهِ ومن اشهر قراها صيدنايا فيها ديرٌ لراهبات طائفة الروم . والى الشمال الشرقي مقاطعة معلولا نسبةً الى قريةٍ فيها حصينةٍ مبنية على قمَّةٍ هناك لا يُسلَك اليها الاَّ من مضيقٍ مستوعر وفيها ديرٌ عظيمٌ لطائفة الروم وقد حدث في سنة ١٨٥٠ للمسيح ان الامراء بني الحرفوش اصحاب بعلبك تحصَّنوا بها بعد وقعةٍ جرت لهم مع اجناد دمشق فهجم عليهم عسكر الدولة الى معلولا بوسيلةٍ من بعض اهلها فقتلوا بعضهم واسروا بعضاً ونهبوا القرية والدير . وحول معلولا عدَّة من القرى كعين التينة ونجعة وغيرها ولم يزل اهل تلك النواحي يتكلمون باللغة السريانية لكنها منحرفة كثيرًا عن اصلها كعربية العامة في هذه الايام . والى الشمال الشرقي من معلولا مقاطعة يبرود نسبةً الى قريةٍ كبيرة فيها بعض آثارٍ قديمة . وفي جوارها راس العين ومعرَّة باش كردي وفليطاء وسحِل والقسطل . والى الشمال الشرقي من القسطل النبك وما بين النبك والغوطة يُسمَّى الارض التحنية وفي هذه الارض يمرُّ الطريق من دمشق الى بغداد . وفي جوار النبك قارة وهما اعدل مكانين في تلك الديار حتى يضرب المثل بجودة هوائهما ومائهما وقد لهجت بهما الشعراء كثيرًا قال بعضهم

اذا هاجت الرمضاء ذكراك بردّت
حشاي كاني بين قارةَ والنبك

والى الشمال الشرقي من النبك دير عطيّة وفي المساحة بين دير عطية وتدمر الحُميرة والحفر وصَدَد (انظر سفر العدد ٣٤: ٨) ومكانٌ يعرف بالقريتين . وبين تدمر والدير على الفرات الحيَر والطيّبة والسخنة وأرك. ووادي الفرات هناك يسمى الزَور. وعلى غربي النهر مسكنا والحمام ورصافة هشام والرحبة وغيرها

وفي وادي نهر بَرَدَى ومن شماليهِ وجنوبيهِ قرى وضياع كثيرة منها الفيجة ومن هناك يخرج جانبٌ كبير من مياه نهر بَرَدَى . ومنها بلودان والزبداني وفي تلك النواحي يكثر التفاح. والبساتين متصلة من هناك الى دمشق . وتلك الديار اكثر البلاد ماء وفاكهةً ومتنزهاتٍ تقصدها الناس كالصالحية وقارة والنبك والنيرب والربوة والمنشار وبيت راس وهي التي ماتت بها حبابة جارية يزيد بن عبد الملك الاموي فمات كمدًا عليها وذلك انهُ نزل بها في بيت راس للتنزه فقال زعموا انهُ لا يصفو لاحدٍ عيشةُ يومًا كاملاً وساجرّب ذلك ولما اصبح امر أن لا يُرفع اليهِ شيءٌ من مهمات الملك الى الليل وخلا بحبابة تغنيهِ الى ان حضر الطعام فجلس ياكل وهي معهُ وكان قد قُدّم اليهِ من رمان بيت راس وهو عظيم الحب في الغاية فشرقت حبابة بحبَّةٍ منهُ وماتت بها قبل انتصاف النهار فجزع عليها جزعًا شديدًا حتى

مرض ثم مات في ذلك الشهر

اما بعلبك فليس لها اعتبار في هذه الايام الا بسبب آثار ابنيتها القديمة واما في الزمان القديم فكانت مدينة عظيمة من احصن المدن وامنعها ولم تزل على جانب من العظمة بعد استيلاء المسلمين الى نحو السبع مئة من تاريخ الهجرة وكان فيها اسواق كثيرة وجوامع وحوانيت ولها سور عظيم تراكم عليه السيل مرة من الجهة الجنوبية فدفعه وطفحت المياه على المدينة فاخربت منها ما ينيف على الف وخمس مئة بيت واهلكت خلقًا كثيرًا والآن قد بقي منها قلعة عجيبة البناء في اركانها واعمدتها وحجارتها العظيمة الهائلة وفيها كثير من الاعمدة مسقوفة بالواح حجرية وعليها نقوش كثيرة مختلفة الاشكال يُصعَد الى سطحها بلولب من جوف بعض الاركان وعليها آثار يقال لها قصر بنت الملك وجميع هذه الابنية محكمة الوصل حتى تظنها حجرًا واحدًا وقال بعض الذين يترددون الى هذه القلعة انهُ لا يدخلها مرةً الّا ويرى فيها شيئًا جديدًا لم ينتبه لهُ قبلاً لكثرة ما فيها من الصنائع والاعمال غير انها الآن قد تهدمت ولم يبقَ منها الا ما لم يقدر عليهِ كرور الايام ومع ذلك لم تزل معدودة من عجائب الابنية . والناس يزعمون انها من بناء سليمان بن داود وان الرومانيين بنوا على اثار كانت قبل عصرهم وذلك في ايام الملك انطونينوس بيوس في القرن الثاني بعد المسيح . وموقع هذه المدينة في جهة الشمال

الشرقي من سهل البقاع وبالقرب منها مخرج نهر الليطاني ويضاف اليهِ مياه نهر البرذوني الذي مخرجهُ في جبل لبنان وهو يجري بين زحلة والمعلقة ويضاف اليهِ نهر يحفوفة ونهر عنجر من جهة الجبل الشرقي . وبلدة عنجر هذه يسميها ابو الفدا عين الجرّ وبقربها قرية المجدل ويقال لها مجدل عنجر تمييزًا لها عن بقية المجادل كمجدل شمس وغيرها . واكثر اهل بلاد بعلبك متاولة وحكامهم من قديم الزمان الامراء بنو الحرفوش وهم الذين اوقعت بهم اجناد دمشق في معلولا كما مرَّ واخذوا تسعةً منهم اسارى الى القسطنطينية

ثم ان الجبل الشرقي الذي من جهة عنجر يخرقهُ وادٍ اولهُ تجاه مجدلها وهو المعروف بوادي الحرير ومسيلهُ يجري الى الغرب . وبعدهُ وادٍ اخر ضيق يُسمَّى وادي القرن وهو مكمنٌ للّصوص في تشويش الايام . والى جنوبي وادي القرن وادي بكّة ومسيلهما الى جهة الشرق . وفي وادي بكة حدثت وقعةٌ عظيمة بين ابرهيم باشا صاحب الدولة المصرية وطائفة الدروز فكانت الدائرة عليهم . والى جنوب هذا الوادي ينقسم الجبل الشرقي الى قسمين غربيهما يلازم الجانب الشرقي من نهر الليطاني وشرقيهما ينتهي الى جبل الشيخ . والوادي الذي بينهما يقال لهُ وادي التيم الاعلى . ومن قراهُ دير العشائر وينطة وكفرقوق وبكيفا وراشيا وهي مجلس الولاية . ويتصل بهِ وادي التيم الاسفل ومن قراهُ ميمس والكفير

وحاصبيا وهي مجلس الولاية وعين جرفا وشبعة وراشيًا الفخار والهبّاريّة التي فيها حيطان هيكل قديم طولهُ ستون قدمًا وعرضهُ ثلاثون . وبقرب حاصبيا خلواتٌ للدروز تعرف بالبيّاضة وقد إنتهبت في ايام الدولة المصرية وأُخِذ منها كثيرٌ من كتب الدروز فمنها ما أُرسِل الى فرانسا واستعان بهِ المعلم دساسي على تاليف كتابهِ في ديانة الدروز ومنها ما انتشر بين الناس فظهر ذلك السرُّ المكتوم . وحكام جميع هذه البلاد من الامراء الشهابيين الذين منهم امراء بلاد الشوف واهلها مختلطون من المسلمين والنصارى والدروز . وبالقرب من حاصبيا معادن من الحُمَّر والى جنوبيّها على نحو خمس ساعات موضعٌ يقال لهُ تلّ القاضي وهو موقع مدينة دان لبني اسرائيل (انظر سفر القضاة ١٨: ٧ الى عد ٢٩) والى جهة المشرق من تلّ القاضي بانياس وهي المسمّاة في الانجيل قيصرية فيلبس (متى ١٦: ١٣) ومن هناك تخرج نهرٍ يجري الى بحيرة الحولة . والمغارة التي يخرج هذا النهر منها كانت مكرّسة لالهٍ من الهة الرومانيين اسمهُ پان ومن ذلك تسمية المكان بانياس . وبنى فيها هيرودس الملك هيكلاً على اسم اوغسطس قيصر واثارهُ باقية الى الآن . وقلعتها من ابنية المسلمين وكانت تُسَمَّى الصُبَيبة

اما جبل الشيخ فهو المسمى في الكتب المقدسة جبل حرمون وقد سمّاهُ ابو الفداء جبل سنير وجبل الثلج . والى الجنوب

الشرقي منهُ اقليم البلان . ومن قُرَى هذا الاقليم عِرنَة وبيت جَنّ ودِربل وقلعة جندل وغيرها . والى نحو الجنوب من دمشق وادي العجم ومن قراهُ الجُدَيّدَة وقَطَنا وعرطوز وداريّا ودير عليّ والعادلية وصحنايا قال ابن منير

فالماطرون فداريّا فجارتها فآبِلٌ فمغاني دير قانونِ

والى الجنوب من وادي العجم مقاطعة يقال لها الجيدور من قراها بواريث ودير البخت ودير العدس والصَنَمَين وكفرشمس وغيرها . والى الشرق من بحيرة الحولة وبحيرة طبرَيّة اخذًا الى الجنوب الغربي من الجيدور ارض الجولان

اما ارض حوران فهي الى الجنوب الشرقي من دمشق وهي تنقسم الى النقرة والجاة وجبل حوران اما النقرة فهي سهلٌ واسعٌ ممتدٌ من وادي العجم الى البادية . ومن غربيّهِ الجيدور والجولان وجبل عجلون ومن شرقيهِ اللجاة وجبل حوران وهي مخصبة جدًّا بالزروع لكنها خالية من الاشجار وفيها قرى وضياع كثيرة منها أَشمشكين وهي قاعدة حوران كلها . ومنها غَسان وملوكها كانوا عُمّالاً للقياصرة على عرب الشام . قال ابو الفداء واصل غَسّان من اليمن من بني الازد بن الغوث بن نبت بن مالك بن أُدَد بن زيد بن كهلان بن سبا تفرقوا من اليمن بسيل العَرِم ونزلوا على ماء بالشام يقال لها غسان فنسبوا اليهِ انتهى . وبُصرَى قال

ابو الفداء وهي من ديار بني فزارة وبني مُرَّة وغيرهم . واما اللجاة فهي ارضٌ مستوعرة صعبة المسلك جدًّا لكثرة الحجارة والصخور التي فيها وما حولها يسمى لحف اللجاة . ومن قراها الشرقية في الارض المعروفة بوادي اللوى أمُّ الزيتون وبراق والصورة . ومن الشمالية شعارة وكُرَيم وخَبَب ومن الغربية جنين واذرع (يشوع ١٢ : ٢١) وكانت العرب تسميها اذرعات

قال امرؤ القيس

تَنَوَّرتُهَا من اذرعاتٍ وأَهلُهَا
بيَثْرِبَ أَدنَى دَارِها نَظَرٌ عالِ

ومن الجنوبية بُصر الحريري ونجران وديرالاسمر وام العلق . وقاعدة اللجاة داما ومن قراها جدل وسور وحرّان وجدَيَّا وسلاخد والخرساء وصميد ودور بني اسرائيل

واما جبل حوران فاعلى رؤوسهِ يُسمَّى جبل كُلَيب ويظن انهُ كان بركانًا . ومن قرى هذه الجبال الجُنَينة وعمرة ونمرة وشهباء وغنيل وقنوات (عدد ٣٢ : ٤٢) والسُوَيداء وفيها بنى قصرًا النعمان بن عمرو بن المنذر من ملوك غسان وهم الذين يقول فيهم النابغة الذبياني

لهم شيمةٌ لم يُعطها الله غيرهُم
من الناس والاحلام غير عوازبِ

ولا عيبَ فيهم غير انَّ سيوفهم
بهنَّ فلولٌ من قراع الكتائبِ
تخيّرنَ من ازمان يوم حليمةٍ
الى اليوم قد جُرِّبنَ كلَّ التجاربِ

وفي عمرٍو يقول

عليَّ لعمرٍو نعمةٌ بعد نعمةٍ لوالدهِ ليست بذات عقاربِ

والى شرقي جبل حوران ارض البَثَنِيَّة وهي المسمَّاة في الكتب المقدسة ارض باشان وسمَّاها ابو الفداء البثنيَّة وقال ايضًا انها كانت لايوب الصدّيق ملكًا ومن قراها البثنية ودومة وعيون والجدل وصلخد ويقال لها ايضًا صرخد . قال ابو الفداء صرخد بلدةٌ ذات قلعةٍ مرتفعة وليس لها ماءٌ سوى ماء المطر في الصهاريج والبرَك وهي قاعدة جبل بني هلال وليس وراء عملها من جهة الجنوب والى الشرق الا البرية ومن شرقيها تسلك طريقًا يُعرَف بالرصيف الى العراق وعلى هذا الطريق بين صرخد وبغداذ نحو عشرة ايام انتهى . وقلعة صرخد تُرَى من مسافةٍ بعيدة وبعض هذه الاماكن التي ذكرناها خرابٌ ولكن اسماؤها باقية . وابنية هذه البلاد مبنيةٌ من الحجر الاسود الذي يُجلَب الى سائر البلاد لأرحية الطواحين وسقوفها من اعمدةٍ حجرية مكان الجسور عليها صفائح من الحجارة ايضًا مكان الالواح.

قيل وفي بصر بيتٌ يُنسَب الى سركيس الراهب الذي يقال لهُ بحيراء مركَّبٌ من خمسة حجارةٍ لا غير اربعةٌ منها حيطان والخامس سقف ولهُ بابٌ من حجرٍ ايضًا سهل الفتح والاغلاق كباب الخشب ٠ واكثر ابياتها تحتها ابياتٌ أُخر عميقةٌ في الارض٠ واصعب اراضيها الوعرة وهي التي تحصَّنَت بها الدروز من ابرهيم باشا صاحب الدولة المصرية فهلك خلقٌ كثيرٌ من رجالهِ ولم يستطيعوا الدخول اليها لعسر مسلكها وضيقهِ . وهي ارضٌ واسعةٌ بين جبال مستوعرة في الغاية على طول مرحلةٍ لا يُدخل اليها الاَّ من مَضيقٍ حرِجٍ كثير المكامن في الجانبين . واهل تلك البلاد عرب ونصارى ودروز متبدِّية ايضًا في الملابس والاطعمة والعوائد . والعرب عشائر كثيرة لكنها ترجع الى اربع قبائل وهي السرديَّة والفُحيلية والعَيسيَّة وبنو صخر . وجميعهم يُلقَّبون باهل الشمال . وتحت حكم هولاء احياء كثيرة لاحاجة الى ذكرها هنا. واكابر الدروز هناك قومٌ يقال لهم بنو حمدان اصلهم من الغرب الاعلى من جبل الشوف من قريةٍ فوق عيناب يقال لها كفرة تركوها لتخاملٍ وقع عليهم في العداوة ونزحوا الى حوران وهي الآن قد درست حتى لم يبقَ غير اسمها فقط

واما مقاطعة جبل عجلون فهي مشتملة على الاراضي الواقعة بين نهر اليرموك شمالاً ونهر الزرقاء جنوبًا وتربتها مخصبة كثيرة المراعي وقد اخذت جانبًا عظيمًا منها غابةٌ من شجر السندجان .

وهذه المقاطعة تنقسم الى ثمانية اقسام وهي الكنارات والسرو والجهامنة ويقال لها ايضاً البُطين والواسطية وبنو عُبَيد والكورة وجبل عجلون والمعراض . وكان في تلك الاراضي عمائر كثيرة والآن اكثرها خراب منها كدارة ويقال لها الان امُّ قيس . وابيلا وتسمى الآن يبلا واربيلا وهي الآن اربد وبَلاَّ وهي الآن كفريبل . ومحنايم وهي الآن محنة . وارغوب وهي الآن راحب . وكراسا وهي الآن جرش . وهناك آثارٌ قديمة تعادل خرائب تدمر . وبقرب قرية عجلون الى جهة الغرب قلعة الربض وتسمى الباعوثة ايضاً

والى جنوبي نهر الزرقاء الى النهر الموجب البلقاء وشماليّها جبل الصلت وليس فيها موضعٌ مسكونٌ الاَّ قرية الصلت . ومن مواضعها القديمة جلعاد وعمُّون وهي الآن عمان . وحشبون وهي الآن حسبان والعال ونبا وما عين وعراعر وذيبان . وفي جنوب هذه المقاطعة كانت قديمًا ارض بني عمُّون . والى جنوبي النهر الموجب وهو نهر ارنون ايضاً الى الاحساء ارض الكَرَك وهي ارض موآب او ارض قوم لوط . ومن قراها الكَرَك وهي كير مواب . وربة وهي رابة مواب . وزعراء ويقال انها صاغر التي هرب اليها لوط لما نجا من سدوم

ثم ان بين جبال النصيرية وجبل لبنان وجبال نابلس شرقًا والبحر غربًا اراضي سهلة مختلفة العرض وفي بعض المواضع

منها تصل الجبال الى شط البحر كما بين اللاذقية ومصبّ نهر العاصي وبين طرابلس والبترون وما يلي مصبّ نهر الكلب وبين مصبّ نهر الدامور ونهر الاولي وبين صور وعكاء وعند طرف جبل الكرمل بقرب مدينة حيفاء وهذه البقعة الواقعة بين الطنطورة الى جنوبي راس الكرمل والنهر الكبير الى شمالي طرابلس تسمى فينيقية على حُسب جغرافية بطليموس المصري

ومن المدن التي على ريف البحر المتوسط مبتدئًا من الشمال مدينة اللاذقية بناها الملك سلوقوس الغالب وسمَّاها على اسم امهِ وهي على الشمال الغربي من راسٍ داخل في البحر وبين المدينة والمينا نحو نصف ساعة وفيها اثار ابنيةٍ قديمة وخرابة ديرٍ او كنيسةٍ قد بنيت في القرن السادس للتاريخ المسيحي ويقال لها الفاروس ذكرها ابو الفداء. وكانت اللاذقية من المدن المعتبرة في الزمان القديم وكانت مقامًا للتنوخيين امراء تلك الاعمال وبها توفي الامير محمد بن اسحق التنوخي الذي رثاهُ المتنبي بقصيدتهِ التي يقول في مطلعها

اني لأَعْلَمُ واللبيب خبيرُ ان الحيوة وان حرصتُ غرورُ

الى ان يقول

خرجوا بهِ ولكل باكٍ خلفهُ صَعَقاتُ موسى يومَ دُكَّ الطورُ

والشمس في كبد السماء مريضةٌ والارض واجفةٌ تكاد تمورُ
وخفيف اجنحة الملائك حولهُ وعيون اهل اللاذقيَّة صورُ

وكانت للاذقية قديمًا تجارةٌ واسعة في الخمر ويقال لها لاذقية العرب تمييزًا لها

واما الآن فاكثر تجاريها في التبغ الذي يجلب من الجبال المجاورة لها والحرير والقطن والسمسم والحنطة والشعير والذرة والزيت والعسل والسمن والشمع والصوف وهي كثيرة الزلازل وقد خربت بها الا قليلاً في سنة ١٧٩٦ واهلها يبلغون نحو ٤٠٠٠ نفس من المسلمين والروم وهم كرام الأَنفس يحبُّون الغرباء ويكرمونهم

اما مدينة جَبَلَة فليس فيها الآن ما يستحق الذكر سوى جامع بناهُ السلطان ابرهيم وآثار مكانٍ للملاعب الرومانيين وهو على شكل قوس دائرةٍ مقاعدهُ صفوفٌ حول الساحة المتوسطة كل صفٍّ منها مرتفع قليلاً عما تحتهُ ونصف قطر الدائرة نحو ١٥٠ قدمًا والمحيط من خارج نحو ٤٥٠ قدمًا وتحت المقاعد مرابض كانوا يضعون فيها الوحوش التي يستحضرونها لتلك الملاعب . واهل جَبَلَة الآن نحو ٨٠٠٠ نفس . وبين جبلة وطرسوس سهول مخصبة فيها آثارٌ كثيرة قديمة تدل على كثرة اهلها وغناهم في الاعصار السالفة

واما طرطوس فهي المسماة قديمًا انترادوس اي تجاه ارادوس التي هي جزيرة رواد وابو الفداء يسميها انطرطوس واسمها الآن مُقْتَطعٌ منهُ . وهي الآن قريبةٌ من الخراب . واهلها نحو ٦٠٠ نفس يسكنون في بيوتٍ داخل قلعةٍ واسعة وهذه القلعة ربما كانت من بقايا ابنية اهل فينيقية القدماء . وبقربها كنيسةٌ قديمة حسنة البناء من عصر القرن الثانيْ عشر وهي الآن حظيرةٌ للمواشي . وفي تلك النواحي خرب مدينة مراثوس من مدن فينيقية المشهورة وتسمى الآن عمريت . والى جهة الشمال الشرقي من طرطوس على مسافة نحو ست ساعات قلعة المَرقب قال ابو الفداء المرقب حصنٌ احدثهُ المسلمون سنة ٤٥٤ للهجرة نقلهُ ابن منقذ في تاريخ القلاع والحصون انتهى . وهي على راس جبلٍ يرتفع نحو الف قدمٍ عن مساواة البحر . وفيها كثيرٌ من الآبار والمخازن . اخذتها الافرنج من المسلمين ثم استرجعها سلطان مصر سنة ١٢٨٣ وتجاه المرقب على شاطي البحر موقع مدينة بلنياس ولم يبقَ الآن سوى اثارها الدارسة

واما جزيرة رواد فهي الى الجنوب الغربي من طرسوس على نحو ثلاثة اميال . وهي جزيرة صغيرة محيطها نحو ١٥٠٠ خطوة وفيها كثيرٌ من بقايا ابنية الفينيقيين من قلاعٍ واسوارٍ متينة . وقد أُخرج من طرفيها حيطان منيعة الى البحر نحو جهة البر فيحدث من ذلك مرسى امين للسفن . وليس فيها ماءٌ الاّ ما

يجمع في الآبار من ماء المطر. واهلها الآن قلائل اكثر اعمالهم في البحر والمواشي ولهم تجارة في زبل تلك المواشي يشحنونهُ في السفن الى الاطراف البعيدة لادمال البساتين. واهلها القدماء كانوا مشتهرين في المعرفة بسلوك البحر. وهي مذكورة في الكتب المقدسة (ملوك ثانٍ ص١٨ وص١٩ واشعيا ص١٠ وص٢٦ وص٢٧ وارميا ص٤٧ وحزقيال ص٢٧)

اما جبال النُصَيرية فهي الى شرقي الاماكن المذكورة وهي مقاطعاتٌ عديدة. منها مقاطعة الخوابي وحكامها مسلمون من بني عذراء وهم يسكنون قلعة الخوابي ويُلقَّبون اغاوات. وهذه المقاطعة الى الجنوب الشرقي من المرقب وفيها نحو ٥٥ قريةً اهلها نصيرية واسماعيلية ومسلمون وروم. ومقاطعة المرقب وحكامها من بني عذراء ايضاً وهم يسكنون في قلعة المرقب وفي قرية زمري. وفي هذه المقاطعة نحو ٩٠ قريةً اهلها نصيرية ومسلمون ونصارى من طائفة الموارنة والروم. ومقاطعة القدموس وحكامها اسماعيلية وهم طائفتان الجماوية والسُوَيدانيَّة وكلهم يسكنون في القدموس ويلقبون امراء وصاحب الولاية منهم يسكن في قلعة القدموس. وفي هذه المقاطعة ١٧٧ قرية اهلها اسماعيلية ونصيرية وهي الى جهة الشرق من المرقب. والى الشمال منها مقاطعة سمت قبلة وهي ثلاث حال حِلَّة بني باشوط وحكامها من بني مطرد وبني عثمان وهم يسكنون في قرية الحصان وبني ابي عاصي ويسكنون في عين

قيطو . وحِلّة الحمام لبني جحجاج وهم يسكنون في قرية الحمام . وحلة السرامطة لطائفة البشالدة وهم بسكنون قرية بعسدة ودوير بعبدة وبني غريب وهم يسكنون قرية الدالية وجميع هذه الطوائف نصيرية ويلقبون مقدمين وهذه المقاطعة نحو ٧٠ قرية كل اهلها نصيرية . ومقاطعة بني علي حكامها بنو ابي شلحة وهم يسكنون في عين الشقاق ويلقبون مقدمين . وفي هذه المقاطعة نحو ٣٦ قرية اهلها نصيرية . ومقاطعة القرداحة وحكامها بنو احمد يسكنون في قرية بتنبول وبنو جركس في مرج معيربات وبنو علي في القرداحة وبنو العيلة وشهاب الدين فيها ايضًا وبنو حصون في بشلامة والبراج وبنو علوش في كلماخو وجميعهم نصيرية ويلقبون مقدمين . وفي هذه المقاطعة نحو ٨٠ قرية اهلها نصيرية . ومقاطعة جبل المهالبة وحكامها بنو غصن وهم يسكنون قرية اللدينة وبنو خير بيك وهم يسكنون في قلعة المرسالية وجميعهم نصيرية ويلقبون مقدمين . وفي هذه المقاطعة ٤٧ قرية اهلها نصيرية . ومقاطعة المُزَيرِية وحكامها بنو احمد وبنو محمد وبنو علي وهم نصيرية ايضًا ويلقبون مقدمين . وهذه المقاطعة ثلاثة اقسام وهي المزيرعة والعمارة وساحل المزيرعة وفي هذه الاقسام نحو ١١٠ من الضياع والمزارع . ومقاطعة صهيون وحكامها بنو جندي مصطفى وهم يسكنون في قرية الحفّة وطائفة الارشوكية وهم يسكنون في قرية شير القاق وبنو جندي ابرهيم ويسكنون في منجيلا وطائفة

الزناقفة ويسكنون في قرية الزنقوفة وجميعهم مسلمون ويلقبون اجنادًا . وفي هذه المقاطعة ٤٧ قرية . قال ابو الفداء ومدينة صهيون ذات قلعةٍ حصينة لا تُرَام من مشاهير معاقل الشام وبقلعتها مياهٌ كثيرة تجتمع من الامطار وهي على صخرٍ اصمَّ بالقرب منها وادٍ وبهِ من المحمضيات ما لا يوجد مثلهُ في تلك البلاد وتظهر من عند اللاذقية وبينهما نحو مرحلةٍ وهي في الشرق بميلةٍ الى الجنوب عن اللاذقية انتهى . وهناك كانت وقعة عظيمة بين اهالي تلك البلاد واهل جبل لبنان في ايام الدولة المصرية

اما ساحل اللاذقية ففيهِ نحو ٦٠ قرية من قرى النصيرية. ومقاطعة البهلولية الى الشمال الشرقي من اللاذقية وحكامها طوائف شتى كبني علي وبني تمسين وبني منصور وغيرهم وكلهم نصيرية . وفي هذه المقاطعة ٤٧ قرية واهلها نصيرية ايضًا . والى جهة الشمال الشرقي منها مقاطعة جبل الاكراد وحكامها عدَّة عشائر من المسلمين وفيها نحو ١٢٠ من الضياع والمزارع واهلها نصيرية واكراد وارمن . وفي الجبل الاقرع والى شرقيهِ كثيرٌ من الضياع والمزارع والقرى سكانها تركمان واكراد وارمن ونصيريَّة واهالي تلك النواحي جميعهم في حالةٍ يرثى لها من الجهل والغباوة. ثم الى نحو الشرق من طرطوس بميلةٍ الى الجنوب على نحو ست ساعات صفيطة سكانها نحو ٥٠٠ نفس من طائفة الروم و ٢٠٠ من

المسلمين . وفي المقاطعة كلها نحو ٢٥٠٠٠ نفس منها نحو ٥٨٠٠ نصيرية و٨٠٠ روم و٨٠ موارنة والباقي مسلمون وهناك برجٌ على تلٍّ من ايام الرومانيين . والى الجنوب الشرقي منها دير الحُمَيراء المنسوب الى مار جاورجيوس وبالقرب منهُ عين دورية تجري منها المياه مدةً ثم تنقطع مدةً اخرى . وطول نوبة جريانها وانقطاعها يختلف بحسب اختلاف الفصول . وهي النهر السبتيّ الذي اشار اليهِ يوسيفوس المورخ اليهودي ومن اراد الوقوف على ذكر ذلك بالتفصيل فعليهِ بمراجعة اعمال الجمعية السورية المطبوعة في بيروت . والى الجنوب الشرقي من هذا الدير على مسافة بعض ساعات قلعة الحصن وهو المعروف قديمًا بحصن الاكراد وكان مقام ولاية السلطنة قبل فتح طرابلس قال بهِ ياقوت في المشترك وكان قد حاصرهُ الملك الظاهر بيبرس فامتنع عليهِ زمانًا ثم ملكهُ بالامان ثم رحل الى حصن عكار وجدَّ في قتالهِ وملكهُ بالامان وكان في خدمتهِ القاضي محيي الدين بن عبد الله بن عبد الظاهر فقال في ذلك

حصنُ عكّارَ ما صفا قطُّ يومًا من الكدَر
كيف يصفو الذي ثلاثة ارباعهِ عكر

حكى بهِ ابو الفداء الحموي

وكان في تلك الايام قد اقام بعض اجنادهِ على حصار عكا

فامتنعت عليهِ ايضًا ثم افتتح حصن عكّار ولم تزل عكّا ممتنعة فقال القاضي المشار اليهِ

يا مليك النصر قد هُنِّئتَ فابشر بالاراده
ان عكّارَ لعمري هي عكًّا وزياده

وتحت القلعة والدير المذكورَين وادٍ يجري فيهِ النهر الكبير وهناك منتهى جبال النصيرية ومبتدا جبل لبنان

اما بلاد عكار فهي متصلة بجنوبي مقاطعة الحصن ولها الطرف الشمالي من جبل لبنان وتمتد من هناك الى البحر مشتملة على سهول مخصبة حول جون عكّار . وفي الجبل موضع يقال لهُ الشعرة وهي غياضٌ واسعة تأوي اليها اللصوص . وفي المقاطعة نحو ١٤٠ قرية اهلها متاولة نحو ٧٠٠٠ نفس ونصيرية نحو ٢٥٠٠ وروم نحو ٨٦٠٠ وموارنة نحو ٤٥٠٠ ومن اشهر قراها عكار وكانت قديمًا مقام الامراء بني سيفا من طائفة المسلمين كانوا حكام تلك البلاد وكان بعضهم يتولى مقاطعة كسروان التابعة لجبل الشوف وكانوا يمتدُّون الى بيروت ولهم فيها آثارٌ واوقافٌ حتى ان جامع السرايا الى الآن يُعرَف باسم الامير عسّاف سيفا وللفقراء وقفٌ باسمهِ ايضًا خارج البلدة فلما اثاروا فتنةً على الدولة العثمانية انتهم العساكر من ناحية طرابلس ومن ناحية بعلبك فاخذوا القرية واحرقوها وكان الامراء بنو سيفا قد اجتمعوا

هناك فقتلوا عن آخرهم وانقرضت سلالتهم فصار يُضرَب المثل بهم الى الآن وخربت عكار بعد ذلك حتى انها الآن ليس فيها اكثر من ثلاثين بيتًا واما قرية عرقة فكانت قديمًا مدينةً مشهورةً واتى اليها الملك تيطس الروماني بعد افتتاح مدينة اورشليم وهناك قدَّم ذبائح في هيكل الزهرة شكرًا للالهة على انتصارهِ وظفرهِ بشعب اليهود. والى الآن لم يزل هناك بعض آثار ابنية الفينيقيين. وهذه المدينة مذكورة في سفر التكوين (١٠: ١٧) وسفر الايام الاول (١: ١٥) قيل ان هيكل الزهرة المذكور بناهُ اسكندر بن فيلبس المكدوني. وفيهِ ولد القيصر الروماني اسكندر سفيروس. والافرنج حاصروها سنة ١٠٩٩ للمسيح ولم يقدروا على استفتاحها ثم اخذوها سنة ١١٠٩ بعدما اخذوا مدينة طرابلس. والى جهة الجنوب من عكار في جبل لبنان مقاطعة الضنيَّة اهلها بين مسلمين وروم وموارنة. ويوجد فيها نوعٌ من العنب اسود عظيم لذيذ الطعم شديد الصلابة حتى انهُ يُحمَل في الجوالق الى مسافة بعيدةٍ كما يُحمَل الجوز ولا يتأثَّر من ذلك بشيءٍ. اما مدينة طرابلس فهي في طول شرقي ٣٠ ٤٤ ٣٥° وعرض شمالي ٣٦ ٢٦ ٣٤° قال ياقوت في المشترك وقد فرَّق بعضهم بينها وبين مدينةٍ اخرى بهذا الاسم في شمال افريقية فجعلوا التي بالشام أطرابُلُس بزيادة الهمزة والاخرى طرابلس بغير الهمزة الاَّ ان المتنبي خالف هذا بقولهِ في طرابلس الشامية

آكارمٌ حسد الارضَ السماءُ بهم
وقصَّرَتْ كلُّ مصرٍ عن طرابُلسِ

ويفرقون بينهما ايضًا بقولهم لهذه طرابلس الشام ولتلك طرابلس الغرب وهو المشهور . قال ابو الفداء وطرابلس مدينة روميَّة على طرفٍ داخل في البحر فتحها المسلمون سنة ٦٨٨ وخربوها وعمروا على نحو ميل منها مدينةً سموها باسمها انتهى . وهي قسمان المدينة والمينا اما المدينة فعلى جانبي نهر ابي علي والمياه دائرةٌ في شوارعها وابنيتها . واهلها نحو ١٣٠٠٠ نفس منهم نحو ثلاثة ارباع مسلمون والباقي نصارى من طائفة الروم والموارنة واما المينا فهي على راس لسانٍ داخل في البحر واهلها نحو ٥٠٠٠ نفس وهي موقع المدينة القديمة وقيل ان اصلها من اناس رحلوا من صور وصيدا ورواد في الايام القديمة فبنى كل قومٍ محلَّة لهم ثم انضمَّت تلك الابنية الى واحدةٍ ودُعِيَت باسم طرابلس لان معناهُ في اليونانية المدن الثلاث . ولهذه المدينة بساتين كثيرة تكثر فيها الاثمار والفواكه وهي مشهورة بطيب السفرجل والبردقان والورد. لكنها لكثرة مياهها واشجارها يكثر فيها مرض الحُمَّى ولاسيما في اواخر الصيف . واهلها يوصفون بشدَّة الباس وعزَّة النفس واكثرهم يحبُّون العلم والعلماء . قيل لما اتت الافرنج الى بر الشام في القرن الثاني عشر من التاريخ المسيحي بنى قلعة طرابلس ريموند

من تولوس سنة ١١٠٣ وكان في الميناء يومئذٍ مكتبة قد اعتنى بجمعها القاضي ابو طالب حسن حتى اشتملت على ثلاث مئة الف مجلد في اللغة العربية والفارسية واليونانية فاحترقت في افتتاح المدينة . وفي سنة ١١٨٨ حاصرها الملك صلاح الدين الايوبي فلم يقدر عليها ثم استفتحها سلطان مصر سنة ١٢٨٩ وقتل خلقاً كثيراً من اهلها ثم استرجعها ملك قبرس سنة ١٣٦٦ فاحرقها واخرب الاماكن التي على شاطىء البحر الى اللاذقية . واخرب جانباً منها قبل ذلك حدوث الزلازل عليها سنة ١٢٠٣ وسنة ١٣٨٥ ايضاً . وعلى شاطىء البحر في الجانب الشمالي من اللسان ستة ابراج قد بنيت للمحافظة من مهاجمة الاعداء بحراً . ومن راس اللسان سلسلة جزائر صغار تمتدُّ الى جهة الشمال الغربي نحو ١٠ اميال . اما تجارة طرابلس فغير واسعة واعظم بضائعها الحرير والاسفنج والصابون والعفص واصول الفُوَّة التي تُجلَب من نواحي حماه وحمص وكذلك التبغ وبعض الفواكه

واما البترون فهي المسماة عند اليونانيين بتريس قيل بناها ايثو بعل مَلك صور في عصر ايليا النبي . واهلها الآن نحو ٣٠٠٠ نفس اكثرهم موارنة والبقية روم ويُجلَب منها الحرير والزيت والاسفنج . وعلى مسافة نصف ساعةٍ منها قلعةٌ قديمة على راس صخرةٍ عظيمة في بطن وادٍ مفرج يقال لها قلعة المسيلحة وهي على جانب طريق طرابلس لكنها الآن مهجورة تأْوي اليها اللصوص.

وبين طرابلس والبترون راسٌ مرتفعٌ داخلٌ في البحر وعلى الجانب الشمالي منهُ دير المورية في شاهقٍ يعسر الوصول اليهِ جدًّا لصعوبة مسلكهِ

واما مدينة جبيل فهي المسماة عند اليونانيين بيبلوس وفي التوراة جيبال (ملوك اول ٥: ١٨ حزقيال ٢٧: ٩) وهناك اثار قديمة من اعمدة ونواويس وفيها قلعةٌ عظيمة شاهقة واهلها نحو ٦٠٠ نفس وافضل التبغ ما يجلب من الجبال المجاورة لها وفي جوارها آثار قديمة معتبرة

واما مدينة بيروت فهي على الجانب الشمالي الغربي من لسانٍ طويل داخل في البحر. وراس اللسان في طول شرقي ٣٥°٢٨′ وعرض شمالي ٣٣°٥٠′ والمدينة على نحو ساعةٍ من الراس الى جهة الشرق بميلةٍ من الشمال وهي فرضة دمشق ولكن مرساها غير امينٍ للسفن فعند هبوب الرياح من جهة الغرب ترسي في خليج مار جرجس عند مصبّ نهر بيروت وهناك ايضًا عليها خطرٌ اذا عصفت الرياح الشمالية . ولبيروت كان سورٌ وقلاعٌ غيران جانبًا من ابراجها تهدَّم بمدافع المراكب الانكليزية سنة ١٨٤٠ لما حضرت لاخراج الدولة المصرية من بر الشام . وفيها كثير من الاثار القديمة واكثرها قد رُدِم تحت الارض فحيثما احتفروا في ارضها وجدوا كثيرًا من الحجارة العظيمة والاعمدة والنواويس المنقوشة والمصوَّرة من الرخام وغيره والاشخاص

الصنمية. وقد ظهر في بعض الاماكن ابنية لم تزل عامرة مردومة بالتراب. ووجد لدى بعض ابوابها قناة للماء منحوتة في صخرٍ شديد الصلابة متسعة يمشي فيها الرجل الطويل منتصباً وكان ذلك سنة ١٢٦٢ للهجرة في ايام ولاية وجيه باشا من قِبَل الدولة العثمانية فامر باستنباعها والتماس ينبوع مائها فاستتبعوها مسافةً طويلة ولم يجدوا الاَّ مياهًا تُجلَب اليها من فضلات المطر وكان ينفق على ذلك فلما عُزِل اقطع الامداد وتركوها. وابنية بيروت جيدة حسنة والجانب الاعظم منها الآن خارج المدينة في البساتين وماؤُها جيدٌ صحيح غير انهُ قليل بالنسبة الى اهلها وهواؤُها لطيفٌ الاَّ في نواحي نهر بيروت حيث تكثر الامراض في ايام الصيف. وافضل احياء بيروت في الماء والهواء والنزاهة حيُّ المُسيطبة وهناك صخورٌ كثيرة رملية تقطع منها اكثر حجارة المدينة. وبين بساتين بيروت وسفح جبل لبنان سهلٌ واسعٌ مخصبٌ في الغاية اكثرهُ يشرب من ماء نهرها وفيهِ كثيرٌ من البساتين والجنائن. والى جهة الجنوب الشرقي غابة زيتونٍ عظيمة طولها مسافة ثلاث ساعات وعرضها نصف ذلك يقال لها صحراء الشويفات وفيها اشجارٌ من الزيتون هائلة قديمة العهد يقولون انها من ايام الرومانيين ولذلك يقال لها رومانية. وهذه الصحراء يكاد لا يوجد مثلها في بلاد العرب. وكان على طرفها الغربي قريةٌ قديمة يقال لها قرطَيه اندرست من كرور الايام حتى لم يبقَ لها

اثرٌ الاَّ رسمها في دفاتر الاموال السلطانية وعلى حاشيتها الجنوبية قرية اخرى يقال لها الفيجنيَّة اندرست ايضًا حتى لم يبقَ لها اثرٌ الاَّ بير ماء يقال له بير الحَّامة واكتسى مكان القريتين بشجر الزيتون . والى شمال هذه الصحراء على شط البحر بمسافة نحو ساعةٍ من بيروت مقام الاوزاعي الفقيه قال ابن خلكان هو ابو عمرو عبد الرحمن بن يُحمِد الاوزاعي امام اهل الشام وكان يسكن بيروت وكانت ولادتهُ ببعلبك سنة ٨١ للهجرة ومنشاهُ بالبقاع ووفاتهُ في بيروت سنة ١٥٧ وقبرهُ في قرية على باب بيروت يقال لها حنتوش وقد رثاهُ بعضهم بقولهِ

جاد الحيا بالشام كلَّ عشيةٍ قبرًا تضمَّن لحدُهُ الاوزاعي
قبرٌ تضمَّن فيهِ طود شريعةٍ سقيًا لهُ من عالم نفَّاعِ
عَرضت لهُ الدنيا فاعرض مقلعًا عنها بزهدٍ أيَّما اقلاعِ

والاوزاعيّ نسبةً الى اوزاع وهي بطنٌ من ذي كلاع من اليمن وقيل بطنٌ من همذان وقيل قريةٌ بدمشق على طريق باب الفراديس . انظر تاريخ ابي الفدى الحموي لسنة سبع وخمسين ومئة .اقول وكانت بيروت من مشاهير المدن حتى ان الملك اوغسطس قيصر اعطاها حقوق المدن الرومانية الاصلية وسماها على اسم ابنتهِ جوليا فيلِكس . وزيَّنها الملك اغريفوس الاكبر وبنى فيها ملاعب واروقة وحمَّامات وفي القرن الثاني اشتهرت

بمدرسة علم الفقه واتاها تلاميذ من بلاد اليونان والديار المصرية وكانت تُلقَّب حينئذٍ بمدينة العلماء. وبعد ان تغلَّب عليها المسلمون اخذتها الافرنج سنة ١١١٠ للتاريخ المسيحي ثم استرجعها الملك صلاح الدين الايوبي سنة ١١٨٧ بالتسليم وكان قد حاصرها تسعة ايام وفي اليوم العاشر سلّمت اليهِ ثم استخلصتها الافرنج سنة ١١٩٧ وبقيت في ايديهم الى سنة ١٢٩١ فتغلَّبت عليها المسلمون وضعف امرها من تواتر الحصار واخذت في الانحطاط فلم يكن لها اعتبارٌ من ذلك الوقت الى سنة ١٨٤٠ حين صارت دار وزارة بر الشام فاخذت في التقدم وتضاعف عدد سكانها في مدة عشر سنواتٍ والآن يبلغ ما بين ٧٠٠٠٠ و٨٠٠٠٠ نفس وقد صارت اعظم مدن بر الشام تجارةً وبضاعة متجرها جميع محاصيل بر الشام

واما مدينة صيدا فهي الى الجنوب من بيروت مسافة يوم على شاطي البحر وهي صيدون القديمة قال يوسيفوس اليهودي نسمّت على اسم صيدون بكر كنعان بن حام بن نوح وهي اقدم من صور (تكوين ص ١٠ وص ٤٩ يشوع ص ١١ وص ١٩ قضاة ص ١ حزقيال ص ٢٧) ولها سورٌ وقلاعٌ غير انهُ قد تهدَّم جانب منها سنة ١٨٤٠ بضرب المدافع الانكليزية على ما مرَّ وابنيتها متينة واسواقها ضيقة ملتوية واهلها نحو ٦٠٠٠ نفس وكان لها قديمًا تجارةٌ واسعة لكنها الآن تحوّلت الى بيروت . وكانت قديمًا دار

الوزارة حتى قام احمد باشا الجزار فاختار عكاء لحصانتها ثم قام بعدهُ اسمعيل باشا ثم سليمان باشا ثم عبد الله باشا ثم تحولت دار الوزارة الى بيروت بعد اقلاع الدولة المصرية غير ان النسبة لم تزل الى صيدا باعتبار الوضع القديم فيقال للعمل ايالة صيدا والوالي وزير صيدا الى يومنا هذا . ولهذه المدينة بساتين كثيرة وجنائن واسعة فيها من اكثر انواع الاثمار والفواكه وهي تشرب من ماء النهر الذي يشرب منهُ اهل المدينة وهو افضل المياه عند مخرجهِ في الباروك واردأها عند وصولهِ الى صيدا فهو كما قيل "نعم الجدود ولكن بئس ما ولدوا" وذلك لانهُ يجري مسافة يوم تحت الشمس تخوضهُ المواشي والناس حتى يقارب المدينة فيدخل في انبيةٍ مبنيةٍ تحت الارض يلقون فيها السرجين ليسدَّ ما فيها من الصدوع التي تتخللها المياه فيصل الماء الى المدينة سخنًا خبيثًا وكانت هذه المدينة في سهم سبط اشير من اسباط بني اسرائيل كما قيل في يشوع (١٩:٢٨) ولكنهم لم يقدروا عليها (قضاة ١:٢١ و ١:٣١) واخذها شلمناصر ملك اشور ق.م نحو ٧٢٠ سنة وسلمت لاسكندر بن فيلبس المكدوني نحو ق.م ٣٣٣ سنة ثم صارت للملوك مصر وسوريا ثم للرومانيين ثم للمسلمين ثم اخذتها الافرنج في سنة ١١١١ للتاريخ المسيحي ثم سلمت للملك صلاح الدين الايوبي بعد وقعة حطين سنة ١١٨٧ ثم عادت اليها الافرنج وتسلمتها الى سنة ١١٩١ وبقيت في حال الخراب الى اوائل القرن

السابع عشر حينما اخذ الامير فخر الدين المعنيّ في اقامة ابنيةٍ بها كما فعل في بيروت ايضًا . وكان بعد ذلك للفرنساويين تجارة واسعة في صيدا وكانت يومئذٍ هي فرضة دمشق فلما قام احمد باشا الجزار طردهم منها سنة ١٧٩١ ومن ثمَّ ضعفت تجارتها حتى كادت لا تستحق ان تُذكَر. والى الجنوب من صيدا على طريق صور قرية الصرَفند وبقربها موقع صرفة صيدا المذكورة في الكتب المقدسة (ملوك اول ص١٧ لوقا ص٤)

واما مدينة صور فهي على راس لسانٍ داخل في البحر. وهي عن صيدا بمسافة يوم الى الجنوب وبينها وبين عكاء مسافة يوم ونصف . وهي مدينة قديمة جدًّا اشتهرت في ايام الفينيقيين بالغنى والعظمة وسعة التجارة ومعرفة الاهالي بسلوك البحر ومهارتهم في الصنائع (انظر نبوة اشعيا ص٢٣ حزقيال ص٢٧) قيل بناها بعض اهالي صيدون قبل بناء هيكل سليمان بنحو مئتين واربعين سنة وهي مذكورة ايضًا في سفر يشوع (ص١٩) وصموئيل الثاني (ص٢٤) وكان يومئذٍ اللسان المتصل الآن بالبر جزيرةً وكانت المدينة القديمة على البرّ ولكن كانوا قد ابتدأُوا بالعمار على الجزيرة حسب تاريخ يوسيفوس . وفي ايام شلماصر ملك اشور ق.م ٧٣٠ سنة كان الجانب الاكبر من المدينة على الجزيرة وحاصرها بختنصر ملك بابل ثلاث عشرة سنة ثم اتاها اسكندر بن فيلبس نحو ق.م ٣٣٢ وبعد سبعة اشهر استفتحها وكان قد القى خُرَب

المدينة القديمة في البحر فاتصلت الجزيرة بالبر وحدث طريقٌ
للعساكر يمشون عليهِ ثم ما زال البحر يقذف الرمال على هذا
الردم حتى استوى ذلك الرصيف ارضًا واتصلت الجزيرة بالبر
اتصالاً محكمًا وحدث اللسان الذي عليهِ صور الآن . وقد خربت
هذه المدينة مرارًا عديدة ثم نهضت من خرابها . وكانت زاهيةً
في مدة اقامة الافرنج بارض فلسطين . واخيرًا خرجوا منها في
اثناء سنة ١٢٩١ وخربت خرابًا كاملاً وكانت كذلك في ايام ابي
الفداء ملك حماه فانهُ قال في كتاب تقويم البلدان هي الآن
خرابٌ خالية انتهى . وقد تمت فيها نبوة اشعيا (ص٢٣) وحزقيال
(ص٢٦ وص٢٧) ولم تزل هناك اثارٌ قديمة من اعمدة واقنية عظيمة
تحت الارض وابنية مردومة متهدّمة وهناك بعض حيطان كنيسةٍ
عظيمة لم تزل قائمة وقد اعتنى كثيرون من اهلها باستخراج تلك
الحجارة المردومة والتجارة بها الى بيروت . والى الجنوب الشرقي
منها على مسافة نحو ساعةٍ مكانٌ يقال لهُ راس العين فيهِ مياهٌ
غزيرةٌ تفور من تنورٍ قد بُني حولها فانحصرت فيهِ وهناك بساتين
تشرب منها وارحيةٌ تدور بها . والظاهر ان هذه كانت قديمًا
ماخوذةً الى مدينة صور في اقنيةٍ قد بقي منها شيءٌ الى الآن .
وليس لصور في هذه الايام تجارةٌ الاَّ قليلاً في التبغ والقطن
والفحم . واهلها يبلغون نحو ٣٠٠٠ نفس من متاولة ونصارى
باباوية وروم

واما مدينة عكاء فهي الى الجنوب من صور على مسافة يوم ونصف . وسميت قديمًا بطلمايس (اعمال ٢١: ٧) على اسم احد بطليموسية مصر . واشتهرت كثيرًا في الحروب بين الافرنج والمسلمين الى ايام الملك الاشرف من الملك الظاهر برقوق فتسلمها واستمرت بايدي المسلمين الى سنة ١٧٩٩ فحضر نابوليون بونابارته الفرنساوي وحاصرها مدّةً . وكان بها احمد باشا الجزار فقاومهُ برًّا وامسك عليهِ البحر القبطان سيدني سميث الانكليزي فانصرف عنها بعد ما كاد يستولي عليها . ولما خرج ابرهيم باشا صاحب مصر على السلطان محمود العثماني حاصرها نحو ثمانية اشهرٍ ثم استفتحها مهاجمة في اول يومٍ من سنة ١٠٤٨ الهجرة وقبض على واليها يومئذ عبد الله باشا وارسلهُ الى القاهرة وشرع في تحصينها وما زال يقوّيها بالآلات الحربية ومهمات الحصار حتى حضرت مراكب الافرنج سنة ١٨٤٠ للمسيح وضربتها فاخذتها فيما دون ساعةٍ من الزمان وهي الآن مركز تجارة تلك البلاد وحولها سهول مخصبة . وكان ياتيها الماء من مسافة اربع ساعاتٍ في اقنيةٍ على قناطر عالية قد بقي جانبٌ كبيرٌ منها قائمًا الى الآن. واهلها نحو ٦٠٠٠ نفس من مسلمين ونصارى روم وكاثوليك وموارنة . وعلى الجانب الجنوبي من جون عكا مدينة حيفا وهي الآن لا تستحق الذكر وقد بقي فيها قلعةٌ مهدومة . ويُجلَب منها كل سنة مقدارٌ من الحنطة والشعير وغيرها من حواصل البلاد.

وفوق حيفا جبل الكرمل وعلى الطرف الغربي منهُ ديرٌ عظيم لرهبان اللاتينيين . وهذه الاماكن المذكورة من شمالي صيدا الى جنوبي راس جبل الكرمل كانت في سهم سبط اشير من اسباط بني اسرائيل

ولنرجع الآن الى ذكر الجبال من شمالي جبل لبنان الى منتهى السلسلة عند مرج ابن عامر الى شرقي عكا

فنقول ان البلاد التابعة ولاية جبل لبنان هي احدى وعشرون مقاطعة فالاولى من جهة الشمال الزاوية الى شرقي طرابلس . وفيها جبلٌ يقال لهُ جبل تُرتُل . الثانية الكورة الى جنوبي طرابلس وهي قسمان الكورة العليا في الجبل والكورة السفلى على شاطي البحر . ومن قرى العليا اميون وهي قاعدتها وفيها اقامة المشايخ بني العازار اصحاب المقاطعة وكسبا وبزيزا و بسرما وكفرعقًّا وكفر حزير . ومن قرى السفلى نخالة والقلمون وفيع والبلمند وفيها ديرٌ عظيم لطائفة الروم . الثالثة جبَّة بشرَّة الى جنوبي طرابلس فوق الكورة الى الجنوب الشرقي منها . وهي في الجبال العالية . ومن قراها بشرَّة وهي امُّ المقاطعة واهدن وطرزا وحصرن وكرم سدَّة وبزعون وحدشيت والحَدَث . وفيها دير قنُّوبين في اسفل وادٍ عميق ودير قزحيًّا في مكانٍ اخر . وفوق قرية بشرَّة ارز لبنان وهناك ارزةٌ قد نخرت لكرور الايام فاتخذوا فيها هيكلاً للصلاة . الرابعة جبَّة المُنيطرة وهي في راس

الجبل الى شرقي جُبَيل ومن قراها المُنيطرة وميروبا والعاقورة وتنورين . الخامسة بلاد البترون وهي فيما يلي مدينة البترون الى الجبل ومن قراها عرنة وكفرخلْس وبقسميّا وبشعلْة ودوما وغير ذلك مثل صورات واصيا وحلتا وحَردِين وبشتودار وهذه القرى الخمسّ مواطن التبغ الافضل من كل تبغٍ في تلك البلاد وغيرها بالاجمال . السادسة بلاد جبيل وهي فوق المدينة الى جبيل . ومن قراها عامشيت وهي مشهورة بالغنى في تلك البلاد والبربارة وغرزوز والمُنصِف والكفور وبجعاز وهذه القرى الخمس يقال لها قُرنة بلاد جبيل ووادي علمات وهي افضل تلك البلاد تبغًا وكثيرٌ غيرها كجامات وحامات وحبالين وغير ذلك. والماء في هاتين البلادين قليلٌ اكثرهُ من ماء المطر . وكثيرون من الاهالي يبكرون في طلب الماء فلا يرجعون الى نصف النهار. وفي بعض القرى يضعون محافظًا على العيون والآبار فلا يأْذن لاحدٍ ان يملأَ فوق ما فُرِض لبيتهِ من الماء . السابعة الفتوح وهي الى جنوبي بلاد جبيل ومن قراها البوار والغينة والى شرقيها جبل شبروح . الثامنة كسروان ومن قراها مزرعة كفرذبيان وشبروح وريفون وجعيتا وعجلتون وغزير وعَرَمُون وغُسطا وساحل علما وعين طورة وزوق مصبح وزوق الاكراد خرب قديمًا فصار يقال له زوق الخراب وغير ذلك من القرى والمزارع . وقاعدة كسروان غزير وكانت دار ولاية الامراء بني

سيفا والى الآن لم تزل قبة مدافنهم هناك . فلما انقرضوا صارت
دار ولاية بني الشهاب على كسروان فلما انقرضت دولتهم صارت
الولاية لبني حُبَيش على نفس القرية التي هم من اهلها وعادت
ولاية كسروان الى بني الخازن . وافضل هذه المقاطعة في الغنى
والتجارة زوق مكايل وقد اقامت الموارنة هناك مدرستين
احداها في عين ورقاء والاخرى في هِرْهَرَيًّا . وكان للآنينيين
مدرسة في عين طورة فاقاموا مدرسة اخرى في غزير . وبالقرب
من جعيتا مغارة يخرج منها جانبٌ كبيرٌ من ماء نهر الكلب وهو
افضل مياه كسروان وكان لهُ جسرٌ عظيمٌ بناهُ الملك انطونينوس
قيصر من قديم الزمان واتفق في هذا العصر حدوث سيل عظيم
في غير اوانهِ فانتزع كثيرًا من الاشجار العظيمة والقاها الى النهر
فاجتمعت على الجسر ودفعتهُ فسقط واثارهُ باقيةٌ الى الآن . وكان
ذلك في ايام الامير بشير الشهابي فاقام جسرًا فوقهُ سنة ١٢٢٤
للهجرة . التاسعة المتن وهي الى شرقي بيروت ومن قراها عاريًّا
والعبادية والهلاليةوراس المتن والخريبّة والشبانية وصليما وفالوغا
وكفر سلوان والمُتَين والشوير وبسكنتا وكثيرٌ من القرى غير ذلك
مثل بيت شباب وبكفيًّا وما حولها في تلك البقعة التي يقال
لها قاطع المتن . وفي المتن كثيرٌ من الاديرة للروم والروم
الباباوية والموارنة ومن الدورِ للامراء اللمعيين الذين كانوا
اصحاب المقاطعة وهم ثلاث طوائف ترجع الى اصلٍ واحد وهي

بنو قايديه وبنو مراد وبنو فارس

وبالقرب من قرنايل معدن من الفحم الحجري لكنهُ الآن قد تعطَّل وفحمهُ غير جيدٍ لكثرة امتزاجهِ بالكبريت . واراضي المتن جيدة وفيها كثيرٌ من شجر الصنوبر وقراها العالية جيدة الهواء والماء في الصيف شديدة البرد كثيرة الثلج في الشتاء . العاشر ساحل بيروت ومن قراها سنُّ الفيل والبوشرية والشياح والبرج والحَدَث ومنها المعلم اسعد الشدياق الذي مات في حبس البطريرك يوسف حُبيش الماروني الذي كان يريد ان يغصبهُ على اتباع مذهبهِ وبعبدا وكفرشيما التي منها العالم العلاَّمة الشيخ ناصيف اليازجي اللغوي الشاعر المشهور ولد سنة ١٨٠٠ للمسيح ومنشاهُ في القرية المذكورة وهي اخر الساحل واول الجبل . وهذه البقعة كثيرة البساتين والجناين جيدة الماء والهواء الاَّ ما جاور منها نهر بيروت فانهُ رديٌّ كثير الامراض . الحادية عشرة الغرب وهو قسمان الغرب الاسفل والغرب الاعلى . ومن قرى الاسفل الشويفات وفيها الامراء بنو رسلان الذين كانوا حكام الدروز في الجبل ومنها بشامون وعين عنوب ودير قُوبِل وسرحمول وغير ذلك . ومن قرى الاعلى عاليه وبسوس والكحَّالة وسوق الغرب وعيثاث وشملان وعيناب وغير ذلك وحكام هذا القسم المشايخ التلاحقة وكان في سوق الغرب منهُ مدرسة لطائفة الروم وهو افضل مقاطعات جبل لبنان في الماء والهواء

والنزاهة وفي شملان منهُ كرخانة عظيمة لتصفية الحرير على ما يناسب اصطناع الاقمشة في الكراخين الافرنجية . الثانية عشرة الجرد الى شرقي الغرب ومن قراها بتاتر وهي مقام المشايخ بني عبد الملك حكّام المقاطعة وبحمدون وشارون وبدغان وعين دارة ورشميّا ومنها العالم الفقيه الشيخ بشارة الخوري وبحوّارة التي اشتراها الكرنال شرشل الانكليزي من سلالة الشريف الدوك مرلبرك الشهير في البلاد الافرنجية. الثالثة عشرة الشحّار الى جنوبي الغربين ومن قراها عبيه وهي جيدة الهواء والماء حسنة المنظر فيها ابنيةٌ قديمة من عصر الامراء التنوخيين وبها قبة الامير عبد الله التنوخي الملقب عند الدروز بالسيد . وبها مدرسة علوم للمرسلين الاميركانيين.ومن قرى هذه المقاطعة ايضاً كفرمتى وعين درافيل والبوم والناعمة ومعلقة الدامور وغير ذلك

اما مقاطعة المناصف فهي الثالثة عشرة من هذه المقاطعات. ومن قراها دير القمر وهي اعظم قرى هذه المقاطعات ومدينة الجبل لاشتمالها على متاجر وصنائع وحوانيت مختلفة . وفيها ابنيةٌ عظيمة من عهد الامراء بني معن الذين كانوا يستوطنون بها في ايام ولايتهم على جبل الشوف . وقبل سنة ١٨٦٠ كان فيها من الناس نحو ٨٠٠٠ نفس بين مسلمين ودروز ونصارى من روم باباوي وموارنة ويهود . واهلها يتصفون بالشراسة والتعصب . وكانت موطنًا للمشايخ بني ابي نكد حكام المقاطعة فلما وقعت الفتنة

بين الدروز والموارنة سنة ١٨٤١ طردوهم منها فاقاموا في عبيه والجاهلية ومن قرى هذه المقاطعة بيت الدين كانت معبدًا للدروز فاشتراها الامير بشير الشهابي واقام فيها ابنية عظيمة مزخرفة بالحجارة الملوّنة والنقوش المذهبة منها دارٌ عظيمة له ومنتزه آخر يقال له المَقصَف على رابيةٍ عالية يستوطنهُ في ايام الصيف ودارٌ لكل واحدٍ من اولادهِ الامير قاسم والامير خليل والامير امين وهذه الابنية تبلغ نحو ثلثماية مسكن عدا ما بناهُ لاجنادهِ وعمَلة بساتينهِ في بيت الدين وعين المعاصر وغيرها . واجرى الى هذه الديار التي بناها ماء نبع القاعة من مسافة اكثر من ثلاث ساعات فخرق لهُ بعض الجبال ومهّد بعض الاودية حتى استوت طريقهُ ولم يقم حاكمٌ مثلهُ في جبل لبنان الذي تولى امرهُ من اثناء سنة ١٢٠٠ للهجرة الى اثناء سنة ١٢٥٨ وكان مولده في غزير من مقاطعة كسروان سنة ١٧٦٧ للمسيح ووفاتهُ في القسطنطينية سنة ١٨٥١ . الخامسة عشرة العرقوب وهو قسمان اعلى وادنى ومن قرى الاعلى عين زحلتا وبهريه والورهانيه ومن قرى الادنى الباروك والفريديس وكفرنبرخ . وولاية الاعلى للمشايخ بني العيد ومقامهم في عين زحلتا والادنى للمشايخ بني العماد ومقامهم في كفرنبرخ والباروك. السادسة عشرة الشوف وهو قسمان ايضًا الشوف الحيثي. ومن قراهُ المختارة وعين قنية وبعذران وعين ماطور وباتر ونيحا وغريفة وعين بال . والشوف السُوَيجاني. ومن قراهُ الجديدة

والسمقانية وبعقلين . واصحاب هذه المقاطعة المشايخ بنو جنبلاط ومقامهم في المختارة وبعذران وعين قنية. وفي المختارة دار الشيخ بشير جنبلاط الذي لم يقم مثلهُ في مشايخ هذه البلاد في عظمتهِ واقتدارهِ. السابعة عشرة غربي البقاع الى شرقي الشوف والعرقوب. ومن قراها زحلة وهي من اعظم القرى اهلها يبلغون نحو ٩٠٠٠ نفس نصارى من الطوائف الثلاث وهم اشدّاء كرام الانفس وبجانبها المعلقة والى جنوبيها مكسة وجديثة ومشغرة وسغبين وغير ذلك من القرى والمزارع وكان يتولى زُحلة وما يليها امراء المتن وسغبين وما يليها مشايخ الشوف. وهذه المقاطعة يقال لها شوف البياض. الثامنة عشرة اقليم جزين. ومن قراهُ جزين وهي ام المقاطعة وكفرحونة وجرجوع وبكاسين وروم وبسرة وقيتولة وهذه القرى السبع هي اصول المقاطعة وكل واحدةٍ منها يتبعها قرى ومزارع . التاسعة عشرة اقليم التفاح ومن قراهُ البرامية والحبابية وعبرا والصالحية والهلالية وغير ذلك واطرافهُ متصلة ببساتين صيدا . تمة العشرين اقليم الخرنوب الى غربي الشوف . ومن قراهُ البرغوثية والحسّانية والمغيريّة والديّة والزعرورية وبرجا وغير ذلك . الحادية والعشرون جبل الريحان الى جنوبي هذه الاقاليم. ومن قراهُ ميدون والوردية وغيرها والاقاليم المذكورة وجبل الريحان كانت تحت ولاية المشايخ الجنبلاطية وهم اكبر مشايخ هذه البلاد . وجميع هذه المقاطعات كان يرجع امرها في الولاية الى حاكمٍ واحدٍ

يجلس في دير القمر غالبًا حتى كانت سنة ١٨٤٤ فانقسمت الى قسمين احدهما شماليٌّ يتولى امرهُ حاكم النصارى والآخر جنوبيٌّ يتولى امرهُ حاكم الدروز ثم بعد حوادث سنة ١٨٦٠ اقيم على كل جبل لبنان حاكم واحد من قبل الدولة العلية وتولى المقاطعات مديرون من قبلهِ . وقد أُحصي عدد الذكور في كل واحدٍ من القسمين فكان كما ترى

عدد الذكور في القسم الشمالي

نصارى	دروز	مسلمون ومتاولة	مقاطعات
١٠٠٤٤		١٩	مقاطعة كسروان
٧٤٧٠		٢١٩٦	بلاد جبيل وجبة المنيطرة
٦٨٠٢		١٨٨	بلاد البترون
٣٠٩٩			الفتوح
١٧٣١		٦٠	الزاوية
٤٨٥		١٢٩	القويطع
١٠٢٠٠			جبة بشرّة
٢٥٠٠		١٢٦	الكورة
٤١٨١			قاطع المتن
١٤٦١٧	٢١٥٤	٢٠٠	المتن وزحلة وساحل بيروت
٢٨٢		٥	بسكنتا وما يليها
٦٠٤١٢	٢١٥٤	٢٩٣٢	المجموع

عدد الذكور في القسم الجنوبي

نصارى	دروز	مسلمون ومتاولة	مقاطعات
٨٧٣			قسم من ساحل بيروت
١٤٥١	١٠٨١		الغرب الاسفل
١٥٦٤	٧٧١		الغرب الاعلى
٢٠١٦	٨٩١		الجرد
١٢٠٥	١١٥٤		العرقوب الاعلى والاسفل
١١١٧	٨٣٨		المناصف
١٦٣١	٩٩٠		الشحّار
١٣٣٥	٣٥١٧		الشوف
٣٢٥	٦٨٦		جبل الريحان
٣٣٧١	٩٧		اقليم جزين
١٧٨٤	٣١		اقليم التفاح
١٥٠٣	١٠١٥		اقليم الخرنوب
١٧٧٧	٣٠٠		دير القمر
١٩٩٤١	١١٣٧٠		المجموع
٦٠٤١٣	٦٠٨٧		مجتمع القسم الشمالي
٨٠٣٥٤	١٧٤٥٧		مجتمع القسمين

اما بلاد الشقيف فهي الواقعة بين نهر الزهراني شمالاً والقاسمية جنوبًا . وفيها قلعة الشقيف الماضي ذكرها

واما بلاد بشارة فهي الى الجنوب الشرقي من صور واكثر اهلها متاولة . وقاعدتها تبنين وفيها قلعةٌ بناها هيو صاحب طبرية سنة ١١٠٧ يريد بذلك اعداد معقلٍ لغزو صور وما يليها لان تلك البلاد لم تكن سلّمت للافرنج بَعدُ . واستولى على هذه القلعة صلاح الدين الايوبي بعد وقعة حِطّين سنة ١١٨٧ ومن قرى هذه البلاد بنت جُبَيل والحديث والطيّبة والزُرَيرية وبدياس وقانا وهي في سهم سبط اشير (يشوع ١٩:٢٨) وهونين وهي ذات قلعةٍ عظيمة ولكنها في حالة الخراب . ويتولى امر هذه البلاد مشايخ المتاولة من بني علي الصغير وعشائرهم المناكرة والحيذرية والصعبية . ويتبع بلاد بشارة مرج عيون وهي بينها وبين وادي التيم عن يسار نهر الليطاني الفاصل بينها وبين بلاد الشقيف . ومن قراها آبل القمح وهي المذكورة في سفر صموئيل الثاني (٢٠: ١٤ و١٥) والمطِلّة وكَيَركلي والقُلَيعة والجديّدة والخيم وآبل الهواء ويقال لها إبل ومرج عيون . وكان الجزء الشرقي من بلاد بشارة في سهم سبط نفتالي من اسباط بني اسرائيل

واما بلاد صَفَد ويقال لها صَفَت ايضًا فمن اصول قراها قَدَس وهي قادس نفتالي (يشوع ص١٩ الى ص٢١ قضاة ص٤ ملوك اول ص١٥) وبقربها آثار ابنيةٍ قديمة من ايام بني اسرائيل

ونواويس وغير ذلك . وصَفَد وهي بلدة كبيرة عمائرها منتشرة على ثلاثة اقسام واهلها مسلمون ويهود ونصارى قلائل ولها قلعة من بناء الافرنج في نحو سنة ١١٤٠ للمسيح تغلَّب عليها الملك صلاح الدين سنة ١١٨٨ وخربها الملك المعظم سنة ١٢٢٠ ثم استرجعها الافرنج بالاتفاق مع السلطان اسمعيل ملك دمشق سنة ١٢٤٠ ثم اخذها الملك بيبرس سلطان مصر سنة ١٢٦٦ . وفي اوائل القرن السادس عشر كانت لليهود في صفد مدرسة مشهورة واتت اليها تلاميذهم من جميع الاقطار ولاسيما من بلاد اوروبا وافريقية . واليهود يرغبون السكنى في بلاد صفد لان كثيرين من علمائهم سكنوا بها وماتوا ودُفنوا هناك . وقد خربت بزلزلةٍ عظيمة حدثت في اليوم الاول من سنة ١٨٣٧ وقُتِل بها نحو الف نفس من المسلمين واربعة الاف من اليهود . ومن قرى بلاد صفد عكبرة وميرون وكفر بِرعِم والجِشْ والراس الاحمر وغير ذلك . والاراضي الواقعة الى غربي بحيرة الحولة يقال لها ارض الخيط وهي توصف بجودة الحنطة . ومن قراها فرعم والجاعونة والقبَّاعة والملاَّحة . وعلى النهر بين بحيرة الحولة وبحيرة طبرية جسر بنات يعقوب ويقال ايضاً جسر بني يعقوب بناءً على زعمهم ان يعقوب عبر النهر في هذا المكان عند رجوعه من بين النهرين (تكوين ص٣٢) والحال ان الجسر والخان قد بُنيا في نحو القرن الثالث عشر او الخامس عشر . والاراضي التي في شرقي

النهر التي يقال لها ارض البثنية كانت في سهم نصف سبط منسى بن يوسف من اسباط بني اسرائيل . وفي معاملة صفد عدة قبائل من العرب مثل عرب الاكراد وعرب الشعار والزُبيدة والسواعد والصُوَيلات وغيرهم . والى غربي بلاد صفد مقاطعة يقال لها الجبل . ومن قراها ترشيحة التي منها الشيخ صالح الترشيحي الشاعر وسعسع وغيرها . واهل هذه المقاطعة نصارى ودروز ومسلمون

والى جنوبي الجبل بين عكا وطبرية مقاطعة الشاغور . ومن قراها المصورة والمغار ومجدل كروم والرامة وكفرعنان وغيرها . واهلها دروز ومسلمون ونصارى . ومن القرى التي حول مدينة عكا البصّة والزيب والشيخ داود وشعب وشفا عمر والمجدل . واهلها كذلك

واما بلاد الناصرة فمن قراها الناصرة وكفركنا وصفورية واكسل وام جُبَيل وقانا الجليل وهي الآن خراب

واما بلاد طبريّة فقاعدتها مدينة طبرية . قال يوسيفوس اليهودي بناها هيرودس وسمّاها على اسم طيباريوس قيصر . وكان هناك مدرسة مشهورة لليهود . وكان من معلميها الحاخام يهوذا الذي جمع تقليدات اليهود في كتاب يُسمّى المِشنة . وكان ذلك بين سنة ١٩٠ وسنة ٢٢٠ للتاريخ المسيحي . وفي هذه المدرسة وُضِعت الحركات المستعملة الآن في اللغة العبرانية وضُبِطت اسفار العهد القديم . وهذه البلاد استفتحها المسلمون في خلافة

عمر بن الخطاب سنة ٦٣٧ للمسيح ثم استرجعتها الافرنج وبقيت بايديهم الى سنة ١١٨٧ فتغلَّب عليها صلاح الدين الايوبي بعد وقعة حطّين ثم اخذتها الافرنج سنة ١٢٤٠ باتفاقٍ مع سلطان دمشق ثم استرجعها سلطان مصر سنة ١٢٤٧ وخرب منها جانبٌ كبير بزلزلة حدثت في اول سنة ١٨٣٧ وبقربها مياهٌ سخنة وعليها حمّامٌ يغتسل الناس بهِ . وقد زاد في ابنيتهِ ابرهيم باشا صاحب الدولة المصرية واصلح ما كان قد تهدَّم منهُ . وفي ما يلي هذا الحمَّام بحيرةٌ عظيمة واسعة تجتمع اليها المياه وتفيض منها جارية في نهر الاردن وهي ذات امواجٍ واسماكٍ وكان حولها غياض وبساتين كثيرة . وفيها يقول ابو الطيب المتنبي في قصيدتهِ التي يمدح بها علي بن ابرهيم التنوخي

لولاك لم اترك البُحَيرَةَ والـ ... غورُ دَفيٌّ وماؤُها شَبِمُ
والموج مثل الفحول مزبدةٌ ... تهدر فيها وما بها قَطَمُ
والطير فوق الحباب تحسبها ... فرسانَ بُلقٍ تخونها اللُجُمُ
كانها والرياح تضربها ... جيشُ وغًى هازمٌ ومنهزمُ
كانها في نهارها قمرٌ ... حَفَّ بهِ من جنانها ظُلَمُ
تَغنَّت الطيرُ في جوانبها ... وجادت الارضَ حولها الدِيَمُ
فهيَ كماريةٍ مطوَّقةٍ ... جُرِّدَ عنها غشاؤُها الأَدَمُ

ومن الاماكن والقرى التي في مقاطعة طبرية المجدل والكرك

وكفرسبت وعولم وسيرين وحطّين ولوبية . وفي الاراضي التي بين قرون حطين ولوبية كانت الوقعة المعروفة بوقعة حطّين بين الافرنج والمسلمين تحت لواء صلاح الدين الايوبي وكانت الدائرة على الافرنج . وكانت طبرية والناصرة في سهم زبلون من اسباط بني اسرائيل

واما بلاد نابلس فهي ثمان مقاطعات . الاولى من جهة الشمال مقاطعة جانين ويقال لها حارثة الشمالية ويتبعها جانب كبير من مرج ابن عامر . ومن قراها جانين وعرانة وجلبون وهي جلبوع القديمة (صموئيل اول ص ٣١:) ونُورس وهي توصف بجودة الحنطة وزرعين وهي يزرعيل القديمة (ملوك اول ١٨ :٤٦) وسولم وهي شونم القديمة (ملوك ثانٍ ٤:٨) ونين وهي نايين القديمة (لوقا ٧ :١١) وبيسان وهي بيت سان القديمة (صموئيل اول ٣١: ١٠ و١٢) وبرقين وغيرها وكانت هذه المقاطعة جزءًا من سهم سبط يساكر من اسباط بني اسرائيل . الثانية مقاطعة الحارثة. ومن قراها طوباس وسيرس والجديدة وميثلون والكفير وغيرها . الثالثة الشعراوية . وهي قسمان الشعراوية الشرقية والشعراوية الغربية . اما الشرقية فمن قراها الفَنْدَقُوميَّة وسيلة الظهر والدير والرامة وفحمة وجُبَع وسانور ذات القلعة المشهورة . وهي قلعة مبنية على جبل لا يُسلَك اليها الّا من مضيقٍ حرِجٍ . عصى فيها الشيخ يوسف الجرّار في ايام احمد باشا الجزّار وحاصرهُ فيها مرارًا

عديدة وهلك من عساكرهِ خلقٌ كثيرٌ ولم يقدر عليهِ وما زالت هذه القلعة نصب عينيهِ ينتهز الفرصة عليها حتى مات سنة ١٢١٩ للهجرة واستمرَّت في عنفوانها الى ان عصت فيها مشايخ تلك البلاد الذين كان مقدامهم الشيخ قاسم الاحمد فحاصرها عبد الله باشا واستنجد الامير بشير ابن الامير قاسم ابن الامير عُمَر الشهابي صاحب جبل لبنان فحضر برجالهِ واقام على حصارها اياماً ثم داستها خيلهُ مهاجمةً وامر عبد الله باشا بها فهُدِمت الى الارض وكان ذلك في اوائل سنة ١٨٣٠ للمسيح . واما الغربية فهي بين الشرقية والبحر . ومن قراها قاقون والدير والخالد وزيتا وعتّيل وغيرها . وفي تلك الاراضي يمرُّ نهرابي زابورة . ومن الاماكن التي على شاطي البحر الى جنوبي راس الكرمل عثليث . وهي بلدةٌ قائمة فوق ابنيةٍ معقودةٍ بالحجارة العظيمة الهائلة . وهذه الابنية خاليةٌ مظلمة وهناك آثار قلعةٍ قديمة كانت للافرنج . والطنطورة وهي دورا القديمة . وخرائب قيسارية التي بناها هيرودس الملك وسمَّاها قيصرية نسبة الى اوغسطوس قيصر . ويقال لها قيسارية فلسطين تمييزًا لها عن قيسارية فلبس التي هي بانياس كما مرَّ. وكل هذه الاماكن كانت في سهم سبط منسى بن يوسف . الرابعة وادي الشعير . ومن قراها بيت إمرين وبرقة واجسنيا ورامين وطول كرم وسبسطية وهي سامرة القديمة (ملوك اول ١٦: ٢٤) الخامسة البيتاوي الى شرقي مدينة نابلس . ومن قراها بيتا

وهَوْدَلى وسالم وبيت دجن وهي بيت داغون القديمة وعقربة وسيلون وهي شيلو القديمة (صموئيل اول ١:٣). السادسة مقاطعة بني صعب . ومن قراها جمّة والفندق وعزّون وجلجولة ويقال انها الجلجال وكفرسابا وهي انطيفاطريس القديمة (اعمال ٢٣: ٣١) وحَرَم عليّ بن عُليم وهي بقرب البحر وارسوف وغيرها . وهذه الاماكن كلها كانت في سهم سبط افرايم الاسرائيلي . وكان شاطي سهم سبطهِ وسبط منسى من الطنطورة الى يافا ممتدًّا من البحر غربًا الى نهر الاردن شرقًا . واما ما يقابل ذلك الى شرقي الاردن وهو جبل عجلون وجبل الصلت او جلعاد فلسبط جاد والى الجنوب منهُ سهم سبط روأبين . السابعة جورة عمرة . ومن قراها بورين التي منها اصل الشيخ حسن البوريني ورجيب وبيت إيبا ورافيدية وغيرها . الثامنة جورة مرداء ومن قراها عين ابوس وحوارة وفرخة واللبّن والساوية وغيرها

اما مدينة نابلس فهي مدينة شكيم القديمة (ص[١٢] وص[٣٣] وص[٣٤] وص[٣٧]) وهي ذات مياه وبساتين كثيرة. وموقعها بين جبل عيبال وجبل جرزيم . وهناك السامرة السابق ذكرهم . ومنها الشيخ عبد الغني النابلسي المشهور بالصوف وصناعة الشعر نشا بدمشق الشام وتوفي بها في القرن الثاني عشر للهجرة . وهذه المدينة كانت في سهم سبط منس الاسرائيلي . واكثر اهل تلك البلاد من المسلمين . وفيها من كبراء العشائر بنو الجرّار وبنو طُوقان وهم

مشايخ تلك البلاد وولاة امورها

واما مدينة يافا فهي على شاطي البحر. وفيها آبارٌ وبساتين كثيرة. وابنيتها جيدة متينة كلها معقودةٌ بالحجارة ولو كانت غُرَفًا عالية. ولها تجارة واسعة في محاصيل البلاد كلها. وهي في طول شرقي ٣٤ ٥٢ ٤٢ وعرض شمالي ٣٢ ٣ وبينها وبين اورشليم نحو اربعين ميلاً. واهلها نحو ٩٠٠٠ نفس

واما الرملة فهي الى الجنوب الشرقي من يافا على مسافة ثلاث ساعات وهي في ارضٍ سهلة مخصبة. اختطها سليمان بن عبد الملك بن مروان الأَمَويُّ. واستولى عليها الافرنج سنين كثيرة ثم استنقذها منهم السلطان صلاح الدين بن ايوب سنة ٥٨٣ للهجرة. ذكرهُ ياقوت في المشترك. وقال ابو الفداء عن العزيزي ولم تكن الرملة مدينة قديمة وانما كانت المدينة لدٌ فاخربها سليمان بن عبد الملك وبنى مدينة الرملة انتهى ثم اخذها الافرنج ايضًا وبقيت بايديهم الى سنة ١٢٦٦ مسيحية فتغلب عليها السلطان بيبرس. وفي ذلك الوقت استفتح مدينة يافا. وقد نُقِش ذلك على حجرٍ في خراب جامعٍ قديم بقرب الرملة. ومن هذه المدينة الشيخ خير الدين الرمليُّ صاحب الفتاوى الخيريَّة المشهورة عند الفقهاء. وكانت دار ولاية الامراء بني طُغج الذين يقول فيهم ابو الطيب المتنبي

اری دون ما بين الفرات وبُرقةٍ
خرابًا يُمشّي الخيلَ فوق الجماجمِ
وطعنَ غضاريفٍ كأنّ اكفّهم
عرفنَ الرُدَينيّات قبلَ المعاصمِ
حمتهُ عن الاعداء من كل جانبٍ
سيوف بني طُغج بن جفّ القماقمِ
همُ المحسنون الكرّ في حومة الوغى
واحسنُ منهُ كرُّهم في المكارمِ

واما لُدّ فهي الى الشمال الشرقي من الرملة على نحو ساعةٍ . وفيها خرابة كنيسةٍ عظيمة كانت على اسم مارجرجس وكانت قديمًا مدينةً عظيمة قد اشتهرت في الحروب بين الافرنج والمسلمين . وفي تلك السهول حول الرملة ويافا ولدّ ضياعٌ وقرى كثيرة واكثر اهلها من المسلمين

واما مدينة اورشليم فسكانها الآن نحو ٢٨٠٠٠ نفس وهي المعروفة بالقدس الشريف فهي اشهر مدن العالم جميعها لاسبابٍ كثيرة معلومة ولكنها الآن قد انحطّت عن عظمتها القديمة ولم يبقَ لها اعتبارٌ الاّ بسبب الاماكن المقدسة المشهورة فيها وفيما يليها من المواضع التي تزورها النصارى من جميع اقطار الارض . وهي الآن محاطةٌ بسورٍ بناهُ السلطان سليمان سنة ٩٤٨ لهُ اربعة

ابواب على الجهات الاربع . ويجانب الباب الغربي القلعة وهي قديمة جدًّا حولها خليجٌ . وبقرب الباب الجنوبي محراب داود يزعمون ان داود النبي مدفونٌ هناك . وعلى الجانب الشرقي داخل السور الحرَمُ الشريف وهو على مقام الهيكل القديم . قال ابو الفداء وخرب البناء الذي كان على الصخرة (يريد بهِ الهيكل) وأُلقيت على الصخرة زبالة البلد عنادًا لليهود . وبقي كذلك حتى فتح عُمَر القدس فدلَّهُ على موضع الصخرة بعضهم فنظَّفهُ وبنى على الصخرة مسجدًا وبقي حتى تولى الوليد بن عبد الملك فبنى فيهِ قبة الصخرة على ما هي عليهِ اليوم انتهى وكان ذلك سنة ٦٦ للهجرة . اما كنيسة القيامة التي يُظَنُّ انها على قبر المسيح فهي داخل المدينة. ولكن لا يمكن ان يكون هذا موضع القبر لان المسيح دُفن خارج المدينة وكانت اورشليم يومئذٍ اكبر مما هي الآن كثيرًا . ولكي يقع هذا المكان خارج السور يلزم ان يكون قد انحرف عن القلعة الى جهة الشمال الشرقي حتى يقارب الحرم الشريف ثم يرتدُّ الى الشمال حتى يشتمل على المواضع التي يُعلَم انها كانت يومئذٍ داخل السور. وعلى هذه الصورة تكون المدينة واسعة عريضة من طرفي الجنوب والشمال الشرقي ضيقة مخنوقة في الوسط على شكل ساعةٍ رملية وهو شكلٌ غريبٌ جدًّا غير معهودٍ في غيرها. ولا سيما ان على جانب الشمال الغربي اراضي عالية مشرفة على البلد وذلك مما ينافي الحكمة في بناء المدن والاسوار . وباعتبار

هذه الملاحظات ينتج ان هذه الكنيسة ليست على قبر المسيح ومكان القبر لا يعلمهُ احدٌ الآن فان الله راى ان يخفيهُ عنا كما اخفى قبر موسى عن اليهود . ويحيط بهذه المدينة الا من شمالها وما يليهِ الى الغرب اوديةٌ منها الى الجنوب وادي ابن هينوم والى الشرق وادي قدرون ويقال لهُ وادي يهوشافاط . وهناك بستان الجسمانية وبركة سلوان وقريةٌ يقال لها سلوان ايضًا . وتجاه المدينة من ناحية الشرق جبل الزيتون والى الشرق منهُ قرية بيت عنيا ويقال لها العازرية وهناك القبر الذي قام لعازر منهُ حسبما يقولون . والى الجنوب الغربي من اورشليم على مسافة نحو ساعتين قرية بيت لحم وهي قرية داود ومولد السيد المسيح

واما مدينة حبرون ويقال لها الخليل فهي الى جنوبي القدس على مسيرة يوم وهي مدينة قديمة وهناك سكن ابرهيم الخليل واسحق ويعقوب ودُفِنوا مع بعض نسائهم. وكانت احدى مدن اللاويين في ايام بني اسرائيل . وهي واقعةٌ في سهم سبط يهوذا كما ان اورشليم في سهم بنيامين . واليهود يعظمون الخليل جدًّا وفيها خلقٌ كثيرٌ منهم

واما مدينة غزَّة فهي الى الجنوب الغربي من الخليل على مسيرة يوم ونصف . وهي في اوائل بلاد الشام من جهة الديار المصرية ويقال لها غزة هاشم لان عمرو بن عبد المناف القُرَشي الملقب بهاشم الثريد خطر اليها تاجرًا فمات بها . وفي ذلك

يقول مطرود بن كعب الخزاعي

وهاشمٍ في ضريحٍ وسط بلقعةٍ
تسفي الرياح عليهِ بين غزّاتِ

قال ابن حوقل بها قبر هاشم بن عبد مناف وبها وُلد الامام الشافعي وفيها أُسر عمر بن الخطّاب في الجاهلية لانها كانت مستطرقًا لاهل الحجاز . وهي بلدة متوسطة في العِظَم ذات بساتين على ساحل البحر وبها قليل نخيلٍ وكروم خصبة وبينها وبين البحر تلال رمالٍ تلي بساتينها ولها قلعة صغيرة انتهى والى الشمال من هذه المدينة على شاطي البحر مدينة عسقلان وفيها اثار قديمة. وتلك النواحي هي بلاد الفلسطينيين وكانت في سهم سبط دان وسبط شمعون الاسرائيليين

واما العريش فمنهم من يحسبها من اعمال مصر ومنهم من فلسطين وهي على شاطي البحر الى الجنوب الغربي من غزّة وهي حصن بين الرمال الثائرة وفيها اثار قديمة

الفصل الرابع
في بلاد العرب

ان العرب يسمون بلادهم جزيرة العرب وهي في الحقيقة شبه جزيرة . ويحدها من الشمال فلسطين وبعض سوريا والجزيرة .

ومن الشرق الجزيرة والعراق العربي وبحر فارس ويقال لهُ ايضاً خليج العجم وبعض بحر الهند . ومن الجنوب ما بقي من بحر الهند المذكور . ومن الغرب بوغاز باب المندب والبحر الاحمر ويقال لهُ بحر القلزم وبوغاز السوَيس وبعض الشام . وهي بين ١٢½° و٣٥° من العرض الشمالي وبين ٣٢½° و٥٩° من الطول الشرقي . ومعظم عرضها نحو ١١٥٠ ميلاً . ومعظم طولها نحو ١٤٠٠ ميل من الاميال الجغرافية ومساحتها نحو ١١٠٠٠٠٠ ميل مربَّع .وعدد اهلها نحو ١٠٠٠٠٠٠٠ وهي خمسة اقسام . اولها اليمن والثاني الحجاز والثالث تهامة والرابع نجد والخامس اليمامة. اما ارض البحرين فهي معدودة عند اكثرهم من العراق . وهي في الحقيقة من بلاد العرب الاَّ انها متصلة بالعراق

اما اليمن فهي تلي شط بحر القلزم من جنوبي تهامة الى باب المندب . ومن ثمَّ تلي شط بحر الهند الى مدخل خليج العجم . ومن ثمَّ تتبع شط هذا الخليج الى حد البحرين . فيحيطها البحر من ثلاث جهات ويليها من الرابعة ارض تهامة واليمامة والبحرين . واقسام اليمن حضرموت وشحر ومهرة وعمان ونجران وقد تضاف شحر الى عُمان احياناً فيقال شحر عمان قال الشاعر

دارُ سُعْدَى بِشِحْرِ عمان قد كساها البلى الملوان

قالوا وانما قيل لها اليمن لوقوعها عن يمين الكعبة اذا استقبلت

المشرق كما ان الشام عن شمالها

واما تهامة فعلى شط البحر الاحمر بين اليمن جنوبًا والحجاز شمالاً

واما الحجاز فهو ما يلي البحر الاحمر من تهامة الى ايلة . وفيه مكة ويثرب التي يقال لها مدينة الرسول . وسمي حجازًا لانهُ حاجزٌ بين نجد وتهامة

واما نجد فهي ما يتصل بالشام شمالاً والعراق شرقًا والحجاز غربًا واليمامة جنوبًا . وهي اطيب ارضٍ في بلاد العرب وقد لهجت بها الشعراء كثيرًا قال قيس بن الملوَّح

تمتَّع من شميم عرار نجدٍ فما بعد العشيَّة من عرارِ

وقال الاخر

سقى الله نجدًا والسلامُ على نجدِ
ويا حبَّذا نجدٌ على القرب والبعدِ

وفيها ارض العالية التي حماها كُلَيب وائل بن ربيعة وافضى ذلك الى قتلهِ وانتساب حرب البسوس التي يُضرَب بها المثل وجبل عكاد الذي لم تثبت العربية الفصيحة بعد تمادي الاجيال الا بين اهلهِ

واما اليمامة فهي بين نجد واليمن وهي تتصل بالبحرين شرقًا

وبالحجاز غربًا. وتسمى العروض ايضًا لاعتراضها بين اليمن ونجد. قال ابو اسحق الاصطخري وفي ارض العرب بناحية ايلة بريَّة تُعرَف بتيه بني اسرائيل وهي وان كانت متصلة بديار العرب ليست من ديارهم وليس للعرب بها ماءٌ ولا مرعى انتهى وهذا القسم واقعٌ غربًا من خطٍّ مفروض من طرف بحيرة لوط الجنوبي الى راس خليج ايلة الممتد من البحر الاحمر. ويقال لها برية طور سينا. وسنذكر اشهر الاماكن في هذه الاقسام مفصلاً

اما اهالي هذه البلاد فلا تاريخ اسقم من تاريخهم في الاعصار القديمة وليس هذا موضع البحث فيهِ غير انا نذكر أهمَّ ما وقفنا عليهِ من امورهم. وذلك ان بعض اولاد سام بن نوح استوطنوا العراق وطردهم من هناك بنو حام فذهب بعضهم شمالاً الى اشور وبعضهم ذهبوا غربًا وتسموا عربًا من هذا السببْ لان اللغة السامية الاصلية لا غين فيها فلفظة عرب بمعنى غرب واختلط بهم نسل اسمعيل ونسل مديان ونسل عيسو ونسل لوط وفي الجهات الجنوبية اختلطوا بقبائل من نسل حام فصاروا خلطًا بلطًا ونشأ منهم قبائل وبطون كثيرة قد باد اكثرها او اندرج مع غيره حتى لم يبقَ لها رسمٌ منذ ادوارٍ. وهولاء هم المسمون عندهم بالعرب البائدة. ومن اشهر هذه القبائل البائدة قبيلة عاد بن عوص بن ارام بن سام بن نوح (تكوين ١٠ :٢٢ و٢٣) وكانوا ينزلون الاحقاف في حضرموت. وقبيلة ثمود بن جاثر بن ارام بن سام

(تكوين ١٠: ٢٢) سكنوا اولاً في اليمن ثم طردهم من هناك حِمْيَر بن عبد شمس الملقّب سبا فنزلوا في الحجر من الحجاز وصار ذلك مثلاً يُضرَب في تفرُّق القوم يقال لعِبَت بهم ايدي سبا وقبيلة طسم من ولد لُود بن سام (تكوين ١٠: ٢٢) وجديس من ولد جاشر المذكور انفًا . سكنت هاتان القبيلتان معًا الى ان وقع السيف بينهما فبادتا جميعًا . وقد ذكرهما ابو الطيب المتنبي بقولهِ

أَتمتَ الخلفُ بالشُراة عداها وشفى رَبَّ فارسٍ من اياد
وملوكًا كأمسٍ في القرب منا وكطسمٍ واختها في البعادِ

وقبيلة جُرهُم الأُولى وقد وقع ذكرها وذكر عاد في شعر ابي الطيب حيث يقول

يقرُّ لهُ بالفضل من لا يودُّهُ ويقضي لهُ بالسعد من لا ينجِّمُ
اجارَ على الايام حتى ظننتهُ تطالبهُ بالردّ عادٌ وجُرهُمُ

وقبيلة عماليق بن اليفاز بن عيسو (تكوين ٣٦: ١٢) هذه اشهر قبائل العرب البائدة ولم يزل محفوظًا شيءٌ من اسماء احيائهم وقِطعٌ من اشعارهم قال أُليف بن زبان النبهاني

لهم عجزٌ بالرملِ فالحَزن فاللِوى
وقد جاوزت حَيَّيْ جديسَ رِحالُها

وقال المتلمّس

الم ترَ أنَّ الجَون اصبح راسيًا نُطيفُ بهِ الايام ما يتأنَّسُ

يريد بالجون حصن اليمامة ويقال انهُ من صنائع طسم وجديس. قال بهِ التبريزيُّ في شرح الحماسة. ومن اشعارهم قول عفيرة بنت عبادة الجديسية ويقال لها الشموس تحرّض قومها على عملاق ملك طسم وكان فاحشًا ظلومًا

لا احدٌ اذلَّ من جديسِ أهكذا يُفعَلُ بالعروسِ
يرضى بهذا يالقومي حرٌّ هذا وقد أُعطي وسِيقَ المهرُ
لَخَوضهُ بحر الردى بنفسهِ خيرٌ لهُ من فعل ذا بعرسهِ

وقول هُذَيلة امرأة قرقس الجديسي في عملاق المذكور

اتينا اخا طسمٍ ليحكم بيننا فانفذ حكمًا في هُذَيلة ظالما
لعمري لقد حُكِّمتَ لا متورّعًا ولا كنت في من يُبرِمُ الحكم عالما

وكان انقراض القبيلتين على يد عملاق فانهُ لما هتك ستر الشموس الجديسية غار اخوها الاسود فاحتال على عملاق حتى تمكن منهُ وهو في نفرٍ من قومهِ فاغتالهم بسيوف اصحابهِ الجديسيين حتى اتى على آخرهم وقال الاسود في ذلك

ذُوقي ببغيك يا طسمُ مجلّلةً   فقد اتيتِ لعمري اعجب العجبِ
أنَّا اتينا فلم نحفل بقتلهمِ   والبغيُ هيَّجَ منا سورة الغضب
ولن يعود علينا بغيهُم ابدًا   ولن يكونوا لدى انفٍ ولا ذنبِ
فلو رعيتم لنا قُربى مؤكّدةً   كنا الاقاربَ في الارحام والنسبِ

ونجت بقية طسم الى حسانٍ بن تبَّع فغزا جديس وقتل رجالهم واخرب بلادهم فهلكت القبيلتان جميعًا . وسكن ايضًا في بلاد العرب في نواحي اليمن بنو قحطان بن عابر بن شالح بن ارفخشاد بن سام بن نوح (تكوين ١٠ : ٢٥ الى ٣٠) وسمّي نسلهُ العرب العرباء . ومن نسل قحطان مَن ملك في اليمن ومنهم مَن ملك في الحجاز . والذين ملكوا في اليمن هم يعرب بن قحطان ويشجب بن يعرب وعبد شمس بن يشجب وهو الملقب بسبا واولادهُ حميَر وكهلان وعمرو واشعر وعاملة ومن هولاء قبائل العرب العرباء . اما الذين ملكوا في الحجاز فاولهم جرهم بن قحطان ثم عبد ياليل بن جرهم ثم جرشم بن عبد ياليل ثم عبد المدان ثم نُغَيلة ثم عبد المسيح ثم مضاض الذي تزوج بابنتهِ رعلة اسمعيلُ بن ابرهيم الخليل على قولهم ثم عمرو بن الحرث ثم مضاض بن عمرو ومنهم العرب العاربة وهي قبيلة جرهم الثانية . وهم يلحقون نسبهم الى عدنان لا الى اسمعيل لسبب الاختلاف الواقع في الاجيال بين اسمعيل وعدنان فقد قيل انها ثمانية اجيال وقيل سبعة وقيل

ثلاثة وكل ذلك سقيم الى الغاية . ومن عدنان قبائل العرب المستعربة واشهرها قبيلة فهر المُلقَّب بقَرَيش ومنهُ آل قريش وهم سدنة الكعبة . قيل كانت سدانة الكعبة مع بني اسمعيل حتى انتهى ذلك الى ثابت واحد من اولادهِ فلما تُوُفي صارت الى جدّهِ لامهِ مضاض بن عمرو الجرهمي حتى غلبت خزاعة على مكّة فصارت اليهم ونفوا بني جرهم عن مكة وفي ذلك يقول مضاض بن عمرو بن الحرث الجرهمي

كأنْ لم يكن بين الحجون الى الصفا
انيسٌ ولم يسمرْ بمكة سامرُ
ولم يتربع واسطًا فجنُوبهُ
الى المنحنى من ذي الاراكة حاضرُ
بَلَى نحن كُنَّا اهلهـا فابادَنا
صروفُ الليالي والجدودِ العواثرُ
ونحن ولاة البيت من بعد ثابتٍ
نطوف بذاك البيت والامر ظاهرُ
فاخرجنا منهـا المليك بقدرةٍ
كذلك بين الناس تجري المقادرُ

الى ان يقول

فبطن منى امسى كأنْ لم يكن بهِ
مَصَاضٌ ولا بين البطاح عامرُ
فهل فرجٌ ياتي بشيءٍ نحبهُ
وهل جزَعٌ ينجيك مما نحاذرُ

ولم تزل السدانة في خزاعة حتى انتهت الى ابي غبشان الملكاني وصيًّا لحليل بن حبشيَّة الخزاعيّ فاسكرهُ قصيٌّ بن كلاب القُرَشيُّ واشترى منهُ مفاتيح الكعبة بزقّ خمر. فلما صحا ابو غبشان ندم حيث لم ينفعهُ الندم فسار مثلاً يقال اخسر من ابي غبشان. وفي ذلك يقول الشاعر

باعت خزاعة بيت الله اذ سكرت
بزقّ خمرٍ فبئست صفقة البادي
باعت سدانتها بالنزر وانصرفت
عن المقام وظلّ البيت والنادي

وكانت العرب الجاهلية على انواع مختلفة من العبادة الباطلة. ولهم الهةٌ واصنام كثيرة كاللات والعزّى والهُبَل ونسر وسواع ويغوث وغير ذلك وكان اكثرهم يعبدون النجوم كالشمس والقمر وعطارد والمشتري وغير ذلك. ومن ذلك اسماؤُهم كعبد العزّى وعبد يغوث وتيم اللات وعبد شمس وعبد المشتري ونحو ذلك. وكان في بلادهم ايضًا كثيرٌ من النصارى واليهود

والمجوس . وكان للعرب قديمًا شهرةٌ عظيمة في الفصاحة والحذاقة والكرم والشجاعة ونظم الشعر وبهم تُضرَب الامثال الى يومنا هذا . وكانوا يجتمعون في اوقاتٍ معلومة الى اماكن معينة يبيعون ويشترون ويتفاخرون ويتناشدون الاشعار ولهم من الشعر المعلَّقات السبع المشهورة التي علقوها على الكعبة وقد اعتنت علماه الاسلام بشرحها لما فيها من الفصاحة والصناعة الشعرية . غير ان ذلك قد فُقِد من بينهم في هذه الايام . وفي اثناء سنة ٦٢٢ للمسيح وهي سنة الهجرة ظهر الاسلام ودخل فيهِ اكثر اهل بلاد العرب . وفي سنة ٢١٧ للهجرة قويت طائفة القرامطة المذكورة انفًا (صحيفة ١٢٢) وغلبت على الكوفة والبصرة وارض البحرين وقام من هذه الطائفة جيشٌ عظيمٌ تحت راية ابي طاهر خليفة القرمط فاتى الى مكة وقتل من اهلها والغرباء نحو ٣٠٠٠٠ نفر واخذ من البيت الحجر الاسود . وفي اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن قويت الطائفة الوهَّابية وهي منسوبة الى رجلٍ من تميم يقال لهُ محمد ابن عبد الوهَّاب سكن في ضرعيَّة بنجد وكان يومئذٍ سعود ابن عبد العزيز العنزي من ربيعة الفرس شيخ البلد ومحمد ابن عبد الوهَّاب من المسالخ من وادٍ علي ولهذه القبيلة بواقي في نواحي زُبيد على خليج العجم فاتفق سعود مع ابن عبد الوهاب على اذاعة تعاليمهِ وكان ذلك نحو ١٧٦٠ مسيحية . وقام بعدهُ عبد العزيز بن سعود واستظهر على كتيبتين ارسلها اليهِ وزير بغداذ وظفر بجيشٍ عظيمٍ

تحت راية زيد بن مساعد شريف مكة سنة ١٧٩٤ وقوي هذا الحزب في العراق واستولى على مسجد عليٍّ واخربهُ . وفي سنة ١٨٠٣ بعث عبد العزيز بابنهِ سعود ومعهُ ١٣٠٠٠ رجل فاستملك الطائف ومكة ثم تقدم الى جدَّة وحاصرها . وهناك بلغهُ خبر وفاة ابيهِ عبد العزيز فرجع الى ضرعيَّة وفي سنة ١٨٠٤ رجع الى الحجاز واخذ المدينة المنوَّرة وتسلط على تلك الاطراف الى سنة ١٨١٥ فنهض لطردهِ ابرهيم باشا صاحب مصر وانتصر عليهِ في وقائع عديدة الى ان اخرجهُ من الحجاز . ومات سعود في ضرعيَّة بمرض الحمَّى وهو ناهز الخمسين من عمرهِ ولم يزل نسلهُ متسلطًا على نجد وما يليها الى الآن وقصبتهم مدينة رياض وهم من الوهابيين

انَّ جانبًا كبيرًا من بلاد العرب صحارى قليلة الامطار لا تنبت شيئًا الاَّ قليلاً من الكلا مرعى لمواشي اهل البادية . ولكن فيها ايضًا جبال واودية مخصبة جدًّا ذات مياه واشجار ولاسيما في نواحي حضرموت وشحر من بلاد اليمن . وجبالها سلسلة من جبال السراة التي بعد انتهائها الى قرب ايلة او بالاحرى الى العقبة تلحق جهة شط البحر الاحمر جنوبًا على بعد ما بين اربعين الى ثمانين ميلاً منهُ . وتنعطف هذه السلسلة شرقًا مارَّةً على اليمن وعمان الى خليج فارس ومن ثمَّ على البحرين الى مصبّ الفرات . والى شرقي المدينة جبلا طيّ وهما أجا وسلمى في طريق حجّ الكوفة .

وقيل جبال طيّ ثلاثةٌ أَجا وسلمى والعوجاء ذكروا انها اسماء اشخاصٍ من العرب كان احدها أَجا يعشق سلمى وكانت العوجاء تجمع بينهما فصلبوهم على هذه الجبال فسُمّيت باسمائهم . وهذه الجبال هي المشار اليها في قول جابر بن رألان السنبسي

ونحن غلبنا بالجبال وعزّها ونحن ورثنا غَيّثًا وبُدَيْنا

وفي قول حسّان بن حنظلة الطائي

غَضِبَت عليّ ان انّصلتُ بطيء
وانا امرءٌ من طيء الاجبال

ومن جبال طيّ الجوديُّ ايضًا وهو المراد بقول الشاعر

فما نطفةٌ من جبّ مُزنٍ تقاذفت
بها جنبتا الجوديّ والليل دامسُ
باطيب من فيها وما ذقت طعمهُ
ولكنني فيما ترى العين فارسُ

وجبل العارض وهو ممتدٌ شمالاً وجنوبًا وطرفهُ الجنوبي متصلٌ ببلاد اليمن بقرب صعدة ومن ثمَّ يمتدُّ شمالاً الى قرب خليج العجم . وعلى هذا الجبل مدينة هجر واليمامة . وفيهِ نخيلٌ كثير وعيون جارية . وفي شماليّ المدينة جبل أُحُد وفي جنوبيها جبل عير . ومن جبال الحجاز ايضًا جبال مكة وجبال منى ويقال لها

الاخاشب . والاخاشب ايضًا جبالٌ سود قريبة من اجا بينهما رملةٌ ليست بطويلة

اما الانهر فليس في بلاد العرب نهرٌ يحمل سفينةً . وينحدر من جبالها جداول كثيرة لكنها تغوص في الرمال المحرقة ولا تصل الى البحر . وبالقرب من صنعاء اليمن نهرٌ صغيرٌ يصبُّ في بحر الهند وآخر في بلاد مهرة وهو ايضًا يصبُّ في البحر المذكور

واما هواء هذه البلاد فهو معتدلٌ في الجبال ولكن السهول يشتد فيها الحرُّ . والامطار تقع في شمال اليمن من شهر حزيران الى تشرين الثاني وفي شرقهِ تقع من تشرين الثاني الى شباط وفي حضرموت وعمان من شباط الى نيسان وفي اكثر البوادي يكون القطر كثيرًا فتبرد الارض قليلاً وينبت فيها بعض النباتات البرية . واحيانًا تهبُّ عليها ريح السموم فتلفحها

واما غلّات بلاد العرب فالوادي لا تنبت الاّ قليلاً من الحمض وبعض الاشجار التي يكفيها قليلٌ من الماء . واما الجبال والاودية فان منها ما هو جيد التربة صالح للنبات والشجر . فتنبت فيهِ الطرفاء والدوم والصنصاف والحنـــاء والزنجبيل والياسمين والفلُّ والتمر الهندي والنخل والقصب والحنطة والشعير والفُوَّة والبنُّ والتبغ والمَعصُ والبنج والفلفل والباذنجان والصبر والرمان واللوز والفستق والمشمش والتفاح والسفرجل والليمون والتين والورد والشقائق والخزام والنرجس والبنفسج

والنيلة والخروع وانواع القثّاء والبطيخ والموز والطلح الذي منهُ الصمغ العربيُّ والنارجيل وشجر اللبان في شُحر . واخصب اراضيها وافضلها في النواحي الجنوبيَّة . وقد سُمّيَتْ تلك النواحي عند الرومانيين واليونانيين العَربيَّةَ السعيدة تمييزًا بينها وبين الجهات الشمالية التي سمَّوها العربية الصخريَّة

واما حيوانات بلاد العرب فمنها الخيل وهي مشهورة بالجودة . والجمال وهم يعتمدون عليها كثيرًا لشدَّة الاحتياج اليها في بلادهم والحمير والجواميس وبقر الوحش وحمير الوحش والمعزى والغنم والمعزى البرّية والخنازير والارانب والغزلان ويكثر في براريهم الاسد والضبع والنمر والذئب والوعل والثعلب وابن اوى واليربوع وفي جهة الجنوب النسناس وهو كثير الجناية على الاثمار والفواكه . ومن الطيور في بلاد العرب النعام والقطا والحجل والصقر والكدريُّ والكَروان والحُبارَى والحمام واليمام والنسر والبازي والعقاب والغراب والبجع والرَّخَم والهدهد والسمرمر وغير ذلك . وعلى البحر الاحمر انواعٌ كثيرة من طير الماء . ومياه الابحر المحيطة كثيرة الاسماك والسلاحف . وفيها من الاحناش حيّاتٌ موذية وعقارب وضبَّان وانواعٌ من النمل والرتيلاء .وكثيرًا ما يسطو على هذه البلاد الجراد فيتلف اغراسها واكثر ما يستوطن في براري نجد

واما معادن بلاد العرب فقد قلَّت في هذه الايام مع انها

كانت كثيرةً في الزمان القديم وكان في اليمن كثيرٌ من معادن الذهب والفضة وكان اهلها يفتخرون بذلك على غيرهم . والآن في بعض الاماكن معادن حديد ونحاس ورصاص وحجر الجَزَع والعقيق اليمنيُّ في اليمن واللؤلؤ في خليج فارس بنواحي عمان والبحرين . ولا شك ان في بلاد العرب معادن كثيرة الى الآن لم تُكتَشف ولا سيما في نواحي طور سينا

واما تجارة بلاد العرب فكانت واسعةً قبل فتح الطريق بين الغرب والهند على راس الرجاء الصالح لانهُ كان يمرُّ بها جانب عظيم من البضائع السائرة بين الهند واوروبا . فلما انكشف هذا الطريق انقطعت اسباب التجارة عن هذه البلاد فقلَّت تجارتها . والآن يؤْخذ منها البنُّ ولا سيما من مدينة مخا وهو المعروف بالبن الحجازي . وكذلك الصمغ العربي واللبان والصبر والمرُّ والسنا والفلفل والحِنَّاء والعود وغير ذلك من العقاقير . ويُجلَب اليها من بلاد الافرنج الانسجة المختلفة والفضة والحديد والنحاس والرصاص والاسلحة والبارود . ومن بلاد الحبش الغنم والعاج والمسك . ومن شرقي افريقية الذهب والعاج والكهرباء والعبيد . ومن مصر الرزُّ والسكَّر والزيت ومن الهند الكتان والقطن . ومن بر الشام الصابون . وهذه التجارة اكثرها ياتي في البر على قوافل الجمال . ومنذ بعض السنين انفتح طريقٌ للهند يمرُّ على اسكندرية ومصر والسويس وعدن

واكثر اهل السياحة يسلكون فيهِ عوضاً عن الدوران على راس الرجاء الصالح لانهُ اقرب مسافةً منهُ غير ان سلوك البحر الاحمر كثير المخاطر لكثرة الصخور التي تكسر السفن والتيارات التي تدفعها الى حيث لا تشاء

ثم ان البحر الاحمر من جهة الشمال ينقسم الى خليجين شرقيهما خليج العقبة والغربي خليج السويس وفي الزاوية عند ملتقاهما طور سينا وجبل حوريب حيث انزل الله الشريعة على بني اسرائيل عن يد موسى النبي . وتلك الجبال في الحقيقة ملتقى سلسلتين احداها متجهة من ناحية الشمال الشرقي وهي امتداد جبال اليهودية جنوباً بغربٍ والاخرى متجهة من ناحية راس خليج السويس . وعند هذا الملتقى رؤُوس كثيرة لكل راسٍ اسمٌ عند عرب تلك النواحي كجبل فيران وهو فاران (تكوين ص ٢١ وتثنية ص ٣٣) وجبل موسى وجبل القُرَيع وجبل كاتريا وغير ذلك . وطور سينا هو المسمَّى الان جبل موسى وعليهِ ديرٌ لطائفة الروم وهو حصين جدًّا لا مدخل لهُ الاَّ من بابٍ مرتفع عن الارض نحو ثمان وعشرين قدماً فينشلون من يريدون ان يدخلوهُ بالحبال الى هذا الباب . وهذا الدير في عرض شمالي ٥٥ َ ٣٢ َ ٢٨ ْ وطول شرقي ١٨ َ ٥٨ َ ٣٣ ْ وارتفاع راس الجبل عن مساواة البحر ٧٥٠٠ قدم . وارتفاع جبل كاترين نحو ٨٦٠٠ قدم . ومن جبل موسى الى راس محمد وهو الراس الذي عند

انقسام البحر الى الخليجين المذكورين سلسلة جبال تُسمّى جبل الطرفاء. والسلسلة التي تلي غربيّ خليج العقبة رؤوسها مختلفة الارتفاع من ٨٠٠ قدم الى ٣٠٠٠ قدم. وفي تلك النواحي دودةٌ مثل دودة القرمز تثقب قشر شجر الطرفاء فيخرج من الثقوب صمغٌ حلو المذاق يلتقطهُ الرهبان ويبيعونهُ وهم يسمونهُ منّا. وفي التيه بين جبل موسى وحدود فلسطين عدة قبائل من عرب البادية منهم الصوالحة والسعيديّة والعوارمة والعُلَيقات والمزَينة واولاد سليمان والتياهة والحويطات وغيرهم

اما إيلة على راس الخليج فهي الآن خرابٌ وموقعها عند البحر حيث جرت الواقعة بين الحبش وعرب اليمن والقى ملكهم ذو نواس الحميري نفسهُ في البحر انفةً من وقوعهِ في اسر الحبشة. وهي على طرفي وادي العربة الذي يمتد من هناك الى بحيرة لوط وعلى شرقيهِ جبل الشراة كما تقدَّم. وفي هذا الجبل على نحو نصف المسافة من ايلة الى الكرك جبل هرون الذي دُفِن فيهِ هرون اخو موسى النبي (سفر العدد ٢٠: ٢٣ الى ٢٨) والى جهة الشرق منهُ وادي موسى وسماها العبرانيون سالع اشعيا ١٦: ١ وقضاة ١: ٣٦ وملوك ثانٍ ١٤: ٧ وهي موقع مدينة بترة القديمة قصبة العربية الصخرية عند اليونانيين والرومانيين. واما قلعة العقبة فلا اعتبار لها الآن سوى انها من منازل الحج المصري ويقال لها عقبة ايلة تمييزًا لها عن سائر العقبات كعقبة المردق وغيرها

اما المدن في بلاد العرب فاشهرها مكة وهي من الحجاز في وادٍ بين جبالٍ ليس فيها زروعٌ . وطول البلد من الشمال الى الجنوب نحو ميلين وعرضها من سفح جبل ابي قُبيس وهو المشرف عليها من شرقيها الى راس جبل قُعيقِعان وهو المشرف عليها من غربيها نحو ميل . وليس فيها نبع ماء الاّ ماء بئر زمزم وهو لا يصلح للشرب لانهُ يسبب القروح والبثور . والخليفة المقتدر بالله اجرى اليها الماء من مسافةٍ بعيدة في قناةٍ . قال بهِ الشريف الادريسي . وبها المسجد الحرام الذي في وسطهِ الكعبة . ويقال لبطن مكّة بكّة بالباء الموحدة المفتوحة قال الجوهري في الصحاح وسمي بطن مكة بكّة لازدحام الناس فيهِ لانهُ من بكّهُ اي زحمهُ انتهى واهل مكة يعيشون من تجارتهم مع الحجاج وهم يبلغون نحو ٢٥٠٠٠ نفس .

والى نحو الغرب من مكة على شاطئ البحر الاحمر مدينة جُدّة وهي فرضة مكة وطولها ٦ ٢٩° شرقي وعرضها ١٤ ٢٢ ٢١° شمالي وهي ذات سورٍ واهلها نحو ١٢٠٠٠ نفس وشربهم من الآبار وهم اخلاطٌ شتى من الهند واليمن ومصر والشام والمغرب وبلاد الترك ولها تجارةٌ مع الافرنج في البن والبضائع الهندية وكذلك مع مكة والمدينة . ومن الاماكن المشهورة في مكة الصفا والمروة وهما بلحف جبل ابي قُبيس وكذلك وادي مِنًى وجبل عرَفات والمزدلفة ويقال لها جمع ايضًا وبطن محسِّر وغير ذلك

وقد امعن الشيخ عُمَر الفارض في ذكر هذه المواضع وغيرها من الحجاز بقولهِ

سقى بالصفا الربعيُّ ربعًا بهِ الصفا
وجاد باجيادٍ ثرى منهُ ثروتي
على فائتٍ من جمع جمْعٍ تأسُّفي
وودٍّ على وادي محسّر حسرتي

وقولهِ ايضًا .

يا راكب الوجناء بُلِّغتَ المنى عُجْ بالحمى ان جُزتَ بالجرعاء
متيمّمًا تلعات وادي ضارجٍ متيامنًا عن قاعة الوعساء
واذا اتيت أُثيلَ سلعٍ فالنقا فالرقمتين فلعلعٍ فشظاء .
فكذا عن العلمَين من شرقيّهِ مِلْ عادلاً للحلّة الفيحاء
فلنازلي سرح المربّع فالشبيكة فالثنيّة من شعاب كَدَاء
ولحاضري البيت الحرام وعامري تلك الخيام وزائري الجثْماء
ولفتية الحَرَم المريع وجيرة ال حي المنيع تلفّتي وعناءي

وقولهِ ايضًا

عمرك الله ان مررتَ بوادي
ينبُعٍ فالدهنا فبدرٍ غادِ

وسلكت النقا فأودانَ وَدًّا
نَ الى رابغ الرويّ الثمادِ
وقطعت الحرار عمدًا لخيما
ت قُدَيدٍ مواطن الامجادِ
وتدانيت من خُلَيصٍ فعسفا
نَ فمرّ الظهران ملقى السوادي
ووردت الجموم فالقصر فالدكنا
طرًّا مناهل الوُرّادِ
وانيت التنعيم فالزاهر الزا
هر نورًا الى ذرى الاطوادِ
وعبرت الحجون واجتزت فاختر
تَ ارتيادًا مشاهد الاوتادِ
وبلغت الخيام فابلغ سلامي
عن حفاظٍ عُرَيبَ ذاك النادي
يا رعى الله يومنا بالمُصَلَّى
حيث نُدعَى الى سبيل الرشادِ
وقبابَ الركاب بين العلميَن
سراعًا للمأزمَين غوادِ
وسقى جمعنا بجمعٍ مليًّا
ولُوَيلات الخيف صوبَ عهادِ

من تمنّى مالاً وحسن مآلٍ
فمُناءِي منًى واقصى مرادي

والى جنوبي مكة جبل ثور فيهِ الغار المشهور وهو المراد بقول الشيخ محمد البوصيري في قصيدتهِ المعروفة بالبردة

وما حوى الغار من خيرٍ ومن كرمٍ
وكل طرفٍ من الكُفّار عنهُ عمي
فالصدق في الغار والصدّيقُ لم يرِما
وهم يقولون ما بالغار من أرَمِ

وثبير جبلٌ مشرفٌ يُرَى من منى والمزدلفة . وهو المشار اليهِ بقول امرء القيس الكنديّ

كأنّ ثبيرًا في عرانين وبلهِ كبير اناسٍ في بجادٍ مُزَمَّلِ

وثبير اسمٌ لعدة جبالٍ بقرب مكة غير الجبل المذكور كثبير الزنج وثبير الاعرج وثبير الخضراء وثبير النصع وثبير غيناء وثبير الاحدب ويقال لها الاثبرة . وثبير ايضًا ماءٌ في بلاد مزَينة . والى الشمال الغربي من مكة قرية الحُدَيبيّة قيل بعضها في الحِل وبعضها في الحرام . اما تبوك فهي الى الشرق من ايلة بميلةٍ الى الجنوب وهي على نصف المسافة بين المدينة ودمشق . وكانت

هناك وقعةٌ عظيمة بين المسلمين والروم في السنة التاسعة للهجرة.
والى الشرق من تبوك بليلةٍ الى الشمال دُومة الجندل . قيل كان رجلٌ اسمهُ الأكيدِر في بلدةٍ لهُ قرب عين التمر في العراق يقال لها دومة وكان يزور اخوالاً لهُ من بني كلب باطراف الشام فبينما هو في بعض الطريق ظهرت لهُ مدينة متهدمة لم يبقَ الاَّ بعض حيطانها وكانت مبنيةً بمكانٍ يقال لهُ الجندل فاعاد الاكيدر بناءها وغرس فيها الزيتون وغيرهُ وسمَّاها دومة الجندل تفرقةً بينها وبين دومة العراق . وفتحها خالد بن الوليد سنة غزوة تبوك المذكورة . وكان في الجاهلية لبني كلب صنمٌ في دومة الجندل اسمهُ ودّ وكانوا ينزلون يومئذٍ دومة الجندل وتبوك واطراف الشام . ومن مشاهيرهم زُهَير بن حباب الكلبيّ وهو القائل في غزوتهم لبني بكر وتغلب على ماء الحنيّ

اين اين الفرار من حذر المو ... تِ واذ تتَّقون بالاسلابِ
اذ أَسَرنا مهلهلاً واخاهُ ... وابنُ عمرٍو في القيد وابنُ شهابِ
وسبينا من تغلبٍ كل بيضاء ... رَقودِ الضحى بَرُودِ الرضابِ

وزهير بن شريك الكلبيُّ وهو القائل لزوجتهِ اسماء

أَلا اصبحت اسماء في الخمر تعذلُ ... وتزعم اني بالسفاه موكَّلُ
فقلت لها كُفّي عتابكِ نصطبح ... والاَّ فبيني فالتعزُّب أَمثلُ

اما الحِجر بكسر الحاء المهملة فهي الى الجنوب من دومة الجندل على جبالٍ يقال لها الاثالب وهي التي تنزلها حُجَّاج الشام . قيل كانت هناك ديار ثمود . واما الحَجر بفتح الحاء فهي في اليمامة بقرب مدينة اليمامة وهما منازل بني حنيفة وبعض مضر . وبنو حنيفة هولاء من بكر بن وائل والذي منهم مُسَيلمة الكذَّاب الذي ادَّعى النبوة . وهم من العرب المستعربة من قبيلة ربيعة الفَرَس التي منها الامام الحريريُّ صاحب المقامات المشهورة وكان من قريةٍ يقال لها المشان فقال فيهِ بعضهم لما عجز في ديوان الانشاء

شيخٌ لنا من ربيعة الفَرَسِ ينتف عثنونهُ من الهوَسِ
انطقهُ اللهُ بالمشان وقد رماهُ وسط الديوان بالخَرَسِ

وفي الحجر المذكور قبور الذين قُتلوا في حرب مسيلمة الكذاب في خلافة ابي بكر . وفي بلاد العرب عدة مواضع قد سُمِّيت بهذا الاسم كحِجر الراشدة في ديار بني عُقَيل وحِجْر بني سُلَيم وهو قريةٌ لهم وحِجْر دوس وهو موضعٌ كانت بهِ وقعةٌ بين دوس وكنانة . وحِجْر ايضًا وادٍ في بلاد عُذرة وغَطفان وموضعٌ آخر في اليمن . قال بها ياقوت في المشترك . ومن اليمامة حذام الجديسيَّة التي كانت تبصر مسافة ثلاثة ايامٍ (وكروية الارض لاشيء عندها) وفيها يقول شاعرهم

اذا قالت حذامِ فصدّقوها فان القول ما قالت حذامِ

وكانت من مكانٍ هناك يقال لهُ جوٌّ وبها يضرب المثل فيقال ابصر من زرقاء جوٍّ قال ابو الطيب

بَرَتْني السُرَى بَرْيَ المُدَى فَرَدَدْنني
أَخَفَّ على المركوب من نفسي جرمي
وأبصَرَ من زرقاء جوٍّ لانني
متى نَظَرَت عيناي ساواهما علي

قيل وكان اسمها اليمامة وبها سمي البلد وانما لُقِّبت بالزرقاء لزُرقةٍ كانت في لونها

واما تيماء فهي الى الشرق من الحجر وكانت حصنًا اعمر من تبوك وهي حاضرة طيّ وبها الحصن المعروف بالابلق الفرد المنسوب الى السموأَل بن عادياء اليهودي الذي يقول

لنا جبلٌ يحتلُّهُ من نجيرهُ
منيعٌ يردُّ الطرف وهو كليلُ
هو الابلق الفرد الذي شاع ذكرهُ
يعزُّ على من رامهُ ويطولُ
رسا اصلهُ تحت الثرى وسما بهِ
الى النجم فرعٌ لا ينال طويلُ

واما الثعلبية فهي الى الشمال الشرقي من تيماء . قال ابو الفداء هي ذات سورٍ كثيرة الماء على ثُلث طريق حجاج العراق . والى الجنوب الشرقي من تيماء فيد وهي من نجد على منتصف طريق حجاج العراق من الكوفة بالقرب من أَجا وسلمى جبلي طيّ . وبقرب شط البحر الى غربي الحجر مائلاً الى الجنوب خراب مَدْيَن وهي التي يقول فيها كثيّر عزّة

رهبان مَدْيَنَ والذين عهدتهم
يبكون من حذر العذاب قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها
خرّوا لعزّةَ رُكّعًا وسجودا

وهناك بئر قيل هي التي سقى منها موسى ساية رعوائل كاهن مديان (خروج ص٢) وهو المسمى عند العرب شُعَيبًا . والى الجنوب الشرقي منها بقرب البحر الينبُع كانت منزلاً لبني الحسن بن علي بن ابي طالب ولها فرضةٌ على البحر على نحو مرحلةٍ منها . وبقربها جبل رضوى من جهة الشرق . ومن هذا الجبل يُحمَل حجر المِسنّ الى الآفاق . وبينهُ وبين المدينة سبع مراحل

اما المدينة فاسمها يَثرِب ولكن غلب عليها لقب المدينة فصار عَلَمًا لها . وهي في مستوًى من الارض وفي شماليها جبل أُحُد وفي جنوبيها جبل عير وبها كثيرٌ من النخل واكثر اراضيها

سباخ ويجلب اكثر حوائجها من مصر على طريق الينبع واهلها نحو ١٥٠٠٠ نفس .وكثيرًا ما يقال لها مدينة الرسول وقد يقال لها طيبة ايضًا وهي التي ارادها الشيخ عمر الفارض بقوله

تيقّنتُ ان لادار من بعد طيبةٍ
نطيب ولكن لا عِزّةٌ بعد عِزّةِ

واما خيبر فهي الى جهة الشمال الشرقي من المدينة على نحو اربع مراحل وفيها قبائل يهود متعرّبة وهم يوصفون بالمكر والخبث وكان بها السَّمَوْأَل بن عادياء الذي يُضرَب بهِ المثل في الوفاء . قيل كانت للعمالقة ثم صارت لبني عنزة بن اسد بن ربيعة . وهي ردية الهواء تولد الحميّات وحُمّاها موصوفةٌ بالشدة قال الاخنس

فمن يكُ امسى في بلاد مقامةٍ
نسائل اطلالاً بها لا تجاوبُ
وقفتُ بها ابكي وأُشعَرُ سُخنةً
كما اعتاد محمومًا بخيبرَ صالبُ

يريد بالصالب الحُمّى التي يكون معها صداع . وهي كثيرة النخيل يُحمَل منها التمر الى الجهات القصوى قال خارجة بن ضرار المرّيّ

أخالد هلاَّ اذ سَفِهتَ عشيرةً
كففت لسان السوء ان يتدعَّرا
فانك واستبضاعك الشعرَ نحونا
كمستبضعٍ تمرًا الى ارض خيبرا

واما الجار فهي الى الجنوب الشرقي من المدينة على نحو يوم وليلة وهي فرضة المدينة واليها يُنسب جماعةٌ منهم عبد الملك بن الحسن الجاريُّ الاحول . والى الجنوب الشرقي منها على نحو مرحلةٍ ماءٌ يقال لهُ بدر وبقربهِ قرية بدر التي كان فيها اليوم المشهور بين المسلمين والمشركين من قريش وكانت النصرة للمسلمين فسمي بدر القتال وبدر الموعد . وكان ممن قُتِل ذلك اليوم بدر بن الاسود بن زمعة بن المطَّلب بن نوفل القُرَشي وكان مشركًا فقال ابوهُ الاسود يرثيهِ

اتبكي ان يضلَّ لها بعيرٌ ويمنعها من النوم السهودُ
فلا تبكي على بكرٍ ولكن على بدرٍ تقاصرت الجدودُ

واما الجُحفة فهي الى الجنوب الشرقي من بدر وهي خرابٌ . وعلى نحو مُنتصف الطريق بين الجُحفة ومكة عسفان وهي منزلةٌ على طريق حجاج مصر والشام ويقال لها ايضًا مدرَّج عثمان وهي المشار اليها بقول عنترة العبسي

كانها يوم صدّت ما تكلمنا
ظبيٌ بعسفان ساجي الطرف مطروفُ

واما الطائف فهو الى شرقي مكة ببطنٍ من جبل غزوان . وهو ابرد مكانٍ في الحجاز لان الثلج يقع احيانًا على ذروة الجبلِ فوقهُ ويجمد الماء . وهو كثير الفواكه وفي جوارهِ بساتين تسقيها عيونٌ وجداول تنحدر من الجبال وفيها كثيرٌ من الورد والكرم. واهل الطائف من قبيلة ثقيف الذين منهم كُلَيب بن يوسف الثقفي عامل ملك الشام المعروف بالحجّاج . وهم من قيس عيلان وقيل هم من بقايا ثمود . وكان لهم في الجاهلية صنمٌ بالطائف اسمهُ اللات

واما عكّاظ فهي بقرب الحدّ بين اليمامة وتهامة . وكان يقوم فيها كل يوم احدٍ سوقٌ وفي كل سنةٍ تجتمع اليها قبائل العرب يتفاخرون ويتناشدون الاشعار ويلبثون هناك شهرًا وقيل عشرين يومًا . واما صنعاء اليمن فهي من اشهر مدن بلاد العرب وانزهها وهي قصبة اليمن وعرضها ١٥°٢١′ شمالي . قيل تشبه دمشق لكثرة مياهها واشجارها . وهي معتدلة الهواء حسنة الاسواق واسعة التجارة . وكانت كرسي ملوك اليمن في القديم ولهم بقربها قصرٌ عظيمٌ يقال لهُ غمدان اخذهُ سيف بن ذي يزن الحميري من الحبشة الذين كانوا استولوا على اليمن والى ذلك اشار ابن دُرَيد في المقصورة بقولهِ

وسيفٌ استعلت به همّتهُ حتى رمى أبعدَ شأوِ المرتمى
فجرّعَ الأحبُشَ سمًّا ناقعًا واحتلّ من غمدان محراب الدُمى

والى الجنوب الشرقي من صنعاء موقع مدينة مارب ويقال لها سبًا نسبةً باسم عبد شمس الملقب بسبأ . قيل بنى هناك سدًّا عظيمًا فساق اليهِ السيول من امدٍ بعيد . وبنى جانبًا كبيرًا من المدينة على السدّ . وفي بعض السنين تراكمت الامطار فدفعت السُدّ وهلك بذالك خلقٌ كثير وسميت هذه الحادثة سيل العَرِم الذي تفرّق بهِ عدّة قبائل من العرب كما تقدم ذكرهُ . وفي تلك النواحي كتاباتٌ على الصخور بالحرف المسند المعروف بالخط الحميري نسبةً الى حمير بن سبا وهو مجهولٌ في هذه الايام . وزعم بعضهم انها من عصر عاد وثمود وان نسبتها الى حمير وهمٌ مبنيٌّ على ان ثمودًا طردهُ حمير من اليمن فنزل في الحِجْر والله اعلم

والى جهة الشمال الغربي من صنعاء صعدة وهي مشهورة بالجلود التي تجلب منها وبها مدابغ كثيرة وعليها بنى الحريري مقامتهُ الصعدية التي يقول فيها

من ضامهُ او ضادَهُ دهرهُ فليقصد القاضيَ في صعده
سماحهُ انعب من قبلهُ وعدلهُ انعب من بعده

والى الغرب من صنعاء على نحو مرحلةٍ من شط البحر الاحمر

مدينة زبيد ولها فرضةٌ على البحر تسمَّى علافقة . والى الجنوب منها على شط البحر الاحمر ايضاً مدينة مخا التي منها يُجلب البنُّ واليها يُنسب في الاصل غير ان العامة ينسبونهُ الى مكة غلطاً ويقولون لهُ الحجازيّ . وهي في عرض شمالي ١٣°٢٠′ وطولهِ شرقي ٤٣°٢٠′ وابنيتها من اللبن واهلها يبلغون نحو ٥٠٠٠ نفس . وعلى اربع مراحل منها وست مراحل من صنعاء بيت الفقيه وهي في الاراضي التي ينبت بها البنُّ فتاتيها التجَّار من جميع الاقطار

واما مدينة عدن فهي على شط بحر الهند ولها مرساة امينة للسفن . كانت لها تجارة واسعة بين الشرق والغرب لكنها الآن لم يبقَ لها اعتبارٌ والاراضي التي حولها جديبةٌ يابسة . وهي بيد الانكليز محطًّا لمراكبهم الجارية بين الهند والسويس . ويتبع اليمن جزيرة سقطرة التي يجلب منها الصبر السقطريُّ المشهور . والجميع تحت ولاية امام اليمن وهو بمنزلة ملك عظيم مستقلّ بنفسهِ . اما مدينة مسقاط فهي قصبة بلاد عمان واهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس . واما الاحساء فهي اجلّ بلاد البحرين وهي ذات مياهٍ جارية وفيها ينابيع شديدة الحرارة . ونخيلها يقارب غوطة دمشق في الكثرة ويوسقون التمر الى نواحي اليامة ويستبدلونهُ بالحنطة

ومن الاحساء على شط خليج العجم القطيفُ وهناك مغاصٌ للؤلوء ونخيلها دون نخيل الاحساء وبينهما مسيرة يومين وهي عن البصرة مسافة ستة ايام وبينها وبين كاظمة اربعة ايام . وبقربها

في خليج العجم جزائر البحرين بها مغاوص لؤلوء ليس مثلها في العالم اما كاظمة فعلى شط خليج العجم الى الجنوب من الأُبلّة وربما تُحسب من العراق وهي التي ذكرها صاحب البردة بقولهِ

ام هبّتِ الرّيح من تلقاء كاظمةٍ
واومض البرق في الظلماء من إضمِ

واما مدينة اليمامة فهي الى الجنوب من الاحساء بميلةٍ الى الغرب . وكانت مدينة عظيمة ذات مياهٍ ونخيل قيل كانت لطسم وجديس . وبقربها وادٍ يقال لهُ الخرج فيهِ عدة قرى وبها كثيرٌ من الحنطة والشعير . وهي مدينة مسيلمة الكذّاب من بني حنيفة السابق ذكرهم . والى الشمال من يمامة مدينة رياض تخت الوهّابيين ومركز سطوتهم وهي ذات سور وحصائن وبندر يجتمع اليها التجار من الاحساء والقطيف وعمان ومكة ووادي نجران واليمن واهلها على اشد ما يمكن من الترفض بمذهب الوهّابيين لا يشربون خمرًا ولا تبغًا ولا يرخصون بادخالهِ الى بلادهم ويسمونهُ المخزي ويعدون شربهُ من اكبر الجرائم وهي الآن قصبة بلاد نجد وتلك البلاد مشهورة بخيلها الجياد وغنمها وجمالها . والى الشمال منها رمول ممتدة من نواحي الحجاز الى نواحي العراق سميت النفود . والى الشمال منها جبل شمّر اي جبل طيّء قصبتها مدينة حائل وبقربها في جبل سلما قبر حاتم طيّء كانت تحت

حكم رياض والآن صارت مستقلة وهي منفصلة عن بلاد الجوف بنفود رمول . اما وادي الجوف فهو على حدود بادية الشام قصبتها مدينة الجوف وهي ايضاً تحت حكم جبل شمر الذي قصبتهُ مدينة حائل

ومن المدن القديمة في بلاد العرب المَهْجَم وهي الى الشمال الشرقي من زبيد وبينها وبين صنعاء ست مراحل . والى الجنوب من زبيد حصن تعز كان مقام ملوك اليمن وهو على جبلٍ مُطِلٍّ على التهائم واراضي زبيد . والى شرقي صنعاء على شط جون داخلٍ في البحر مدينة ظفار وهي قصبة بلاد شِحرٍ وبينها وبين الهند تجارة وفي اراضيها كثيرٌ من شجر الهند كالنارجيل والتنبل والى شمال ظفار رمال الاحقاف وهي بلاد عاد

واما نجران فهي على جبال من شمال اليمن الى شمال صعدة . وهي عن صنعاء نحو عشر مراحل . وكانت اراضيها لقبيلة همذان وكان لهم في الجاهلية صنمٌ اسمهُ يعوق وهمذان هو ابن كهلان بن سبا

وقد ورد في اشعار العرب اسماء كثيرة لجبال واودية وبُقَعٍ كانوا ينزلونها فيطلقون الاسم على مسمّياتٍ شتى ثم يقيدونهُ بما يضاف اليهِ كبرقاء جُدَب في قول الكُمَيت بن معروف

وقد فاض غربٌ عند برقاء جندبٍ
لعينيك من عرفان ما انت تعرف

وبرقاء شمليل في قول النعمان بن المنذر

وما اعتذارك منهُ بعد ما جزَعت
ايدي المطيّ بهِ برقاء شمليلا

وبرقاء الأجدّين في قول الآخر

وبومًا ببرقاء الأجدّينِ لو اتى أبيًا مقامي لانتهى او لجرّبا

وغير ذلك الى نحو ستة عشر موضعًا . وكذلك يفعلون بالبُرقة كبرقة تهمد في قول طرفة بن العبد البكري

لخَوْلَةَ اطلالٌ ببرقة ثهمدِ تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ

وبرقة احواذ في قول ابن مقبل

طربتَ الى الحيّ الذين تحملوا ببرقة احواذٍ وانت طروبُ

وبرقة الاجداد في قول الاخر

لمن الديار ببُرقةِ الاجدادِ عفّت سوارٍ رسمها وغوارِ

وغير ذلك الى نحو تسعين موضعًا . وهم يتصرفون كثيرًا في مثل ذلك على وجوهٍ شتى نحو ذي سلَمَ التي يذكرها صاحب البردة بقولهِ

أَمِن تذكُّر جيرانٍ بذي سَلَمِ
مزجت دمعًا جرى من مقلةٍ بدمِ

وذي الغضا المذكورة في قول الشيخ عمر الفارض

انارُ الغضا ضاءت وسلمى بذي الغضا
ام ابتسمت عما حكته المدامعُ

وذي قار في قول بكير بن الاصمّ الثعلبيّ

هم يوم ذي قارٍ وقد حمِسَ الوغى
خلطوا لهامًا جحفلًا بلهامِ

وذي طلوح في قول الآخر

اذا نزل الخيام بذي طلوحٍ سُقِيتِ الغيث ايتها الخيامُ

وكذلك ذات الشيح المذكور في قول الشيخ عمر الفارض
وبذات الشيح عني ان مررت بحيٍّ من عُرَيب الجزع حَي

وذات الحرمل في قول عنترة العبسيّ

طال الثواء على رسوم المنزلِ بين الكليل و بين ذات الحرملِ

وذات عِرق في قول الآخر

أَلا يا نخلةً من ذات عرقٍ عليكِ ورحمة الله السلامُ

ومن ذلك بطن قوٍّ المذكور في قول امرء القيس

سما لك شوقٌ بعدما كان اقصرا وحلّت سُلَيمى بطن قوٍّ فعرعرا

كذلك بطن انف وبطن مرّ وبطن اياد وبطن الحر وغير ذلك الى نحو عشرين موضعًا . وقد نسي بين العرب اكثر هذه الاماكن كما فقد ما كان عندهم من الفصاحة والحذاقة فسبحان الباقي على الدوام الذي لا تغيّرهُ الليالي والايام

الفصل الخامس

في بلاد فارس الغربية وهي مملكة ايران

اعلم ان بلاد العجم في هذه الايام مقسومةٌ الى عدّة اقسامٍ منها مملكة ايران او مملكة فارس وافغانستان او كابُل وبلوخستان . اما مملكة ايران فهي القسم الغربي منها وتسمى ايضًا بلاد فارس نسبةً الى قسمٍ من اقسامها . وهذه المملكة يحدّها شمالاً بعض ارمينية وكرجستان وبحر الخزر وبعض بلاد التتر المستقلّة . وشرقًا افغانستان وبلوخستان . وجنوبًا بحر الهند

وخليج فارس . وغربًا خليج فارس والعراق العربي وكردستان وبعض الجزيرة . ومساحتها نحو خمس مئة الف ميل مربع . واهلها نحو اثني عشر الف الف نفس . واقسامها ثمانية . الاول آذربيجان وهو الذي يلي ارمينية وكرجستان والجزيرة . الثاني كيلان ويقال له الجيل وجيلان ايضًا وهو الواقع بين اذربيجان غربًا وبحر الخزر شرقًا . الثالث مازندران وهو شرقي كيلان تاليًا جنوبي بحر الخزر . الرابع بلاد الجبل ويقال له ايضًا العراق العجمي وهو الى جنوبي اذربيجان ومازندران . الخامس خوزستان وهو ما يلي شرق العراق العربي . السادس فارس وهو ما يلي الشمال الشرقي من خليج فارس . السابع كرمان وهو بين فارس من جهة الغرب وبلوخستان وافغانستان من جهة الشرق . ويلي بعض خليج فارس وبعض بحر الهند . الثامن خراسان وهو يلي بلاد التتر شمالاً . وافغانستان شرقًا . وكرمان جنوبًا . وفارس وبلاد الجبل ومازندران غربًا . وكان خوزستان قديمًا جزءًا من مملكة بابل وكان فارس مملكة مستقلة . والاجزاء الشمالية كانت تابعة لمملكة اشور ثم استقلت وقويت وهي مملكة مادي . ثم تزوج ملك فارس بابنة ملك مادي وولد له ابن نحو ٥٨٠ ق م وهو الملك كورش المشهور الذي جعل فارس ومادي مملكة واحدة . وبقيت على ذلك الى نحو ٣٣٠ ق م لما انتصر اسكندر على داريوس . وبعد وفاة اسكندر صارت هذه

البلاد لسلوقوس . ثم قامت قبيلة الفرثيين واحدثت دولةً اخري وطردت الروم من بلاد فارس ومادي . وبقيت هذه الدولة الى سنة ٢٦٠ للتاريخ المسيحي فابتدأَت دولةٌ فارسية اصلية تُعرَف بالدولة الساسانية نسبةً الى ساسان وهي محلةٌ بمرو من بلاد خراسان قال بهِ السيوطي في كتاب السب . وملوك هذه الدولة هم اكاسرة العجم . وفي تلك الايام حدثت بينهم وبين الروم وقائع كثيرة وكانت الحرب بينهم سجالاً تارةً تكون للفريق منهم وتارةً عليهِ . ثم تغلَّب عليهم المسلمون وكانت الوقعة الاولى بقرب قادسية الكوفة في غربي العراق العربي واستمرت تحت ولاية الخلفاء الى ان قامت الدولة السلجوقية سنة ١٠٥٥ للمسيح . غير ان الدولة السامانية كانت قد اختلست ما وراء النهر . وانقرضت هذه الدولة قبل قيام الدولة السلجوقية وقويت الدولة الاسمعيلية في العراق العجمي كما مرَّ ثم تسلط التتر على تلك البلاد جميعها ومن اصلهم الدولة المستولية في هذه الايام . وقد اختلس المسكوب املاكًا واسعة من هذه المملكة في جهات كرجستان وشمالي اذربيجان

وسكان هذه المملكة ٧٦٥٣٦٠٠ منهم ١٩٠٩٨٠٠ رُحَّل من تركمان وعرب واكراد ولكّ وبلوخية ومنهم ٨٦٠٦٠٠ شيعيَّة و ٧٠٠٠٠٠ سنيَّة و ٨٠٠٠ فرس و ١٩٠٠٠ يهود و ٤٢٠٠٠ ارمن و ٢٣٠٠٠ نساطرة وكلدان

واكثر اراضي هذه المملكة مرتفعة كثيرًا عن مساواة البحر وهي كثيرة الجبال والاودية والسهول العالية . ومن جبالها سلسلة تلفُّ على كيلان ومازندران . وسلسلة جبال كردستان تمتدُّ الى الجنوب الشرقيّ مارَّةً في خوزستان وفارس وكرمان وسلسلة جبال العراق العجمي وغيرها . وفيها ايضًا صحاري واسعة اراضيها سباخ . منها صحراء الرمل الاسود في الشمال الشرقي من خراسان. وصحراء خراسان وهي متصلة بصحراء كرمان . ومساحتها تبلغ نحو مئة واربعين الف ميل مربَّع . ولا تُقطع لطول المفاوز فمن اراد السفر من احدى جهات المملكة الى الاخرى يحتاج ان يدور حول هذه الصحاري بمشقةٍ عظيمة . وفيها كثيرٌ من البحيرات المالحة . منها بحيرة أُرْمِيَه بضم الهمزة وسكون الراء وجواز تخفيف الياء وتشديدها . وهي في الشمال الغربي من اذربيجان وطولها نحو تسعين ميلاً وعرضها اثنان وثلاثون وعمقها لا يزيد على اربع اذرع . ويصب فيها نحو اربعة عشر نهرًا من الجبال المجاورة لها. ومتى قويت هذه الانهر يرتفع ماء البحيرة نحو ثلاثين قدمًا . قيل ان مياهها مالحة مرَّة مثل بحيرة لوط ولا يعيش بها سمك ويقال لها بحيرة تلا . وبحيرة اخرى في شرقي فارس طولها نحو ستين ميلاً. وبحيرة شيراز وبحيرات اخرى كثيرة لا حاجة الى ذكرها . وبقرب بحيرة ارميه بُرَكٌ اذا استنقع فيها الماء مدة تحول شيئًا فشيئًا الى حجرٍ وهذا الحجر يُعرَف بالرخام التبريزي . ولا يقطع منهُ الا ملوك

العجم ومن ياذنون لهُ في قطعهِ

اما انهر هذه البلاد فمنها نهر قزل اوزان مخرجهُ في جبال العراق العجمي . وهو يجري الى جهة الشمال ثم ينعطف الى جهة الشرق ويصبُّ في بحر الخزر وطولهُ مع تعاريجهِ نحو ٤٠٠ ميل . ونهر قره صو ولعلهُ هو المسمَّى عند العرب نهر هود ودجلة الاهواز . مخرجهُ في جبال العراق العجمي وهو يمر بين جبال خوزستان ويصبُّ في دجلة . ونهر نهاوَند مخرجهُ في جبال العراق العجمي وهو يجري الى جهة الجنوب بميلةٍ الى الغرب ويصبُّ في الفرات فوق البصرة . ونهر طاب مخرجهُ في الجبال من غربي شيراز وهو يصبُّ في خليج فارس وطولهُ نحو ١٨٠ ميلاً وفيهِ يقول بعضهم .

ما طاب لي قطُّ عيشٌ الاَّ على نهر طابِ

ونهر قارون وهو الذي يخرق بلاد خوزستان ويصبُّ في راس خليج فارس من ستة افواه . وهذا النهر يجتمع من التقاء نهرين احدهما من جهة الغرب هو نهر اولاي المشار اليهِ في نبوة دانيال (٨:٢) الذي كان يجري على باب شوشان قصبة عيلام . والانهر التي تصب في بحر الخزر صغيرة لقرب الجبال من شط البحر . وفي اواسط البلاد نهيرات كثيرة تصب في بحيراتها

واما هواءُ مملكة ايران فيختلف جدًّا وهو في نواحي بحر

الخزر رطب في الغاية سريع الانقلاب من الحر القادح الى البرد القارس . ولذلك يكثر هناك داء المفاصل والاستسقاء وامراض العينين . واما الجهات المتوسطة فلاجل ارتفاعها يشتد البرد فيها في فصل الشتاء . ولكثرة صحاريها يشتد الحرّ في الصيف فلا تقيم الاهالي في المدن اذا امكنهم الخروج منها . ويكثر مرض الحمّى في نواحي اصبهان في اواخر الصيف واما في همذان وشيراز فالهواء جيدٌ دون سائر المملكة . واما نواحي خليج فارس وبحر الهند فهي شديدة الحرّ وتكثر فيها الريح السموم

واما تربة هذه البلاد فجانبٌ عظيمٌ منها لا يصلح للزرع كما تقدم . وفي نواحي اصفهان وهمذان وشيراز سهول مخصبة تسقيها انهرٌ وجداول . واكثر اراضي اذربيجان جيدة . وكذلك شمالي خراسان . وفي غالب البلاد كثيرٌ من الفواكه والاثمار كالتين والرمان والمشمش واللوز والتمر والدراقن وانواع البطيخ والسفرجل والعنب قيل ان فيها نحو ٣٠ نوعًا من جنس البطيخ ونحو ١٤ من اصناف العنب وتمرها مشهور . ومن حواصلها القنّب والتنبك والافيون والسمسم والراوند والمن والزعفران والقطن والمصطكى وبعض الصموغ العطرية وفي كيلان ومازندران بساتين كثيرة تسقيها الانهر التي تحدر من الجبال المجاورة . ويكثر فيها الليمون والبرتكال والياسمين والتوت . واكثر اعتناء اهل كيلان بالحرير وهو في مازندران قليل

ومن حيوانات هذه البلاد الخيل الجيدة من خيل العرب والتركمان والهجن . وهم يعتنون كثيرًا بتربية البغال والحمير. وبقرهم صغار القطعة ولكن الغنم كبير وافضل الصوف من نواحي كرمان تُصطنع منهُ انسجة تعادل انسجة كشمير . ومن الحيوانات البرية حمار الوحش والذئب والنمر وابن آوى والثعلب والخنزير . ونوعٌ من الكركدن (؟) الجثة في نواحي بحر الخزر . وفي البراري الغزلان وانواع كثيرة من الطيور . والسمك كثيرٌ في بحر الخزر وانهر مازندران وخليج العجم . وفي هذه المملكة يوجد الملح واكثر اراضيها سباخٌ لهذا السبب . ويوجد النحاس في جبال كرمان ومازندران . والرصاص والكبريت في كرمان وفارس والحديد في اذربيجان . ويوجد الرصاص والفضة والنحاس وحجر الفيروز في الجبال المحيطة ببحر الخزر . والرخام في نواحي همذان . والنفط بين شيراز وبوشير . وفي مكانٍ من كرمان مغارةٌ يقطر منها نوعٌ من النفط يسمونهُ مومياء . وهذه المغارة تفتح في السنة مرة واحدة ويوخذ ما قطر فيها من هذا النفط وهو يكون بقدر الرمانة فيختم عليهِ ويحفظ في خزانة الملك . وهو عندهم كترياقٍ لجميع الامراض وافضل قيمةً من الذهب . ويوجد قليلٌ منهُ في بعض الاماكن من خراسان

ومن مصنوعات هذه البلاد انسجة الحرير والمخمل في مشهد واصفهان وتبريز . وتعمل انسجة القطن في اماكن كثيرة وكذلك

الطنافس والبسط والشالات في كرمان وخراسان واذربيجان . والأَدَمُ وادوات الخيل والاحذية في همذان . وقصب الفضة والذهب في كاشان واصفهان . وآلات الحديد والفولاذ في شيراز وهي مشهورة بجودة الخمر ويجلب اليها النيل ودود القرمز والسكر من بلاد المسكوب ومن الهند . وجلود الغنم من بخارا . والبنُّ من بلاد العرب

واما حكم هذه البلاد فمن نوع الملكي المطلق . واكثر اجنادها ٥٤٠٠٠ ماشٍ و ٢٠٠٠ فارس منظم و ٣٠٠٠ غير منظم في نواحي اذربيجان واكثرهم لمقاومة المسكوب في تلك الجهات . وايراد المملكة سنة ١٨٨٣ كان ٤٧٠٠٠٠٠ فرنك . وهو من الجمارك والخراج والجزية

واما اهل هذه البلاد فهم من اصولٍ مختلفة بين فرس اصليين وتتر واتراك واكراد . والدين الغالب عندهم هو الاسلام على مذهب الشيعة . ويكثر هناك مذهب التصوُّف . ولم يزل بقايا من الاهالي الاصليين على مذهب زَرْدُوشْت وهو المذهب المجوسي اي عبادة النار . وهم نحو ٤٠٠ عائلة في نواحي يزد من جنوبي خراسان . ولهم هيكلٌ على راس جبلٍ في تلك البلاد يحفظون فيهِ النار المقدسة . وفيها ايضًا نصارى من الارمن والنساطرة واليعاقبة . واكثر النساطرة في اذربيجان في نواحي ارميه وجبال كردستان . وقد اشتهر في هذه البلاد عدةٌ من

الشعراء منهم الحافظ الشيرازي وسعدي والفردوسي وكشاجي.
وقد اشتهر البعض من ملوكهم في انتشار العلم . وكان للسلطان
هولاكو مرصدٌ سلطاني في مراغة من اذربيجان اقام عليهِ العالم
المشهور نُصير الدين الطوسي . وهناك صنع الزيج المعروف
بالزيج الخاني . والطوسي نسبةٌ الى طوس وهي قريةٌ من بخارا .
ومنها ايضًا الامام الغزالي قال بهِ السيوطي في كتاب النسب

واما مدن مملكة ايران فمنها خُوَيٌّ في الشمال الغربي من
اذربيجان . وهي توصف بصناعة الديباج والى ذلك يشير الشيخ
عمر الفارض في قولهِ

كعروسٍ جُليَت في حِبَرٍ صنع صنعاء وديباج خُوَيّ

واهل هذه المدينة يبلغون نحو ٢٥٠٠٠ نفس . والى الجنوب منها
أُرميه على نحو مرحلةٍ من غربي بحيرة ارميه . واهلها نحو ٢٠٠٠٠
نفس . وحولها جبال النساطرة وقد دخل جانبٌ منهم في المذهب
الانجيلي . وقيل ان زردوشت مشترع المجوسية كان من هذه
المدينة . والى شرقي بحيرة ارميه مراغة . وهي مدينة كثيرة البساتين
والرساتيق وقد جعل السلطان هلاكو اقامتهُ فيها بعد انتصارهِ
على الاسمعيلية في العراق العجمي . واهلها نحو ١٥٠٠٠ نفس .
وينتسب اليها خلقٌ كثير من كل فنٍّ . وقيل انها محدثةٌ كانت
قريةً فنزل بها مروان بن محمد وكان هناك سرجين فمرَّغ

الناس فيهِ دوابهم ثم بناها مدينةً فسميت مراغة . وعلى التلّ بظاهرها مرصدٌ لهلاكو المذكور وهو الذي كان فيهِ نصير الدين الطوسي . وكان يستعين بمؤيّد الدين العرضي ومحيي الدين المغربي . واما مدينة اردبيل فهي في شرقي اذربيجان بقرب الجبال الفاصلة بينها وبين كيلان . وكانت من اعظم مدن اذربيجان . وبقربها جبلٌ عالٍ اسمهُ سيلان لايفارقهُ الثلج . والى الجنوب منها بميلةٍ الى الغرب مدينة ميانه ويقال لها ايضًا ميانج واليها ينسب كثيرون من العلماء والفقهاء

واما مدينة تبريز فعدد سكانها ١٦٥٠٠٠ نفس هي الى شمالي مراغة في طول شرقي ٤٦ َ١٧ َ٤٧ ° وعرض شمالي ١٠ َ٥ َ ٣٨ ° كانت من اعظم مدن بلاد العجم في الغنى والتجارة . وكان فيها نحو ٢٥٠ جامعًا وكثيرٌ من المدارس والمكاتب . ولكنها الآن ليست كذلك من تواتر الحروب . وينتسب اليها خلقٌ من العلماء منهم الامام ابو زكرياء يحيى التبريزي شارح ديوان الحماسة . ولها غوطةٌ حسنة . وبقرب همذان مكان من بلاد الجبل يقال لهُ ماوشان . وهو كثير الشجر والماء ذكرهُ القاضي ابو الحسن علي الميانجي بقولهِ

اذا ذُكِر الحسانُ من الجنانِ فحيهلًا بوادي ماوَشان
تجد شِعبًا يشعّب كلَّ همٍ وملهًى ملهيًا عن كل شان

واما قمّ فهي في طول شرقي ٣٩ ٥٠ وعرض شمالي ٤٥ ٣٤ قيل بُنيَت سنة ٨٣ للهجرة كان فيها سبع قرى بعضها قريبٌ من بعض فانضمت الى واحدة سكانها نحو ٢٠٠٠٠ نفس . وفيها كثيرٌ من الفستق والبندق . وهي في مرجٍ حسنٍ بين الجبال . ومن مدنها كرمانّ شاه ويقال لها قِرْمِيسين وهي في غربي بلاد الجبل في سهلٍ مخصبٍ ريّان وتعدُّ من أجلّ مدن العراق العجميّ . محيطها نحو ثلاثة اميال وفيها كثيرٌ من الفواكه وينبت في اراضيها الزعفران الجيّد . ويُصطنَع فيها مدافع من النحاس وغير ذلك من آلات الحرب والبسط والثياب القطنية . وزنجان وهي في شمالي بلاد الجبل على نهر يصبُّ في نهر قزل اوزان . وموقعها على حد اذربيجان واهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس

واما مدينة همذان فهي في وسط بلاد الجبل ويشرف عليها جبل أَلْوَند . ولها انهارٌ وبساتين وزروع كثيرة . ويقال انها مدينة آكبتانا القديمة . واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس وفيها من اليهود نحو ٦٠٠ بيت وهم يزعمون ان هناك قبر استير ومردخاي . قال بعض فضلاء هذه المدينة

همذانُ لي بلدٌ اقول بفضلهِ   لكنهُ من اقبح البلدانِ
صبيانهُ في القبح مثل شيوخهِ   وشيوخهُ في العقل كالصبيانِ

وينتسب الى هذه المدينة جماعةٌ من الشعراء والعلماء منهم ابن

خلوف الهمذاني الشاعر والشيخ احمد بن الحسين المعروف ببديع الزمان صاحب المقامات التي عرضها الشيخ الحريري. والى جنوبي همذان موقع نهاوند وهي مدينة على جبلٍ لها انهار وبساتين وفواكه. وكانت بها وقعة عظيمة بين المسلمين والفرس في خلافة عمر بن الخطّاب وفي ذلك يقول بعضهم

ونحن جلبنا الخيل يوم نهاوندٍ

وقد احجمت عنها الخيولَ الصوارمُ

واما مدينة تهران فهي في عرض شمالي ٣٥°٤٠ʹ وطول شرقي ٥١°٢٣ʹ٤٠ʺ وهي على سفح الجبل الفاصل بين بلاد الجبل ومازندران. وفيها اقامة شاه العجم الآن في ايام الصيف فانهُ يخرج منها لرداءة هوائها. واهلها يبلغون نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس

واما مدينة اصفهان فهي في عرض شمالي ٣٢°٣٩ʹ٤٤ʺ وطول شرقي ٥١°٤٤ʹ٢٧ʺ قيل كان هناك مدينتان احداهما سُمّيت جَيّ وقيل لها ايضًا شهرستان. والاخرى اليهودية سميت بذلك لان اليهود الذين سباهم بختنصر لما خرجوا من بابل بنوا لهم منازل في ذلك المكان. ثم خربت جيّ وبقيت اليهودية واطلق عليها اسم اصفهان وقيل ان جيّ اول مكان ظهرت فيهِ البُدَع. والى ذلك يشير الشيخ عمر الفارض بقولهِ

خَلِّ خلّي عنك القابًا بها جيةٍ مينًا وانجُ من بدعة جيّ

وكانت اصفهان قديمًا قصبة المملكة ودار السلطنة وفيها كثيرٌ من الابنية الحسنة المزخرفة ولكنها قد انحطّت كثيرًا عن عظمتها القديمة وقلّ عدد اهلها وهو الآن نحو ٦٠٠٠٠ نفس . واليها ينسب جماعةٌ من العلماء منهم الامام ابو الفرج علي بن الحسين صاحب كتاب الاغاني . وممّن قرى اصفهان المشهورة راوند وينسب اليها بعض العلماء قال احدهم يرثي صاحبين له تُوفّيا بها

خليليَّ هُبّا طال ما قد رقدتما
أجدّكما لا تقضيان كراكما
ألم تعلما مالي براوند كلها
ولا بخُزاقٍ من حبيبٍ سواكما

واما مدينة قزوين فسكانها نحو ٤٠٠٠٠ نفس وهي في طول شرقي ١٥ ٣٣ ٤٩ وعرض شمالي ١١ ٣٦ ويقال لها ايضًا قزبين ومن ذلك ربما قيل لبحر الخزر بحر قزبين . وهي في شمال بلاد الجبل حيث يُسمّى بلاد الديلم الى جهة الشمال الغربي من تهران. واراضيها عذبةٌ لا تشرب الّا من ماء المطر واهلها يشربون من الآبار . وهي ذات اشجارٍ وكروم واليها ينتسب جماعةٌ من العلماء منهم الشيخ محمد القزويني صاحب كتاب عجائب المخلوقات

وكتاب آثار البلدان وكتاب تلخيص المفتاح في البيان . واما قاشان فهي الى الجنوب الغربي من قمّ وهي مدينة كبيرة اهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس . وهي في طول شرقي ١٧ َ ٥١ ْ وعرض شمالي ٣٣ ْ ٠ ٣٤ َ

واما مدينة شيراز فهي قاعدة فارس وطولها ٢٢ َ ٤٠ ً ٥٢ ْ شرقي وعرضها ٣٠ ً ٢٧ َ ٢٩ ْ شمالي . وهي في بقعةٍ طولها ٢٤ ميلاً وعرضها نحو ١٢ ميلاً . ويحيط بهذه البقعة جبالٌ منبسطة مجدبة. وكانت قديمًا مدينةً حسنة كثيرة البساتين وبها قبر سيبويه وحافظ وسعدي . وهي الآن دون ما كانت عليهِ وقد خرب منها جانبٌ كبيرٌ بزلزلةٍ حدثت سنة ١٨٢٤ للمسيح . ويكثر فيها طائر البلبل والهَزَار اي العندليب واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس . و يعادل شيراز في عظمتها فيروزاباد التي ينسب اليها الشيخ مجد الدين الفيروزابادي صاحب القاموس المحيط . وهي الى الجنوب من شيراز بميلةٍ الى الغرب . وبقربها آثار مدينة عظيمة كانت في ايام المجوس وبها خرابة هيكلٍ لهم والى الشمال الشرقي من شيراز على نحو ٣٤ ميلاً بقايا مدينة فرسبوليس وهي مدينة الفُرس التي عاد اليها اسكندر المكدوني عند رجوعهِ من الهند . وهذه المدينة لا يُعلَم من امرها شيءٌ الاَّ انها كانت من اعظم مدن العالم . وهناك كثيرٌ من النقوش والصُوَر والاعمدة والهياكل والقبور المنحوتة في الصخور . ومن قرى فارس القديمة اصطخر وبها

خرائب قديمة جدًّا . ومنها سيبويه وابو اسحق الاصطخري صاحب المصنَّفات في الجغرافية

واما مدينة يزد فهي من المدن المعتبرة في جنوبي خراسان. فيها من الناس نحو ٤٠٠٠٠ نفس ولها تجارةٌ واسعة واليها تجتمع القوافل من سائر المملكة . وفي الشمال الشرقي من خراسان مدينة مشهد . سكَّانها نحو ٦٠٠٠٠ نفس . وفيها قبر وليٍّ من اولياء الشيعة تزورهُ الناس من اقطار البلاد.وفيها ايضًا عدَّة مدارس. وهي في طول شرقي ٣٧ َ٣٥ ً٥٩ ° وعرض شمالي ٤٠ َ١٧ ً٣٦ ° ومن مدن هذه المملكة نيسابور التي يذكرها الشيخ ابو الفتح البستيُّ في قولهِ

بنيسابور ساداتٌ كرامٌ ترى احلامهم احلام عادِ
اذا بدأُوا بعُرفٍ تمموهُ وعادوا بعدها احلى معادِ

وهي في طول شرقي ٣٧ َ٤٩ ً٥٨ °وعرض شمالي ٢٠ َ١٢ ً٣٦ ° واهلها نحو ٥٠٠٠ نفس.وكرمان التي ينسب اليها الشال الكرمانيُّ والكمُّون . وعلى ذلك قولهم المثل جالب الكمون الى كرمان والذُرَّة الى عُمَان يضرب لمن جاب الشيء الى معدنهِ الذي يُجلَب منهُ الى البلاد واهلها يبلغون نحو ٤٣٠٠٠ نفس . وبوشير على خليج فارس . وهي في طول سرقي ٥٠ َ٥٠ °وعرض سمالي

٣٠ ٥٩ ٢٨ واهلها نحو ٢٥٠٠٠ نفس . ولار وهي قصبة قسم من البلاد الى جنوبي فارس وكرمان يُسمّى لارستان وهو على خليج فارس . وعلى هذا الخليج تجاه لارستان وكرمان جزيرة كِشم وعدة جزائر صغيرة . وعلى بحر الخزر مدينة أسترا باذ سكانها ١٠٠٠٠ نفس . وهي في طول شرقي ٣٣ ٢٥ ٥٤ وعرض شمالي ٣٠ ٥١ ٣٦ . وبلفروش وهي في طول شرقي ٥٦ ٤٤ ٥٢ وعرض شمالي ١٥ ٣٢ ٣٦ هذه اشهر المدن في بلاد فارس الغربية

ومن بلاد الديلم التي تلي آذربيجان مدينة الريّ فهي مشهورة فيها قبر محمد بن حسن الفقيه والكسائي المقرئ واليها ينتسب محمد بن زكريا الرازي الطبيب المشهور والنسبة اليها رازي قال به السيوطي في كتاب النسب . قال ابن خلدون والزاء زائدة فيها كما زادوها في المروزي نسبةً الى مرو الشاهجان ومنها يرفع قطن كثير الى العراق

الفصل السادس

في بلاد فارس الشرقية

ان بلاد فارس الشرقية يحدُّها شمالاً بلخ وهي قسمٌ من بلاد

التتر المستقلّة . وشرقًا الصين والهند . وجنوبًا بحر الهند . وغربًا كرمان وخراسان من مملكة ايران . وهذه البلاد تقسم الى اربعة اقسام . وهي هراة من الشمال الغربي . وكابل في الوسط والشمال . وسجستان في الغرب . وبلوخستان في الجنوب . ومساحتها نحو ٤٠٠٠٠٠ ميل مربَّع . وكانت جميعها تابعةً خلفاء بغداد الى القرن العاشر حينما عصى والي هراة وانتقل الى غزنة وهي من مدن شرقي البلاد في قسمٍ سمّي يومئذٍ زابلستان وجعلها قصبة ولاية صغيرة . وبعد وفاتهِ خلفهُ مملوك لهُ اسمهُ سبكتكين وقويت شوكة مملكة غزنة في ايامهِ . وخلفهُ ابنهُ محمود سنة ٩٩٧ للمسيح وهو اعظم الملوك الغزنوية . واضاف الى املاكهِ خراسان وتركستان التي كانت تحت ولاية الدولة السامانية وجانبًا كبيرًا من الهند . ثم انقرضت الدولة الغزنوية في القرن الثاني عشر وقام مكانها الدولة السلجوقية وتملك غزنة محمد ملك خوارزم ثم انقرضت دولة خوارزم حين اغارت التتر عليها تحت لواء جنكس خان وبعد ذلك انقسمت البلاد اقسامًا وانتشبت الحروب بين ملوكها الى ان تغلَّب احمد شاه وهو الذي انشأ مملكة افغانستان واضاف اليها بقية الاقسام المذكورة في القرن الثامن عشر ولم يبقَ لخلفائهِ سوى مملكة هراة وانقسم الباقي بين عدة قبائل

اما مملكة هراة او مملكة افغانستان فهي في الشمال الغربي من بلاد فارس الشرقية . والطرف الشمالي الغربي منها متصلٌ

بصحراء خوارزم وليس هناك ساكنٌ سوى بعض القبائل من التركان الرُحَّل . وعلى جنوبي هذه الصحراء سلسلة جبال ممتدة من جهة الغرب وفيها اودية حسنة ومروجٌ ريَّانة . وكان هناك قديمًا عدةٌ من المدن الحسنة الشهيرة فخربت كلها . وهذه السلسلة من شرق مدينة هراة عريضةٌ جدًّا يبلغ عرضها نحو ٢٠٠ ميل . وطولها نحو ٣٠٠ ميل . وهي تلحق شرقًا بجبال قوهستان في نواحي مدينة كابل . وفيها كثيرٌ من العيون والجداول وفي اوديتها ومروجها يُزرَع الشعير والحنطة وفيها بعض الفواكه والاثمار كالرمان واللوز . ويبقى عليها الثلج نحو اربعة اشهر في السنة

ومن انهر هذه البلاد نهر هراة مخرجهُ بقرب مدينة هراة ومجراهُ الى الشمال مائلاً الى الغرب . ولا يُعلَم ان كان يصبُّ في بحر الخزر او في نهر جيحون او يغور في رمال الصحاري . ويأتي هذا النهر من جهة الشرق نهر قيصر ونهر المرغاب ونهر تجن

واما هواء هذه البلاد فهو جيد صحيحٌ . والبرد يشتدُّ فيها شتاء ولا يشتدُّ الحرُّ صيفًا لان معدَّل ارتفاعها يبلغ نحو ٥٠٠٠ قدم عن مساواة البحر . واكثر اراضيها مرعًى للمواشي . وفي نواحي مدينة هراة تكثر البساتين وشجر التوت والحرير واهاليها اخلاط من الفرس والعرب والاتراك وهم اصحاب الاملاك واكثر عنايتهم في الفلاحة والزراعة . وفي الجبال قبائل من اصل التتر تستولي

عليهم امراؤهم ومشايخهم واكثر اعمالهم في رعاية المواشي

اما مدن هذه البلاد فكانت شهيرة في القديم . وقد خرب اكثرها مثل شهرستان ومرو الشاهجان ومرو الروذ وباذغيس وغيرها . وكلها لا تستحق الذكر . واما مدينة هراة فهي في بقعةٍ حسنة تحتفُّ بها الجبال من كل الجهات . طولها نحو ٣٠ ميلاً وعرضها نحو ١٥ ميلاً تسقى بمياه نهرٍ وتتشعب ايضًا المياه في دورها وشوارعها . ولها تجارة واسعة مع كابل وبخارا وكشمير والهند وبلاد فارس الغربية . ويُجلَب اليها من نواحي الشرق النيل والسكر وشال كشمير واقمشة القطن والأَدَم والجلود فيرسلونها الى يزد ومشهد واصفهان وطهران ويستعيضون عنها بالنقود والشاي والخزف الصيني واقمشة الصوف والنحاس . ومن حواصلها الحرير والزعفران والحلتيث والفستق واللوز وماء الورد . ويصطنع فيها اقمشة الحرير والبسط الملوَّنة ونصال السيوف وغيرها من آلات القطع . وقيل ان نصالها ونصال مشهد اجود النصال لان تيمور التتري نقل اصحاب هذه الصناعة من دمشق الى تلك البلاد . وهي مقام امير المملكة من سلالة احمد شاه . ويُنسَب اليها خلقٌ كثير من العلماء في كل فنٍّ . قال ياقوت في المشترك ان منها ومن قراها خلقًا لا يحصيهم الّا الله من اهل العلم في كل الفنون . وقال ابو الفداء هراة فُتِحت في زمان عثمان والنسبة اليها هَرَوِيٌّ . اقول وعلى ذالك قول جعفر بن شمس الخلافة

في رجلٍ كان يستجدي من الناس باوراقٍ يكتبها لهم

اوراق كُديتهِ في بيت كل فتًى
على اتفاق معانٍ واختلاف رَوِي
قد طبّق الارض من سهلٍ الى جبلٍ
كانهُ خطُّ ذاك السائح الهرَوِي

يشير بذالك الى الشيخ علي بن ابي بكر السائح الذي كان يكتب اسمهُ على حائط كل مكان يصلُ اليهِ في سياحتهِ وكان من اهل هراة . وكانت هذه المدينة تُعدُّ من خراسان واهلها نحو مئة الف نفس

واما مدينة مروشاهجان فهي على نهر المرغاب ولا اعتبار لها الآن . وكانت مقام المامون العبّاسيّ لما كان بخراسان . قيل وبها قتل يزدجرد اخر ملوك الفرس ومنها ظهرت دولة بني العبّاس . وفي دار رجلٍ منها يُعرَف بابي النجم المُعَيطيّ صُبِغ اول سوادٍ لبستهُ المسوّدة وخرج منها كُتّاب الخلافة وجماعةٌ من العلماء والأئمة

واما سجستان فلها مفاوز كرمان من جهة الغرب . وهراة من جهة الشمال . وافغانستان من جهة الشرق . وبلوخستان من جهة الجنوب . وفي الجنوب الغربي منها مفازة واسعة على حدود قسمٍ واقع بين بلوخستان وكرمان يقال لهُ كوهستان وهو

غير كوهستان المذكور سابقًا . وسجستان كثيرة الرمال التائهة . وفي غربيها بحيرة زرنج محيطها نحو ١٥٠ ميلاً ويصبُّ فيها عدَّة انهر من نواحي افغانستان اعظمها نهر المد . وفي ماء هذه البحيرة شيء من الملوحة حتى لا تصلح للشرب الا عند الضرورة . وفي وسطها جُزيرة صغيرة عليها قلعة متهدِّمة . وعلى شاطي البحيرة كثيرٌ من القصب والبردي . وحولها مستنقعاتٌ واسعة يسكنها اناسٌ متوحشون قباح الصور عُراة الاجسام الاَّ قليلاً يأوون الى خيامٍ من القصب . ومساحة سجستان نحو ٢٥٠٠٠ ميل مربَّع وفيها كثيرٌ من خرائب المدن القديمة . وللكها الاسم فقط ومقامهُ في جلالاباد وهي على موقع زرنج التي اخربها تيمور وقتل اهلها عن اخرهم من الشيخ الفاني الى الطفل الرضيع

واما افغانستان فلها من الجنوب بلوخستان . ومن الشرق نهر الهند . ومن الغرب سجستان وهراة . ومن الشمال هراة وجبال هندكوش الفاصلة بينها وبين بلخ . ومساحتها نحو ١٥٠٠٠٠ ميل مربع . وكانت جميعها تابعة لمملكة ايران مع هراة وسجستان في ايام نادرشاه ثم استقلت ثم انقسمت الى عدة اقسام بعد وفاة احمد شاه وهي الآن على ذلك . وفي جهاتها الشمالية جبالٌ عالية واودية عميقة وسهول مخصبة وكلها متقاربة في المسافة حتى يمكن الانتقال في ساعتين من اماكن شديدة الحرّ الى اماكن لا يفارقها الثلج ابدًا . وهي كثيرة الانهار والغلال . اما الجهات

الجنوبية فهي قليلة انبات والماء خالية من الاشجار . ومن الجبال التي في الجهات الشمالية سلسلة هندكوش وهي امتداد جبال حملايا غربًا . وتسمى هندكوش الى حذاء كشمير في طول شرقي ٧٧° ومن هناك شرقًا تسمى حملايا . ومن انهرها نهر الهند من جهة الشرق وسنذكره في الكلام على الهند ونهر المند الذي يصب في بحيرة زرنج من سجستان . ومخرج هذا النهر في الجبال الى غربي مدينة كابل على نحو ٣٠ ميلاً وطوله نحو ٦٠٠ ميل . ونهر غنداب مخرجه الى الشمال الشرقي من مدينة قندهار على نحو ٨٠ ميلاً . ومجراه الى الجنوب الغربي . ويصبّ في نهر المند . وطوله نحو ١٥٠ ميلاً ونهر خوشخور مخرجه في الجبال على حدود الصين وهو يجري الى الجنوب بميلٍ الى الغرب وينفذ في جبال هندكوش وينعطف الى جهة الشرق ويصبُّ في نهر الهند الذي تصبُّ فيهِ انهرٌ ونُهَيراتٌ كثيرة تحدر من اواسط البلاد وليس في افغانستان الاَّ بُحَيرةٌ واحدة وهي الى جنوبي مدينة غزنة محيطها نحو ١٢ ميلاً وماؤُها مالح وفيها كثيرٌ من طيور الماء

اما هواء افغانستان فيختلفُ لاختلاف علو الاماكن ويشتدُّ بها البرد في الشتاء والحرّ في الصيف . والبرد في الجهات الغربية اشدُّ من الشرقية . والريح غالبًا قليلة الرطوبة صحيحة للابدان . وقلما نعرف في تلك البلاد الامراض الوبائية والغالب في امراضها الجدري وامراض الرئة والعينين وما يشبه ذلك

ومن حيوانات هذه البلاد النمر والفهد والذئب والضبع واما الاسد فوجودهُ نادر. وفيها ايضًا الثعلب والارنب وابن آوى والدبُّ في بعض الجبال والايل والوعل والغزال والمعزى البرّية في الجهات الشرقية والكلب البري والقنفذ والقرد في نواحي نهرْ خوشخور ونوعٌ من الهرّ طويل الشعر وهو معتبرٌ عندهم يرسلون منهُ الى البلاد المجاورة لهم. وفيها من الطيور النسر والبازي والعقاب والكركيُّ والحجل والأوَزُّ والبط والبيع. وحيّاتها غير مضرّة واما عقاربها ولاسيما في جهة الشمال فكبيرةٌ شديدة الضرر

ومن اشجارها الخوخ والكمثرَى والتفاح والسفرجل والرمان واللوز والعنّاب والقراصية والجوز والبرتكال والاترج. وفي جبالها شجر الصنوبر والسندجان والارز والمصطكي والفستق البرّي والجُمَّيز والحور في بعض السهول وقصب السكر ويكثر في تلك البلاد الورد وخمرها جيد وعنب غزنة مشهور. والاهالي يعتنون بجمع اصول الفوّة ويزرعون اللفت علفًا للمواشي. وللحبوب كل سنة موسمان احدهما يُزرَع في الربيع ويُحصَد في الخريف والاخر يُزرَع في الخريف ويحصد في الصيف. ويكثر هناك الخروع والتبغ. والتجارة فيها برّيّةٌ على القوافل من بخارا والصين والهند وايران واكثر تجارتها مع بخارا ومنها يجلب الجوخ واقمشة الكتان والقطن والقرطاس والحديد والفولاذ والنحاس والزيبق

ودود القرمز والشاي والسكر والزجاج وغير ذلك

اما اهل هذه البلاد فهم قبائل مختلفة . وعددهم يبلغ نحو اربعة الاف الف نفس وهم يتكلمون بنحو عشر لغات من العربية والفارسية والهندية والتركية والمنغولية والافغانية وغيرها . وبينهم بعض الشعراء في اللغة الافغانية ولكن الاكثر اعتبارًا عند علمائهم اللغة الفارسية . وعندهم من العزم ما عند الفُرس ودينهم الاسلام على مذهب السُنَّة وبينهم بعضٌ من الصوفية ومن بدعٍ اخرى محدثة

واما مدن هذه البلاد فمن اشهرها كندهار وهي في عرض شمالي ٣٢°٣٢'٣٠ وطول شرقي ٣٠' ٦٦° وكانت قصبة المملكة في ايام احمد شاه فلما ملك ابنهُ تيمور نقل التخت الى كابل . وهذه المدينة موضوعة على شكلٍ معيَّن قياسي واربعةٌ من اسواقها الطويلة تلتقي في وسط البلد وهناك ساحةٌ قطرها نحو خمسين ذراعًا وعليها قبَّةٌ وهي ساحة البلد . وهذه الاسواق المذكورة عرض كل واحدٍ منها نحو خمسين ذراعًا وعلى اطرافها ابواب المدينة . والماء دائرٌ في شوارعها باقنيةٍ من نهر غنداب . واهلها افغانية وفرس وهنود وبلوخستانية وتتر وعرب وارمن ويهود وعددهم نحو مئة الف نفس . وحول المدينة بساتين كثيرة فيها كثيرٌ من الفواكه والاشجار

واما مدينة كابُل بضم الباء الموحدة فهي في عرض شمالي

١٠ َ٣٤ ْوطول شرقي ١٥ َ٦٩ ْوهي على نهر كابل الذي يصبُّ في نهر غزنة . جعلها تيمور شاه قصبة المملكة وهي في بقعةٍ حسنة ريّانة فيها كثيرٌ من البساتين والكروم . وابنيتها من خشب مخفضة بسبب الزلازل في تلك النواحي. وقلعتها في شرقي المدينة عن شمال احد ابوابها . واهلها نحو ٦٠٠٠٠ نفس . وبينها وبين كندهار نحو ٢٢٣ ميلاً . وكانت من ثغور المسلمين في وجوه الهند

واما مدينة بشاور فقد جعلها قصبة المملكة شوجاه شاه في اثناء سنة ١٨١٠ للمسيح . وهي في سهلةٍ غير مستوية ومحيطها نحو خمسة اميال وهي ميقات القوافل بين الهند وايران وافغانستان. وفيها كثيرٌ من الجوامع والخانات . وحولها ارضٌ جيدة ريّانة كثيرة البساتين . واهلها نحو مئة الف نفس . وهي في عرض شمالي ٦ َ٣٤ ْوطول شرقي ١٢ َ٧١ ْوبينها وبين كابل نحو ٢١٠ اميال وهي الان من جملة املاك الانكليز على غربي نهر الهند

واما مدينة غزنة فكانت تخت الدولة الغزنوية والدولة الخوارزمية في مدة نحو ٢٠٠ سنة . وهي على نهر يدير اربعة او خمسة ارحية . وحولها سورٌ من حجر وفيها نحو ١٥٠٠ بيت . وعلى بعد ثلاثة اميالٍ منها مدفن السلطان محمود الغزنوي عليهِ قبة عظيمة وابوابهُ من خشب الصندل قيل كان السلطان المذكور قد اتى بها من احد هياكل الهند التي اخربها وعلى القبر

كتابةٌ عربية وعند راسهِ دبوس عظيم كان يحملهُ في حياتهِ والان قلَّ من يقدر على الضرب بهِ . وهذه المدينة في عرض شمالي ٠ ١ ٣٤° وطول شرقي ٥٧′ ٦٨° وبينها وبين كابل نحو ثمانين ميلاً . واما مدينة جِلالاباد فهي الى الغرب من بشاور على جنوبي نهر كابل . والى الجنوب من هراة على نحو ١١ مرحلة مدينة فرَّه وهي على النهر المنسوب اليها واهلها نحو ٤٠٠٠٠ نفس

اما بلوخستان فمن جنوبيها بحر الهند . ومن شرقيها السند . ومن شماليها افغانستان وسجستان . ومن غربيها كرمان ولارستان . ولها من الشط البحري نحو ٦٠٠ ميل . وعرضها نحو ٣٥٠ ميلاً . ومساحتها نحو ١٤٦٠٠٠ ميل مربع . وكانت تُسمَّى السند عند العرب ولكن في هذه الايام يُطلق السند على ما يليها الى المشرق كما ستعلم . وهي مقسومة الى عدَّة اقسام منها كوهستان في الشمال الغربي . ومكران في الجنوب وبينهما بلوخستان . وبلاد لص في الجنوب الشرقي على حدود السند . والمفازة في الشمال على حدود سجستان . وكلها تحت ولاية روَّساء قبائل مختلفة لااتفاق بينهم واعظمهم خان كيلات . واكثر هذه البلاد جبال قاحلة ومفاوز يابسة الا من بلاد لص فما وراءها شمالاً . ومن شرقي بلاد لص تمتدُّ سلسلة جبالٍ الى الشمال وتتشعب منها سلسلةٌ اخرى تتقوَّس الى غربي كيلات ثم تنعطف الى الشمال الشرقي حتى تلاقي السلسلة الاولى في نحو ٣٣° من العرض الشمالي . وسلسلةٌ اخرى

تحيط بمكران من شماليها وتفصل بينها وبين بلوخستان وتنعطف شمالاً الى كوهستان . واما مفازة كوهستان فطولها نحو ٥٥ ميلاً وعرضها نحو ٨٠ ميلاً . ومفازة بلوخستان طولها نحو ٢٠٠ ميل وعرضها نحو ٢٠٠ ميل . والانهر في هذه البلاد قليلة واكثرها سيول تجري في الشتاء وتنقطع في الصيف . وهواؤها ردي شديد الحر في الاراضي المنخفضة والبرد شديد في الجبال والاراضي العالية والاشجار قليلة جدًّا ويكثر فيها الحاشيش وهم ياكلونه مقلوًّا بالسمن

وهناك من المعادن الملح والشبُّ والكبريت والرخام . ومن الحيوانات الجمل والهجين وخيلها مشهورة في القوّة والنشاط . وفيها كثيرٌ من الغنم والمعزى والبقر السود . وهي ملك القبائل الرُحَّل واهلها اخلاطٌ من الفرس والهنود والتتر والافغان والاكراد ولغاتهم مختلفة منها ما يشبه لغات الهند ومنها ما يشبه الفارسية واكثرهم مسلمون من اهل السُنّة وعددهم نحو ٣٠٠٠٠٠٠ من الانفس .وفي مكران طائفة اللودية ومن عقائدهم ان الانسان لاغاية في خلقهِ الا ان يعيش ويموت ويُنسى ذكرهُ . فان كان في لذة عيشٍ فلهُ ان يطلب طول الحياة وان كان في ضيقةٍ فلهُ ان يطلب الموت لنفسهِ بل ان يقتل نفسهُ ايضًا . ومتى مات احدهم يدفنون معهُ كل ما يختصُّ بهِ حتى يُنسى ذكرهُ ولا يتزوجون بل يعيشون في الزنا والفسق . وهم من اصلٍ فارسي ولغتهم فرعٌ من

الفارسية القديمة

وفي جبال هندكوش على حدود الصين الى الشمال الشرقي من بشاور قسمٌ آخر يُعرَف ببلاد كافرستان . وهي بلادٌ كثيرة الجبال والغياض والادغال وفيها كثيرٌ من المراعي والكروم البرية . قيل ان اهل هذه البلاد كانوا يسكنون بلاد كندهار فطردهم من هناك المسلمون وكانوا حينئذٍ اربع قبائل فدخلت ثلاث قبائل منهم في دين الاسلام واستامنت في مكانها والرابعة نزحت الى هذا القسم الذي نحن في الكلام عنهُ واستمرَّت على عبادة الاصنام. وهم لا يزالون يغزون البلاد المجاورة لهم ويقتلون المسلمين . وفي اعيادهم يضع الرجل منهم ريش الطير في عمامتهِ دليلاً على عدد المسلمين الذين قتلهم لكل قتيلٍ ريشة . واذا غزاهم المسلمون يهربون من امامهم او ياتون عليهم بغتةً من جبالهم المستوعرة . وبعد مدةٍ يعود كل فريقٍ الى مكانهِ . وطعامهم الجبن واللبن واللحوم وعندهم من الاثمار الجوز والعنب والتفاح واللوز والمشمش البريّ وكلهم مولعون بالسكر رجالاً ونساء

الفصل السابع

في بلاد التتر المستقلّة وهي تركستان

هذه البلاد يحدُّها شمالاً سيبيريا . وشرقًا بعض سيبيريا

والصين . وجنوبًا بعض الصين وافغانستان وهراة وايران. وغربًا بحر الخزر ونهر اورال . ومساحة هذه البلاد نحو ٧٧٥٠٠٠ ميل مربع . وهي تنقسم الى ثلاثة اقسام الاول تركستان الجنوبية اي الواقعة الى جنوبي نهر جيحون وهذا القسم عند العرب ينقسم الى طغارستان وبذخشان وبعض خوارزم . الثاني تركستان الوسطى وهي الاراضي الواقعة في شمالي جيحون وفي وادي نهر سيحون . ويسمّى عند العرب بلاد ما وراء النهر. الثالث تركستان الشمالية . واكثر هذه البلاد صحاري ومفاوز الا في نواحي نهر سيحون ونهر جيحون والجهات الجنوبية الشرقية فان فيها اراضي جيدة ريانة تحيطها جبالٌ عالية وقفارٌ متّسعة . ويفصل بينها وبين ايران وافغانستان سلسلة جبال هندكوش الماضي ذكرها . ويتشعب من هذه السلسلة عدة سلاسل الى جهة الشمال. ويفصل بينها وبين الصين سلسلة بلورطاغ اي جبال البلور التي تتصل بجبال التاهي وطولها نحو ٥٠٠ ميل وهي عالية مستوعرة جدًّا لا تُقطَع الَّا من ثغرتين وهما ثغرة بذخشان وثغرة مخرج نهر سيحون. ويخرق وسط البلاد عدّة سلاسل منها اصفر طاغ واق طاغ وقره طاغ وجبال سمرقند من جنوبي السغد

ومن انهر هذه البلاد نهر سير مخرجهُ في جبال البلور ومجراهُ الى جهة الشمال ومصبُّهُ في بحيرة ارال . ويقال لهُ ايضًا نهر سيحون . واما نهر جيحون فمخرجهُ من ثلوج جبال البلور وهو

يجري الى الغرب ثم ينعطف الى الشمال الغربي ويصب في بحيرة ارال . وينصبُّ اليهِ انهرٌ كثيرة منحدرة من جبال هندكوش وطولهُ نحو ١١٠٠ ميل

واما بذخشان فهو اسمٌ للاقليم والمدينة معًا في مخرج نهر جيحون. وهناك معادن الياقوت واللازورد والحديد والكبريت والملح . قيل بنت فيها زُبيدة بنت جعفر بن المنصور حصنًا عجيبًا . ويُجلَب من هذه البلاد البلور وحجر الفتيلة والبادزهر واهاليها من اصل التتر ودينهم الاسلام . ومنهم حضر ومنهم قبائل رُحَّل متبدّية . واما بلاد خوارزم فهي الى شمالي خراسان وشرقي بحر الخزر وغربي ما وراء النهر. واكثر اهلها الآن قبائل تركمانية تحت حكم خان خيوا . وعددهم نحو ٨٠٠٠٠٠ وقيل ١٥٠٠٠٠٠ نفس . واما مدينة خيوا فهي على ترعةٍ من نهر جيحون وعليها سورٌ من اللبن يحيط بهِ خليج ولها ثلاثة ابواب وفيها ٣٠ جامعًا ومدرسة جامعة واهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس . وهي منذ مدةٍ طويلة نصب عين المسكوب فتسلطوا عليها قهرًا. ويقال لبحيرة ارال بحيرة خوارزم وكان من مدنها قديمًا كركانج وهي مدينتان كركانج الكبرى وكركانج الصغرى بينهما نحو ثمانية اميال والعرب يقولون لها الجرجانية . وكان في الصغرى الشيخ الرئيس ابن سينا وكتب فيها كتابهُ الاوسط ولذلك سماهُ الاوسط الجرجاني ومن مدنها القديمة ايضًا زَمخشَر ومنها ابو القسم محمود الزمخشري صاحب الكشاف

اما بلاد بَلخ فهي التي تلي شمالي جبال هندكوش ومن شرقيها بذخشان ومن شماليها ما وراء النهر وهي بلادٌ حسنة سكانها اخلاطٌ من اصل التركمان سُنيَّة المذهب . وقصبتها مدينة بلخ وهي في مستواةٍ من الارض ولها بساتين تشرب من نهرٍ يدير عشرة ارحية . واما بلاد ما وراء النهر فمن مدنها بخارا وهي قصبة تلك النواحي وكانت تحت عدَّة دُوَلٍ منها الدولة الصفارية والسامانية والغزنوية والسلجوقية والخوارزمية . وهي على احد انهر سُغد سمرقند وفيها كثيرٌ من الجوامع والمدارس . واما مدينة سمرقند فكانت اعظم مدينةٍ في تلك النواحي . وهي الى الشرق من بخارا على ١١٣ ميلاً . وطولها ٥٣ʹ ٦٤° شرقي . وعرضها ٤٠ʹ ٣٩° شمالي . وكان محيطها نحو ثمانية اميال ونصف ولكنها الآن ليست كذلك واهلها نحو ٢٦٠٠٠ نفس . اما سغد سمرقند فهو احد منتزهات الدنيا وقد مضى ذكرهُ في الكلام على غوطة دمشق . ونهرهُ يقال لهُ نهرقيّ ويتشعب منهُ شُعَبٌ كثيرة تتفرع في تلك الاراضي الى حدود بخارا . وفي رساتيق بخارا ولد الشيخ الرئيس ابو عليّ الحسين بن عبد الله بن سينا سنة ٢٧٠ للهجرة . ولهذه الاماكن تجارةٌ واسعة على القوافل مع الصين وبلاد المسكوب

واما وادي نهر سير فهو المعروف ببلاد فرغانة . ومن مدنهِ خُجَنْدة فيها ٣٠٠٠٠ بيت . وخوقند وهي الآن قصبة تلك النواحي . وفيها نحو ٣٥٠٠٠ نفس وهي كرسيُّ الحاكم والجنس

الساكن في بلاد التتر الان يقال له يُوزبَك . والخانات ثلاثة وهم خان خيوا وخان بخارا وخان فرغانة . واما تركستان الشمالية فاهلها قبائل رُحَّل من التتر والتركمان يتاجرون مع المسكوب في المواشي ويستبدلون بها الاقمشة وادوات الزينة وقد استولى الحكم الروسي على كل بلاد التتر وعلى بعض شمالي افغانستان حتى بلغت حدود الحكم المسكوبي الى قرب هراة قصبة افغانستان ووقع نزاع طويل بين الروس والانكليز من هذا القبيل

الفصل الثامن

في هندستان وهي بلاد الهند

هذه البلاد يحدُّها شمالاً سلسلة جبال حملايا الفاصلة بينها وبين بلاد تبت . وهي تمتدُّ من شمالي كشمير شرقاً بميلةٍ الى الجنوب حتى تحاذي ٩٣° من الطول الشرقي . ويحدها شرقاً خطٌّ مفروض في ٩٣° طول شرقي من السلسلة المذكورة الى نهر برهم پوترا . وكذلك النهر المذكور وخليج بنكالا . وجنوباً بحر الهند وغرباً بحر الهند ايضاً ونهر الهند والسند . ومعظم عرضها ١٦٢٠ ميلاً . ومعظم طولها ١٤٠٠ من الاميال الجغرافية. ومساحتها

نحو ١٢٨٣٦٣٤ ميل مربع من الاميال الجغرافية ايضًا . وسكانها نحو ٣٥٤٠٠٠٠٠٠ نفس

اما اخبار هذه البلاد في الايام القديمة فسقيمة جدًّا . ومن اشهر حوادثها ان سيسوستريس ملك مصر غزاها ولا يُعلَم بالتحقيق ماذا جرى عند ذلك. وفي نحو سنة ١٣٠٠ ق م اشتدت الحروب بين اهالي البلاد نفسها في شان عبادة بعض المنهم . واستملكت الفرس بعضها في عصر داريوس بن هستاسب ق م خمس مئة سنة . ثم اتاها اسكندر المكدوني وغلب على جانبٍ منها ولم ترضَ عساكرهُ ان تبتعد عن بلادها اكثر من ذلك فعاد الى بلاد فارس . ثم انعقدت شروط الصلح بين الملك سلوقوس وملك قسمٍ من الهند في نحو سنة ٣٠٠ ق م وبعد ذلك غزاها الملك انطيوخوس ورتب على بعضها الجزية . وبعد وفاتهِ عادت الى حالتها الاولى واستولى عليها ملوكٌ من اهلها وكانت منقسمة الى عدة ممالك مستقلّة . وفي خلافة الوليد بن يزيد الامويّ استفتح المسلمون بعض السند . وفي ايام بعض الخلفاء قطعوا نهر الهند ونهبوا نواحي البلاد الشمالية ولكن لم يملك فيها احدٌ منهم . ولما قام السلطان محمود الغزنوي المذكور آنفًا استفتح جانبًا من الهند واضافهُ الى مملكتهِ. فلما انقرضت الدولة الغزنوية انقسمت املاكها في الهند الى عدة اقسام واستولى عليها من استطاع ولم تزل الحروب قائمة بين ممالكها مئاتٍ من السنين ومن اشهر ملوكها

الملك اورنزيب ملك من سنة ١٦٦٠ الى سنة ١٧٠٧ للمسيح وانتصر على اكثر ممالك الهند وجعلها مملكة واحدة . وبعد وفاتهِ انقسمت املاكهُ بين بنيهِ وانقرضت دولتهم بعد مضي نحو خمسين سنة . وفي نحو سنة ١٧٣٩ غزا الجهات الشمالية نادرشاه ملك ايران ونهبها وعاد بغنيمةٍ وافرة

وكان اهل برتوكال قد كشفوا طريقًا الى الهند من جنوبي افريقية في سنة ١٤٩٧ للتاريخ المسيحيّ . وبقيت التجارة بين الهند واوروبا في ايديهم مدةً طويلة . وفي سنة ١٦١١ اخذ بعض تجار الانكليز يتاجرون مع اهل الهند واقام اناسٌ منهم في نواحي مدرس ومصبّ نهر الكنك وسرات . وكذلك اهل فرنسا وهولاندا في جهاتٍ اخرى من البلاد . ولم تزل سطوة الانكليز تقوى وتزداد الى ان استملكوا الجانب الاعظم من البلاد كلها بعد حروب شديدة مع اهلها وسفك دماء كثيرة

واما جبال هذه البلاد فمنها جبال حملايا الفاصلة بين الهند وبلاد تبت . ارتفاع بعضها نحو ٢٩٠٠٠ قدم والناظر يراها من مسافة ٢٣٦ ميلاً وفيها من شجر السندجان والصنوبر الى ارتفاع ١٢٠٠٠ قدم وهي تصلح للسكن الى ارتفاع ٩٥٠٠ منها وفيها من المعادن الذهب والنحاس والحديد والانك والمنغنيس والملح والجصّ والبورق والكبريت والشبّ والانتيمون . والثلج لا يفارقها ابدًا . ومنها سلسلة جبال الغات القريبة من سرات الى راس

كموريں في جنوبي هندستان . وبينها وبين شط البحر ما بين اربعين وسبعين ميلاً . وارتفاعها ما بين خمسة الاف وستة الاف قدم. والغات الشرقية تجاه الغربية وهي بين ١١° و١٦° من العرض الشمالي وارتفاع بعضها نحو ٣٠٠٠ قدم . واكثر المياه تجري الى جهة الشرق لارتفاع السلسلة الغربية عن الشرقية . وتوصل بين السلسلتين من جهة الجنوب في عرض ١١° شمالاً جبال نيلغيري اي الجبال الزرق ارتفاع بعضها ٦٠٠٠ قدم وقيل ٩٥٠٠ قدم. وهي افضل بلاد الهند في طيب الهواء قيل لا يُعرَف هناك مرض الهواء الاصفر مع انهُ يكثر جدًّا في سائر اراضي الهند ويموت منهُ الوفٌ كل سنة

واما انهر هذه البلاد فهي طويلة واسعة بطيئة الجريان عميقة حتى يصلح الكثير منها لركوب السفن . واذا قويت في فصل الشتاء تطوف على الاراضي المجاورة فتدملها مثل نيل مصر ومنها نهر الهند ويقال لهُ نهر السند ونهر مهران ايضاً. مخرجهُ في الوجه الشمالي من جبال حملايا حيث الطول ٥٥َ ٨٠° شرقًا والعرض ٢١َ ٣٢° شمالاً . وهو يجري اولاً بين الجبال الى الشمال الغربي ثم ينعطف الى الجنوب الغربي ويضاف اليهِ نهر كابل وانهرٌ أُخَر من نواحي افغانستان وعدة انهر كبار من جهة الشرق ويصبُّ في بحر الهند فرقًا عديدة . وتركبهُ السفن الكبيرة الى حد مدينة لُهُور وهي عن البحر نحو ٧٦٠ ميلاً على احد الانهر التي تصبُّ في

نهر الهند. وعرض احدى الفُرَق عند مصبها نحو ٣ اميال ويصعد فيها اكبر المراكب ٣٠ ميلاً . وينحدر من وادي كشمير وجبال حملايا في تلك النواحي خمسة انهر طول بعضها نحو ٥٠٠ ميل . وهذه الخمسة تلتقي نهرًا واحدًا يسمى الشوناب وهو الذي يمرُّ على مدينة المُلتان . والى الجنوب الغربي من الملتان على نحو ١٠٠ ميل يضاف اليهِ نهر بياج ونهر صَتلج منحدرين من جبال حملايا ايضًا وطولها نحو ٩٠٠ ميل من مخرجها الى مصبها في نهر الهند

واما نهر كنك ويقال لهُ بالهندية كونكا فمخرجهُ في جبال حملايا بين ٧٩ و٨٠° طول شرقي و٣١° و٣٢° عرض شمالي فوق مساواة البحر نحو ١٣٠٠٠ قدم . وهو يخرج من تحت الثلوج في وادٍ تحيط بهِ جبال عالية ويسمى منفذهُ من الوادي فم البقرة . وعرضهُ هناك نحو ٢٧ قدمًا وعمقهُ نحو قدم ونصف . وهو يجري اولاً الى الغرب ثم الى الجنوب ثم ينحرف الى شرقي الجنوب ويأتيهِ انهرٌ ونُهَيرات كثيرة من الجبال المجاورة لهُ وعند وصولهِ الى هردوار في مقاطعة دَلّي حيث العرض ٢٩°٥٧ʹ شمالي والطول ٧٨°٢ʹ شرقي يكون ارتفاعهُ فوق مساواة البحر الف قدم فقط فيكون قد هبط نحو ١٢٠٠٠ قدم في جريهِ مسافة ٣٠٠ ميل . ومن هردوار الى البحر وهي مسافة ١٠٠٠ ميل لا يهبط سوى ١٠٠٠ قدم وذلك سبب بطوء جريانهِ . وفي هذه المسافة يمرُّ على عدة مدن شهيرة منها قنوج والله اباد وبنارس وبطنة وغيرها .

ويضاف اليهِ ١١ نهرًا كبيرًا . وعرضهُ بين هردوار والله اباد نحو ميل وربع . وعند الله اباد يضاف اليهِ نهر جمنة فيصير عرضهُ نحو ٣ اميال حيث لا جزائر واكثر من ذلك حيث يكون في المجرى جزائر . وعلى بُعد ٥٠٠ ميل من البحر يكون عمق مجراهُ نحو ٣٠ قدمًا . وعلى بعد ٢٠٠ ميل من البحر يكون عمقهُ ٧٠ قدمًا . وعلى بعد ٢٢٠ ميلاً من البحر ينقسم الى قسمين اصغرهما يسمى الهوجلي وهو الذي يمرُّ على مدينة كلكتا . واكبرهما يبقى على جهتهِ الاصلية ويصبُّ في خليج بنكالا الى شرقي مصبّ الهوجلي على نحو ٨٠ ميلاً . والبقعة الواقعة بين هذين النهرين والبحر مثلثة الشكل ولذلك تسمى الدلته تشبيهًا بحرف الدال عند اليونان . وعند مصبات هذا النهر جزائر كثيرة فيها غياض وآجام تاوي اليها الوحوش الضارية ولا سيما نمورة بنكالا

واما نهر برهم بوترا فمخرجهُ في شمالي جبال حملايا في بلاد تبت . وهو يجري اولاً الى الشرق ثم ينعطف الى الجنوب ثم الى الجنوب الغربي ثم يرتدُّ الى الجنوب ويصبُّ في نهر كنك قبل وصولهِ الى البحر بنحو ٤٠ ميلاً . ويانيهِ نحو ٥٨ نهرًا من الجانبين كلها تجري فيها الزواريق . وعرضهُ فوق مصبهِ بنحو ٦٠ ميلاً ما بين ٤ و٥ اميال . ويصبُّ في نهر كنك ايضًا من شمالهِ نهر جغرة وهو يخرج من جبال حملايا جاريًا على طول نحو ٥٠٠ ميل ويلتقي بالكنك قبل وصولهِ الى مدينة بطنة . ويانيهِ من

الغرب نهر جمنة وهو يخرج من جبال حملايا ايضًا حيث الطول ٢٣َ ٧٨ْ شرقي والعرض ٥٨َ ٣٠ْ شمالي . ويصب فيهِ نهيراتٌ كثيرة وهو يصبُّ في الكنك عند مدينة الله اباد وطولهُ نحو ٨٠٠ ميل . واما نهر صُوَن فمخرجهُ في اواسط البلاد . وهو يجري الى الشمال الشرقي ويصب في الكنكِ بقرب مدينة بطنة

واما نهر نَرْبُدَّة فمخرجهُ بقرب مخرج نهر صُوَن وهو يجري الى الغرب بميلةٍ الى الجنوب ٧٥٠ ميلاً ويصبُّ في خليج كمباي وبقربهِ مصبُّ نهر سورات وطولهُ نحو ٤٦٠ ميلاً . واما نهر كودوري فمخرجهُ في جبال الغات الغربية . وهو يجري الى الشرق ثم الى الجنوب الشرقي ٨٥٠ ميلاً ويصب في خليج بنكالا . وفي جبال الغات الغربية ايضًا مخرج نهر كريشنه . وهو يجري الى الشرق ٦٥٠ ميلاً ويصب في خليج بنكالا . والى الجنوب منهُ نهر بنَّار طولهُ نحو ٣٥٠ ميلاً . ونهر قارون وانهر أُخر كثيرة لاحاجة الى ذكرها

وليس في هذه البلاد بحيراتٌ تستحق الذكر وما يوجد منها فمصنوعٌ من رسوب مياه الانهر عند فيضها الى الاماكن المنخفضة. ومن اعظم هذه البحيرات بحيرةٌ مجموعةٌ من مياه نهر كودوري ونهر كريشنه طولها ٤٧ ميلاً وعرضها نحو ١٤ ميلاً

اما هواء بلاد الهند فمختلفٌ باختلاف العرض والارتفاع ومجاورة الجبال والانهر والرياح . فان الريح هناك تهبُّ من

الجنوب الغربي مدة ستة اشهر من اوائل شهر نيسان الى اوائل تشرين الاول . وتقع الامطار في الجهات الغربية من اواسط نيسان . ثم تهبُّ الريح من الشمال الشرقي ستة اشهر وتقع الامطار في الجهات الشرقية من اواسط تشرين الاول . وهذه الرياح تضعف كلما تقدمت الى جهة الشمال . ولكثرة المياه والنبات وحرارة الشمس تكثر الابخرة المسببة للحُمّيات وامراض الامعاء ولا سيما القولنج وامراض الكبد والطحال . وفي نواحي كلكتا وراس خليج بنكالا تكثر الحُمّى والسحج والذرب في فصل الشتاء وامراض الكبد والهواء الاصفر في فصل الحر واليبس . وفي نواحي مدرس تكثر الحُمّى والسحج والامراض الكبدية ولا سيما من شهر آب الى تشرين الثاني . وفي كل الجهات تكثر امراض الكبد في الغرباء القادمين من الاقاليم الباردة . ويكثر العشاء فيها بين الاهالي الاصليين وفي الجهات الشمالية تحدث امراض الرئة مع الحميات ويوجد داء النقرس في نواحي جبال حملايا

واما حواصل هذه البلاد فكثيرة جدًّا وقد اعتنت العلماء بجمع انواع نباتها واشجارها فكانت اكثر من ٨٠٠٠ نوع من النبات و٤٥٦ نوعًا من الشجر . وما زالوا يكاشفون عن غيرها في آجام البلاد ورياضها الواسعة . ومن حواصلها الحنطة والشعير وغيرها من الحبوب ولاسيما الرز الذي يذكرون منهُ ٢٧ صنفًا وقصب السكر والقطن والتبغ والتوت والنارجيل والنخل

والخيزران والتنبل والتيك الذي توخذ منهُ الاخشاب الصالحة لبناء السفن في ابحر الاقاليم الاستوائية وهو الساج عند العرب. ومن اثمارها الموز والرمان والاترج واللوز والعنب والتمر الهندي والليمون والبرتوكال والمانكو والانان والمنجستين . قيل ان هذه الثلاثة لا يوجد في اثمار العالم الذ منها . وفي الجهات الشمالية التفاح والاجاص . وهناك ايضاً شجر القرفة وجوز القي وشجر الصندل والفلفل والخشخاش الذي منهُ الافيون والنيلة . ومن اعجب اشجارها شجر البنيان وهو شجرٌ طويل الاغصان تتدلى فروعهُ الى الارض فتتاصل فيها وتصير اشجارًا متصلة بالشجرة الاصلية ثم تتدلى اغصان تلك الاشجار فيكون كذلك حتى تملأ الشجرة الواحدة مساحةً كبيرة وتصير غيضةً واسعة . وقد عدُّوا لبعضها نحو ٣٠٠٠ جذع ولها ثمرٌ صغير كثمر الجميز . وفي جبال حملايا اشجارٌ ونباتٌ كما في الاقاليم الباردة من انواع الصنوبر والبلوط والارز وغير ذلك

واما حيوانات بلاد الهند فمنها الخيل والبقر والجاموس والغنم والجمل والفيل وهو عندهم كالجمل عند العرب والذي يُؤلف منهُ يعين صاحبهُ على اقتناص المتوحش فيلهيهِ حتى يربط الصيَّاد يديهِ ورجليهِ . ومن الوحوش الضارية الاسد في الجهات الغربية والنمر واكثر وجودهِ على شواطي نهر الكنك في نواحي بنكالا وهو اجسر الضواري لا يثني عن وحشٍ ولا انسانٍ حتى

قيل انهُ يخطف الفارس من ظهر جوادهِ ويسطو على الاسد اذا التقى بهِ . وفي تلك الاراضي يوجد الكركدن ويقال لهُ ايضًا الكركند وهو ذو قرنٍ عظيمٍ يقع على انفهِ وهو يرعى النبات في البرية ولا يُؤذي الا اذا تهيج بالخوف فانهُ حينئذٍ يسطو على الفيل والاسد والنمر وكل ما تعرَّض لهُ . والصيادون يصيدونهُ راكبين الافيال . ويوجد هناك ايضًا الفهد والذئب والضبع والدب والخنزير البري وانواع القرود والثعلب وابن آوى . وهناك ايضًا انواع الغزلان ومنها صنف لهُ اربعة قرون اثنان منها طويلان واثنان قصيران . ونوعٌ من النمس قد يألف البيوت فيحميها من الفار والحيات . وهناك ايضًا التمساح وكثيرٌ من العقارب والحيات الخبيثة القاتلة وانواع الضباب والحشرات . ولا شيء هناك اشدُّ ضررًا على البيوت من النمل الابيض وهو نملٌ صغير لا يظهر للعين بل ينقر الاخشاب من داخلها ولا يترك منها سوى قشرةٍ رقيقة ويفسد اثاث البيوت وسقوفها ويتلف الكتب والاطعمة. وفيها من الطيور الاليف ما يوجد في سواها من البلدان . ومن البرية الطاووس والببغاء وطير الجنة والديك البري والحمام وغير ذلك

اما المعادن فيوجد منها الماس والصفير والياقوت والفضة والنحاس والحديد والرصاص . ولم يُعرَف معدن ذهب في هندستان

واما سكان بلاد الهند فهم حسب العد الذي جرى سنة ١٨٨١

هنود	١٨٧٩٣٧٤٥٠
مسلمون	٥٠١٢١٥٨٥
طبيعيين	٦٤٢٦٥١١
بوذيين	٣٤١٨٨٨٤
مسيحيين	١٨٦٢٦٣٤
سيخ	١٨٥٣٤٢٦
يائين	١٢٢١٨٩٦
فرس	٨٥٣٩٧
يهود	١٢٠٠٩
انواع اخر	٩٥٢٠٣٩

اما الفرس فهم من اصل فارسيّ طُرِدَت اسلافهم من بلاد فارس وما زالوا على دينهم القديم اي عبادة النار . واما المسلمون فمن اصل عربيّ وربما اختلط هذان الصنفان بالسكان الاصليين. اما الهنود فهم اربعة اقسام.الاول البراهمة ويقال لهم الكهنة ايضاً . ولهذا القسم التقدم على بقية الاقسام في جميع الامور . الثاني الجند. ومن هذا القسم الملوك والحكام . الثالث التجار والفلاحون . الرابع اصحاب الصنائع والعمّال من كل نوعٍ . وهذا القسم ينقسم

ايضًا الى اقسامٍ شتى باعتبار الصناعة والعمل . وجميع هذه الاقسام لا تختلط ببعضها اصلاً ولا يمكن لمن وُلِد في احدها ان ينتقل الى الاخر . غير انهُ منذ دخلت الديانة المسيحية بينهم انتقضت تلك الشرائع الظالمة في اماكن كثيرة من البلاد ويوجد هناك ايضًا يهود ونصارى كانوا من طائفة النساطرة فلما اتى اهل برتوكال الى هناك الزموا جانبًا منهم ان يدخلوا في المذهب البابَاوي . وفي تلك البلاد من اهل اوربا نحو ٤٥٠٠٠ نفس

اما ديانة اهل الهند فهي عبادة الاوثان على المذهب البرهميّ (انظر صحيفة ٤١) والهتهم كثيرةٌ اعظمها برهم يزعمون انهُ في الغالب نائمٌ وتارةً يستيقظ ويقول برهم موجودٌ او انا موجود ثم يعود الى النوم . وفي احدى هذه اليقظات اشتقَّ منهُ برهمة ووَشْنو وسَيوَى والهة اخر كثيرة ترتقي الى نحو ثلاث مئة وثلاثين الف الف اله . وكذلك جميع دقائق الهيولى في الارض والشمس والقمر والنجوم . وكانت هذه الدقائق يومئذٍ عديمة الترتيب فخلق برهم بيضة كبيرة ودخل فيها ومعهُ هذه الدقائق جميعها فاقام برتبها داخل هذه البيضة اربعة آلاف وثلاث مئة الف مليون من السنين ثم خرج منها ولهُ الف راس والف عين والف يد . واخرج معهُ الدقائق وفصل بعضها عن بعضٍ فحصل من ذلك الكون الظاهر وهو عندهم اربعة عشر عالمًا منها سبعة تحت ارضنا وستة فوقها . والارض عندهم مسطحة مستوية وهي مركبة من سبع

جزائر متراكزة . الوسطى منها مسكن البشر ويحيطها بحر مالح . والثانية تحيط بالبحر المالح ويحيطها بحرٌ من عصير قصب السكر . والثالثة يحيطها بحرٌ من العَرَق . والرابعة يحيطها بحرٌ من السمن الصافي المكرَّر . والخامسة يحيطها بحرٌ من اللبن الرائب . والسادسة يحيطها بحرٌ من الحليب . والسابعة يحيطها بحرٌ من الماء العذب والعوالم السفلية هي مقام المخلوقات الشنيعة الكريهة والعلوية مقام الالهة . وينسبون الى الهتهم اختلاف الالوان والهيئات وانهم متدرّبون على كل نوعٍ من الشرور كالقتل والسرقة والكذب والفحشاء وما يشبه ذلك.ولا يسعنا هذا المختصران نتكلم بالتفصيل عن خرافاتهم الدينية هذا بين عامة الناس منهم واما عقلاؤُهم فلا يقبلون كل هذه الخرافات . وقد اعتنى بعض الصالحين في ارشادهم وتعليمهم واهتدى بعضهم الى الحق . ومن عقائدهم ان الاغتسال في نهر كنك يطهّر من الخطية فهم يقصدونهُ من الاطراف البعيدة لهذه الغاية ويحملون من مائهِ الى اقاصي بلادهم. وقد جرت عادتهم ان يحرقوا موتاهم بالنار وان كان للرجل المائت زوجةٌ يحرقونها معهُ حيةً.ولكن هذه العادة الردية ابطلها الحكم الانكليزي فلا تُجرى الا خفيةً او في مكان ليس تحت سلطة الانكليز

وللهنود حساباتٌ دقيقة في حركات الاجسام السموية واصاباتٌ زيجية لا تخلُّ عن الصحة الا نادرًا . واليهم تنسب

الارقام الهندية المستعملة عند العرب. وكانوا يعتنون ايضًا بالفلسفة والادب والشعر. وقد اجتهد بعض ملوك الفرس في نقل شيء من كتبهم الى الفارسية ثم انتقلت من الفارسية الى العربية. وكان عندهم البارود وبعض اسلحتهِ قبل اكتشافهِ في اوربا. ولهم اليد الطولى في بعض الصنائع ولاسيما في عمل الموائد والعلب والاسرَّة المرصَّعة بالعاج وعرق اللؤلؤ

اما لغاتهم فهي نحو عشر لغات. وهي متفرعة من اصلٍ واحد يقال لهُ السنسكريت وهذه اللغة الاصلية لا يتكلمون بها الآن ولكن كتب علومهم الروحية مكتوبة بها وفيها مشابهة غريبة لبعض لغات اوربا دالَّة على اشتقاق اللغات من اصلٍ واحد. واما اللغات الهندية الشائعة الآن في اكثر البلاد فهي ممتزجة من لغات الهند والفارسية القديمة والعربية وغالبًا تكتب بالحرف العربي على شكل الخط الفارسي

اما مدن هندستان فمنها مدينة كشمير وهي في جهة الشمال الغربي حيث العرض ٣٣′٣٣° وعرض شمالي ٧٤′٤٧° شرقي. وهي قصبة بلاد كشمير المشهورة بشالاتها المصنوعة من زغب المعزى الذي ينبت عند اصول شعرهِ في ايام البرد وينتثر منهُ في ايام الحرّ. وبقرب المدينة بُحَيرةٌ حسنة طولها نحو ستة اميال. واهل المدينة نحو ١٥٠٠٠٠ نفس واما مدينة لهاور ويقال لها الآن لاهور فهي قصبة بلاد لاهور. وهي الى جنوب كشمير على

نهرٍ يصبُّ في نهر الهند واقعة على طريق القوافل بين الهند
وافغانستان وبلاد ايران . وكانت مقام بعض ملوك الهند وفيها
ابنيةٌ حسنة ولكنها الآن في حالة الخراب لتواتر الحروب واهلها
يبلغون نحو ١٤٩٠٠٠ نفس

والى الجنوب الغربي من لاهور مدينة المُلتان . وهي قصبة
بلاد الملتان ويصطنع فيها كثيرٌ من اقمشة الحرير والبسط
والطنافس . اما مدينة سُورات فهي على مصب نهر يسمّى باسمها .
وهي ذات سورٍ محيطهُ نحو ستة اميال واسواقها ضيقة معوجّة .
وهذه المدينة من اقدم مدن الهند ولكنها ليست بنامية في هذه
الايام وسكانها نحو ١١٠٠٠٠ نفس . واما مدينة احمد اباد فهي
من اشهر مدن الهند . قيل بناها السلطان احمد شاه سنة ١٤٢٦
للمسيح وزيّنها بابنيةٍ فاخرة . غير انها الآن قد انحطّت عما كانت
عليهِ لان محيطها كان مع رساتيقها ٢٧ ميلاً والان لا يزيد عن ٦
اميال . وقيل كان فيها الف جامع لكل واحد منها منارتان
وكان اعظمها جامع السلطان احمد وهو باقٍ الى اليوم . وعلى
نحو ٥ اميال من المدينة مسجدٌ على صورة البيت الحرام في مكة
وفيهِ ايضاً تمثال الكعبة. وبقرب المدينة كثيرٌ من الجنائن ومواضع
التنزه واهلها نحو ١٣٧٦٠٠ نفس

واما مدينه دَلّي فهي فوق تلةٍ على شاطي نهر جمْنَة حيث
الطول ٥َ ٧٧ْ شرقي والعرض ٤١َ ٢٨ْ شمالي . ولها سورٌ محيطهُ

نحو سبعة اميال . وفيها كثيرٌ من الابنية الفاخرة والجوامع والمساجد . ومنارةٌ عظيمة ارتفاعها ٢٤٣ قدمًا . وسكّان المدينة نحو ١٧٣٣٠٠ نفس . وعلى بُعد نحو ١٢٧ ميلاً من دَلّي على نهر جُمنة ايضًا مدينة اغره . وهي مدينة قديمة فيها مسجد عظيم يسمى تاج المحالّ وهو مبني على قبر امراة السلطان جهان شاه . وقد بالغ السيّاح في وصف محاسنهِ واهل المدينة يبلغون نحو ١٦٠٢٠٠ نفس . اما مدينة الله اباد فهي على ملتقى نهر جمنة بنهر كنك وسكانها نحو ١٤٨٥٠٠ نفس

اما مدينة بنارس فهي على الكنك في عرض شمالي ٢٥°٣٠′ وطول شرقي ٨٣°١′ وهي مدينة البراهمة فيها كثيرٌ من الهياكل والمساجد وتُحسَب عندهم مدينة مقدّسة ويحجُّون اليها من اقطار البلاد ويزعمون ان من مات بها خلص لامحالة . وابنيتها افضل من ابنية اكثر مدن الهند . ولاهلها اليد الطولى في صياغة الذهب والفضة والترصيع وتقطيع الحجارة الكريمة . وفيها كثيرٌ من البراهمة منهم اغنياء ومنهم فقراء يستعطون في الاسواق في حالةٍ يُرثى لها من العري والتلطخ بالاقذار . وفيها كما في بقية مدن الهند كثيرٌ من القرود المكرّسة لالهٍ على هيئة قردٍ كبير وسكانها نحو ١٩٩٧٠٠ نفس

واما مدينة بطنه فهي الى الشمال الغربي من كلكتّه على نحو ٤٠٠ ميل ولها تجارة واسعة في ملح البارود وسكانها نحو ١٧٠٦٠٠

نفس. واما مدينة كلكته فهي قصبة بلاد الهند وهي على نهر هوجلي حيث الطول ٣٨´ ٨٨° شرقي والعرض ٣٣´ ٢٢° شمالي. وبينها وبين البحر نحو مئة ميل. واهلها نحو ٤٣٣٢٠٠ نفس. وهي كرسي حاكم البلاد من قِبَل الدولة الانكليزية ولها تجارةٌ واسعة برًّا وبحرًا

واما مدينة بنبا فهي على جزيرة في طول شرقي ٥٧´ ٨٢° وعرض شمالي ٥٦´ ١٨° واهلها نحو ٧٧٣١٩٦ نفس حسب العدّ في سنة ١٨٨١. وهي اعظم فرضةٍ في الجهات الغربية ولها تجارةٌ واسعة. وبقربها جزيرة صغيرة يقال لها الفيل فيها هيكلٌ عظيم باعمدة كثيرة منقور في صخرة وهناك تمثالٌ كبيرٌ على شكل الفيل وبهِ سُمِّيَت الجزيرة. واما مدينة مدرس فهي على البحر في الجهة الشرقية في طول شرقي ٢١´ ٨١° وعرض شمالي ٥´ ١٣° وهي مدينة حصينة استفتحها الانكليز سنة ١٦٣٩. ولا يسعنا ان نذكر من مدن الهند اكثر من ذلك. واما جزيرة سيلان فسنذكرها في الكلام على جزائر اسيا

الفصل التاسع

في الهند الصينية

اعلم ان الهند الصينيَّة يراد بها جميع الاراضي والممالك التي

يحيطها من الشمال الصين وقسمٌ من الهند واقعٌ على جانبي نهر برهما بوترا ويقال لهُ اسام . ومن الشرق بحر الصين . ومن الجنوب البحر المذكور وبوغاز ملقًا . ومن الغرب بحر بنكالا وبنكالا وهي بين ٩٢° و١٠٨° من الطول الشرقي و٧° و٢٦° من العرض الشمالي . وقد انقسمت الى ثلاثة اقسام كبرى وهي مملكة بورما ومملكة صيام ومملكة كوشين صين . وكلها شديدة الحرّ رطبة كثيرة الغياض والآجام وفيها سهولٌ واسعة مخصبة تخرقها عدة سلاسل من الجبال متوازية ممتدة اليها من بلاد تيبت وهي قسمٌ من الصين . وهذه الجبال كثيرة الاخشاب قليلة السكان . ومن اشجارها الصندل والتيك والابنوس والجُمَّيز والنخل . وفي سهولها على شطوط النهر الموز والقرفة والزنجبيل والقاقلَّة وجوز الطيب والفلفل انواعًا والنيلة وغيرها من النبات الذي تُؤْخذ منهُ الاصباغ . ومن هناك تُجلَب الجَلَبا والسقمونيا وجوز القيء والكافور والتمر الهندي والنارجيل والناردين والخيزران وفيها اكثر الاثمار والفواكه الموجودة في هندستان

اما حيوانات هذه البلاد فمنها الفيل وهو عندهم مثل الجمل عند العرب والجمال لا توجد عندهم والخيل نادرة الوجود صغيرة الجثة . وكذلك البقر والمعزى قليلة واما الغنم فلا توجد اصلاً . لكن يكثر عندهم الجاموس والخنزير . ويوجد في تلك البلاد الكركدن والنمر والفهد والدبّ والوعل والقنفذ وانواعٌ كثيرة

من القرود . واما الحيوانات الاخر الموجودة في آكثر البلدان كالثعلب وابن آوى والضبع والذئب والغزال والارنب فلا تُعرَف هناك

واما اهل هذه البلاد فهم اقصر قامة من اهل الهند والصين ولكنهم اقلُّ سوادًا من اهل الهند . وهم طوائف كثيرة مختلفة اللغات . وهم على احد مذاهب الديانة البوذية

اما مملكة بورما فيحدُّها شمالاً اسام وتيبيت . وشرقًا الصين وكوشين صين وصيام . وجنوبًا صيام وملقًا والبحر . وغربًا البحر ايضًا وبنكالا . واراضي هذه المملكة جيدة ريّانة تجري فيها عدة انهر كبار من الشمال الى الجنوب منها إيراوَدّي ونهر سالوان . وهذه الانهر مخارجها في الجبال الشامخة من ناحية تيبت . وهي تطوف على السهول في جوبي المملكة وتدملها مثل نيل مصر . وفي داخل البلاد غياضٌ واسعة ياوي اليها الفيل والنمر والفهد . وهناك بحيراتٌ كثيرة فيها من السمك وطيور الماء انواعٌ شتى . ومن حواصل هذه البلاد الحنطة والرز والتبغ والقطن واكثر ما يوجد في هندستان من الاثمار والفواكه وغيرها مما ينبت في الاقاليم الحارة. ومن معادنها الذهب والفضة والحديد والقصدير والانتيمون والزرنيخ والكبريت والكهرباء الجيدة . ومن الحجارة الكريمة الجمست والياقوت واليصب والرخام والمغناطيس والصفير . وفيها ايضًا كثيرٌ من آبار النفط. وهذه الآبار يدخل منها كل سنةٍ

الى خزانة الملك نحو الف الف ليرة انكليزية

واما عدد اهل هذه المملكة فلا سبيل الى معرفتهِ بالتحقيق ولذلك اختلفوا فيهِ كثيرًا . والاصح انهم الآن نحو ٣٥٠٠٠٠٠ وقد كانوا اكثر من هذا العدد لكنهم قلوا بسبب الحروب الواقعة بينهم في انفسهم ومع الدول الخارجية ايضًا . ولذلك رحل كثيرون منهم الى بلاد الهند الانكليزية . وهم ينقسمون الى نحو ثمانية عشر قسمًا على اختلاف العوائد والهيئات والطباع . واكثرهم قصار القامة شداد العزائم اصحاب مكر وحيلة . ولا يكون للرجل منهم اكثر من امرأةٍ شرعية لكنهُ لا يقتصر عليها فياخذ من الجواري ما يشاء . وهم يحرقون جثث موتاهم ثم يجمعون ما تحصَّل من الرماد والعظام ويدفنونهُ . وديانتهم نوعٌ من البوذية ومنهم من يعبدون الهًا يسمونهُ غداما ويبنون لهُ الهياكل المعتبرة ويضعون فيها تماثيل من الفضة او النحاس او الرخام او الطين على حسب الاستطاعة . ويقدمون لها قرابين من الرزّ والفواكه والازهار ونحو ذلك . ويعتقدون بالتناسخ على ان النفس بعد التقمص في الوفٍ من الاقمصة تتلاشى في الذات الالهية وقبل هذا التلاشي تكون قميصها الاخيرة جثة فيلٍ ابيض . وبالقرب من قصر الملك قصرٌ آخر عظيم مزخرف لفيلٍ من هذه الافيال البيض الذي يقدمون لهُ الاكرام والاجلال ويفرشون تحتهُ الوسائد الناعمة مجللةً بالحرير ويزينونهُ بملابس مرصعة بالجواهر

والذهب والفضة وقد اقاموا لخدمتهِ نحو الف نفر

واما لغة اهل بورما فهي من ثلاثة وثلاثين حرفًا وهي تُكتَب من اليسار الى اليمين. وكتبهم المقدسة مكتوبة بحرف السنسكريت الذي سبقت الاشارة اليهِ في الكلام عن لغات هندستان والحرف الدارج ماخوذٌ من الحرف المذكور. وهم يستعملون في كتابتهم طرقًا كثيرة للاختصار حتى ان الكاتب منهم يقدر ان يسرع في كتابتهِ كما يسرع المتكلم في كلامهِ. واكثرهم يحسنون القراءة والخط وعندهم كثيرٌ من القصص والتواريخ والقصائد الشعرية. واما معرفتهم في العلوم فهي اقلُّ من معرفة اهل هندستان. وسنتهم قمرية واولها اليوم الثامن عشر من شهر نيسان. غير انهم يعرفون السنة الشمسية التي يحسبون لها ٣٦٥ يومًا وفي كل سنةٍ ثالثة يضيفون شهرًا الى السنة القمرية لكي تطابق الشمسية غير ان هذه المطابقة لا تكون تامةً بينهما فلا بد ان تنتقل مواسمهم كل سنةٍ شيئًا فشيئًا حتى تدور دورةً كاملة. وقد كانت سنة ١٨١٧ للتاريخ المسيحي مطابقةً سنة ١١٧٩ من تاريخهم ولكن لا نعلم ما هو الموضوع الذي يؤرّخون لهُ. وهم يعتنون كثيرًا بالسحر وعلم النجوم ودلائلهِ. ومعرفتهم بالصنائع قليلةٌ. وقد تشتغل نساؤُهم باصطناع اقمشة الحرير والقطن. ومن بضائع تجارتهم السكر والرز والقطن والنيل والقاقلّة والفلفل والصبر وملح الطعام وملح البارود والعسل والشمع والعاج والمعادن المذكورة سابقًا

وخشب التيك لبناء السفن . وهذه البضائع يبدلونها بالاقمشة والاسلحة والفولاذ وآنية الزجاج والافيون وما يشبه ذلك من الهند والصين والبلاد الافرنجية وليس عندهم دراهم مضروبة فهم يستعملون عوضها قِطَعًا من الرصاص والفضة والذهب بالوزن. والملك عندهم ياخذ عُشر محاصيل المملكة كلها وعشر البضائع الواردة من الاطراف الخارجة . وهو يستقل في الحكم بنفسهِ على سبيل الولاية المطلقة

اما مدن هذه المملكة فمنها مدينة افا على شرقي نهرٍ يصبُّ في نهر إيراوَدِي وهي تخت المملكة . وعرضها ٥١َ ٢١ْ شمالي . والى الشمال منها بمسافة ستة اميال على نهر ايروادي مدينة اميرابورا كانت تخت المملكة من سنة ١٧٨٣ الى سنة ١٨٢٤ للمسيح . وقد حُسِب عدد اهل هاتين المدينتين نحو ٧٠٠٠٠٠ نفس . ومنها مدينة بيكو . وهذه المدينة كانت قديمًا قصبة مملكةٍ على اسمها قيل كان محيطها يومئذٍ عشرين ميلاً ولها سورٌ من الاجرّ ارتفاعهُ نحو ثلاثين قدمًا وسمكهُ عند اسفلهِ نحو اربعين قدمًا . ثم اخربها ملك من ملوك بورما سنة ١٧٥٧ مسيحية واذن الملك الحاضر ببنائها فأُعِيدَت على نحو نصف ما كانت قديمًا . ومدينة رانكون وموقعها على نهر ايروادي وهي محدثة لكنها تُعَدُّ من اعظم فُرَض المملكة واهلها يبلغون نحو ٣٠٠٠٠ نفس وفي سنة ١٨٨٥ تعدى ملك بورما على حقوق الانكليز فعزلوهُ عن ملكهِ وضموا

المملكة الى املاكهم الهندية

اما بلاد أَرَكان فهي قسمٌ من بورما واقع على شط بحر بنكالا بين ١٨° و٢١° من العرض الشمالي . وقد استولى عليها الانكليز منذ سنة ١٨٢٥ ولهم ايضًا املاكٌ واقعة على البحر بين بورما وصيام قصبتها مدينة مركوي في ١٢′١٣° من العرض الشمالي و٢٥′٩٨° من الطول الشرقي . واهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس وتجاهها جزائر مركوي . ولهم ايضًا تافوى ومرتابان فقد صار جانبٌ كبير من افضل تلك البلاد بيد الدولة الانكليزية

اما مملكة صيام فحدودها من الغرب والشمال مملكة بورما . ومن الشرق كوشين صين . ومن الجنوب خليج صيام وشبه جزيرة ملقًا ولها املاكٌ في ملقًا ويتبعها ايضًا لاوس وجانبٌ من كمبوديا وهما من كوشين صين . ومساحة هذه المملكة تبلغ نحو ٢٥٠٠٠٠ ميل مربَّع . وسكانها مع سكان الاملاك التابعة لها ٥٠٠٠٠٠٠ نفس . ويمرُّ بها من الشمال الى الجنوب نهر مينام مخرجهُ من جبال لاوس ومصبهُ في خليج صيام وعرضهُ عند مصبهِ نحو ميل واحد . وهو يطوف على اراضي وسط المملكة من شهر ايلول الى كانون الاول . ولذلك ترى اكثر مساكن اهل تلك الاماكن مبنية على اعمدة من الخشب منتصبة حتى ترتفع فوق الماء عند فيض النهر . وهواء تلك البلاد شديد الحرّ لقربها من خط الاستواء لكنهُ يتلطف بالامطار من نيسان الى ايلول .

وتربتها جيدة واكثر اعتماد اهاليها على الرز . وفيها معادن من الذهب والفضة والحديد والنحاس والرصاص والقصدير والانتيمون. ويوخذ من جبالها اخشابٌ للبناء والصبغ والحيوانات فيها كما في بورما وطيورها حسنة المنظر وفيها الافاعي الخبيثة وفي نهر مينام يوجد التمساح

اما لغة اهل صيام فهي من سبعة وثلاثين حرفًا . وليس عندهم من العلوم الاَّ قليلٌ لكن عندهم قصص وتواريخ واشعار ونحو ذلك . وهم في الديانة والحكم مثل اهل بورما . وبضائع تجارتهم من المعادن المذكورة سابقًا واخشاب البناء والصاغة والرز والقطن والتنبك ويستبدلون الاقمشة وغيرها من الهند والصين والبلاد الافرنجية

ومن مدن هذه المملكة مدينة صيام ويقال لها يوثيه وهي على نهر مينام كانت قديمًا تخت المملكة . قيل فيها نحو ثلاث مئة هيكل للعبادة وبيوتها على اعمدة كما تقدم . وعند فيض النهر تجري الزواريق في الاسواق والشوارع . ومنها مدينة بنكوك على نهر مينام ايضًا حيث العرض ٤٠َ ١٣ْ شمالي والطول ١٠َ ١٠١ْ شرقي . واكثر ابنيتها من الخشب وعدد اهلها نحو ٤١٣٠٠٠ نفس . وجاسبٌ عظيمٌ منهم يعيش في زواريق واطواف من خشب على النهر

اما مملكة لاوس فحدودها من الشمال الصين . ومن الشرق

تونكين وكوشين صين . ومن الجنوب كمبوديا . ومن الغرب صيام وبورما . وهي بين ١٦° و٢٣° من العرض الشمالي ومن حواصلها الرز والعاج والشمع والعسل والعقاقير الطبية . وفي بعض جبالها معادن حديد وقصدير وفي رمال انهرها يوجد شيء من الذهب . وفيها معدنٌ واسعٌ من الياقوت والزمرد . وهي تابعةٌ لصيام واهلها يوصفون بالامانة لكنهم كسالى . وعددهم يبلغ نحو ١٤٠٠٠٠٠ نفس

واما كوشين صين فهي واقعة بين ٨° و٢٣° من العرض الشمالي و١٠٢° و١٠٨° من الطول الشرقي . ومعظم عرضها في طرفيها الجنوبي والشمالي حيث يبلغ نحو مئة وثمانين ميلاً . ووسطها قطعة ضيقة لها البحر من جهة الشرق وجبال لاوس من جهة الغرب . وهذه القطعة هي مملكة كوشين صين الاصلية . ولها تونكين من جهة الشمال وكمبوديا من جهة الجنوب ويقال في هوائها وحواصلها على الغالب ما قيل في بورما وصيام . والحرير كثيرٌ فيها تلبسهُ ادنياء العامّة لكثرة شجر التوت الذي ينبت فيها كالاشجار البرية . ويكثر فيها الطيب ايضاً واخشاب البناء . وفيها معادن واسعة من الذهب والفضة . والحيوانات فيها كما في بورما . وفيها ايضاً البقر والحمير والبغال والمعزى والجاموس والخنزير . ومن الطيور الدجاج والاوزّ والبط . وعلى شطوط البحر يُصاد شيءٌ كثيرٌ من افضل انواع السمك . وهناك طائرٌ يقال لهُ سَلَنْجان

يبني وكرهُ من عشبةٍ بحرية تصلح للاكل فياخذون الوكر ويطبخونهُ طعامًا وهو كثير الاعتبار عند اهل تلك البلاد وعند اهل الصين. واما الاهالي فمنهم اصليون ومنهم منتقلون من الصين وديانتهم نوعٌ من البوذية وعددهم نحو ٩١٠٠٠٠٠ نفس . وقصبة البلاد مدينة هُوِيفُو وهي مربعة الشكل يحيط بها نهر هُوِي من جانبين وترعةٌ عرضها نحو سبعين ذراعًا من الجانبين الآخرين

واما بلاد تونكين فهي واقعة بين ١٧° و٢٣° من العرض الشمالي و١٠١° و١٠٨° من الطول الشرقي . ولها الصين من جهة الشمال والبحر من جهة الشرق وكوشين صين من جهة الجنوب ولاوس من جهة الغرب. وكانت قديمًا تابعة للصين وكانوا يومئذٍ يسمونها المملكة الخارجية كما يسمون كوشين صين المملكة الداخليَّة والصين نفسها المملكة الوسطى . وقد استقلَّت في القرن الثالث عشر ثم تسلط اهل تونكين على كوشين صين في اثناء سنة ١٥٥٢ مسيحية . وفي اثناء سنة ١٨٠٠ استولت كوشين صين على تونكين فصحَّ بينهم قول الشاعر

دارت الدنيا علينا ولنا هكذا الايام في الدنيا دُوَل

وقد انقسمت تونكين احد عشر قسمًا . وفي هذه الاقسام ثمان عشرة مدينة منها ما يبلغ عدد اهلها ٤٠٠٠٠ نفس ومنها ٧٠٠٠ نفس . وقصبة تلك البلاد مدينة كيهو على نهر سانوكي في ٢١°

من العرض الشمالي . وبينها وبين البحر نحو مئة ميل . قيل ان الاقسام الغربية تشرب من مياه سبعة انهر كبار تصبُّ في بحيرة كبيرة الى الشمال الغربيّ من مدينة كيهو ثم تخرج من البحيرة متشعبةً وتصبُّ في خليج تونكين وقد استولت حكومة فرانسا على قسمٍ كبير من تلك البلاد بعد حرب مدة مع الاهالي والصين

اما هواء هذه البلاد فمعتدلٌ وتربتها مخصبة . واكثر اعتماد اهاليها على الرز . واعمال الفلاحة والزراعة تعتني بها النساء . وفيها جميع حواصل الاقاليم الحارَّة . ويقال في حيواناتها واثمارها ما قيل في بورما وصيام . وبضائع تجارتها الحرير واقمشة ونسائج مصنوعة من قشور بعض الاشجار . وآنيةٌ واثاثٌ من الابنوس والعاج واصداف السلاحف وعرق اللؤلوء والخيزران وغير ذلك . ويستبدلونها بآلات القطع والساعات والصابون والجلود واقمشة صوفية وعقاقير طبية والشاي والخزف الصيني والقنَّب والكتان وما اشبه ذلك واما الاهالي فمنهم من يشبهون اهل الصين ومنهم من اصل التتر وهم يسكنون في الجبال . والدين الغالب عندهم هو البوذي

اما بلاد كمبوديا فهي واقعة بين خليج تونكين وخليج صيام وبين ٨°٤٧′ و١٥ من العرض الشمالي . وهي شبيهةٌ ببلاد مصر لانها على جانبي نهر مايكان ويقال لهُ ايضاً نهر كمبوديا . وهذا النهر مخرجهُ في بلاد تيبت وطولهُ نحو الف وثمان مئة ميل وهو

يصبُّ في البحر فِرَقًا شتى ويطوف على الاراضي المجاورة له مثل بقية انهر تلك النواحي . قال بعض اهل السياحة ان جانبًا كبيرًا من بلاد كمبوديا لم يزل كثير الغياض والاشجار هناك كبيرة غضة تاوي اليها الوحوش والطيور . وهواء البلاد معتدلٌ جيد وفيها اكثر حواصل الاقاليم الاستوائية . واهلها يشبهون اهل الصين في الملابس والعوائد وهم يبلغون نحو ١٠٠٠٠٠٠ نفس . وقد استوطن فيها كثيرون من اهل الصين ويابونيا وملقًا وكلهم على دين البوذية . ومن مدن هذه البلاد مدينة سايكون اهلها نحو ١٨٠٠٠٠ نفس منهم نحو ١٠٠٠٠ نفس صينيَّة . ومدينة لُوَيك وربما قيل لها ايضًا مدينة كمبوديا وهي على نحو ثلاث مئة ميل من مصب نهر كمبوديا . واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس منهم جاسبٌ كبير يابونية وملقية ومن اهل كوشين صين . ومدينة هويسون وهي مشهورة باصطناع انسجة الحرير النفيسة وقد استولى الفرانساويون على قسم كبير من الاراضي على مصب نهر كمبوديا

اما شبه جزيرة ملقًا فطولها ٧٧٥ ميلاً ومعدّل عرضها نحو ١٢٥ ميلاً وهي بين ٣٢َ ١ْ و٢٧َ ٨ْ من العرض الشمالي . وتخرقها على طولها سلسلة جبال جرداء ممتدة اليها من بلاد صيام وبورما . وينحدر من جانبي هذه السلسلة نهيرات وجداول كثيرة واكثرها تغور في الرمال على سواحل البحر فلا يصل اليه الاَّ القليل منها . ومن حواصل هذه البلاد اثمار الاقاليم الاستوائية

ولا يوجد فيها من الحبوب ما يقوم بمعيشة اهلها فيجلبونها من بنكالا وسومطرة . ويوجد اللؤلؤ في بعض الاماكن على ريف البحر والذهب والحديد والقصدير في اواسط البلاد ويرسل الى الصين مقدار جزيل من الافيون . ويقال في حيواناتها ما قيل في صيام وبورما

•

اما اهل هذه البلاد فهم قصار القامة يميلون الى السواد وقد سبق الكلام على هيئاتهم وهم اصحاب شجاعة واحيانًا كثيرة يسطون على المراكب التي تمرّ بهم فينهبونها . وعليهم ملكٌ من انفسهم لكنهُ قليل السطوة واكثرهم يعيشون بنوعٍ من الحرية وكل عشيرةٍ تحامي عن نفسها . ولغتهم حسنة لينة تكتب بالاحرف العربية وقد ادخلوا فيها الفاظًا كثيرة من لغة العرب . وكان دينهم سابقًا عبادة الاصنام وفي سنة ١٢٧٦ مسيحية دخل في الاسلام سلطانهم محمد شاه ومن ثمَّ صار الدين الغالب فيهم الاسلام على مذهب السنَّة . وللانكليز في تلك النواحي مدينة ملقًا في جنوبي البلاد وفي جهور . ولهم ايضًا جزيرة بينان في ٥َ٢٥ْ من العرض الشمالي و١٩َ ١٠٠ْ من الطول الشرقي ويتبعها املاكٌ تجاهها على البرّ . اما مدينة سنكابور فهي على جزيرةٍ عند طرف شبه الجزيرة الجنوبي . استولت عليها الانكليز سنة ١٨١٩ مسيحية . وهي في موقعٍ جيد للتجارة على الطريق بين الصين وبنكالا . ولها مرسى امين للسفن في جميع الاوقات . والمدينة ثلاثة اقسام قسمٌ

للاهالي الاصليين وقسم للصينية المستوطنين هناك وقسم للسكان من الانكليز. وعدد الناس الذين فيها يبلغ نحو ٣٠٠٠٠ نفس

الفصل العاشر

في مملكة الصين

هذه المملكة يحدها من الشمال بلاد سيبيريا . ومن الشرق بوغاز سغاليان وبحر يابان والبحر الاصفر . ومن الجنوب بحر الصين وخليج تونكين والهند الصينية وهندستان . ومن الغرب هندستان ايضًا وافغانستان وبلاد التتر المستقلة . وهي بين ٣٠° و٥٦° من العرض الشمالي وبين ٧٣′٥٥ و١٤٤′٥٠° من الطول الشرقي . ومساحتها نحو ٥٣٠٠٠٠٠ ميل مربع . ومحيطها نحو ١٢٥٥٠ ميلًا . وطول حدها الشمالي نحو ٣٢٠٠ ميل . وطول ريفها البحري من مصب نهر عامور الى جزيرة هاينان نحو ٣٣٥٠ ميلًا واهلها نحو ٤٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس . وقد انقسمت هذه الاراضي الواسعة الى ثلاثة اقسام كبرى . الاول منشورية في جهة الشمال الشرقي . الثاني المقاطعات الثماني عشرة وهي التي تغلب عليها اهل منشورية في اثناء سنة ١٦٦٤ للمسيح . ويقال لها الصين الاصلية.

الثالث الاملاك الاضافية مثل منغولية وإيلي وتيبت الى حد تركستان وافغانستان

ثم ان هذه المملكة العظيمة يحيط بها سلاسل جبال طويلة شامخة تفصل بينها وبين المالك المجاورة لها . ويخرقها ايضاً عدة سلاسل فتقسمها الى ثلاثة اودية كبيرة . اما الجبال المحيطة بها فمن الشمال ألتاي اولها الى الشمال من مصب نهر عامور في نحو ٥٦° من العرض الشمالي . ومن هناك تمتد غرباً مسافة نحو ٣٥٠٠ ميل . ولها اسماء مختلفة في اجزاء مختلفة منها . ومعدّل علوّها نحو ٧٠٠٠ قدم واكثرها واقعة بين ٤٧° و٥٣° من العرض الشمالي . ويفصل بين الصين وبذخشان سلسلة بلورطاغ كما مرّ وتمتد منها شُعَبٌ الى جهة الجنوب حتى تلاقي جبال حملايا الفاصلة بين الصين والهند على حدّ تيبت الجنوبي منعطفة الى الجنوب الشرقي حتى تحاذي بلاد بورما فتخترقها هناك عدة انهرٍ جارية من بلاد تيبت الى بورما وصيام . وبعض شُعَبها يصل الى البحر فيفصل بين الصين وتونكين . وعلى شط البحر سلسلة اخرى من شبه جزيرة كوريا الى قرب مصب نهر عامور . اما السلاسل التي تخرق اواسط البلاد فمنها سلسلة تُسمّى عند اهل الصين تِيَن شان اي الجبال السموية اولها في الطرف الشمالي من بلورطاغ حيث العرض ٤° شمالاً وتنعطف من هناك الى الجنوب الشرقي بين ٧٦° و٩٠° من الطول الشرقي قاسمةً مقاطعة إيلي قسمين شمالي

وجنوبي . ومنها سلسلة نان شان في نحو ٣٦° عرض شمالي . وهي الفاصلة بين بلاد تيبت ومفازةٍ كبيرة يقال لها صحراء كوبي . وسلاسل اخرى وشعب كثيرة مارّة في اواسط المملكة لا حاجة الى ذكرها هنا . اما الصحراء المذكورة فهي في وسط المملكة وطولها نحو ١٨٠٠ وعرضها ما بين ٣٥٠ و٤٠٠ ميل ومساحتها نحو ١٣٠٠٠٠٠ ميل مربّع

اما انهر بلاد الصين فهي عظيمة طويلة . منها النهر الاصفر ويقال لهُ بالصينيَّة هُوَانهُو مخرجهُ في سهلٍ ريّان حيث العرض ٣٥١/٢° شمالاً والطول ٩٦° شرقًا . ومن هناك يجري الى الجنوب ٣٠ ميلاً ثم ينعطف الى الشرق نحو ١٦٠ ميلاً ثم الى الغرب ١٣٠ ميلاً ثم الى الشمال الشرقي بتعاريج كثيرة نحو ٧٠٠ ميل ثم ياخذ الى الشمال نحو ٤٢٠ ميلاً ثم شرقًا ثم جنوبًا نحو ٥٠٠ ميل ثم شرقًا نحو ٦٥٠ ميلاً ويصبُّ في البحر الاصفر . واما صفرة النهر فلأنَّ في مجراهُ ترابًا اصفر يخالط ماءَهُ في جريانهِ فيتلوَّن بهِ . ويصبُّ في هذا النهر من الغرب نهر واي طولهُ نحو ٤٠٠ ميل . ونهر لو ونهر فان وغير ذلك . وكل هذه الانهر سريعة الجريان خَطِرة على ركوب الزواريق . واحيانًا كثيرة تطوف على البلاد المجاورة لها وتخرب المدن والقرى

اما النهر الكبير وهو الذي يقال لهُ بلغة اهل الصين تاكيان فهو مؤلَّفٌ من عدة انهرٍ تاتي من نواحي تيبت حيث الطول نحو

٨٩° شرقاً . وبعد ان يجري نحو ١٢٠٠ ميل يلاقيهِ نهر يهلون كيان فيجريان الى الجنوب الغربي حتى يصلا الى ٢٦° من العرض الشمالي . ومن ثمَّ ينعطف الى الشمال الشرقي ثم الى الشرق ويلاقيهِ عدة انهر من عن جانبيهِ . وهو يمرُّ بجملة بحيرات ويصب في البحر الاصفر حيث العرض نحو ٣٢° شمالاً . وطولهُ معَ تعاريجهِ نحو ٣٠٠٠ ميل . وتصعد فيهِ السفن الكبار ٢٠٠ ميل الى مدينة نانكين . والزواريق الى نحو ١٧٠٠ ميل من مصبهِ ويرى جزر الجرومدَةُ في النهر الى حد ٤٠٠ ميل من مصبهِ . ولكونهِ مارًّا في وسط المملكة يقال لهُ منطقة الصين . واما نهر كان كيان ويقال لهُ شوكيان ايضاً فهو الذي يصبُّ في بحر الصين بقرب مدينة كنتون . وطولهُ نحو ٧٠٠ ميل . ومن هذه الانهر نهر بيهون . وهو يصبُّ في البحر الاصفر مارًّا على مدينة باكين . ونهر عامور . وهو يخرج من بلاد سيبيريا ويصب في بوغاز سغاليان

اما بحيرات الصين فمنها بحيرة تنيُنهو في مقاطعة هونان . محيطها نحو ٢٢٠ ميلاً . والى الشرق منها بحيرة بويان طولها نحو ٩٠ ميلاً وعرضها نحو ٢٠ ميلاً . وفيها عدة جزائر حسنة يؤْخذ منها كثيرٌ من السمك . وفي نواحي هاتين البحيرتين بحيراتٌ أُخر كثيرة حتى قيل لذلك القسم من المملكة ارض البحيرات . وبين النهر الاصفر والنهر الكبير بحيرة هونسيهو . وفي منشورية بحيرة هنكاي وبحيرة هورون . وحول برية كوي عدَّة بحيرات مالحة

ومن غرائب بلاد الصين السور المشهور الفاصل بين الصين الاصلية ومنغولية . بناهُ ملك من ملوكهم قبل التاريخ المسيحي بنحو ٢٢٠ سنة ليردّ عن بلادهِ مهاجمات القبائل الشمالية . واول هذا السور عند البحر حيث العرض ٤٠°٤′ شمالاً والطول ٢′و١٢٠° شرقاً . وهو يلاقي النهر الاصفر حيث الطول ١/٢ ١١١° شرقاً والعرض ١/٢ ٣٩° شمالاً . وايضاً في ٣٧° عرض شمالي . ومن ثمَّ ينعطف الى جهة الشمال الغربي وينتهي بقرب ٩٩° طول شرقي و٤٠° عرض شمالي . وطولهُ مع تعاريجهِ نحو ١٢٥٠ ميلاً . وهو مبني بالحجارة والآجرّ وبعضهُ من الطين فقط . وسمكهُ عند اسفلهِ نحو ٢٥ قدماً وعند اعلاهُ نحو ١٥ قدماً . وارتفاعهُ ما بين ١٥ او ٣٠ قدماً . وعليهِ ابراجٌ مبنية من القرميد ارتفاع بعضها نحو ٤٠ قدماً . لكن هذا السور وإن كفى لدفع القبائل الرحَّل لم ينفع لدفع اكابرهم وامرائهم الذين تغلبوا على الصين واستولوا عليها . وهو الآن في حالة الخراب وليس لهُ اعتبار الاَّ من حيث هو حدٌّ بين بعض المقاطعات

ومن الاشياء المعتبرة في الصين الترعة العظيمة التي بواسطتها مع الانهر التي تتصل بها تجري الزواريق في البلاد من كنتون الى باكين . واول هذه الترعة في ٢٧° عرض شمالي و١١٦° طول شرقي واخرها بقرب باكين . وهي لم تُصنَع دفعةً واحدةً لكن حُفِر بعضها في القرن السابع وبعضها في القرن الثالث عشر

وبعضها في القرن الرابع عشر . وطولها نحو ٦٥٠ ميلاً . وفي البلاد تُرَعٌ اخر غير هذه يسهل بها نقل بضائع التجارة من مكانٍ الى اخر ولاجل ذلك قلّ اعتناؤهم بتمهيد الطرق في البر الاّ انهم قطعوا مناهج في بعض الجبال الواقعة في طريق القوافل بين المدن الكبار

واما اهل هذه المملكة فقد انقسموا الى خمس طوائف . الاولى الصينية وهم في الهيئة والتكوين بين القوقاسي والهندي تضرب الوانهم الى الصفرة وشعرهم اسود مسترسل ولحاهم خفيفة سوداء وفي ابدانهم شعرٌ قليل واعينهم سود ضيقة الآماق حتى لاترى الإبريسَا كلها. والوجنة فيهم تكون مرتفعة والانف افطس وشكل الوجه مستديرًا . ونساؤهم بالنسبة الى رجالهم اصغر من نساء الطائفة القوقاسية . الثانية الاهالي الاصلية . وهولاء منهم من خضع للصينية ومنهم مَن بقي على نوع الاستقلال وهم اقصر قامةً من الصينية واكثرهم ساكنون في الجهات الجنوبية . الثالثة التتر المانشو ومنهم الصينية .غلبوا على الصين وملكوها وتخلقوا باخلاق اهلها . الرابعة التتر المنغول واكثرهم رُحّل . الخامسة اهل تيبت وهم في الهيئة بين المنغولي والهندي

اما هواء بلاد الصين فيمكن ان يقال بالاجمال انهُ معتدلٌ جيّد . ولكن لا بد لهُ من اختلاف بين الاماكن المختلفة في مملكةٍ واسعة مثل هذه فان البرد يشتد في الجهات الشمالية منها والجبال

المرتفعة والحرُّ يشتدُّ في الجهات الجنوبية والاودية والسهول . وتكثر الحميات في نواحي الانهر والبحيرات ولاسيما في نواحي مدينة نانكين وفي نواحي كنتون تكون درجة الحرارة في الصيف بين ٨٠° و٨٨° وفي الشتاء بين ٥٠° و٦٠° ومن شهر تموز الى تشرين الاول تكثر الانواء على الشطوط البحرية ويحصل منها خطرٌ شديدٌ على السفن

اما معادن الصين فمنها الفحم الحجري لكنهُ قليل الاستعمال عندهم . والجصُّ يطبخونهُ ويعجنونهُ بالزيت ويطلون بهِ السفن . ويستعملونهُ ايضًا لاجل الزينة فانهُ يبيّض البشرة ويجلو الاسنان . ويصنعون منهُ شرابًا للحُمّيات بزعمهم انهُ بارد الطبع . ويجمعون ملح البارود من تراب الخرائب الذي يغسلونهُ ويجففون الماء عنهُ . وعندهم اكثر المعادن المستعملة في الصنائع الاَّ البلاتين ولكن لقلة معرفتهم باستخراجها يحتاجون الى جلبها من الخارج . وفي بعض الاماكن معادن ذهب وفضة وزيبق وزنجفر وزرنيخ ولازورد وهو الذي يستعملونهُ لتلوين الخزف الصيني المشهور

ومن حيوانات هذهِ البلاد انواع القرد والدبّ والفيل والنمر على حدود بورما . ويوجد نوعٌ من السنّور البري في بعض الجبال ومن الالايف الخنزير ونوعٌ من الجاموس والبقر والخيل وهي صغار الجثة والجمل والغنم والمعزى . وعندهم انواع الغزلان ولاسيما غزال المسك . وفي ابحار الصين وانهارها كثيرٌ من

اصناف السمك ومن ذلك السمك الذهبيّ اللون والفضيّ الذي يُحمَل الى الآفاق ويربَّى في البُرَك والصهاريج لحسن منظرهِ . وفيها اكثر انواع الطيور البرية والاليفة وكذلك الدبّابات والاحناش

اما اشجارها واثمارها فمنها الصنوبر والارز والسرو والازدرخت والبنيان والورد. وعندهم اكثر الحبوب التي توكل . وهم يجمعون الحشائش البحرية منها للطعام ومنها لاصطناع نوعٍ من الغراء الذي يستعمل في صناعة القرطاس وبعض الاقمشة . وفي الجهة الجنوبية ينبت الخيزران والنخل وعندهم اصنافٌ من القلقاس وكذلك الزنجبيل ياكلونهُ اخضر وابو فروة اي الكستنا والجوز والبندق والصفصاف وانواعٌ من التوت يصنع من قشور بعضها قرطاسٌ جيد والسندجان والقِنَّب والراوند واكثر انواع الفواكه والزهور . ومن النباتات المعتبرة عندهم الشاي تقطع اغصانهُ ويوخذ ورقهُ ويجفف قليلاً على نارٍ لينة ثم تُلَفُّ كل ورقةٍ باليد ويوضع في صناديق مبطَّنة بالرصاص ويُرسَل الى الجهات . ويقطفون ورقهُ في السنة ثلاث مرات

واما حكم بلاد الصين فهو بين الملكيّ المطلق والمقيد فان لهم شرائع وقوانين مكتتبة ولكن الملك لهُ استطاعة ان يغيّر شيئًا منها . غير انهُ في الغالب لا يتجاسر على خرق العوائد القديمة ويتحاشى نقض القواعد الاصلية التي جرت عليها الاحكام زمانًا

طويلاً. وهو يولي ويعزل كما يشاء ويعيّن الخليفة بعدهُ على المملكة. واما صورة الاحكام الشرعية عندهم فلا يسعنا تفصيلها في هذا المختصر

واما لغة الصين فهي من اقدم اللغات وقلما تغيّرت عن حالتها القديمة كما يحدث في اكثر اللغات. وكتابتهم من اعلى الى اسفل. ويستعملون عوضاً عن الحروف علاماتٍ واشارات منها اصلية ومنها فرعية. وقد أُحصي عدد هذه العلامات الدالَّة على كلمات لغتهم فكانت نحو ٣٥٠٠٠ وان حُسِبَت العلامات القديمة التي هي الآن مهملة عندهم الاَّ نادراً يكون عددها ٤٤٤٤٩ علامة. ولذلك يعسر جدًّا علم القراءة والكتابة عندهم. وقد اخترعوا منذ اجيالٍ صناعة للطبع وهي بحفر الكتابة التي يريدون طبعها في الواحٍ من الخشب كل لوحٍ على قياس جرم الكتاب الذي يختارونهُ طولاً وعرضاً. فيكون عدد الالواح اللازمة لطبع الكتاب كعدد صفحاتهِ. وبهذه الواسطة رخصت عندهم الكتب وصار اكثر الناس يقدر على اقتنائها. وعندهم كثيرٌ من القصص والاشعار والتواريخ ولكن تواريخهم القديمة سقيمة قلما يُوثَق بها. ومن فلاسفتهم المعتبرين كُون فُوتس بضم الكاف والفاء وسكون ما سواهما. وهو معروفٌ عند اهل اوربا باسم كونفوسيوس. وُلِد قبل المسيح بنحو ٥٤٩ سنة وكانت ولادتهُ في السنة التي وُلد فيها كورش ملك مادي وفارس فيكون هذا الفيلسوف معاصراً لعزرا الكاهن. وكانت وفاتهُ سنة ٤٣٩ ق م فيكون قد عاش

سبعين سنة . واهل الصين يكرمون ذكرهُ غاية الاكرام ويقدمون لهُ بعض الاحيان نوعًا من العبادة . وقام بعدهُ رجلٌ على مذهبهِ وكان اسمهُ مان فُونس وهو المعروف باسم منسيوس . وُلد في اثناء ٤٠٠ ق م وانزل منزلة استاذهِ من الاكرام . ولهما تصانيف كثيرة في الفلسفة العقلية وهي في غاية الاعتبار عند اهل الصين الى يومنا هذا . واكثر قواعدها الادبية ممدوحةٌ عند الذين اطّلعوا عليها من الافرنج وقد تترجم بعضها الى اللغة الفرنساوية والانكليزية

ولاهل الصين اليد الطولى في بعض الصنائع ولا سيما الحفر في العاج وعمل الخزف المشهور بالصيني . وهم يصنعون القرطاس من قشر شجر التوت كما مرَّ ومن شرانق الحرير والقطن والكتان والقنّب والتبن. ومن صنائعهم ايضًا اقمشة الحرير والقطن والكتان ولهم تجارةٌ واسعة في البر . واما التجارة البحرية فاكثرها بايدي الغرباء لان اهل الصين لا يستطيعون ان يخرجوا من بلادهم بغير اذن من الحكم على مدةٍ معيّنة فان تجاوزها لا يعود يُقبَل في البلاد وطنيًا بل يحسب غريبًا اجنبيًا ومن عوائدهم ان يحلقوا شعر رؤوسهم ويتركوا منهُ خصلةً في اعلى الراس حتى تطول فيجدلونها ويرخونها على ظهورهم . ومنها انهم يتخذون طفلةً من بناتهم فيجعلون قدميها في قالبٍ مدةً طويلة فتبقيان صغيرتين لانهم يستحسنون صغر الاقدام في النساء لكن ذلك يجعلها قاصرةً في المشي ولذلك يكتفون بواحدةٍ من بنات كل عائلةٍ ليكسوها

هذا الحسن الغريب

وابنيتهم من خشب وهي غالبًا طبقة واحدة منقسمة الى عدة مساكن صغيرة . واما هياكلهم فهي طبقات كثيرة لكنها ضيقة المساحة . وتكثير النساء عندهم مباح ولكن في الغالب لا يكون للرجل اكثر من امرأةٍ شرعية فان كان له معها جوارٍ فهنَّ بمنزلة خادماتٍ لها . والدين الغالب في المملكة هو البوذي . وفي بلاد تيبت يعبدون شخصًا يعتقدون انهُ مسكنٌ للاله الذي يسمى عندهم بوذه ويسمونهُ العلاَّمة الكبير وكل متعلم عند التتر المنشوريين علاَّمة . واكثر طقوس عبادتهم الصلوات لاسلافهم وتقديم القرابين من اطعمةٍ او زهور او بخور على قبورهم . وكهنتهم يلبسون في احتفال عبادتهم بدلات مختلفة ومسابح واجراسًا ويوقدون الشموع ويطوفون بذلك في معابدهم . وبعضهم ينقطعون عن الزواج ويعتزلون الى صوامع كاديرة الرهبان . واما معرفتهم بالعلوم فقليلة جدًّا لكنهم لقلة مخالطتهم بقية الشعوب واطّلاعهم على ما عند غيرهم يغترُّون بانفسهم انهم احكم الناس ويظنون انهم قد بلغوا الغاية القصوى في المعرفة والهيئة الاجتماعية

اما مدن بلاد الصين فمنها باكين . وهي في ٣٩° ٥٤َ ١٣ً من العرض الشمالي و١١٦° ٢٧َ من الطول الشرقي . وهي قصبة المملكة ومحيطها نحو ٢٥ ميلاً واهلها نحو ١٦٥٠٠٠٠ نفس وقيل ٥٠٠٠٠٠ نفس لا اكثر وعليها سورٌ يبلغ ارتفاعهُ نحو ٣٠ قدمًا

وسمكهُ عند اسفلهِ ٣٥ قدماً وعند اعلاهُ ١٣ قدماً . وعليهِ ابراجٌ كثيرة وفيهِ ١٦ باباً . والمدينة تنقسم الى قسمين جنوبي وشمالي . فالاول فيهِ اكثر مساكن العامة والاخر فيهِ دار الملك وبساتينها ورياضها وهي في غاية البهجة وحسن النظام وفيها كثيرٌ من البُرَك والبحيرات المصنوعة ومن الاشجار والمنباتات والازهار ما تلتذُّ بهِ الحواس

واما مدينة نانكين فقد كانت قصبة المملكة قبل سنة ١٤٢٢ للمسيح حين انتقل التخت الى باكين فانحطّت عن عظمتها القديمة . واهلها الآن يبلغون نحو ٥٠٠٠٠٠ ومن غرائبها برجٌ مثمن الشكل مبنيٌّ من الاجرّ محيطهُ عند اسفلهِ ١٢٠ قدماً وفيهِ ٩ طبقات كل واحدةٍ منها اصغر من التي تحتها قليلاً . وفي داخلهِ دَرَجٌ على شكل لولبٍ يُصعَد فيهِ الى راس البرج . وظاهرهُ من تحت الى فوق ملبسٌ بالخزف الصيني على الوانٍ مختلفة من احمر واصفر وازرق وابيض . قيل انهُ اقتضى لبنيانهِ ١٩ سنة وكان تمامهُ سنة ١٤٣٠ للمسيح . وفي نانكين معامل لاقمشة الحرير والقطن وهذه المدينة معدودة عند اهل الصين مقرّ العلم والحكمة. والى الشمال منها مدينة سوشا وهي على بُحَيرةٍ كبيرة وهذه المدينة يخرقها كثيرٌ من التُرَع والخلجان وفيها من الناس نحو ١٥٠٠٠٠٠ وهي مشهورة عند اهل الصين للتنزه والسرور والادب . وفيها معامل للحرير والقطن والقرطاس والادوات المصنوعة من العاج

والعظم والخشب وما يشبه ذلك . وفي ٣٨° عرض شمالي و٣٧′ ١١٠° طول شرقي مدينة تايوان كانت مقام بعض ملوك الصين قديمًا وبقربها قبورهم في الجبال . وفي هذه المدينة يصنعون الجوخ والبسط . وعلى نهر فُوَنْهُو مدينة فُوَنتُسُو فيها كثيرٌ من العيون الحارة واهلها نحو ٦٣٠٠٠٠ نفس . وبقرب السور المشهور مدينة تايطون وهي حصنٌ متين وبالقرب منها معادن رخام ولازورد ويصب . ومدينة هونان واهل الصين يزعمون انها في وسط الدنيا تمامًا

اما مدينة كنتون ويسميها ابو الفداء الخنساء ايضًا فهي في عرض شمالي ٢٣°٧′١٠ وطول شرقي ١١٣°١٤′٣٠ وموقعها على نهرٍ بالقرب من مصبهِ وبينها وبين مكاو نحو ٧٠ ميلاً . واهلها نحو ١٦٠٠٠٠٠ وجانبٌ عظيمٌ منهم يعيشون في زواريق واطواف على النهر . ويحيط بالمدينة سورٌ طولهُ نحو ٦ اميال . وهي اعظم فرضةٍ في الصين ومقرُّ القناصل من الدول الغربية . وفيها كثيرٌ من الهياكل وبيوت العبادة وفي احد هياكلها قد حُفِظ ظفرٌ من اظفار بوذه

اما مدينة كاشغر فهي في عرض شمالي ٣٩°٣٥′ وطول شرقي ٧٥° وكانت سابقًا تابعة بلاد ما وراء النهر واما الان فهي تابعة الصين . واهلها نحو ٨٠٠٠٠ نفس من اجناسٍ مختلفة . وهناك مدينة خُتَن في عرض شمالي ٣٧° وطول شرقي ٨٠°٣٥′ وكانت

تابعة لما وراء النهر ايضاً . وسكانها نحو ٤٤٥٠٠ نفس وذلك القسم من الصين اي القسم الشمال الغربي منها موضوع النزاع بين الصينيين والتتر تارةً تقوى فئة ثم الاخرى

ومن مدن بلاد تيبت لاسًا . وهي في ٣٠ ٢٩ من العرض الشمالي و٤٠ ٩١ من الطول الشرقي . وبها مقام العلامة وهو الشخص الذي يظنونهُ مسكن الاله بوذه كما سبقت الاشارة اليهِ ومن عوائد تلك البلاد ان جميع اخوة بيتٍ واحدٍ يشتركون في امرأةٍ واحدةٍ وهي لهم جميعًا بالسويَّة غير ان حقَّ انتخابها اولاً لأكبرهم . ولا يسعنا هذا المختصر ان نستوفي الكلام باكثر من ذلك عن بلاد الصين

اما شبه جزيرة كوريا فقلما يُعرف عن داخليتها لقلة دخول السياح الى هناك من تلقاء عداوة الاهالي للغرباء غير انهُ منذ مدة وجيزة وقعت المعاهدة بين حكومتها وبعض الدول واخذت التجارة بينهم مجاريها الطبيعية واكثر مداخلتهم مع اهل ياپان لسبب مجاورة جزائر ياپان لهم . كانت تابعة او خاضعة للصين الى سنة ١٨٧٦ ثم استقلت وفُتحت مرافيها لسكن قناصل الدول الاجنبيَّة وقصبة البلاد مدينة سُوُول سكانها نحو ٣٠٠٠٠ نفس وقيل ٢٥٠٠٠٠ وحُسِب سكان المملكة كلها نحو ٧٣٩٤٠٠٠ نفس واكثرهم على المذهب البوذي وقد حسب بعضهم كل اهل كوريا ١٦٠٠٠٠٠٠ ونيف

الفصل الحادي عشر

في مملكة يابان وجزائر اسيا

ان جزائر اسيا اكبر جزائر الدنيا واكثرها عددًا حتى لا يمكننا ان نذكرها فردًا فردًا لكننا نتكلم عن عظائمها بالتفصيل ونذكر الصغار بالاجمال فنقول

ان اعظم جزائر اسيا جزائر يابان وهي مجموع جزائر الى شرقي الصين في الاوقيانوس المحيط واقعة بين ٣٠ ٢٦ ٣٥° و٤٩° من العرض الشمالي وكلها تحت حكمٍ واحد واولها من الجنوب جزيرة كزيو وحولها عدة جزائر صغيرة. ومساحتهنّ جميعًا ٢٨٥٥٣ ميلًا مربعًا. وجزيرة سيكوكو مع عدة جزائر اخر صغيرة ومساحتهنّ جميعًا ١٧٢٧٣ ميلًا مربعًا. وجزيرة نيغون مع عدة جزائر اخر. ومساحتهنّ ١٠٧٦٨ ١ ميلًا مربعًا. وجزيرة جسو مع جزائر اخر. ومساحتهنّ ٦٣٤٤٦ ميلًا مربعًا. وجزيرة سغاليان مساحتها ٤٨٣٤٦ ميلًا مربعًا. ومجموع جزائر يقال لها جزائر بونين. مساحتها جميعًا نحو ١٨٢٧ ميلًا مربعًا. ومساحة جملة ما ذكرناهُ من الجزائر ٢١١ ٦٧٠ ميلًا مربعًا. ويفصل بين هذه الجزائر وبين الصين

بوغاز كوريا وبحر يابان وبوغاز سغاليان . وعدد سكانها نحو ٤٠٠٠٠٠٠ نفس.وهم في الغالب يشبهون اهل الصين في الهيئة والعوائد . والكل تحت حكمٍ مطلق التصرف كرسيهُ في مدينة جدو على جزيرة نيغون

اما اراضي هذه الجزائر فهي كثيرة الجبال والاودية . واعلى رؤُوسها على جنوبي جزيرة نيغون لا يخلو من الثلج ابدًا . وبعضها براكية وبسببها تكثر الزلازل هناك.وانهارها كثيرة لكنها ليست طويلة . وهوآؤُها مختلفٌ والبرد يشتدُّ فيها شتاء والحرُّ صيفًا . وتربتها غير مخصبة من ذاتها ولكن الاهالي يكثرون العناية بها في الحراثة والتدميل والتسميد فتجود وتخصب . وحواصلها كحواصل الصين . وفيها معادن ذهبٍ وفضةٍ ولكن لا يؤْذن ان يُستخرَج منها الاَّ مقدار معلوم كل سنةٍ وفيها ايضًا معادن من النحاس الاحمر الجيد

لم يكن لاهل هذه الجزائر حظٌ في العلوم لكن عندهم قصصٌ واشعار وتواريخ . وهم ينقسمون من حيث الديانة الى قسمين احدهما بوذية والثاني يقال لهُ طائفة سينتو واصحاب هذهِ الشيعة يعتقدون بوجود الهٍ واحد خالق كل شيءٍ وينسبون اليهِ جميع الصفات الكاملة ويزعمون انهُ متنزهٌ عن الامور الدنيوية وقد سلمها لآلهةٍ اخرى كثيرة العدد . ويعتقدون بخلود النفس وينكرون التناسخ

اما من حيث التجارة فالى عهدٍ قريب كانوا لا يسمحون للسفن الغربية ان تدخل موانيهم الا من الصين او من هولاندا . ولذالك قلّت تجارتهم مع الطوائف الاجنبية والآن فتحت مرافيهم لسائر الدول وصارت محطًّا لسفن اميركا البخارية الجارية بين كاليفورنيا والصين ولهم تجارةٌ واسعة بين اقسام مملكتهم المختلفة . وكانت من عادتهم ان الذي يخرج منهم من بلادهِ ولو مدةً يسيرة اذا عاد اليها لا يقبلونهُ اصلاً وكل تلك العوائد بطلت واخذت المملكة في جميع اقسامها بالتقدم في التمدن والمعارف حتى صارت تعدّ من الممالك المتمدنة وعندهم مدارس من كل نوع وسكك حديدية وتلكرافات وكل وسائط الشعوب المتمدنة وفي جزيرة يسّو بواقي من الاهالي الاصليين يسمون الاينوس عددهم نحو ١٧٠٠٠ نفس ومن امهات مدن يابان مدينة يوكوبهاما سكانها نحو ٦٢٠٠٠ نفس وهي فرضة للسفن الجارية بين كاليفورنيا والصين ومدينة يدّو وناكساكي وغيرها

وبين جزيرة كزيو وجزيرة فرموسا سلسلة جزائر يبلغ عددها ٣٦ جزيرة وهذه السلسلة يقال لها لوشو واعظمها في عرض شمالي ١٤ ٢٦° وطول شرقي ٢١ ١٢٧° وهي جيدة الهواء كثيرة الحواصل والمواشي . واهلها يشبهون اهل يابان في البعض من امورهم واهل كوريا في البعض الآخر

اما الجزائر الفيلبيّة فهي نحو ١٢٠٠ جزيرة الى شرقي خليج

تونكين . وهي كثيرة الجبال والبراكين وتكثر فيها الزلازل والرياح العاصفة. وهواؤها رطبٌ ولذلك مع وقوعها في المنطقة الحارة يكون فصل الربيع فيها دائمًا فلا تنقطع الاثمار عن الاشجار ولا الغلات من الحقول . وينبت هناك البرتوكال والموز بدون اعتناء الناس بها . واهل هذه الجزيرة يبلغون ٢٥٠٠٠٠٠ واعظمها جزيرة مَنِلاَ ويقال لها لوزون ايضًا . وهي في طول شرقي ٥٠َ ١٢٠ْ وعرض شمالي ٢٨َ ١٤ْ وفيها من جميع حواصل الاقاليم الاستوائية . وكذلك يقال في مَنْدَنَاو وبقية هذه الجزائر . وهي تابعة لمملكة اسبانيا

اما جزيرة بورنيو ويقال لها جزيرة المهراج وجزيرة السريرة فهي بين ٦ْ عرض شمالي و٣٠َ ٤ْ عرض جنوبي وبين ٥َ ١٠٩ْ و٣٠َ ١١٩ْ من الطول الشرقي . ومساحتها نحو ٢١٢٧٠٠ ميل مربَّع واهلها نحو ٣٥٠٠٠٠٠ نفس . وفيها جبالٌ شامخة في جهاتها المتوسطة ينحدر منها عدة انهار تصلح لركوب الزواريق . وينبت فيها الرز والفلفل والقطن والقرنفل والصندل والابنوس وانواع الاخشاب الصباغية وهناك الكافور والعسل والذهب والحديد والقصدير والنحاس والانتيمون والماس . وعند بعض اكابرهم حجر الماس على هيئة بيضةٍ حُسِبت قيمتهُ ١٣٤٦٨٩٠ من الريالات المفروض لكل واحدٍ منها ٣٢ غرشًا . وفي بعض الاحيان اراد ملك هولاندا ان يشتري هذه الجوهرة فدفع لصاحبها ١٥٠٠٠٠

ريال فلم يرضَ . فزاد على ذلك وسق سفينتين كبيرتين من الرزّ فلم يرضَ . فزاد على ذلك ٥٠ مدفعًا فلم يرضَ . فزاد ١٠٠ بارودة فلم يرضَ ايضًا . ولهذا المالك بعض الاملاك في الجهة الغربية من هذه الجزيرة

اما حيواناتها فهي مثل حيوانات هندستان وبورما . وهناك ايضًا نوعٌ من القرود شخصهُ كشخص الانسان غير ان بشرتهُ مكتسية بالشعر وهو يأوي الى الاجام والغياض ويقال لهُ أُوران أُوتان . وبين بورنيو وكينيا الجديدة جزائر ملُكّاس واعظمها جزيرة جيلبس ويقال لها ايضًا جزائر الطيوب . وهناك كثيرٌ من الاخشاب العطرية واكثر اثمار الاقاليم الاستوائية . وهناك ايضًا شجر الخبز الذي ثمرهُ يشبه الخبز في طعمهِ . ويوخذ من ابحارها كثيرٌ من السلاحف التي يصنع من اصدافها آلاتٌ مختلفة. واهلها اشدَّاء متوحشون كانوا يعبدون الاجرام السموية ثم دخل اليها بعض المذاهب الهندية . ومنذ مئتي سنة تبع بعضهم مذهب الاسلام

واما جزيرة جاوه ويقال لها يافه فهي احدى جزائر صوندا. وموقعها الى الجنوب من بورنيو وطولها نحو ٦٦٦ ميلاً وعرضها ما بين ٥٠ و١٣٥ ميلاً . ومساحتها ٥٢٢٣٥ ميلاً مربعًا . وهي تابعة لمملكة هولاندا . وفيها جبالٌ ارتفاع بعضها نحو ١٢٠٠٠ قدم. وينحدر منها نهيراتٌ كثيرة . ويقال في حواصلها وحيواناتها

ما قيل في جزيرة بورنيو . وقصبتها مدينة بتاويه سكانها نحو ٩٣٤٠٠ نفس . واما جزيرة تيمور فهي الشرقية من جزائر صوندا. وبعضها تابعٌ لمملكة برتوكال وبعضها لهولاندا . واهاليها متوحشون يعبدون الاصنام . وتلك الجزائر معروفة عند العرب بجزائر واق الواق

واما جزيرة سومطرة وتسمى ايضًا الرامني فهي بين ٣٢ ٥ من العرض الجنوبي و٤٠ ٥ من العرض الشمالي فيقسمها خط الاستواء الى قسمين . وطولها نحو ١٠٥٠ ميلاً وعرضها ما بين ١٥٠ و٣٠٠ ميل . وتخرق وسطها سلسلة جبال يبلغ ارتفاع بعضها نحو ١٣٤٢٤ قدمًا . ويقال في حواصلها وحيواناتها ما قيل في بقية الاقاليم الاستوائيَّة . اما الاهالي فقصار القامة صفر الالوان . وفي الجهات المتوسطة قومٌ ياكلون لحوم البشر وديانتهم اصنامية ومنها جانبٌ يتبع مملكة هولاندا . وقصبة تلك البلاد مدينة بنكولَن في عرض جنوبي ٤٩ ٣ وطول شرقي ١٧ ١٠٢ وهواؤها رديء جدًا . اما هواء الجزيرة على الاطلاق فجيدٌ في الجبال رديٌّ في السواحل البحرية . ولها تجارةٌ واسعة في حواصلها الخصوصية مع الهند وسائر الجزائر في تلك الاقطار

وفي بحر بنكالا الى شمالي سومطرة جزائر نيكوبار . والى الشمال منها جزائر اندامان . وكلها جيدة التربة كثيرة الحواصل من كل ما يوجد في الاقاليم الاستوائية من النبات والحيوان .

وهي ردية الهواء . وعلى الشمال من جزائر اندامان بركان ارتفاعهُ نحو ١٨٠٠ قدم واكثر السفن الجارية في تلك البحار تعرّج الى هذه الجزائر لاخذ النارجيل ولحم الخنازير فيدفعون ورقة واحدة من التبغ ثمن اربع نارجيلات وذراعًا ونصفًا من الجوخ الازرق ثمن مئة نارجيلة . وهم يطعمون الخنازير من النارجيل فيجود لحمها الى الغاية . واكثر مطلوبهم التبغ وبهِ يتاجرون معهم عوضًا عن الذهب والفضة

واما جزيرة سيلان ويقال لها سرنديب ايضًا فهي بين ٥′ ٦° و٥٠′ ٩° من العرض الشمالي وبين ٥٠′ ٧٩° و٥′ ٨٥° من الطول الشرقي . ومعظم طولها نحو ٢٧٠ ميلاً . وعرضها ما بين ٤٠ و١٤٠ ميلاً . ومساحتها نحو ٢٧٠٠٠ ميل مربَّع . وفي اواسطها جبال عالية منها جبلٌ يقال لهُ الرهون . وارتفاع اعلى جبال سيلان يبلغ نحو ٧٠٠٠ قدم . وينحدر من تلك الجبال نهيرات كثيرة ونهران كبيران طول احدهما نحو ١٤٠ ميلاً . والاخر تصعد فيهِ الزواريق نحو ٥٠ ميلاً . وفيها جميع حواصل الاقاليم الاستوائية وحيواناتها كحيوانات هندستان وبورما وفيها معادن حديد وبعض الجواهر وعلى شطوطها مغاوص لؤلؤ واهلها نحو ١٠٠٠٠٠٠ نفس . منهم براهمة ومنهم بوذية . ومن مدنها جفنا باتام . وهي في ٣٦′ ٩° من العرض الشمالي و٥٠′ ٧٩° من الطول الشرقيّ . ومدينة كُلُومْبُو في جهة الجنوب الغربي . وفيها

من الاهالي نحو ٥٠٠٠٠ نفس . والى الشمال منها قليلاً جزيرة صغيرة محيطها نحو ٣٠ ميلاً يقال لها جزيرة رام على اسم الهٍ من الهتهم وهي مختصة بعبادة هذا الاله . وكل ذلك تابع الاملاك الانكليزية

والى الغرب من جنوبي هندستان في نحو ١١° من العرض الشمالي مجموع جزائر يُعرَف بجزائر لكاديف منها مسكونة ومنها لا تُسكَن . والسكّان هناك فقراء يعتمدون على السمك ولبن النارجيل . وهم متفرقون في ١٩ جزيرة وعددهم نحو ١٠٠٠٠ نفس . والظاهر انهم من اصل عربي ودينهم الاسلام . وهذه الجزائر تحت الحكم الانكليزي ايضاً

اما جزائر ملديف فهي الى الجنوب من جزائر المذكورة هي بين خط الاستواء و٨° من العرض الشمالي. واهاليها من اصول مختلفة بين هندي وعربي وملَقيّ ودينهم الاسلام . ويقال فيهم كما قيل في اهل جزائر لكاديف . وفي خليج فارس عدة جزائر قد ذُكِر بعضها في الكلام على بلاد العرب وبلاد فارس والبقية لا تستحق الذكر فاعرضنا عنها

الفصل الثاني عشر

في قارَّة اوروبا

هذه القارة يحدها شمالاً بحر الثلج الشمالي . وشرقًا جبال اورال ونهر ولكا ونهر دون والبحر الاسود وبوغاز القسطنطينية وبحر مرمرا وبحر جزائر الروم . وجنوبًا بحر الروم وهو الذي يقال لهُ المتوسط لتوسطهِ بين اوربا وافريقية وبوغاز جبل طارق . وغربًا الاوقيانوس الاتلانتيكي . ومعظم طولها من مصبّ نهر كارا الى راس فنسنت يبلغ نحو ٣٤٩٠ ميلاً . ومعظم عرضها من الراس الشمالي الى راس متَّسان يبلغ ٢٤٢٠ ميلاً ومساحة سطحها نحو ٣٤٥٠٠٠٠ ميل مربع . وسكانها نحو ٢٤٠٠٠٠٠٠٠ نفس . فهي اصغر القارات باعتبار المساحة لكنها اعظمها باعتبار الغنى والهيئة الاجتماعية وعدد السكان بالنسبة الى مساحة الارض التي يسكنونها . وإن كان لها الرتبة الاولى بين القارات في سعة الحال فذلك من جرَى اجتهاد اهلها لا لكثرة حواصلها الذاتية لان اكثر حواصلها المعتبرة قد جُلِبت اولاً من قاراتٍ اخرى

ثم ان لهذه القارة ابحرًا وخلجانًا وبحيرات كثيرة في كل الجهات . منها البحر الابيض وهو الداخل الى بلاد روسيا من بحر الثلج الشمالي . ويصبُّ فيهِ ثلاثة عشر نهرًا كبيرًا وهو يتجلَّد كل سنةٍ من شدة البرد . والبحر الشمالي ويقال لهُ البحر الجرماني وهو بين نروج ودنيمارك شرقًا والجزائر البريطانيَّة غربًا وهذا البحر معظم عمقهِ على سواحل نروج نحو ١٩٠ باعًا . ومعدل عمقهِ نحو ٣١ باعًا . ومساحتهُ نحو ١٥٢٧٠٩ من الاميال المربعة . وبحر بلتيك بين اسوج وروسيا . مساحتهُ نحو ١٥١٩٠٠ ميل مربَّع . ومعدل عمقهِ نحو ٦٠ باعًا ولهُ خليجان خليج بوثنيا وهو الفاصل بين روسيا واسوج وخليج فِينلاند وهو الداخل في بلاد روسيا . وفي هذا البحر عدة جزائر سياتي ذكرها في محلهِ . ويوصل بينهُ وبين البحر الجرماني بوغاز التشليف ويقال لهُ ايضًا سكاجراك . وفي الصيف تجري المياه منهُ الى البحر الجرماني ولا يُعرَف فيهِ المد والجزر الاَّ قليلاً ومياههُ اقلُّ ملوحةً من مياه الاوقيانوس لكثرة المياه العذبة التي تاتيهِ من الانهر

اما البحر المتوسط فيوصل بينهُ وبين الاوقيانوس بوغاز جبل طارق طولهُ نحو ٢٨ ميلاً واقل عرضهِ نحو ٨ اميال . وفي وسط هذا البوغاز يجري الماء من الاوقيانوس الى البحر المتوسط وبالعكس عن جانبيهِ . ومساحة هذا البحر بدون بحر ادريا وبحر جزائر الروم تبلغ نحو ٨٦٠٠٠٠ ميل مربع . وعرضهُ بين

الاندلس وافريقية نحو ١٥٠ ميلاً وبين خليج سدرة ومدخل بحر ادريا وهو جون البنادقة مسافة نحو ٧٠٠ ميل وفيهِ كثيرٌ من الجزائر الحسنة وسياتي ذكرها

اما البحر الاسود ويقال لهُ بحر نيطش فهو متصل بالبحر المتوسط بواسطة بوغاز القسطنطينية وبحر مرمرا . ومساحتهُ مع بحر ازوف تبلغ نحو ٢٣٢٠٠٠ ميل مربع . وماءُ هذا البحر اقل ملوحةً من ماء البحر المتوسط لكثرة ما ينصب اليهِ من المياه العذبة

وفي اوربا بحيرات كثيرة واكثرها في بلاد السويس وايطاليا والمانيا وروسيا واسوج . واعظمها بحيرة لادوكا في روسيا مساحتها نحو ٦٣٤٠ من الاميال المربعة

اما انهر اوروبا فهي كثيرة العدد وهي تسقي اكثر اراضيها ولكنها ليست كبيرة كانهر بقيَّة القارات . واعظمها في الجهات الشرقية حيث تتصل اوربا بقارة اسيا . وذلك لان السهول هناك اوسع مما هي في الاقسام المتوسطة والغربية فتجري الانهار مسافةً بعيدة قبل دخولها الى البحر وينضمُّ اليها نُهَيراتٌ كثيرة. والجهات الجنوبية مرتفعة فوق سطح البحر اكثر من الجهات الشمالية

واما الجبال فمنها جبال أَلبَه في بلاد السويس وشمالي ايطاليا واعلاها جبل بلانك في بلاد السويس فان ارتفاعهُ نحو

١٥٧٠٠ قدم ومن هناك تمتدُّ سلاسل كثيرة الى كل الجهات على مساحة ١٢٠٠٠ ميل مربع . والثلج يدوم فيها حيث الارتفاع ٧٠٠٠ او ٨٠٠٠ قدم ومنها جبال ابنين وهي المارَّة في بلاد ايطاليا ممتدة من جبال ألبه جنوبًا . وتُعدُّ جبال جزيرة سيسيليا جزءًا منها . وجبال البرت او البرنس وهي الفاصلة بين فرانسا واسبانيا . وجبال كربات وهي التي تخرق بلاد اوستريا الى شمالي نهر دونو . وجبال بلكان في البلاد العثمانية . وجبال اورال الفاصلة بين اوربا واسيا وجبال اسكندناوية الفاصلة بين اسوج ونروج وبراكينها ثلاثة وهي جبل اتنا في سيسيليا وجبل بزوف بقرب مدينة نابولي وجبل هكله في جزيرة ايسلاندا

اما هواء هذه القارة فهو باردٌ جدًّا في الجهات الشمالية لكونها واقعة في المنطقة الباردة . واما في الجهات المتوسطة والجنوبية فهو معتدلٌ غير ان الحرَّ يشتدُّ في جنوبي اسبانيا وايطاليا لهبوب الرياح الحارة عليها من جهة افريقية اما الحيوانات والمعادن والحواصل فسنذكرها عند الكلام على الولايات المفردة

واما سكان هذه القارة فهم نحو ٢٤٠٠٠٠٠٠٠ نفس . وهم ينقسمون الى اربعة اقسام باعتبار الاصل . الاول الشعوب الجرمانية وهم سكان بروسيا وجرمانيا وهولاندا وبلجيوم ودنيمارك واسوج ونروج والجزائر البريطانية . ولغاتهم فروعٌ من اللغة الجرمانية. الثاني الشعوب الرومانية وهم ذرية الرومانيين القدماء

مختلطة بقبائل شمالية هاجت على المملكة الرومانية قديمًا وهم اهل فرانسا واسبانيا وبرتوكال وايطاليا . ولغاتهم فروعٌ من اللاتينية. الثالث الشعوب السقلبية او السكيثية وهم اكثر سكان روسيا وبعض سكان اوستريا . الرابع الشعوب التترية وهم الاتراك واهل شمالي روسيا . وفي اوروبا ايضًا اجناسٌ أُخر كالاروام والارناوط والارمن واليهود والمالطيين والنَوَر . والدين الغالب في هذه القارة هو النصرانية على المذهب الانجيلي المعروف بالبروتستانت واللاتيني والرومي وفي بلاد الاتراك الاسلام . واما اليهود فمتفرقون في اكثر ممالك هذه القارة ولم يزل بعض القبائل الشمالية على عبادة الاصنام . واعلم ان هذه القارة تنقسم الى ثماني عشرة مملكةٍ . الاولى روسيا وهي بلاد المسكوب . الثانية اسوج ونروج . الثالثة دنيمارك . الرابعة الجزائر البريطانية . الخامسة فرانسا . السادسة هولاندا . السابعة بلجيوم . الثامنة جرمانيا . التاسعة بروسيا . العاشرة بلاد السويس . الحادية عشرة اوستريا . الثانية عشرة برتوكال . الثالثة عشرة اسبانيا . الرابعة عشرة ايطاليا . الخامسة عشرة مملكة روماتيا . السادسة عشرة البلاد العثمانية . السابعة عشرة بلاد الروم . الثامنة عشرة الجزائر وسياتي الكلام عليها مفصلاً

الفصل الثالث عشر

في الولاية البريطانية اي الانكليزية

ان هذه الولاية مشتملة على جزيرتين كبيرتين واقعة في جهة الشمال الغربي من قارة اوروبا احداها تدعى بريطانية الكبيرة والاخرى ايرلاندا . والاولى تنقسم الى قسمين وهما انكلترا واسكوتسيا . وتتبعها عدة جزائر مجاورة لها مثل جزائر شتلاند وجزائر هبريدن وجزيرة مان وجزيرة وايت . وهذه الولاية هي السابعة من ولايات اوروبا في اتساع البقعة . والرابعة في مقدار الاهل . والاولى في الهيئة الاجتماعية والتجارة والمعامل والصنائع والقوة البحرية وامتداد الاملاك الخارجية فاذا عدّ اهل الجزيرتين الاصليتين واهل الاملاك الخارجية يبلغ عدد الرعية الخاضعة لحكمها ٣٥٢٠٠٠٠٠٠ نفس . ولها حصن جبل طارق وجزيرة مالطة والجزائر السبع في البحر المتوسط المعروفة بالبندقية وقد تركت هذه الجزائر للحكم اليوناني واملاك اخرى واسعة في الهند الشرقية وفي افريقية واميركا وعدة جزائر في الاوقيانوس الاتلانتيك وفي الاوقيانوس المحيط . ولها ايضًا قارة هولاندا الجديدة وقسم

من كينيا الجديدة . وحكمها من نوع الملكيّ المقيّد وفيها من الحرّية والانصاف ما لا يوجد في غيرها من ممالك اوروبا . ولها مخالطة مع جميع شعوب الارض في المتاجرة وحُسِب مبلغ تجارتها الداخلية والخارجية في سنة ١٨٨٣ فكان ٧٣٢٣٩٠٠٠٠٠٠ من الليرات الاسترلينية . وفي الجزيرتين الاصليتين مساحة ١٢٠٠٠٠ ميل مربع واهلها نحو ٣٧٠٠٠٠٠٠ واكثرهم من طائفة البروتستانت والحرية مطلقة لكل المذاهب

اما مداخيل هذه الولايات فهي باهظة جدًّا بلغت في سنة ١٨٨٣ ٨٩٠٠٠٠٠٠ من الليرات الانكليزية ثلثها من الكمارك والباقي من الجزية والبوسطة . ولكنها مديونة الى اهلها دينًا عظيمًا بلغ سنة ١٨٨٤ ٧٤٦٤٢٣٩٦٤ من الليرات الانكليزية وذلك لكثرة الحروب التي وقعت بينها وبين بعض الدول الاخرى ولا سيما ولاية فرانسا . والناس يتقيدون بخدمتها برًّا وبحرًا عن رضًى وطواعية الاَّ في وقت الضرورة فيلتزم كل رجل صحيح الجسم من سن الثمان عشرة الى الخمس والاربعين ان يدخل الى خدمتها طوعًا او كرهًا اذا وقعت عليهِ القرعة ولم يستطع ان يقدم عوضًا ما خلا الوحيد والملتزم بمعاش عائلةٍ . وعدد عساكر هذه الولاية يبلغ نحو ٣٠٠٠٠٠ توجد غالبًا اما في ايرلاندا واما في املاكها الخارجية . ولها جيوش اخر عديدة في الهند وغيرها . وسفنها الحربية نحو ٤٥٠ سفينة وفيها من النوتية ٦٠٠٠٠ واكثر قوتها في

المراكب التجارية المدرّعة

ولما كان حكم هذه الولاية من نوع الملكي المقيد اقتضى ان يكون لهُ مجلسان احدها للاشراف ويُدعَى مجلس السادة واعضاؤهُ نحو ٥٠٠ نفر . والآخر لعامة الناس ويُدعَى مجلس العوام واعضاؤهُ نحو ٧٠٠ نفر . وهما ينعقدان في مدينة لندن ويرتبان كل الشرائع باتفاق الملك . ولاجراء هذه الشرائع قد اقيم محاكم ومجالس في كل بلدةٍ ومقاطعةٍ في الولاية باسرها

اما انكلترا فهي اكبر اقسام هذه الولاية البريطانية واخصبها تربةً واكثرها اهلاً . وسطحها مخترقٌ بجبال منخفضة وتلال واودية تتخللها سهولٌ كثيرة . ولكثرة الاعتناء بامور الزراعة قد بلغ اهلها الى الدرجة القصوى في كل ما ينبغي لها فصار اكثر اراضيها في غاية الخصب وهي تُسقَى بالامطار صيفاً وشتاء

واما انهرها فمنها نهر ساوَرْن الذي يصبُّ في خليجٍ ممتد من الاوقيانوس الاتلانتيك عند مدينة بريستل . ونهر مرسى الذي يصبُّ في بحر ابرلاندا عند مدينة ليفربول . ونهر تيمس الذي تصعد فيهِ المراكب الكبار الى مدينة لندن . وبين هذه الانهر تُرَعٌ كثيرة تصل احدها بالآخر فيسهل السفر من مكان الى آخر بذلك وبواسطة حسن تمهيد الطرق ايضاً وكثرة طرق الحديد التي تسافر عليها العربات فتقطع كل ساعةٍ اربعين ميلاً بغاية السهولة

وبما ان هذه الجزيرة مُكتَنَفَة بالبحر كان هواؤُها معتدلاً رطبًا. ولذلك لا ينبت فيها من النبات ما يحتاج الى حرارة شديدة ولكن تكثر فيها الحبوب . وخيلها محمودة لحسن منظرها ونشاطها وسرعتها وكذلك غنمها لدقة صوفها . وجميع مواشيها الاخرى جيدة ممدوحة . ويوجد فيها كثيرٌ من معادن الفحم الحجري الذي اكثر وقود اهلها منهُ وعدة من معادن الحديد والنحاس والرصاص والقصدير . وقد بلغ اهلها الى اعلى طبقةٍ في جميع انواع الصنائع والمعامل وهي اشهر معامل الدنيا . وذلك لشدة اعتنائهم في العلوم والفنون التي تجلو الاذهان وتعطيها قدرةً على حسن التصرف في الاعمال . وفيها اربع مدارس جامعة وهي مدرسة اكسفرد وكامبريدج ولندن ومنشستر وعدة مدارس اخرى متوسطة وعامة في اماكن عديدة والكتب هناك كثيرة العدد ورخيصة الثمن فيسهل على كل واحدٍ من اهلها تحصيل شيء من المعارف العلمية

وقصبة هذه الولاية مدينة لندن وهي اعظم مدن العالم في كثرة الاهل والتجارة والغنى . وطول هذه المدينة سبعة اميال وعرضها خمسة واهلها نحو ٣٨٩٣٢٧٢ نفس سنة ١٨٨٣ واسواقها ١٠٠٠٠ سوق . وهي مبنية على جانبي نهر تيمس على مسافة ثلاثين ميلاً من مصبهِ . والناس يعبرون من احد جانبيها الى الآخر على خمسة جسور ثلاثة من حجر واثنين من حديد . وتحت

ارض النهر دهليزٌ معقودٌ بالحجارة واسعٌ بحيث يمرُّ فيهِ اكابر العربات وهو طريق لهم تحت الماء . وفي هذه المدينة كثيرٌ من الابنية العظيمة ومن اشهرها كنيسة مار بولس وكنيسة وستمينستر . واما مدينة ليفربول فهي الثانية من مدن انكليترَّا في التجارة . وهي مبنيةٌ على جانب نهر مرسى عند مصبهِ في بحر ايرلاندا . ويُرَى في موانيها سفنٌ من جميع اقطار العالم . واهلها يبلغون نحو ٥٦٠٣٧٧ نفس سنة ١٨٨٣ . وعلى مسافة ٣٢ ميلاً منها الى الشرق مدينة مانشيستر سكانها نحو ٣٤١٥٠٠ نفس . وهي مدينةٌ عظيمة مشهورة بعمل جميع انواع الاقمشة القطنية . ومن مدنها ايضًا برمينهام اهلها ٤٠٠٨٠٠ نفس وشفيلد اهلها ٢٨٤٠٠٠ نفس . وفيها تُعمَل انواع الآلات الحديدية . وليدس واكسيتر . وتعمل فيها الاقمشة الصوفية . وكدرمنستر . وتعمل فيها البسط . وفي انكليترّا عدة بحيرات صغار في جهة الشمال تقصدها الاهالي من اكثر الجهات في ايام الصيف للتنزُّه

اما الجهات الغربية من انكليترّا فكانت قديمًا مملكة مستقلّة تسمى مملكة ويلس وكانت اهاليها في غاية التوحش عند ما استفتحها الرومانيون في عصر يوليوس قيصر قبل المسيح بخمس وخمسين سنة وكانوا يعيشون من البان المواشي ولحومها . وكانت ولاية الرومانيين عليها مدة ٤٧٥ سنة . ثم تركوها . واتى الى انكليترّا قومٌ سكسونية وتغلبوا على الاهالي الاصليين ثم اختلطوا بهم وانقسمت

البلاد الى سبع ممالك وما زالت حتى ضمّها الملك اغبرت الى مملكةٍ واحدة سنة ٨٣٨ للمسيح

واما اسكوتسيا ويقال لها اسكوتلاندا فهي الى جهة الشمال من انكليترّا . وهي اقلُّ منها خصبًا واهلاً واشدُّ بردًا واكثر جبالاً . وقد انقسمت بجبال اغرمبيان الى قسمين اعلى واسفل . اما القسم الاعلى فهو في جهة الشمال الغربي وهو جبال رفيعة باردة لا تصلح الاَّ لتربية بعض المواشي . وفيها بحيرات شتى كبحيرة نس وبحيرة لومند التي طولها ٣٠ ميلاً وغيرها . ولهذه البحيرات مع ما حولها من الجبال والاودية منظرٌ حسنٌ ولذلك يقصدها اهل السياحة من جميع الولاية للتنزه في ايام الصيف . واما القسم الاسفل فهو في جهة الجنوب وهو يعادل انكليترا في الجودة والخصب وارضهُ تصلح للزراعة والمرعى . واهل اسكوتسيا يرغبون كثيرًا في بلادهم ويفضّلونها على سائر المسكونة . وهم يعتنون جدًّا بالعلوم واشاعة المعرفة في بلادهم . واما اهل الجبال منهم فهم غالبًا فقراء وكذلك سكان جزائر اركاده وهبريدون وشتلاند

ويكثر في اسكوتسيا معدن الفحم الحجري والرصاص . ولها معامل عظيمة في الاقمشة من القطن والصوف والكتان وفي الآلات الحديدية . وفيها ثلاث مدارس جامعة قد اقيمت في ايدنبرج وابردين وكلاسكو . ومدارس عامة في كل بلدة . ومدرسة ايدنبرج اشهر مدارس بريطانية في علم الطب

واما انهر اسكوتسيا فمنها نهر فورث الذي يصبُّ في خليج ممتدّ من البحر بقرب مدينة ايدنبرج . ونهر كلايد الذي بُنِيت عليهِ مدينة كلاسكو . ونهر تويد الفاصل بينها وبين انكليترا . ومن تُرَعها ترعة كلاسكو الجامعة بين نهر كلايد ونهر فورث . وترعة كاليدونيا الجامعة بين خليج موراي والاوقيانوس الاتلانتيك

ومن أُمهات مدن اسكوتسيا ايدنبرج اهلها ٣٣٢٤٠٠ وابردين واهلها ١٠٥٠٠٠ ودندي واهلها ١٤٣٠٠٠ وكلاسكو وهي اعظمها تجارةً وأكثرها اهلاً عددهم نحو ٤١٤٠٠٠ نفس وموقعها على جانبي نهر كلايد وفيها مدرسة جامعة مشهورة . وكانت اسكوتسيا مملكة قائمة بذاتها منذ قديم الزمان الى ان ماتت اليصابات ملكة انكليترا سنة ١٦٠٣ للمسيح . واذ لم تترك نسلاً صار الملك ليعقوب ملك اسكوتسيا لانهُ من انسائها فانتقل من ايدنبرج الى لندن ومن ثمَّ صارت المملكتان مملكة واحدة وفي اسكوتسيا من الناس نحو ٤٠٠٠٠٠٠ نفس وهم من طائفة البروتستانت

واما ارلاندا فهي جزيرةٌ سهلة مخصبة مساحتها ٣٠٤٠٠ ميل مربع وسكانها نحو ٥٣٠٠٠٠٠ نفس وهي منفصلة عن انكليترا واسكوتسيا بخليج مار جرجس وبحر ارلاندا . وقد انقسمت الى اربع مقاطعات كبرى . الاولى اولستر في جهة الشمال واعظم

مدنها بلفاست اهلها نحو ٢٠٨٠٠٠ نفس الثانية لينستر في جهة الشرق واعظم مدنها دوبلين سكانها نحو ٢٥٠٠٠٠ . الثالثة مونستر في جهة الجنوب واعظم مدنها كورك اهلها نحو ٨٠٠٠٠ نفس . الرابعة كنوغت في جهة الغرب واعظم مدنها غلوه

وتربة هذه الجزيرة مخصبة تصلح للمزارع والمراعي وهواؤُها معتدل رطب . وتكثر فيها الحبوب والقلقاس الافرنجي الذي يسمونهُ البطاطا والكتان الذي يصنع منهُ اهلها انواعًا عديدة من الاقمشة . ويوجد فيها اماكن كثيرة بالوعية تقطع منها جذور النباتات المطمورة هناك من قديم الدهر وبعد ان تيبس في الشمس يستعملونها للوقود عوض الفحم والحطب

ومن اعظم انهر ارلاندا نهر شانون طولهُ ١٧٠ ميلاً . وبعد مروره بعدَّة بحيرات يصبُّ في الاوقيانوس الاتلانتيك . ومن اعظم بحيراتها بحيرة نياغ في جهة الشمال الشرقي طولها ١٥ ميلاً وعرضها ٧ اميال وبحيرة ارن وهي بحيرتان موصولتان بترعةٍ . ومن ترعها الترعة الملكية من دوبلين الى نهر شانون وهي توصل بحر ارلاندا بالاوقيانوس الاتلانتيك وقد اشتهرت هذه البحيرات بصفو مائها وحسن منظرها ولهجت بها الشعراء كثيرًا ولذلك يقصدها اهل السياحة في ايام الصيف لاجل التنزه . ويوجد على شاطئ البحر في الجهة الشمالية موضعٌ غريبٌ يسمى ممشى الجبابرة وهو ربواتٌ من اعمدة طبيعية مركبة بعضها على بعضٍ الى علو

٤٠٠ قدم في بعض الاماكن وركوبها محكم حتى لايكاد يدخل حرف سكين بين مفاصلها

وفي ارلاندا مدرسة واحدة جامعة وهي مدرسة دوبلين وقد اشتهرت كثيرًا في علم الطب . ومدرسة اخرى في مينوث للكاثوليكيين الرومانيين لاجل تعليم رهبانهم علم اللاهوت. وثلاث مدارس عمومية أُخر احداها في بلفاست والثانية في غلوه والثالثة في كورك .وبما ان الجانب الاكبر من اراضيها ملك اكابر البلاد وأكثر الاهالي شركاؤهم ترى الاكثرين فقراء غير مستنيرين بالعلوم مثل بقية اهالي المملكة البريطانية ولاسيما الذين منهم في الجهة الجنوبية. وأكثر اهل ارلاندا من الكاثوليكيين الرومانيين ومقدار الثلث منهم بروتستانت وهم غالبًا يسكنون الجهة الشمالية

اما مدينة دوبلين فهي كرسي الحكم . واما مدينة كورك وبلفاست فهما اعظم تلك المدن في التجارة . وكانت ارلاندا مستقلة قديمًا لكن غلب عليها الانكليز سنة ١١٧٢ للمسيح وقُبِلَت في المعاهدة مع القسمين الاخرين سنة ١٨٠١ مسيحية ومن ثمَّ صارت جزءًا من نفس المملكة

الفصل الرابع عشر

في ولاية اسوج ونروج

هذه الولاية يحدها شمالاً الاوقيانوس الشمالي . وشرقًا روسيا وخليج بوثنيا وبحر بلتيك . وجنوبًا بحر بلتيك المذكور وبوغاز كاتيغات وسكاجراك . وغربًا البحر الشمالي والاوقيانوس الاتلانتيك . ومساحة سطحها ٣٠٠٠٠٠ ميل مربّع واهلها نحو ٦٣٠٠٠٠٠ نفس وكانتا مملكتين مستقلتين اتحدتا مملكة واحدة ٦ آب سنة ١٨١٥ والحكم من نوع الملكي المقيد ولهُ مجلسان . وفيها جبال اسكندناوية الفاصلة بين اسوج ونروج طولها ١٠٠٠ ميل وعلوُّ رؤُوسها العليا ٨٤٠٠ قدم.وجبال اخر عديدة. وفيها انهرٌ كثيرة تجري من الجبال فتمرُّ شرقًا باسوج وتصبُّ في بحر بلتيك وتمرُّ غربًا بنروج وتصبُّ في الاوقيانوس الاتلانتيكي . واعظمها نهر دال طولهُ ٣٠٠ ميلاً ونهر طورنيا الفاصل بين اسوج وروسيا وهو يصب في راس خليج بوثنيا . ونهر غوثا الخارج من بحيرة وينّر حتى ينتهي الى قرية طرولاطا فتحدث فيهِ شلاّلة علوُّها ١٠٠ قدم ومنظرها بهجٌ جدًّا . وفي اسوج بحيرات

شتى اعظمها بحيرة وينر طولها ١٠٠ ميل وعرضها ٦٠ ميلاً . ولها عدة جزائر في بحر بلتيك اعظمها كوتلاند وايلاند . وفي البحر الاتلانتيك في ناحية الشمال الغربي على شاطئ نروج جزيرة لُفدن . وبين هذه الجزائر في البحر دُردُور يجذب الى قعره مراكب وحيتانًا عظيمة من مسافة عشرين ميلاً

وفي هذه الولاية راسان مشهوران احدها الراس الشمالي وهو مجموع جزائر صخرية قاحلة مقفرة في الطرف الشمالي من اوروبا . والثاني راس ناز وهو راس خليج شليف الموصل بين بحر بلتيك والبحر الشمالي . وهواء هذه الولاية بارد جدًّا والشتاء يطول فيها والصيف يقصر . والجهة الشمالية اذ كانت داخل الدائرة الشمالية تشرق عليها الشمس شهرين ونصف شهر في الصيف وتغيب عنها شهرين ونصفًا في الشتاء . ولذلك ليس فيها فصل الربيع البتَّة . واما تربة هذه الولاية فليست مخصبة الاَّ في النواحي الجنوبية . ولا يصلح للزراعة الاَّ القليل منها لان اكثرها صخرية . وفيها كثيرٌ من اخشاب البناء . وفي غياضها وجبالها حيوانات تتخذ جلودها للفراء وهناك حيوانٌ يسمى الرنه وهو عند اهل الشمال بمنزلة الجمل عند اهل القفار . ولكثرة غياضها وجبالها وانهارها وبحيراتها وبرد هوائها يقصدها من به غمُّ قلبٍ او ضيق صدر من السائحين لاجل التفرج على ما فيها من الاعمال الطبيعية الفائقة . وفيها ايضًا معادن غنية من الفضة والنحاس

والحديد والرصاص والكبريت والشبّ وغير ذلك وبعض مياه معدنية ايضًا

وكانت هذه المملكة مملكتين كما تقدم اي اسوج ونروج . واهل اسوج نحو ٤٦٠٣٦٠٠ نفس واهل نروج نحو ١٨٠٦٩٠٠ والاولى انقسمت الى ٢٤ مقاطعة والثانية الى ٣٠ مقاطعة . وفيها عدّة تُرَع واعظمها ترعة كوتا طولها ١٤٦ ميلاً . ومن مدنها استوكهلم في اسوج وهي قصبة المملكة واهلها مع رسانيقها ٣٤١٩٢٢ نفس وهي مركز تجارة المملكة باسرها وبها مجلسا الاحكام والملك يقيم فيها غالبًا . ومدينة كريسنيانا وهي قصبة نروج واهلها نحو ٣٣٠٠٠ وبها مقام نائب الملك . وبركن سكانها نحو ٢٩٣٠٠ نفس . وليس لها من الاملاك الخارجية الاَّ جزيرة مار برثولماوس في الهند الغربية . وهواؤها باردٌ وتربتها غير جيدة فلا تخصب الزروع بها ولذلك يضطرُّون احيانًا في الجهة الشمالية ان يخلطوا الدقيق بقشر شجر الصنوبر لضيقة العيش . ومواشيها مهزولة لقلَّة المرعى . وفيها البطاطا والكتان والتبغ في الجنوب والحنطة والشعير ونحوها في الشمال . وتجارتها غير واسعة ولكن يُرسَل منها الحديد الى جميع العالم وهو مشهورٌ يُعرَف بالحديد السويدي

واكثر اهل هذه المملكة على مذهب البروتستانت لكن في جهة الشمال منها قبائل صغيرة من عَبَدة الاوثان وهم في غاية الجهالة . والاهالي هناك يعتنون باشهار العلوم ولهم مدارس عامة

في كل بلدةٍ ولا سيما في نروج وثلاث وعشرون مدرسة متوسطة وثلاث مدارس كلية . واكثر الفلاحين يعرفون القراءة والكتابة. وحكمها من نوع الملكي المقيد ولهم مجلس في استوكهلم ومجلس في كريستيانا لاجل تهذيب الشرائع . وبما ان هذه الولاية باردة تجد اهلها اشدَّاء ذوي شجاعة وباس يحبون الحرب لكنهم كرامٌ أُمناء لهم حشمةٌ وبشاشة . وهم على نوع مولعون بشرب المسكرات واكثر طعام الفلاحين منهم اللبن والجبن والسمك . وفي بعض الاماكن يفتخرون باكل اللحوم وخبز الحنطة . وكلهم شقر الالوان والشعور متوسطو القامة ولهم رغبة شديدة في بلادهم

وقيل ان قبائل منهم يقال لهم السكندنياوية فتحوا البلاد وقهروا العشائر الفينية الذين كانوا مستوطنين بها وسكانها الان من نسلهم . وكانوا تحت حكم دنيمارك في القرن الرابع عشر لكن قام غوسطاواظا وحرر اسوج من تلك العبودية فاختارهُ اهل بلادهِ ملكًا عليهم . وفي الحروب التي وقعت عند الاصلاح الديني في اوروبا اشتهرت اسوج وكان ملكها يومئذٍ غوسطا ادلفوس . وظهر بها في اول القرن الثامن عشر الملك كارلوس الثاني عشر وكان من اشهر ابطال العالم افتتح فتوحات عظيمة وفعل افعالاً يكلُّ اللسان عن وصفها . لكن قهرتهُ اهالي روسيا اخيرًا بعد ما استفتح اكثر بلادهم وكاد يلاشيها . واما نروج فكانت تابعة لولاية دنيمارك ثم اضيفت الى مملكة اسوج سنة ١٨١٤ للمسيح

الفصل الخامس عشر

في روسيا وهي بلاد المسكوب

اعلم ان مملكة روسيا في اوروبا يحدّها شمالا بحر الثلج الشمالي . وشرقًا جبال اورال الفاصلة بينها وبين املاكها في اسيا وايضًا نهر ولكا ونهر دون. وجنوبًا البحر الاسود والبلاد العثمانية واوستريا . وغربًا البلاد العثمانية واوستريا ايضًا وبروسيا وبحر بلتيك ونروج. ومساحة هذه المملكة تبلغ ١٦٢٦٦٣٠ ميلاً مربعًا. واهلها نحو ٧٦٦٠٠٠٠٠ نفس واذا حُسِب سكان املاك روسيا في اسيا ايضًا يكون جملة رعاياها ١٠٣١٨٧٦٠٠ على عد سنة ١٨٨١ و١٨٨٢

وكانت هذه البلاد الواسعة قديمًا مقرّ عدّة قبائل مختلفة اكثرها رُحَّل. وفي القرن الخامس والسادس من التاريخ المسيحي اخذت القبائل الجنوبية منها في اكتساب الهيئة الاجتماعية من اليونانيين وبنوا مدينة نفوغرود ومدينة كيف. والقبائل الشمالية اتحدت تحت سلطنة رجل يقال له روريك سنة ٨٣٦ للمسيح فاستولى على المدينتين المذكورتين وبقي الملك بيد نسله وهم على

العبادة الباطلة الى عصر الملك فلادمير الذي ملك سنة ٩٨١ للمسيح ودخل في النصرانيَّة فتنصَّر معهُ الجانب الاعظم من رعيتهِ. وارسل فوتيوس بطريرك القسطنطينية اسقفًا على تلك البلاد يقال لهُ مخائيل سيرا ولكن اهالي تلك البلاد ما زالوا قاصرين في التمدُّن الى سنة ١٦٨٩ حينما جلس على تخت السلطنة الملك بطرس الملقَّب بالكبير الذي ادخل الى بلادهِ شيئًا من العلوم والصنائع الشائعة يومئذٍ في بقية بلاد اوروبا وبنى مدينة بطرسبرج على طرف خليج فينلاند ونقل اليها كرسيَّهُ. ثم قويت شوكة روسيا فوق ذلك في ايام الملكة كاترينا التي ملكت سنة ١٧٦٢ ثم زادت قوةً في ايام الملك اسكندر الاول الذي ملك سنة ١٨٠١ وفي ايامهِ احتال على مملكة بولونيا الواقعة بين روسيا وبروسيا واوستريا فانقسمت بين هذه الممالك الثلاث ثم توفي سنة ١٨٢٥ وقام مكانهُ اخوهُ الملك نيقولاوس ثم خلفهُ ابنهُ اسكندر

ثم ان بلاد روسيا قليلة الجبال الَّا على الحدود التي بينها وبين اسيا ونروج واوستريا. واجزاؤها المتوسطة سهول مرتفعة تنحدر شيئًا فشيئًا الى البحر الابيض شمالاً والبحر الاسود جنوبًا. اما الجبال الفاصلة بينها وبين اسيا وهي جبال اورال وجبال قاف فقد تقدم الكلام عليها بالكفاية واما الجبال الثينية فهي سلسلة ممتدة الى شمالي روسيا من جبال اسكندناوية في نروج وتتشعب في الاراضي بين بحر بلتيك والبحر الابيض فيها قليلٌ من

النبات وكثيرٌ من معادن الحديد والنحاس والرخام

اما الاراضي العالية في وسط البلاد فارتفاعها نحو ١٢٥٠ قدمًا وفيها مخارج نهر ولكا ونهر دينبر ونهر دون التي تجري الى الجنوب . وعدة انهر غيرها تجري الى الشمال . وفي هذه الجهات كثيرٌ من معادن الحديد والشب والزاج والجص والجبار والفحم المعدني . وفيها كثيرٌ من شجر الصنوبر والارز والحور وغير ذلك . اما جبال كربات فمنها جزءٌ فقط في روسيا وهو ممتدٌ اليها من اوستريا . وفيها معادن الحديد والنطرون والكبريت

وفي بلاد روسيا غياض واسعة يوخذ منها شيءٌ كثير من الاخشاب لبناء السفن ويرسل الى غيرها من ممالك اوروبا واكثر هذه الغياض في الجهات الشمالية واما الجنوبية فالخشب فيها قليلٌ جدًّا . وفيها ايضًا كثيرٌ من السهول الواسعة منها مزروعةٌ ومنها مكتسية بالاعشاب مرعى للمواشي ومنها سباخ لا زرع فيها ولا نبات

واما انهر روسيا فمنها ما يجري الى الشمال ويصبُّ في بحر الثلج الشمالي والبحر الابيض ومن اعظمها نهر دوينا طولهُ نحو ٦٠٠ ميل . وهو يصبُّ في البحر الابيض عند مدينة اركانكل وهذا البحر لا يسلك الاَّ من شهر حزيران الى شهر تشرين الاول لكثرة الثلج فيهِ . ونهر پتشورا طولهُ نحو ٧٠٠ ميل ونهر اونيكا

وهو يجري من بحيرة اونيكا الى البحر . ونهر طورنيا وهو الفاصل بين روسيا ونروج . ويصبُّ في خليج بوثنيا الذي طولهُ ٣٠٠ ميل وعرضهُ نحو ١٠٠ ميل . وفي هذا الخليج يصبُّ انهرٌ كثيرة . واما خليج فينلند فطولهُ نحو ١٦٠ ميلاً وعرضهُ بين ٢٢ و٤٤ ميلاً ويصبُّ في انهر كثيرة منها نهر نيفا الذي يجري من ماء بحيرة لادوكا الى البحر ونهر دوينا الغربي وطولهُ نحو ٦٦٠ ميلاً ومصبهُ عند مدينة ريكا . ويدخل الى هذا الخليج عدة انهرٍ غير هذه لا سبيل الى ذكرها هنا . ويدخل البحر الاسود نهر دنيبر ونهر دنيستر الذي طولهُ نحو ٤٨٠ ميلاً . ويدخل بحر ازوف نهر كوبان مخرجهُ في جبال قوه قاف وبعد ان يجري ٢٤٠ ميلاً ينقسم الى شطرين احدهما يصب في البحر الاسود والآخر في بحر ازوف . ونهر دون مخرجهُ من بحيرةٍ حيث العرض ٥٣° ٥٩′ شمالي . والطول ٣٨° ٢٠′ شرقي . وطولهُ نحو ٦٦٠ ميلاً وهو يفيض كل سنة على الاراضي المجاورة لهُ اما بحر ازوف ويقال لهُ بحر أُزْف فهو متصلٌ بالبحر الاسود ببوغاز كَفَّا . ومعظم طول هذا البحر ٢١٠ اميالٍ ومعظم عرضهِ ١٢٠ ميلاً ومعظم عمقهِ نحو ٤٨ قدماً . ويحدث بينهُ وبين البحر الاسود شبه جزيرة يقال لها القِرم . ويدخل بحر الخَزَر من ناحية روسيا نهر ولكا وقد تقدم الكلام عليهِ . وفي روسيا كثيرٌ من البحيرات ولا سيما في لابلاند وفينلاندا من الجهات الشمالية . ومن هذه البحيرات بحيرة سامن

طولها ١٦٠ ميلاً وعرضها ٣٠ ميلاً . وبحيرة لادوكا طولها ١٢٠ ميلاً وعرضها نحو ٦٥ ميلاً وبحيرة اونيكا طولها نحو ١٥٠ ميلاً وغيرها مما لا يمكننا استيفاؤهُ هنا . وقد اعتنت ملوك روسيا بحفر تُرَع كثيرة للوصل بين الانهر والبحيرات حتى يمكن السلوك في اكثر نواحي البلاد على الماءِ

اما هواء بلاد روسيا فهو مختلفٌ بحسب مواقعها لان جانباً منها في المنطقة الباردة اي داخل الدائرة الشمالية وجزءًا في المنطقة المعتدلة . وتربتها في الجهات الشمالية قاحلة لشدة البرد وفي الجهات الجنوبية مخصبة ولا سيما على شطوط الانهر وفي سهولها الواسعة مرعى جيد لمواشي القبائل الرُحَّل من التتر وغيرهم من الاقوام المتبدية . وفيها معادن ذهب وفضة والماس وحديد ولاسيما في الجانب الشرقي من جبال اورال

اما مدن روسيا فمن أُمهاتها بطرسبرج قصبة المملكة وهي على شاطئ خليج فينلاند الشرقي . بناها الملك بطرس الكبير كما مرَّ سنة ١٧٠٣ وهي الآن افخر مدن اوروبا في الحسن والظرافة وفيها مدرسة كلية معتبرة ومكتبة مشتملة على ٣٠٠٠٠٠ مجلد . وعدد سكانها ٩٢٩٠٠٠ نفس سنة ١٨٨٤ . ومدينة موسكو وهي على مسافة ٤٨٧ ميلاً الى جهة الجنوب الشرقي من بطرسبرج وكانت قصبة المملكة قديمًا واعظم مدن اوروبا قبل مهاجمة الفرنساوية تحت راية بونابارتي سنة ١٨١٢ وحينئذٍ احرقها اهلها لكيلا تجد

الفرنساوية مكانًا تمشي فيهِ . وكان قبل ذلك محيطها ٣٠ ميلاً .
ومن غرائبها الجَرَس الكبير وهو اعظم اجراس الدنيا محيطهُ ٦٤
قدمًا وعلوهُ ١٩ قدمًا . والى الآن يتتوج ملوك روسيا بها لانها
قصبة المملكة في الاصل واليها تنسب البلاد . وبها قصور اكابر
روسيا القدماء وفيها مكاتب وقاعات للعلوم ومدرسة كلية .
وعدد اهلها يبلغ ٧٥٠٠٠٠ نفس . وهي مركز تجارةٍ ربّية ليست
بقليلة . ومدينة اودسا على البحر الاسود . وهي تحوي من الاهل
نحو ٢١٧٠٠٠ نفس . وهنَّ اعظم مدن المملكة

واما الحواصل فمنها الحبوب وهي كثيرة تزيد عن احتياج
الاهالي ويوجد هناك الكتان ايضًا . وقد غُرس بها حديثًا شجر
التوت فنما واتخذت لهُ اهاليها دود الحرير . وفيها كثير من الخيل
والبقر والغنم والنحل . ولكن المظالم التي هناك منعت الناس عن
الاتساع في الغنى والتقدم في اعمال الارض ويصنع في تلك البلاد
انواعٌ من الأَدَم مشهورٌ في الغاية واقمشة الكتان والحبال واللبَّد
والصابون والجوخ والزجاج . ومن حواصلها ايضًا الفراء والجلود
واخشاب البناء . ومتجرها متّسعٌ جدًّا لعدم الجمارك ووجود
التُرَع والانهر التي بها يسهل انتقال الحواصل وبضائع التجارة من
اطراف البلاد . ومن اعظم البضائع التجارية هناك السمك .
وذلك لكثرة الانهر والابحر والبحيرات . وفي نهر ولكا فقط يوجد
١٥٠٠٠ قارب لصيد السمك . ويصنع هناك زيت السمك

والخبياري ونحوها ويرسل الى الآفاق

واكثر اهل هذه المملكة من طائفة الروم ويوجد بها جماعة من اللاتينيين والبروتستانت والمسلمين وعبدة الاوثان والنار . وبها سبع مدارس كلية وهي في بطرسبرج وموسكو وهلسينفرس ودوربات وشاركوف وكازان ووارصو . وبها ايضاً مدارس متوسطة وعمومية كثيرة في اكثر البلاد ولكن كلها لافادة اغنياء الشعب لان اكثر الرعية بمنزلة عبيد للاكابر الذين يستعبدونهم عبودية عنيفة ولا يرغبون في تعليمهم وتقدمهم في الدنيا ولا في الدين اما الملك اسكندر فاعتق الشعب من هذه العبودية فلا يستطيع الاكابر ان يتسلطوا عليهم كل التسلط كما من قبل . ولا فرق بين الاكليروس والشعب في الجهل والغباوة الا قليلاً . فهم يصرفون جزءا كبيرًا من اوقاتهم في تلاوة صلوات يسردونها بلا فكر ولا انتباه الى معانيها وجزءا آخر في السكر الذي يزداد ولوعهم فيه لعدم معرفتهم بالعلوم الرياضية والادبية التي عساها اقلّ ما يكون ان تلهيهم عن مثل ذلك هذا في الضياع والقرى اما في المدن فالحال اصلح وبينهم فحول في العلوم والمعارف

واما حكم روسيا فهو من نوع الملكيّ المطلق ولملكها السلطان العمومي على املاك شعبه وحريتهم وحياتهم واعتقادهم وجيش هذه المملكة في البر من المشاة بين عسكر منتظم وغير منتظم ١٩١٧٩٠٠ ومن الخيالة بين منتظم وغير منتظم ٢٦٦٣٥٤ وسفنها الحربية

٢٨٠ ونوابها ٤٠٠٠ وهولاء يوخذون غصباً واكثرهم من الاسرى واما شعوبها فهم لفيف من طوائف عديدة ولذلك قيل للملكة روسيا اي القبائل المشتتة وليس بينهم رباطٌ الاّ يد الحكم الصارمة . واكثرهم من الصقالبة في الاصل ولكن بينهم من الفينية والتتر والاتراك والمغول والقلمق . وهم اربع رتب الشرفاء والاكليروس والعامة والفلاحون . غير ان الفلاحين هم الجانب الاكبر لانهم يبلغون اربعين مليون نفس وهم بمنزلة عبيد للملك والشرفاء الذين يبلغون نحو ثمان مئة الف ولهم حقوقٌ خاصة لا يعترضهم فيها احد وقد قصر الملك حقوقهم كما تقدم وارقى الشعب

واكثر اهل روسيا ما زالوا على حال الخشونة والعوائد البربرية القديمة الاّ اهالي بعض المدن التي ذكرناها . واكثر البلاد الى الآن لم تتقدم في رتبة التمدن الاّ قليلاً . وبما ان ارادة الملك والشرفاء هي الشريعة عندهم لم يكن لاهل البلاد امانٌ من ظلمهم ولذلك لا يمكنهم التقدم في الامور الدنيوية ولا الدينية بل نراهم مولعين بالسكر والمعاصي الناتجة منهُ . واما من جهة طباعهم فان عندهم القناعة وسهولة المعاشرة وسرعة التناول وهم يحبون البذخ واللهو والحوادث الجديدة والاكابر منهم يرغبون في الملاهي ولهم حدةٌ في اخلاقهم لكن ليس لهم شرف النفس . ولكونهم قد خرجوا حديثاً من الحالة البربرية لم يبلغوا بعد الى الدرجة

السامية من الأدب والتمدن . ونرى العوام غالبًا يتمرغون في الاوساخ والاقذار والنساء عبيد الرجال كما ان الرجال عبيد الاشراف . ومساكن الفقراء دنية وهم في حالةٍ يرثى لها. واما بلاد ليلاند او لابونيا في جهة الشمال الغربي على شاطي البحر المتجمد فهي باردة جدًا . واهلها مثل بعض قبائل اسوج ونروج وشمال اميركا قصار القامات غلاظ العقول واعتمادهم في المعاش على نوعٍ من البقر الوحشي يقال لهُ رنه ياكلون من البانهِ ولحومهِ ويكتسون من جلودهِ . وهم في غاية الغباوة والجهل ولهم بعض الاعتقادات المسيحية ممتزجة باعتقادات وثنية. ولهذه الولاية جميع شمالي اسيا والجهة الغربية من بحر قزبين الى البحر الشمالي . فيكون اتساعها جميعًا نحو ٨٠٠٠٠٠٠ ميل مربع واهلها ٧٠٠٠٠٠٠٠ نفس

الفصل السادس عشر

في ولاية فرانسا

هذه الولاية يحدُّها من الشمال الخليج الانكليزي وبلجيوم . ومن الشرق بروسيا وبافاريا وبادن وبلاد السويس وسردينيا.

ومن الجنوب البحر المتوسط واسبانيا . ومن الغرب خليج بسكي . ومساحة سطحها ٢٠٥٠٠٠ ميل مربع وعدد اهلها ٣٧٦٧٢٠٠٠ نفس وحكمها الآن جمهوري . وبها من الجبال سلسلة جبال سرفان وهي تمتدُّ من شرق الولاية الى الجنوب الغربي حتى تتصل بالطرف الشرقي من جبال البرنيه التي تفصل بين فرانسا واسبانيا . والشُعَب الجنوبية تسمى كانتال . واعلى جبال فرانسا جبل أُور الذي ارتفاعهُ ٦٢٢٠ قدماً . ويقرب بلاد السويس جبال جورا وجبال البا الفاصلة بين فرانسا وبلاد السويس وايطاليا

وانهر هذه الولاية كثيرة . منها نهر سَين طولهُ ٤٥٠ ميلاً . وهو يمرُّ في وسط باريس . ونهر لوار وهو اعظم انهر فرانسا . طولهُ ٦٠٠ ميل ومخرجهُ في جبال سرفان ومصبهُ في خليج بسكي . ونهر غارون طولهُ ٤٠٠ ميل ومخرجهُ في جبال البرنت ومصبهُ في بحر بسكي . ونهر رون طولهُ ٥٤٠ ميلاً ومخرجهُ في جبال البا وهو عميق سريع الجري ومصبهُ في البحر المتوسط . واما الخلجان ففي جهة الشمال جزءٌ من البحر يسمونهُ خليج المانش وهو الذي يقال لهُ في انكليترا خليج الانكليز وهو خطر الركوب . وفي جهة الغرب خليجٌ آخر يسمى بسكي وهو ايضاً خطر الركوب . وخليج ليون اي خليج الاسد وهو جزءٌ من البحر المتوسط لُقِّب بذلك لشدة هيجانهِ . وفي هذه الولاية ٨٦ ترعة وطولها جميعاً ٢٣٥٠ ميلاً .

وهي توصل بين اكثر الانهر وبها يسهل الانتقال من مكان الى اخر داخل الولاية . واما الجزائر ففي خليج بسكي جزائر اوليرون وري ونوار موتروبيل واوستانت . وفي الجهة الجنوبية جزائر هايرس . وفي البحر المتوسط جزيرة كورسيكا طولها ١١٠ اميال وعرضها ٥٠ ميلاً . وبها سلسلة جبال ارتفاع رؤوسها العليا ٩٠٦٠ قدمًا . واهلها نحو ٢٧٢٠٠٠ نفس وبها مدينة باسنيا واهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس . ومدينة اجاشيا ايضًا وهي التي وُلد فيها نابوليون بونابارتي . وهي غنية بالكروم والمعادن واهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس واكثر شطوط فرانسا في ناحية الشمال تلال رمال . وفي ناحية الجنوب صخرية خطرة على استقبال المراكب . وموانيها الامينة قليلة ما عدا التي في مقاطعة بروفانس

اما ارض هذه الولاية فهي مخصبة وافضلها الشمالية وهي تصلح للحبوب . وفي مقاطعة شامبانيا وبرغاندي كروم جيدة ووادي ليمان يُعَدّ من اخصب اراضي الدنيا . وفي جهة الجنوب الغربي سهول رملية عديمة النبات . وهواء هذه الولاية جيد وفي النواحي الشمالية منها يشتد البرد حتى يتجلد نهر سين بقرب باريس . والهواء في الاماكن المتوسطة معتدل نقي يقوي الابدان والحصاد يبتدي في اوائل شهر تموز . واما النواحي الجنوبية فهي حارة ولكنها مع ذلك ليست مخللة الهواء

واما الشجر والنبات في فرانسا فمنه التين والكمثرى والخوخ

والصنوبر والحور والصفصاف والبلوط وادخل فيها الرومانيون الكرز والكرم من المشرق والزيتون من اسيا . وقد أُدخل فيها ايضًا البرتوكال والليمون والتوت الابيض من الهند . والتوت الاسود من اسيا الصغرى . والمشمش من ارمينية . والخوخ من بلاد فارس . واللوز والجوز والبطيخ من اسيا . والرمان من افريقية . واذ كانت اكثر اراضيها مخصبة كان يجنى منها كثيرٌ من انواع الحبوب والجذور والبقول المغذية للناس والبهائم وتكثر فيها الحنطة وجنر الشمندور الذي يصنع منهُ اكثر سكر فرانسا. واشهر خمرها خمر برغونيا وشمبانيا . ويوجد هناك كثيرٌ من العقاقير الطبية والغابات الواسعة التي تصلح اخشابها لبناء السفن والوقود وامتعة البيوت

واما المعادن فيوجد فيها معادن فضة ورصاص وتوتيا وزنجفر وانواع الرخام والجص . وفيها معادن من الفحم الحجري ولكن يقلُّ استخراجها لبعدها من البحر . ويوجد بها ٢٤٠ نبعًا معدنيًا واكثرها تحت مناظرة اطبّاء اقامهم الحكم لاجل صحة المرضى الذين ياتون اليها وبها ايضًا مياه مالحة لاستخراج الملح

واما البهائم فيوجد منها الخيل والبغال والحمير والبقر والغنم التي منها نوعٌ يقال لهُ ماريبو يفتخر بهِ لجودة صوفهِ . وقد جُلِب اليها الماعز من بلاد تبت وصحّت تربيتها . وهناك ايضًا الدب والذئب والثعلب والسنّور البري وكلب الماء وغيرهُ من

الحيوانات الموجودة في اكثر البلدان

ومن أُمهات مدن هذه الولاية باريس قصبة المملكة . وهي الثانية من مدن اوروبا في عدد سكانها . وموقعها على جانبي نهر سين ومحيطها ٣٠ ميلاً وعدد اهلها ٢٣٦٩٠٠٠ نفس . وهي جميلة البناء مشحونة بالقصور والجنائن ومراسح اللهو والطرب ومواضع التنزه . وبها قصرٌ عظيم يقال لهُ اللوفر فيهِ تصاوير جميلة ثمينة وتحف قديمة وحديثة مجموعة من اقطار المسكونة وبها كنائس واديرة عظيمة ومدارس عديدة منها مدرسة كلية ومكتبة فيها اكثر من ٥٠٠٠٠٠ مجلد ما عدا المكاتب الاخرى التي تحتوي كتباً كثيرة حتى يبلغ عدد الجميع ٢٠٠٠٠٠٠ مجلد . وهذه المدينة مشهورة بكثرة المطابع وسهولة اكتساب العلوم بها لان اكثر المدارس والقاعات الخطابية مفتوحة لافادة الجمهور والدخول اليها مباحٌ لكل من اراد الخطاب من غير مانع . ومن امّهات مدنها ليون . وهي الثانية في فرانسا . وبها كراخين عديدة وتجارتها واسعة وهي مشهورة بصناعة الاقمشة الحريرية الفاخرة وعدد اهلها ٣٤٧٦٠٠ نفس . ومدينة مرسيليا . وهي على شاطئ البحر المتوسط . وهي اقدم مدن الولاية بناها بعض المنتزحين من اليونانيين من مدة ٢٤٠٠ سنة . وعدد اهلها ٣٦٩٣٠٠ نفس . ومدينة طولون في الجهة الجنوبية وهي حصينة جدًّا وفيها من الناس نحو ٦١٠٠٠ نفس . وهي من مراسي فرانسا لسفنها الحربية . ومدينة بوردو في

الجهة الغربية وهي جميلة ولها تجارة واسعة واهلها نحو ٣١٧٩٠٠ نفس . ومدينة روان على مسافة ٧٠ ميلاً من مصب نهر سين . وهي جميلة متسعة فيها عدة كراخين وعدد اهلها نحو ١٠٥٩٠٠ نفس

واكثر اهل فرانسا يعتنون في الفلاحة والزراعة وقد بلغوا الى درجةٍ عالية في هذه الصناعة . واكثرهم اصحاب ملكٍ في الارض وعندهم القمح والذرة والشعير والبطاطا والكرم والتوت والزيتون . والفرنساويون ليس لهم رغبة في التجارة طبعاً ولكنهم تقدموا فيها كثيراً من برهةٍ يسيرة حتى صاروا من اشهر اهل اوروبا في الامور المتجرية . ولهم كراخين عديدة ولاربابها اليد الطولى في انواع الصنائع الدقيقة ولكن اكثر مصنوعاتها يقصد بها الظرافة وحسن المنظر اكثر من المنفعة والمتانة اللتين تعتمدها الانكليز

واما املاك فرانسا الخارجية فانسعت نوعاً في عصرنا هذا ولها متفرقات عديدة . فلها في اسيا بوندي شاري وتاريكال ويانان وماهاي وقسم من تونكين في جهة الهند. وفي الاوقيانوس الهندي جزيرة ربون وجزيرة القديسة مريم بقرب جزيرة ماداكاسكار .وفي افريقية بلاد الجزائر في الغرب ومنزلة سينيغال على شاطي البحر الغربي وعلى نهر الغابون واراضي واسعة داخل القارة شرقي الغابون واستولت على قسم من ماداكاسكر ولها في

البحر المحيط كالودونيا الجديدة وجزيرة تهيتي وما يليها وفي هذه الاثناء استولت على بلاد تونس الغرب . وفي اميركا جزائر القديس بطرس والقديس ميكيلون ومارتيكا وغوادلوب وجزء من جزيرة مارتين ومن غيانا

واما ايراد المملكة فهو من الجمارك والخراج ويبلغ سنويًا نحو ٣٠٠٠٠٠٠١٠٠ فرانك · واما عدة عساكرها فهي ٣٠٠٠٠٠ نفر. ولكن في وقت الحرب تبلغ الى ٥٠٠٠٠٠ ما خلا عسكر الرديف . وعدة سفنها الحربية ٣٥٦ سفينة وفيها من النوتية ٤٠٠٠٠ نفر والدولة مجتهدة في بناء المراكب التجارية وكل رجل صحيح الجسم ملتزم ان يخدم في الجيش خمس سنين ثم يبقى رديفًا ١٥ سنة ويكون كل مدة الخدمة ٣٠ سنة

وقد انقسمت اهالي فرانسا سابقًا الى ثلاث رتب وهي الاشراف والكهنة والعامة ولكل رتبةٍ حقوقٌ مختصة بها ولكن عند التقلب الذي حصل في سنة ١٧٩٨ تلاشت تلك الرتب جميعها. واهل هذه المملكة لطفاء بالطباع واصحاب نخوةٍ وشجاعةٍ في الحرب غير انهم عديمو الركز والثبات وهم من اهل المروة وشدة الباس ولهم رغبةٌ في الملاهي والملاعب والغناء والرقص . وهم يعتنون كثيرًا بجميع العلوم والفنون ومدارس باريس ومكاتبها مشهورة في كل مكانٍ يوجد فيه العلم . وفي جنوبي فرانسا طائفةٌ من الناس لا يُعرَف اصلهم وهم نحفاء الاجسام سقماء صفر الالوان

واكثرهم عرج او مخلعون وليس لهم مساكن يعيشون بالاطعمة الدنية ويتمرغون في الاوساخ والاقذار وينامون في الخرائب المهجورة ولا يعاشرهم احدٌ من اهل البلاد ولا يتعاطى معهم بشيء فيبقون مرذولين مفروزين عن الناس وعددهم قليلٌ

وفي هذه الولاية ابراج وقصور وحصون وابنية حسنة جدًّا ليس لها نظيرٌ في الدنيا . والاهالي لا يرغبون في السفر ولذلك ترى الطرق هناك غير جيّدة ولكنهم منذ سنواتٍ شرعوا في اصطناع طرق الحديد في اكثر تلك الجهات . وفيها ايضًا كثير من الآثار القديمة مثل القبور والسراديب والهياكل ومجاري المياه والحمامات من بناء الغالة والرومانيين وهي باقية الى عصرنا هذا. وكان اسم الولاية قديمًا غاليا واستفتحها يوليوس قيصر فاستمرت تحت حكم الرومانيين الى الجيل الخامس . ثم غلبت عليها قبائل جرمانيا ونزلت في الجهة الشمالية منها قبيلةٌ تسمى الفرنك فتسمت المملكة فرنكا ثم فرانسا بطريق النسبة اليها ومن هذه اللفظة تسمية اهل اوروبا جميعًا بالافرنج او الافرانك عند الشرقيين . ثم امتدت سلطة هذه القبيلة بالتدريج حتى عمت كل المملكة واختلطت بالقبائل الجرمانية فصار الجميع قبيلة واحدة . ولما كانت سنة ١٧٩٨ هاجت عامة الفرنساويين من ظلم الملك وارباب دولتهِ وقاموا عليهم يدًا واحدة فقتلوا ملكهم وابطلوا الحكم الملكيّ واقاموا لهم مشيخة ولم تلبث تلك المشيخة الاّ مدةً من

الزمان حتى ظهر نابوليون بونابارتي الكورسيكي الذي يعدُّ من اعظم قوَّاد العالم . وفي برهة يسيرة صار ملكًا عظيمًا على فرانسا وافتتح الحروب مع جميع ممالك اوروبا فاستفتح اكثرها ثم انقهر اخيرًا وعاد الحكم الى عائلة بوربون وصار حكم فرانسا من نوع الملكيّ المقيد . ولكن لم تَطل المدة حتى تعدى الملك كارلوس العاشر شروط المملكة وابتدأ في المظالم فقام عليهِ الشعب وخلعوهُ من الملك سنة ١٨٠٠ واقاموا مكانهُ لويس فيلبس ملكًا عليهم . وفي اول سنة ١٨٤٨ طردوهُ عن الملك فهرب الى بلاد الانكليز وعاد الحكم الى النوع الجمهوري ثم استولى على البلاد لويس نابوليون بوناپارتي وملك الى سنة ١٨٧٠ فاثار حربًا على دولة بروسيا فقام اهل جرمانيا نفسًا واحدة وغلبوا على الفرنساويين واستولوا على مقاطعتي الساس ولورين وتقدم جيشهم الى مدينة باريس وحاصروها حتى اسلمت من قبل الجوع في كانون الثاني سنة ١٨٧١ واكثر اهالي فرانسا من طائفة اللاتينيين ولكن بينهم كثيرون من البروتستانت والحرية مطلقة لجميع المذاهب

الفصل السابع عشر

في مملكتي بلجيوم وهولاندا

اما مملكة بلجيوم ويقال لها بلجيك ايضًا فيحدُّها شمالاً مملكة الفلمنك . وشرقًا جرمانيا . وجنوبًا فرانسا . وغربًا فرانسا ايضًا والبحر الشمالي . ومساحة سطحها ١١٥٠٠ ميل مربَّع واهلها ٥٦٥٥٣٠٠ نفس سنة ١٨٨٣ . واكثر اراضيها سهلة ومخصبة وفي بعض الاماكن تخرقها تلال حسنة وغابات غضَّة . وهواؤُها معتدل مجفف يقوي الابدان . ويدخلها من جهة فرانسا نهر شلت ثم يجوزها مارًّا بمدينتي كنت وانتورين ويصبُّ في البحر الشمالي . وكذلك نهر ميوس ايضًا وهو يجوزها الى بلاد هولاندا ويصبُّ في البحر الشمالي . ولكثارة التُرَع التي فيها قد اتصل اكثر انهرها بعضًا ببعض وصار يمرُّ فيها من مدينةٍ الى اخرى بغاية السهولة

ومن أُمهات مدنها مدينة بروسيل على جانبي نهر سين الذي يصبُّ في نهر شلت . وهي مدينة معتبرة حسنة المنظر مشهورة بصناعة البسط وانواع الاقمشة الصوفية وقصب الذهب

والفضة . وبها مكتبةٌ فيها ١٠٠٠٠٠ مجلد ومدرسة كلية . وهناك مقام الملك والمجلسين لترتيب الاحكام والشرائع واهل هذه المدينة يبلغون نحو ١٦٦٣٥٠ نفس سنة ١٨٨٣ . ومدينة انتوربن المبنية على جانبي نهر شلت وهي جميلة المنظر وبها ابنية فاخرة وكنيسةٌ على شكلٍ من البناء يُعرَف بالبناء الغوثي . وبها منارةٌ علوها ٤٤١ قدمًا . واهل المدينة يبلغون نحو ١٨٠٤٠٠ نفس . واهل هذه المملكة قد بلغوا الدرجة القصوى في صناعة الفلاحة واكثر زراعتهم من الحبوب . ولهم اليد الطولى في التجارة والصنائع فهم يصنعون لطائف كثيرة ولوجود الحرية في المتجر يمكنهم بيعها بثمن ارخص مما يبيعها غيرهم

واكثرهم من طائفة اللاتينيين والباقي بروتستانت . ولهم ثلاث مدارس كلية وتحصيل المعرفة عندهم سهل للخاص والعام . وقد اشتهرت هذه الولاية في اوروبا ساحةً للحرب اذ قد حدث فيها حروبٌ شتى وصارت في اعصارٍ مختلفة محطّ القتال بين قبائل اوروبا . وحكمها من نوع الملكيّ المقيَّد ولها مجلسان في مدينة بروسيل ينتخبون اعضاءها من الشعب . فاعضاء المجلس الاول يقيمون على وظيفتهم ثمان سنين واعضاء الثاني اربع سنين

واصل اهالي هذه الولاية من قبائل شتى ولكنهم في الاكثر يشبهون اهل فرانسا والفلمنك ومنهم من يتكلم باللغة الفرانساوية ومنهم بالفلمنكية . وهم لطفاء الطباع في المحاضرة لكنهم شداد

البأس يحبون الحرب . وفي السابق دخلت هذه الولاية تحت حكم عدة ممالك وتقلبت عليها الاحكام المختلفة الى سنة ١٨٣٠ حينما قام اهلها وتحرروا وملكوا عليهم ليوبولد امير سكسكوبرج ومن ثمّ صار حكمها من نوع الملكيّ المقيد

واما مملكة هولاندا المعروفة بالفلمنك ويقال لها نيذرلاند ايضًا اي البلاد المنخفضة او الواطئة فيحدها شمالاً وغربًا بحر جرمانيا . وشرقًا مملكة جرمانيا . وجنوبًا مملكة بلجيوم . ومساحة سطحها ١٢٠٠٠ ميل مربع . وعدد اهلها ٤٢٢٥٠٠٠ نفس سنة ١٨٨٣ . ويدخلها من الانهر نهر رين من جهة الشرق ويجوزها ثم يصب في البحر الشمالي . ونهر ميوسي ونهر شلت ياتيانها من بلجيوم ويصبّان في البحر الشمالي ايضًا . ويدخلها من بحر جرمانيا خليج زويدر وطوله ٦٠ ميلاً ومن بحيراتها بحيرة هارليم طولها ١٤ ميلاً . وبحيرات أُخر صغيرة لاحاجة الى ذكرها . ولها عدة جزائر واكثرها عند مصبات انهرها . واعظمها جزيرة بيرلاندا وجزيرتا بيغيلاند ووالكرن وقد سميت هذه الولاية بالبلاد الواطئة لان قسمًا منها اوطأ من سطح البحر عند مدّه . ولذلك اضطرّ اهلها الى بناء سدودٍ عظيمة على ارياف البحر والانهر التي تلي بلادهم لوقايتها من فيض الماء عليها . ومع كل هذا الاحتراز طفح البحر عليهم مرارًا واغرق جملة اماكن . وهذه السدود مصنوعة من الدلغان المشدّد بالاخشاب والحجارة من جهة

البرو بالبردي والهشيم البحري من جهة البحر . وارتفاعها نحو ٣٠ قدمًا وعرضها عند اسفلها ٧٠ قدمًا . واكثر شطوط هذه الولاية محصنة على هذا المنوال

ولكثرة الانهر والبحيرات في هذه الولاية كان هواؤها رطبًا متقلبًا ؛ ولولا مجاورتها للبحر وشدة نظافة اهلها لكان مضرًّا جدًّا . واكثر ارضها رملية او دلغانية وبها مراعٍ مخصبة كثيرة وبقرها موصوف بالجودة . وهي اصلح ارض لعمل الترع وذلك لاستواء سطحها وكثرة مياهها التي تترشح اليها من البحر فيدفعونها بطرمباتٍ تدوّرها الريح الى الانهر والترع الكثيرة المصطنعة عندهم

ومن أُمهات مدن هذه الولاية مدينة هاك وهي قصبة المملكة وفيها عدةٌ من القصور والمجالس لترتيب الحكم . واهلها يبلغون نحو ١٣١٤٠٠ نفس . وامستردام وهي على راس خليج ممتد من البحر الشمالي يمرُّ فيها تُرَعٌ كثيرة حتى انها انقسمت بها الى ٩٠ جزيرةً صغار يعبر من بعضها الى بعضٍ بواسطة ٢٨٠ جسرًا . وهذه المدينة كانت قديمًا ملكة البحر واعظم مدن العالم في التجارة والقوّة البحرية . والآن فيها مدارس كثيرة ومكاتب وقاعات للخطب ومحافل لغرائب الصنائع والنوادر . واهلها نحو ٢٦١٣٠٠ نفس . ومدينة ليدن المشهورة بمدرستها الكلية وعلمائها . وفيها من السكان نحو ٤٢٩٠٠ نفس

واهل هذه الولاية كابدوا مشقّات كثيرة في امور الفلاحة والزراعة بسبب ما ذكر من هيجان البحر عليهم وكثافة الهواء ورطوبتهِ وبوار التربة ورداءة الماء . ومع كل هذا صيّروا بلادهم من اخصب بلاد اوروبا . وهي كثيرة النبات جيدة المرعى لمواشيهم التي يتخذون من البانها السمن اللذيذ والجبن الدَسِم المعروف بالجبن الفلمنكي . وكان متجرها سابقًا متسعًا جدًّا والآن صار قليلاً لسبب الحروب الكثيرة التي حدثت في اوروبا . وفيها كراخين عديدة يعمل بها اقمشة الصوف والكتان والحرير والقطن والادم والقصبات لشرب التبغ . وكان لها قديمًا املاكٌ خارجية متّسعة واما الآن فلها جزائر كوراسايو والقديسة يوسينيايا وجزءٌ من سورينام في كيانا التي في اميركا وعدة قلع وكراخين في افريقية وجزائر يافا وسومطرة وبورنيو وجيلبس وتيمور وغيرها في الاوقيانوس المحيط . وعدد اهل هذه الاملاك الخارجية نحو ٢٨٠٠٠٠٠٠ نفس

واكثر اهل هذه الولاية بروتستانت والباقي من اللاتينيين واليهود . ولهم مدارس كلية في ليدن وغرونينجين واُوتَرَخت . وهم يرغبون في العلم ويسهل عليهم اكتسابهُ لكثرة المدارس . وحكمهم من نوع الملكيّ المقيد . ولهم مجلسان احدهما يختار الملك اعضاءَهُ الى مدة الحياة والثاني يختار اعضاءَهُ الشعب الى اربع سنين وهولاء يرتبون الشرائع والاحكام مع موافقة الملك لهم . واصل

هولاء الاهالي من جنس اهل جرمانيا . وهم ثلاث قبائل مختلفة الهولانديون والفريزانيون والفلمنكيون وكل فريقٍ منهم يتكلم بفرعٍ لغةٍ واحدة اصلية . وجميعهم اقوياء في الاعمال يعتنون بها جدًّا واكثرهم مغرمون بشرب التبغ ومن اوصافهم شدة النظافة والحرص وعمل الخير والاحسان وبناء المدارس . وطرقهم جيدة وقراهم حسنة واسواقهم واسعة نظيفة

وكانت هذه الولاية في القرن الخامس عشر والسابع عشر ملك امير برغندي ثم وقعت في ايدي عائلة ملوك اسبانيا واوستريا بسبب الزواج . ولما اراد فيلبس الثاني ملك اسبانيا ان يلاشي مذهب البروتستانت منها قام اهلها بشجاعةٍ وقوةٍ عظيمة وحرروا انفسهم في سنة ١٥٨١ واصلحوا احوال مملكتهم فتقدمت في النجاح وفي القرن السابع عشر كانت من اول ممالك الدنيا ثم اضيفت الى مملكة فرانسا في اول هذا القرن وعند سقوط بونابارتي في سنة ١٨١٥ اتحدت مع ولاية بلجيوم وصارتا مملكة واحدة حتى قام اهل بلجيوم وحرروا ذواتهم وافترقوا عنها في سنة ١٨٣٠

الفصل الثامن عشر

في بلاد جرمانيا ودنيمارك

اما المملكة الجرمانية ويقال لها المانيا ايضًا فيحدُّها شمالاً البحر الجرماني وتخوم دنيمارك وبحر بلتيك . وشرقًا روسيا واوستريا . وجنوبًا اوستريا ايضًا وبلاد السويس . وغربًا فرانسا وبلجيوم والفلمنك . ومساحة سطحها ٢٤٥٠٠٠ ميل مربع . واهلها يبلغون نحو ٤٥٢٠٠٠٠٠ نفس وهي مؤلفة من پروسيا وبادن وهسّى وبافاريا وورتمبرج وصكصونيا والساس ولورين وعدة ممالك ومقاطعات اخر صغار . وبها سلاسل جبال عديدة منها شعبةٌ من جبال البا وشعبةٌ من جبال كرباث وفيها نحو ٥٠٠ نهر منها ٦٠ نهرًا تصلح للركوب فيها . وبها مخارج نهر الطُونا وويسر وألب وغيرها . اما هواؤُها فمختلفٌ جدًّا وهو في الجهة الشمالية منها رطبٌ متقلب . وفي الجنوبية دفيٌّ معتدل . وفي الجهات الوسطى متوسطٌ بين الطرفين . وتربتها مخصبة ولاسيما في الاماكن المجاورة للانهر والسهول الواسعة . وفي الناحية الجنوبية تنبت الاشجار التي تنمو في اقاليم الجنوب كالزيتون والتوت وما اشبه

ذلك واكثر اهل هذه الولاية بروتستانت وعددهم نحو ٢٨٤٠٠٠٠٠ واما اللاتينية فعددهم نحو ١٦٠٠٠٠٠٠ وفيها من اليهود نحو ٦٠٠٠٠٠ . والحرّية مطلقة لجميع المذاهب

وقد انقسمت هذه البلاد الى ٣٩ قسماً منها ذوات ملوك ومنها ذوات امراء ومنها ذوات مشيخة . واختلفت احكامها من نوع الملكي المطلق الى نوع الحكم الجمهوري وصار الجميع امبراطورية واحدة بمعاهدة عامة بينهم سنة ١٨٧ و١٨٧١ . وكل فريق يرسل وكيلاً الى الديوان العمومي الذي يُعقَد في مدينة برلين وعساكر هذه الولاية تُؤخَذ من كل مقاطعة على حسب عدد اهلها وعند الحاجة يُجرّ كل الرجال الى الحرب . ما عدا العاجزين ويقال لهذا الشعب الجنس التوطوني ولكن لا يُعرَف اصلهم ولا من ابن اتوا اولاً . وهم اصحاب همةٍ وحرصٍ وامانةٍ وثباتٍ في الاعمال واستنارةٍ في التصرف . ولهم موهبة الابداع والاختراع . استنبطوا البارود وصناعة الطبع وعمل الساعات والنظارات . وهناك انتشر الاصلاح الديني في القرن السادس عشر وعلماؤهم مشهورون بالغيرة في تاليف الكتب وقواميس اللغات والتدقيق في مباحث العلوم . ولهم عشرون مدرسة كلية يجتهدون فيها غاية الاجتهاد في ايجاد الفوائد للناس . ومئة وخمسون مكتبة فيها ٥٠٠٠٠٠٠ مجلد . ومن العلماء المولفين ١٠٠٠٠ رجل يؤلفون كل سنة ٥٠٠٠ كتاب . وعددهم مدارس

عديدة واكتساب المعرفة سهل عليهم لكثرة الوسائط . وهم قدماء في بلادهم من زمانٍ غير معروف واول من ذكرهم من المورخين الثقات يوليوس قيصر في حروبهِ معهم . وقد تقلبت انواع الاحكام بينهم حتى انقسموا كما مرَّ . ثم تعاهدوا في سنة ١٨١٥ على حماية بلادهم من الاعداء ولكن بقيت كل مقاطعة قائمة بنفسها . ومن مدن جرمانيا فرنكفورت وليبسك ودرسدن ومونيخ واوغسبرج وستراسبرج وغيرها ولا يسعنا المقام ان نتكلم عنها بالتفصيل

واما مملكة دنيمارك فيحدُّها شمالاً مضيق سكاجراك . وشرقًا اسوج . وجنوبًا جرمانيا وبحر بلتيك . وغربًا جرمانيا ايضًا . وهي شبه جزيرة طولها من الشمال الى الجنوب ٢٠٠ ميل وعرضها ١٠٠ ميل وسطحها ٢٢٠٠٠ ميل مربَّع .وسكانها نحو ٢٠٩٦٠٠٠ نفس . وانهرها ليست كثيرة واعظمها نهر ايدر مخرجهُ من شرقي الولاية بالقرب من بحر بلتيك ومصبهُ في بحر جرمانيا وطولهُ ٥٦ ميلاً . لكن بها اكثر من ٤٠٠ بحيرة صغار اكبرها بحيرة بلوين التي محيطها ١٠ اميال . ويتبعها عدة جزائر احسنها الواقعة في بحر بلتيك واعظمها جزيرة زيلاندا التي سطحها ٢٨٠٠ ميل مربع وسكانها ٤٠٠٠٠ نفس . وجزيرة فوين بقرب زيلاندا وسطحها ٣٠٠٠ ميل مربع . وفي هذه الولاية عدة خلجان وبواغيز . وعلى البوغاز الداخل الى بحر بلتيك حصن عظيم اسمهُ ألسنُّور وهناك

توخذ الخفارة لملك دنيمارك من جميع السفن الداخلة الى هذا البحر

ولما كانت هذه الولاية محاطة بالبحر الاقليلاً كان هواؤها ارطب من هواء البلاد المساوية لها عرضًا في القارة ويكثر فيها الضباب حتى تكاد الشمس تظلم بهِ ويقع فيها مطرٌ اكثر من ثلثي ايام السنة .وصيفها حارٌ اولهُ في حزيران ونهايتهُ في ايلول . واكثر ارضها رملية وبعضها بالوعية مغمورة بالمياه اكثر ايام السنة ولكن باجتهاد اهلها في الفلاحة حصلت على الخصب والصلاح . وقد انقسمت هذه الولاية الى ثلاثة اقسام.الاول دنيمارك الاصلية. الثاني مقاطعات سلسويك وهولستين ولاوينبرج وهذه المقاطعات الثلاث دخلت في المعاهدة الجرمانية وانضمت الى المملكة الجرمانية . الثالث جزائر فارو في شمال اسكوتسيا . وفي المملكة الاصلية ثلاث تُرَع اعظمها ترعة كيال الموصلة بين بحر بلتيك وبحر جرمانيا . وترعة سينكين الموصلة بين بحيرة اودنيسي والبحر

ومن امهات مدن هذه الولاية مدينة كوبنهاغن وهي قصبتها . وهذه المدينة مشهورة بحسن منظرها ومرساها وكثرة ابنيتها الجميلة . وفيها مدرسة كلية ومدارس اخرى عديدة ومرصد سلطاني لرصد الاجرام السموية وجنينة عظيمة فيها اكثر اجناس النبات الموجودة على وجه الارض . وبها مكتبة فيها

١٠٠٠٠٠ مجلد . واهلها ٢٢٥٠٠٠ نفس . ومدينة آلسنور وهي ذات الحصن العظيم حيث تدفع الخفارة كما مرّ وسكانها ١٠٠٠٠ نفس . ومدينة ألطونا التي فيها اكثر الكراخين والمعامل واهلها يبلغون نحو ٣٠٠٠٠ نفس

واما الاملاك الخارجية فكانت لها المقاطعات الثلاث المشار اليها من مقاطعات جرمانيا . ولها جزائر فارو التي عددها ٣٥ جزيرة سبع عشرة جزيرة منها مسكونة والبقية قاحلة واهلها نحو ١٣٠٠٠ نفس يعيشون من لحوم الطيور والاسماك . وجزيرة ايسلاندا وغرينلاندا في اميركا الشمالية سكانها نحو ٧٣٠٠٠ نفس وكرينلاند سكانها نحو ١٠٠٠٠ نفس . وجزائر الصليب والقديس توما والقديس يوحنا في الهند الغربية وحصن كريستيانبرج وغيرهُ على شطوط غيانا . وكراخين في قورماندل في الهند الشرقية . وعدد سكان جميع املاكها الخارجية ٢٠٠٠٠٠ نفس

ومن حواصل هذه المملكة المواشي والخيل . والكراخين بها قليلة ولكن اكثر اهل البلاد يشتغلون بصيد الاسماك . والديانة العالبة عندهم مذهب البروتستانت وبينهم قليلٌ من اللاتينيين وغيرهم . والحرية مطلقة لجميع المذاهب . ولهم مدرستان كليتان الواحدة في كوبنهاغن والاخرى في كيال . وفي قلعة كريستيانبرج قصرٌ فيهِ كثيرٌ من التصاوير البديعة . ولهم مكتبة فيها ٢٠٠٠٠٠

مجلد واكثر من ٥٠٠٠ مدرسة متوسطة . وهم يعتنون بتعليم اولادهم كثيرًا

واما الحكم فمن نوع الملكي المقيد بموجب دستور أُتفق عليهِ سنة ١٨٦٦ ولهم مجلسان بعض الاعضاء يسميهم الملك والبعض ينتخبهم الشعب . والاهالي من اصل طوطوني ولغتهم حسنة لينة تشبه لغة اسوج ونروج . وهم شقر الالوان متوسطون في طول القامة يستعملون المسكرات كباقي اهل الشمال ويلبسون احذية خشبية والى الآن لم يتقدموا في التمدن مثل بقية طوائف اوروبا . وكانوا قد اتفقوا مع اهل اسوج ونروج في القرن الثامن والتاسع على الغزو والنهب في البحر فكان اهل اوروبا يرتعدون خوفًا منهم . وفي القرن الحادي عشر استولت ملوك هذه الولاية على بلاد الانكليز مدةً طويلة . وفي القرن الرابع عشر تملكوا على اسوج ونروج ثم انفصلت عنهم اسوج في القرن السادس عشر ونروج في هذا القرن . والآن خمدت سطوتهم وانكسرت شوكتهم

الفصل التاسع عشر

في مملكة بروسيا

هذه المملكة قسم من امبراطورية المانيا المتقدم ذكرها يحدُّها من الشمال بحر بلتيك ومن الشرق روسيا. ومن الجنوب اوستريا وجرمانيا. ومن الغرب جرمانيا ايضاً. ومساحة سطحها ١٠٦٠٠٠ ميل مربع . وسكانها ٢٧٠٠٠٠٠٠ نفس. ومن انهرها نهر اودر طولهُ ٤٦٠ ميلاً وهو يصبُّ في بحر بلتيك . ونهر ألبا طولهُ ٥٨٠ ميلاً وهو يصبُّ في البحر الشمالي. ونهر فيستولا طولهُ ٦٥٠ ميلاً وهو يصبُّ في بحر بلتيك. وكل هذه الانهر سهلة الركوب للسفن . واما بحيراتها فصغيرةٌ لا تستحق الذكر . ولها جزيرة روجين في بحر بلتيك سطحها ٣٧٠ ميلاً مربعاً. واهلها نحو ٣٥٠٠٠ نفس. وحولها عدة جزائر صغيرة. واما هواؤُها فهو معتدل يوافق الصحة في النواحي الجنوبية وباردٌ رطبٌ متقلبٌ في مجاورة بحر بلتيك واما تربتها فالمخصب منها قليل واكثر اراضيها سهلة رملية او بالوعية. وتوجد بها معادن الفضة والنحاس والرصاص والحديد وفيها ينابيع من الملح. وتوجد بها الكهرباء دون غيرها من ممالك اوروبا تقذفها

الامواج على شطوط بحر بلتيك او تستخرج من التلال الرملية المجاورة لهُ . واما في داخل البلاد فنادرة الوجود . والتُرَع فيها قليلة مع ان ارضها أصلح لذلك لكثرة انهرها وبحيراتها واستواء سطحها

ومن أُمهات مدنها مدينة برلين وهي جميلة المنظر واسواقها واسعة مستقيمة وابنيتها فاخرة . وهي مقام العلماء . وبها مدرسة كلية ومدارس اخرى عديدة . واهلها يبلغون نحو ١١٢٢٠٠٠ نفس . ومدينة بوتسدام . وبها ابنية عظيمة وقصرٌ للملك . واهلها ٣٨٠٠٠٠ نفس . ومدينة كولون واهلها ١٤٤٠٠٠ نفس . ومدينة كُونِغسْبرج على نهر بريغل في عرض شمالي ٥٤° ٤٢′ وطول شرقي ٢٠° ٤٨′ بينها وبين البحر ٢٤ ميلاً . وهي مدينة حسنة يحيط بها سورٌ حصين طولهُ نحو ٧ اميال . وعدد اهلها نحو ١٤٠٠٠٠ نفس . وفيها كنيسة كبيرة مشهورة فيها أُرْغن لهُ ٥٠٠٠ انبوبة وبها قصرٌ للملك على شكلٍ مستطيل طولهُ ١٢٦ خطوة وعرضهُ ٧٥ خطوة وفيهِ محلٌ طولهُ ٢٧٤ قدماً وعرضهُ ٥٩ قدماً . ومدينة دانتزيك على ملتقى نهرين مع نهر فيستولا على اربعة اميال من البحر . وهي مشهورة بكونها ميناء للغلال في تلك النواحي جميعها حتى تسمَّت مخزن الشمال . وهي في طول شرقي ١٨° ٣٨′ وعرض شمالي ٥٤° ٢١′ وسكانها نحو ١٠٨٠٠٠ نفس

واهالي هذه المملكة لهم حق الخبرة في امور الفلاحة فهم

يزرعون الحبوب والكرم ويعتنون بتربية المواشي . ومن معاملها اقمشة الصوف والكتان والقطن وصناعة الخزف . ومطابعها عديدة وناجحة . اما متجرها فهو في المواشي والحبوب برًّا ومتجرها البحري آخذٌ في الاتساع . واما الديانة فاكثر اهاليها بروتستانت وفيها اقوامٌ من اللاتينيين واليهود. والحرية مطلقة لجميع المذاهب وفيها ست مدارس كلية تحسب من احسن مدارس اوروبا وعدة مدارس متوسطة . وبها ايضًا ٢٣٠٠٠ مدرسة عمومية وكل انسانٍ يلتزم ان يرسل اولادهُ الى المدرسة . ولا مملكة مثلها في اوروبا نظرًا الى المعرفة العمومية بين كل الرتب من اهلها

اما الحكم فمن نوع الملكي المقيد وعساكرها على عدد رجالها. وكل رجل بلغ السبع عشرة سنة من عمرهِ يلتزم ان يتجند في العسكر ثلاث سنوات ما لم يكن معلمًا فيخدم سنة واحدة ولكن جميعهم يبقون رديفًا الى سنّ الثلاثين سنة ويتعلمون مرة واحدة في الاسبوع وينصبون خيامهم ثلاثة اسابيع في السنة لاجل التعليم . ولذلك قيل لها ارض المدارس والقتل . وعساكرها احسن عساكر اوروبا كما اتضح من الحروب التي جرت بينها واوستريا ثم بينها وفرانسا واكثر اهاليها من الجنس التوطوني والبقية صقالبة . ولم يكن لهذه المملكة عبرةٌ الى اوائل هذا القرن . واول من جعل لها الشهرة فريدريك وليم الاول . واما فريدريك الثاني الملقب بالكبير فقد وسعها باضافة اراضٍ أُخَر اليها ولكنها

لم تحسب من الممالك الى بعد سقوط نابوليون بونابارتي سنة ١٨١٥ ولها بعض مقاطعات جرمانيا . وفي سنة ١٨٧١ صار ملك بروسيا امبراطور جرمانيا بعد النصرة على الفرنساويين

اما مملكة بافاريا فهي من جملة الممالك الجرمانية المتحدة وقصبتها مدينة مونيخ وسكانها ٢٤٠٠٠٠ ويليها مقاطعة بادن ومقاطعة هسّى ومقاطعة ورتمبرج وكلها داخلة المعاهدة الالمانية كما تقدم ذكرهُ

الفصل العشرون

في مملكة اوستريا والمجيار

هذه المملكة يحدُّها بافاريا وصاكصونيا وبروسيا وروسيا من الشمال وروسيا ايضًا وملدافيا من الشرق . وولاخيا وسربيا وبلاد الترك وبحر ادريا ونهر بو من الجنوب . وايطاليا وبلاد السويس وبافاريا من الغرب . ومساحة سطحها ٢٥٨٠٠٠ ميل مربع . واهلها ٣٧٨٨٣٠٠ نفس . وتخرقها جبال كربات وألبا شرقًا الى الغرب . وبها جبل اورتلو الذي ارتفاعهُ ١٢٨٥٠ قدمًا . وجبل آخر ارتفاعهُ ١٢٧٧٥ قدمًا . وجبل البينا

الذي ارتفاعهُ ١١٥٠٠ قدم واعلى جبال كرباثيا يبلغ الى ١٠٠٠٠ قدم

وفي هذه المملكة عدة انهر يمكن ركوبها وهي تصبُّ في اربعة ابحر اوروبا واعظمها نهر دونو ويقال لهُ نهر دانيوب ونهر ألطونا وهو يصب في البحر الاسود . ونهر ألبا وهو يصب في البحر الشمالي . وبها مخارج الانهر التي تصب في بحر بلتيك مارَّة في مملكة بروسيا . وبعض انهرها يصب في بحر ادريا واما بحيراتها فليست كثيرة واعظمها بحيرة بلاتيون طولها ٤٥ ميلاً وعرضها ١٠ اميال . وبحيرة نيوسيدال طولها ٣٠ ميلاً وعرضها ٦ اميال . وبحيرة زركفيز وهي دورية وموقعها على جبال عالية فتجفُّ بالكلية عدَّة اشهر في السنة فتصادف منها الاسماك ثم الوحوش ثم تزرع في ارضها الحبوب . ثم تاتيها المياه من ثقوب الجبال فتمتلي في مدة اربع وعشرين ساعة وذلك يُعَدُّ من نوادر الطبيعة

اما هواء هذه الولاية فمختلف جدًّا . لانهُ يكون معتدلاً في الجهات الشرقية وباردًا في الجبال ولا سيما في الناحية الغربية وحارًّا في بقاع نهر ألطونا . واشدُّ البرد يكون في مقاطعات بوهيميا . واما التربة فمنها جيدة للزروع ومنها المراعي وبها معادن كثيرة غنية من الذهب والفضة والنحاس والحديد والرصاص والقصدير والفحم الحجري والملح . وفيها ٦٠٠ نبع معدني وعدَّة

تُرَع اعظمها ترعة فرنسيس وطولها ٦٠ ميلاً . وترعة فينا ونيوسطادت طولها ٤٠ ميلاً

ومن امهات مدنها مدينة فينّا على جانبي نهر الوين بقرب مصبهِ في نهر الطونا وهي جميلة المنظر وبها ابنيةٌ فاخرة بينها ١٨ ساحةً لاجتماع الناس وفيها ٣٠ ديرًا و٥٠ كنيسة. واهلها ٤٠٠,٠٠٠ ١١ نفس. ومدينة نيوسطادت واهلها ١٠٠٠٠ نفس . ومدينة تريستة على شاطي بحر ادريا وهي ميناءٌ للمتجر واهلها ١٤٥٠٠٠ نفس ومدينة پراك في مقاطعة بوهيميا سكانها ١٦٢٠٠٠ نفس ومدينة بوداست في المجيار سكانها نحو ٢٦٠٥٠٠ نفس

ولما كانت هذه الولاية بعيدةً عن الابحر الكبار لم تكن تصلح لتجارةٍ واسعة ولكن لها حظٌ من التجارة البرية . وبها عدَّة من الكراخين ولكن ليس لاهلها عمومًا حذاقةٌ في الصنائع . ومن اعمالها انسجة الصوف والكتان ويصنع بها القرطاس والآلات الحديدية والخزف والزجاج وامتعة البيوت. واما الفلاحة والزراعة فقليلة فيها لقلة خبرة اهلها بهذه الصناعة

والديانة الغالبة في هذه المملكة هي الديانة اللاتينية ولكن فيها كثيرٌ من الروم والبروتستانت والحرية مطلقة للاديان وفيها اكثر من ٨٠٠٠ دير و٦ مدارس كلية ومدارس متوسطة عديدة. وحكمها من نوع الملكي المقيد وفيها بعض المقاطعات كان لها شيءٌ من الحرية مثل بلاد المجر التي كانت ذات احكام وشرائع مستقلة

ولكنها الآن خضعت لحكم اوستريا وانتزع ما كان لها من الاستقلال . واهل هذه الولاية من قبائل عديدة وهم يتكلمون بلغات مختلفة ويشتغلون في اعمال متنوعة ولم تكن هذه المملكة تحسب شيئًا ولا تُعدّ من الممالك الى القرن الثاني عشر . وفي اوائل هذا القرن اخذت تقوى وتمتدّ حتى صارت الآن تحسب من الممالك العظيمة

الفصل الحادي والعشرون

في بلاد السويس اي المعاهدة السويسيّة

هذه الولاية صغيرة ٢٥ مقاطعة يحدّها شمالاً جرمانيا . وشرقًا اوستريا وجنوبًا ايطاليا واوستريا ايضًا . وغربًا فرانسا . ومساحة سطحها ١٧٥٠٠ ميل مربع . واهلها ٢٨٤٦٠٠٠ نفس . وبها جبال ألبا التي هي اعلى جبال اوروبا وهي تخرق هذه الولاية في كل الجهات وارتفاع اعلاها يبلغ ١٥٧٠٠ قدم. وهذه الجبال لا يفارقها الثلج من سنةٍ الى اخرى . وبها مخارج عدة انهر اعظمها نهر راين الجاري الى الشمال في جرمانيا . ونهر رون الجاري

الى الجنوب في فرانسا . ونهر بو الجاري الى الشرق بين ايطاليا واوستريا ويصب في الخليج البندقي . واعظم بحيراتها بحيرة جنيڤه ويقال لها ايضًا بحيرة ليمان.وهذه البحيرة يمرُّ بها نهر رون وهي اعلى من سطح البحر بمقدار ١٢٥٠ قدمًا.وطولها ٤٠ ميلاً . وعمقها ١٠٠٠ قدم.ومياهها صافية نقية ومنظرها حسن جدًّا.وبحيرة قسطانس التي يمرُّ بها نهر راين . طولها ٥٠ ميلاً وعرضها ١٥ ميلاً

ولما كانت هذه الولاية مرتفعة كان هواؤُها نقيًّا موافقًا للصحة. وهو باردٌ في جبال آلبا ومعتدلٌ في السهول وحارٌّ في مقاطعة طيسين . وهواء الاودية يختلف كثيرًا في مسافةٍ قريبة حسب الارتفاع والانخفاض . وتربتها خصبة في الاودية والسهول وقاحلة في الجبال . وجبالها عسرة المسالك يتعذر الصعود اليها لكثرة الثلوج والمهاوي الخطرة واحيانًا تنفصل منها قطعٌ كبيرة من الثلج وتنحدر الى الاودية بصوتٍ هائل وتخرب القرى الواقعة في طريقها . وبها انواعٌ من الوحوش كالدب والثعالب ومن الجوارح نوعٌ من النسور يحمل في مخالبه جديًا او ولدًا

هذه الولاية خمس وعشرون مقاطعة . ومن أُمهات مدنها ذوريك وبرن ولوسرن وجنيفه وهي مدينة عظيمة ذات ابنية فاخرة وبها اكثر متجر البلاد . واهلها مشهورون بالرغبة في اكتساب العلوم والمعارف وفيها ٣٠٠٠ ساعاتي يصنعون كل سنة ٧٠٠٠٠ ساعة وسكانها نحو ٥٠٠٠٠ نفس . واصحاب الفلاحة

منهم لهم نباهةٌ في هذه الصناعة حتى اصلحوا اراضيهم الى الغاية مع انها رديَّة التربة في الاصل . ومن اعمال هولاء الاهالي اقمشة الحرير والقطن والكتان والجلود وآلات الحديد والصياغة ولاسيما الساعات . وبما ان الخفارة مرفوعة عنهم نراهم ناجحين في الامور التجرية ولهم البراعة التامة في تدبير النحل

واما الديانة فالنصف منهم بروتستانت ولهم احسن المدن والمدارس والعلوم والنصف الاخر لاتينية : واما الحكم فمن نوع المشيخة الجمهورية بموجب دستور اتفق عليهِ سنة ١٨١٤ والمجلس الاعلى مؤلف من اعضاء ينتخبهم الشعب وعددهم ١٤٥ عضوًا اي واحد لكل ٢٠٠٠٠ نفس من الاهالي لثلاث سنين . وكانت ملوك جرمانيا قد ابتدأت تظلمهم في اوائل القرن الرابع عشر فقام رجل من الفلاحين اسمهُ وليم تلْ وقتل العامل المنصوب من قبَل الملك . ونهض معهُ البعض من اهالي المقاطعات وتعاهدوا على مقاومة الملك وجرت بينهم حروبٌ . فدخلت بقية المقاطعات واحدة بعد اخرى في هذه المعاهدة واصبحوا مستقلين تحت الولاية الجمهورية ومن مدنها برن سكانها ٤٤٠٠٠ نفس وباسل سكانها ٦١٤٠٠ ولوسان سكانها ٣٠٣٠٠ نفس ولوسرن سكانها نحو نحو ١٨٠٠٠ نفس ونيوفشاتل سكانها نحو ١٥٦٠٠ نفس

الفصل الثاني والعشرون

في مملكة رومانيا ومملكة السرب

هذه المملكة اقيمت على دستور اتفق عليهِ سنة ١٨٧٧ وهي مؤلفة من ولايتي الفلاخ والبغدان ويحدها شمالاً اوستريا وروسيا وشرقًا روسيا والبحر الاسود وجنوبًا بعض الاملاك العثمانية اي ولاية بلغاريا وغربًا السرب واوستريا ونهر الطونا اي الدنيوب جارٍ بينها وبين بلغاريا وقصبة المملكة مدينة بوخارست والديانة الغالبة هي المسيحية على مذهب الروم الارثوذكس ومساحة المملكة ١٢٩٩٤٧ كيلو متر مربع وعدد السكان ٥٣٧٦٠٠٠ نفس

ومن انهر هذه المملكة نهر الوتا مخرجهُ في بلاد المجيار ويجري الى الجنوب ويصب في نهر الطونا ونهر سرَيث مخرجهُ في روسيا ويجري الى الجنوب الشرقي ويصب في نهر الطونا بقرب مدينة غلانس التي هي اكبر فُرَض نهر الطونا تصعد اليها السفن الكبار من البحر الاسود ونهر البروت مخرجهُ في روسيا ويجري الى الجنوب ويصب في نهر الطونا

ومن امهات مدن هذه المملكة مدينة جاسي وابرائيله

واسمائيل على نهر الطونا وسلاتينا وتشرنتس وكراجوڤا واورسوڤا على الحد بين رومانيا واوستريا وعلى حدودها الشمالية سلسلة من جبال كربات فاصلة بينها وبين بلاد المجيار التابعة مملكة اوستريا

اما مملكة السرب فاقيمت بموجب معاهدة برلين سنة ١٨٧٨ من النوع الملكي المقيد قصبتها مدينة بلغراد على نهر الطونا وسكانها نحو ٢٨٢٠٠ نفس وسكان المملكة كلها نحو ١٦٧٠٠٠٠ نفس

اما ولاية بوسنيا وهرتسكوڤينا فقد وضعت حكومة اوستريا يدًا عليها ولم يبقَ هناك طائفة مستقلة الّا اهل بلاد الجبل الاسود

الفصل الثالث والعشرون

في المملكة العثمانية في اوروبا

هذه المملكة يحدُّها شمالاً اوستريا ورومانيا . وشرقًا البحر الاسود وبوغاز القسطنطينية وبحر مرمرا وبوغاز الدردنيل . وجنوبًا بلاد الروم . وغربًا بحر الروم والبنادقة واوستريا . ومساحة سطحها مع بلغاريا وبوسنيا ٣٣٦٢٧٥ كيلومتر مربع

وسكانها ٨٦٥٠٠٠٠ نفس . وتخرق هذه المملكة جبال بلقان في شماليها شرقًا بغرب من البحر الاسود الى ضلماطية . وارتفاع رؤوسها العليا ١٠٠٠٠ قدم . وعلى حدود سربيا سلسلة جبال فرعية ممتدة جنوبًا تفصل بين البانية اى بلاد الارناؤط وبين الروملي حتى تصل الى بلاد اليونان . وارتفاع رؤوسها العليا ٩٠٠٠ قدم . وشعبة اخرى خارجة من جبال بلقان ممتدة الى بلغاريا والروملي الى نواحي البوغاز وبحر جزائر الروم . وارتفاع رؤوسها العليا ٦٠٠٠ قدم

اما الانهر فمنها نهر ماريزا . وهو يخرج من جبال بلقان ويصب في بحر جزائر الروم . وطولهُ ٣٥٠ ميلاً . ونهر درينو وهو ينقسم الى قسمين يسمى الشمالي منهما الدرينو الارناوطي والاخر الدرينو الاسود ويصبان في بحر ادريا . ونهر وردار مخرجهُ من جبال بلقان ومصبهُ في بحر سالونيكية وطولهُ ٢٠٠ ميل . ونهر ما لاسا مخرجهُ من جبال بلقان ومصبهُ في بحر جزائر الروم

واما الابحر والخلجان فيليها بحر ايجيان اي بحر جزائر الروم ولهُ خلجان عديدة . وبوغاز الدردنيل الموصل بين بحر ايجيان وبحر مرمرا . وبوغاز القسطنطينية والبحر الاسود وبحر اليونان وبحر ادريا وخليج سلونيك . واما الهواء فهو اجود من هواء بقية بلاد اوروبا . والامراض والاوبئة التي تحدث فيها لا تنتج من

رداءة الهواء بل من قلة اعتناء اهلها بنظافة ابدانهم وبيوتهم واسواقهم وصرف الاقذار الى حيث لا يتأثر بها الهواء

وارض هذه المملكة مخصبة جدًّا ينمو بها كل ما ينمو في الاقاليم الجنوبية كالبردقال والليمون والاترج والرمان والكرم والتين واللوز والزيتون والاشجار البرية كالبلوط والصفصاف والحور والارز والصنوبر وهلمّ جرًّا . وبها كثيرٌ من العقاقير الطبية والنبات الصالح للمراعي وهي مخترقة بالجبال والتلال المكتسية بالادغال والغواب . وفيها معادن الحديد والرصاص والكبريت والرخام ولكنها قلما تستخرج لغباوة اهل البلاد وكسلهم

وقد قسمت علماء رسم الارض هذه المملكة الى ست مقاطعات . والاتراك يقسمونها الى اربع ايالات وهي الروملي وسربيا وبوسنيا والارناؤط . ومن امهات مدنها القسطنطينية وهي المشهورة باسلامبول . بناها قسطنطين الملك سنة ٣٣٠ للمسيح وكان يقال لها قديمًا بزنتية . وهي مبنية على سبع تلال وارضها ترتفع رويدًا رويدًا من الخليج للداخل ومرساها حسنٌ عميقٌ وهي بين البحر الاسود وبحر مرمرا ومحيطها ١٢ ميلاً ولها سورٌ حصين علوهُ ما بين ١٤ و٣٠ قدمًا . وجاء في الاحصاءات الرسمية الاخيرة ان في الاستانة ١٦٢٨٦٦ منزلاً وهاك تفصيلها ٦٧٤١٤ بيتًا و٦٤١٩٦ من الحوانيت والمصارف والمخازن ونحوها و٢٥٤ خانًا . و١٧٥

حماما.و٤٩ قصرًا ونحوها و٢٧٨ منزلاً للوزارات ودوائر الحكومة السنية و١٩٨ قشلة وبيوتًا للحرس . و٦٧٤ جامعًا . و١٥٠ مدرسة للاسلام .و٤٦ امدرسة.و٦٥ مكتبة. و٢٤١ ديرًا و١٦ مستشفى . و١٦٩ كنيسة وكنيسًا منها ٦٠ للروم و٤٠ للارمن و١٠ للاتين و٦ اديرة . ومنظرها بهيٌّ جدًّا فترى القصور والجوامع والمواذن والحمامات والابراج والقلاع والاسواق البهجة عند اقبالك عليها كانها جنةٌ . ولكن هذه المناظر كلها تتلاشى عند الدخول اليها فلا ترى الاَّ اسواقًا معوجَّة وسخة ضيقة وبيوتًا من الاخشاب والقرميد والتراب مكلَّسة . واكثر جوامعها مبنية من الرخام وهي مسقوفة بالرصاص واعظمها جامع القديسة صوفيا الذي بناهُ الملك يوستينيان طولهُ ٢٧٠ قدمًا وعرضهُ ٢٤٠ قدمًا كان قديمًا كنيسةً للروم . وسكانها ٧٠٠٠٠٠ نفس . ومدينة ادريانوبلي وهي المدينة الثانية في المملكة وكانت مقام السلاطين القدماء.وفيها ابنيةٌ فاخرة وجوامع حسنة وقصورٌ قديمة ولها تجارةٌ واسعة واهلها ٦٣٠٠٠ نفس . ومدينة فيليبوبلي وهي مشهورة بتجارتها واهلها ٣٤٠٠٠ نفس ومدينة غاليبولي واهلها ٧٠٠٠٠ نفس . ومدينة سالونيكية وهي مدينة متجرية مشهورة بعمل الاقمشة والجلود واهلها نحو ٧٠٠٠٠ نفس . وبالقرب منها جبل اثوس الذي يُدعَى الجبل المقدس فيهِ ٢٣ ديرًا و٥٠٠ كنيسة ومغارة وفيهِ ٤٠٠٠ راهب يشتغلون بعمل الصُوَر والشمع

واهل هذه المملكة لا يحسنون صناعة الفلاحة ولا يتقنونها مع ان ارضهم جيدة تصلح لجميع الاغراس والزروع . ولا يلتفتون الى التجارة مع ان موقع بلادهم في غاية الموافقة لذلك فترى اكثر المتجر في ايدي الروم والارمن وبقية الغرباء . ويوخذ من عندهم البسط والقطن والصوف والحرير والتبغ والزبيب والتين والخمر والجلد . وكراخينهم لا تستحق الذكر لقلتها . والعلوم عندهم قليلة ولهم بعض المكاتب والمطابع ولكن منذ سنوات اخذوا يجتهدون في العلوم واقامة المدارس في مدينة القسطنطينية وما يليها باشارة السلطان عبد المجيد العثماني الذي انتبه الى كثيرٍ مما غفلت عنهُ اسلافهُ من نظام المملكة وتبعهُ وفاق عليهِ في ذلك السلطان عبد العزيز وديانة الاتراك هي الاسلام ولكن بينهم روم وارمن ولاتينية ويهود وبروتستانت والحرية مطلقة لجميع المذاهب

اما الحكم فمن نوع الملكي المطلق غير ان الاحكام تجري بواسطة مجالس لاجل ترتيب احكام المملكة . واصل الاهالي من اسيا استفتحوا هذه المملكة واخذوها من الروم في القرن الرابع عشر تحت راية بعض خلفاء السلطان عثمان الذي استولى على اسيا الصغرى في القرن الثالث عشر واسس المملكة بها . وكانت عساكر هذه المملكة لا تدخل تحت ترتيب الى هذا القرن حين ابتدأ السلطان محمود العثماني بنظام العساكر واباد وجاق الانكجارية من جميع المملكة وبنى مراكب حربية ورتبها حسب

ترتيب الافرنج . واكثر اهل هذه المملكة كرامٌ امناء لهم جسارةٌ واقدامٌ على الامور . وفي هذا العصر اخذوا يتقدمون في التمدن واكتساب المعارف

اما ولاية بلغاريا وولاية السرب فصارتا على نوع من الاستقلال بموجب معاهدة برلين سنة ١٨٧٨

الفصل الرابع والعشرن

في مملكة اليونان اي هلاس

هذه المملكة يقال لها مملكة هلأس ويحدُّها شمالاً مقدونية والبانيا من بلاد الاتراك . ومن بقية الجهات البحر المتوسط . ومساحة سطحها مع الجزائر البندقية ٦٤٦٨٩ كيلو متر مربع . وسكانها ١٩٧٩٠٠٠ نفس. تخرقها جبال عديدة وبها سلسلة جبل بندس وفيها جبل ايتا الذي ارتفاعهُ ١٥١١٥ قدمًا . وجبل بارناسوس الذي ارتفاعهُ ٥٧٥٠ قدمًا . وجبالٌ اخر عديدة وكلها مشهورة في التاريخ القديم . وانهرها صغيرة واعظمها نهر اخيلوس ونهر سسيفوس ونهر الفيوس ونهر ايوراتوس. وخلجانها وبواغيزها عديدة واشهرها خليج اجينا وخليج كورنثوس وخليج

فطرس وخليج ناوبوليا وبوغاز اغريبو . وبها راس ماتابان في جنوب المورة وهو راس اوروبا الجنوبي .وراس كولونيا وغيرها. ولها جزائر عديدة في البحر المتوسط واحسنها جزيرة سيرا . اما الهواء فجيدٌ يناسب الصحة وهو باردٌ في الجبال وحارٌ في السهول والاودية . واراضيها مخصبة جدًّا. ينمو بها الزيتون والتوت والكرم والتين ونحو ذلك . وتنقسم الى ست عشرة مقاطعة

ومن أُمهات مدنها مدينة اثينا التي كانت قديمًا اشهر مدن العالم ومقرّ العلوم والفلسفة والحرية وبها ابنية فاخرة لا يوجد مثلها في غيرها . وعدد اهلها ٦٣٠٠٠ نفس . ومدينة ميسولونكي ومدينة نابوليا ومدينة فرنثية وغيرها . واهلها من طائفة الروم وبينهم قليلٌ من الارمن والارناوط واليهود . وهم مشهورون بجمال الصورة والوانهم في الغالب سمرٌ نقية واعينهم سودٌ كبيرة . ولهم نباهةٌ وذكاءٌ وحدّةٌ في الطباع . وهم يحبون الحرب والغنائم واكثرهم في حال الجهل والغباوة . ومن صفاتهم المكر والخيانة والاحتيال . ومنذ القديم لم يقم رجلٌ صالحٌ في بلادهم الاَّ وقتلوهُ او نفوهُ من البلاد كما فعلوا بسقراط الفيلسوف وارستيذس الصديق وملتيادس وغيرهم . ولم تزل هذه الاطوار عندهم لكنهم من حينما استقلت مملكتهم تقدموا في العلوم والتهذيب قليلاً ولولا عجبهم لتقدموا اكثر فانهُ غالب عليهم الى آخر درجة

والحكم في هذه المملكة من نوع الملكي المقيد بموجب دستور

اتفق عليهِ سنة ١٨٦٤ . وكانت في القديم منقسمة الى جملة ولايات جمهورية فاستفتحها الرومانيون ولبثت في ايديهم حتى نقل قسطنطين الملك كرسيهُ الى القسطنطينية فصارت جزءا من المملكة الشرقية الرومانية . ثم استفتحها الاتراك فصارت جزءا من المملكة العثمانية . ثم نهضت في طلب الحرية سنة ١٨٢١ وجاهدت في الحرب ثماني سنين بامداد بعض دول الافرنج فاستقلَّ جانبٌ منها واقاموا ملكًا عليهم اوثون ابن ملك بافاريا ثم طردوهُ وملكوا عليهم جاورجيوس ابن ملك دنيمارك . وكانت هذه المملكة في القديم امّ العلوم والفلسفة . ومنها ظهرت الفلاسفة المشاهير مثل ارسطوطاليس وافلاطون وسقراط وغيرهم وبذلك يتفاخرون كانهُ يغنيهم عن الفضائل الشخصية . وفيها كان منشأ علم الطب كانوا يتدلولونهُ لسانًا لا خطًّا حتى ظهر بقراط فكتب الفصول التي شرحها ابن القف وظهر بعدهُ جالينوس وروفس وغيرهما فاتسعوا فيهِ . وكانوا يعبدون الاصنام التي منها صنم رودس المشهور الذي كان من نحاسٍ قائمًا فوق مدخل ميناها كما تقدم القول بذلك والسفن تمرُّ من بين رجليهِ على ما قيل وكانوا يبتنون لاصنامهم هياكل عجيبة قد بقي شيءٌ منها الى الآن وهو مما يذهل الناظرين

الفصل الخامس والعشرون

في مملكة ايطاليا

هذه المملكة يحدُّها شمالاً فرانسا وسويسرا واوستريا . وشرقاً اوستريا وبحر ادريا . وجنوباً وغرباً البحر المتوسط . ومساحة سطحها ١٢٠٠٠٠ ميل مربع . واهلها نحو ٢٨٧٢٣٤٠٠ نفس . وفيها جبال ألبا وجبال ابنيت وجبل كورنو الذي ارتفاعهُ ٩٥٢٠ قدماً . وجبل فيلينو الذي ارتفاعهُ ٨١٨٣ قدماً. وليس فيها انهرٌ عظيمة لقرب البحر من الجبال واعظمها نهر پو في شمالي المملكة ونهر تيبر الجاري على مدينة رومية . ومن خلجانها الخليج البندقي وخليج تريسته . ومن جزائرها جزائر سيسيليا وسردينيا . وفي هذه المملكة استنبطت الترع وغيرها من وسائط اجراء المياه من مكان الى آخر . فيوجد فيها تُرَعٌ عديدة وطرقها شهيرة عظيمة لانها تخرق الجبال بسراديب وتقطع الاودية بجسور . فالطريق التي تمرُّ في جبل شينيس علوُّها ٦٧٧٥ قدماً وطولها ٣٠ ميلاً وقد خرقوا هذا الجبل بدهليز عجيب الصنعة تمرُّ بهِ سكة الحديد بين ايطاليا وفرانسا . والطريق التي تمرُّ في جبل سمبلون

علوها ٧٠٠٠ قدم وطولها ٢٦ ميلاً وقد خرقوهُ بدهليز من سويسرا الى ايطاليا . والطريق التي تمرُّ في جبل سمبلغر علوها ٨٠٠٠ قدم وهي اعلى طرق اوروبا . واكثر هذه الطرق من اعمال الرومانيين القدماء لا الايطاليانيين المحدثين الذين ليس لهم مثل هذا الاجتهاد

واعظم مدن هذه المملكة مدينة رومية المشهورة في الاعصار القديمة والحديثة فيها ابنيةٌ فاخرة وقصورٌ عظيمة حسنة . وبها كنيسة الرسولين بطرس و بولس وهي اكبر كنائس العالم واجلها . وهناك مقام البابا رئيس الكنيسة اللاتينية ومقرُّ علماء تلك الطائفة ومدارسها الكبيرة . واهل هذه المدينة يبلغون نحو ١٧٢٠٠٠ نفس وقد أُحصي الاكليرس منهم فكانوا ٤١ من الاساقفة و١٥٣٢ من القسوس و٢٨٤٥ راهبًا و١٤٧٢ راهبة . ومدينة نابولي وهي جميلة بهية المنظر . واهلها نحو ٤٦٣٠٠٠ نفس . ومدينة باليرمو . واهلها نحو ٢٠٥٧٠٠ نفس . ومدينة بولونيا . واهلها نحو ١٠٤٠٠٠ نفس . ومدينة بادوا . واهلها نحو ٤٧٠٠٠ نفس . وبالقرب من مدينة نابولي بركان جبل بزوف ومن معاملها اقمشة الحرير والكتان والقطن والآلات الحديدية ومدينة ميلان سكانها ٢٩٥٥٠٠ وفيها كنيسة مشهورة من افخر ابنية العالم واجلها ومدينة تورين سكانها نحو ٢٢٠٠٠٠ كانت قصبة المملكة ثم نقل التخت الى رومية

منذ زمان لم تنمُ العلوم في هذه المملكة لفقد الحرية فترى اكثر اهلها في حالة الجهل والغباوة ومنذ استولى الحكم الايطالياني على كل البلاد أُطلِقت الحرية نوعًا واخذت البلاد تتقدم في المعارف تقدمًا عجيبًا وقلّ تسلط الغباوة والتصديق الاعمى . وهم من مذهب اللاتينيين وفيها اديرة عديدة تحتوي على عدد كثير من الرهبان والراهبات حتى قيل انهُ يوجد راهبٌ من كل مئة رجلٍ . وبها ابنيةٌ فاخرة جميلة لا يوجد مثلها في العالم وقصورٌ واسعة عظيمة . وفي طباع اهلها حدَّةٌ وفكاهةٌ ولكن تغيَّرت منهم تلك الطباع والعوائد الحسنة عندما فقدوا الحرية وهم من نسل القبائل المختلفة التي استفتحت ايطاليا في ازمنةٍ متفرقة ولكنَّهم الآن صاروا طائفة واحدة . واكثرهم سمر الالوان لهم هيئة الجمال وعيونهم منيرة وشعرهم اسود ونساؤُهم جميلات الصور.

وكانت هذه المملكة منقسمة الى اقسامٍ شتى تحت شرائع مختلفة . ولذلك كانت الاحكام فيها متنوعةً في تلك الاقسام . وكان جميع اهاليها تحت العبودية وليس لهم الحقوق والحرية التي كانت لاسلافهم الرومانيين . واقسامها السابقة سبعة . الاول مملكة سردينيا ويقال لها الساردو . وهي في شمال المملكة مساحتها ١٩١٢٥ ميلاً مربعًا . ولها جزيرة سردينيا ومن مدنها جنوا ونيقا وتورين . الثاني لومبارديا . ومن مدنها ميلانو وفيرونا وفينيس . اي المدينة البندقية . الثالث بارما . الرابع مودينا . وقصبتها

مدينة بارما ومودينا . الخامس توسكانيا . وقصبتها مدينة فيورنسا . ومن مدنها بيسا ذات القلعة العجيبة المبنية من ثمان طبقاتٍ مائلة على احد جانبيها كانها قد اخذت في السقوط فيخاف الغريب ان يمرّ بجانبها لئلا تقع عليهِ ومدينة ليغورنو ايضاً. ولها جزيرة ألبا وعدة جزائر اخر صغار على الريف البحري . السادس املاك البابا. وقصبتها مدينة رومية . السابع نابولي . وقصبتها نابولي ولها جزيرة سيسيليا . وقد اتحدت كل هذه الاقسام مملكة واحدة جليلة تحت الحكم الايطالياني سنة ١٨٦١ وطُرِد الملوك الظالمون الذين استولوا على رقاب العباد وصار اهل ايطاليا متمتعين بنوع من الحرية والنجاح ومن ذلك الوقت اخذت ايطاليا بالتقدم حتى صارت معدودة من دول اوروبا المعتبرة ولها بعض الاملاك على شاطي البحر الاحمر

الفصل السادس العشرون

في بلاد اسبانيا وبرتوكال وجزائر اوروبا

اما مملكة اسبانيا فيحدُّها شمالاً بحر بيسكي وجبال البُرت او البرن الفاصلة بينها وبين فرانسا. وهذه الجبال يسميها القزويني

جبال البرانس . وشرقًا البحر المتوسط . وجنوبًا البحر المتوسط ايضًا وبوغاز جبل طارق والاوقيانوس الاتلانتيكي . وغربًا الاوقيانوس المذكور وبرتوكال التي هي معها شبه جزيرةٍ في جهة الجنوب الغربي من قارة اوروبا بين ٥٧ َ ٣٥ ْ و٤٤ َ ٤٣ ْ من العرض الشمالي وبين ١٨ َ ٩ ْ طول غربي و٨ َ ٣ ْ طول شرقي . ومساحتها نحو ١٨٠٠٠٠ ميل مربع . وسكانها نحو ١٦٧٥٣٦٠٠ نفس

وهذه البلاد كانت قديمًا مشتهرة بمعادنها الغنية التي كان اهل فينيقية يجلبون منها الذهب والفضة . وكانت جزءًا من المملكة الرومانية مدة ٤٠٠ سنة ثم استقلت بذاتها ثم استفتح العرب بعضها في القرن الثامن . وكان فتحها عن يد الامير موسى بن نصير ومولاهُ طارق بن زياد . دخل اليها طارق بن زياد في خلافة الوليد بن عبد الملك بن مروان وهو سادس الخلفاء الامويين . ولم يملكوا على البلاد كلها بل بقيت الاهالي الاصلية في شمال المملكة وفي الجبال والاماكن المستوعرة . وكان الخلفاء يرسلون اليها من دمشق عمَّالًا حتى انقرضت دولة بني أُميَّة وخلفتهم الدولة العباسية فقام عبد الرحمن بن معوية بن هشام بن عبد الملك الاموي وتقلد الملك بها وعصى الخلفاء بني العباس فصارت الخلافة الاموية في الغرب والعباسية في الشرق . وسموا تلك البلاد بلاد الاندلس وكان تختهم في مدينة قرطبة واستمرُّوا

على ذلك الى اوائل القرن الثالث عشر حينما تقوّى عليهم اهل البلاد الاصليون وطردوهم من بلادهم ومن ثمَّ اخذت اسبانيا في الارتقاء والتقدم وقويت شوكتها جدًّا وامتلكت املاكًا واسعة في اميركا التي كشفها كرستوف كولومبوس بمساعدة الملكة ايسابلاّ . ثم اخذت اسبانيا في الانحطاط حتى صارت الآن لا تحسب بين الاقران المعتبرة والحكومة من نوع الملكي المقيد بموجب دستور اتفقوا عليهِ سنة ١٨٧٦

اما جبال اسبانيا ما عدا جبال برَانِس الفاصلة بينها وبين فرانسا فهي ست سلاسل تخرق البلاد شرقًا وغربًا واعلاها في الجهات المتوسطة وكان العرب يسمونها جبال الشارة والسلسلة الجنوبية منها لا يفارقها الثلج ابدًا وهو دائمٌ عليها على ارتفاع ٩١٧١ قدمًا واعلى هذه الجبال يبلغ ١١٧٠٠ قدم . وقد سمَّت العرب هذا الجبل جبل شلير . وفيهِ يقول بعض المغاربة وقد مرَّ بهِ فوجد الم البرد

يحلُّ لنا ترك الصلاة بارضهم وشرب الحُمَيَّا وهي شيءٌ محرَّمُ
فرارًا الى نار الجحيم فانها اخفُّ علينا من شلير وارحمُ

واكثر هذه الجبال جرداء وبعضها ينبت فيهِ الشجر من كل نوعٍ كالارز والسندجان والفلين والكستنا والطرفاء والصنوبر

وما اشبه ذلك

واما الانهر ففيها ٢٣٠ نهرًا ولكن اكثرها صغيرة لا تستحق الذكر. ومن انهرها المعتبرة نهر اشبيلية الذي يمرّ على قرطبة. واشبيلية هي المعروفة الان بمدينة سيفيل وهذا النهر مصبهُ في الاوقيانوس بقرب قادس وطولهُ نحو ٢٥٠ ميلاً ويُرى فيهِ المد والجزر نحو ٩٠ ميلاً. وهو المشار اليهِ بقول بعض شعراء الاندلس

خليليَّ بادرْ بي الى النهر بكرةً وقف منهُ حيث المدُّ يثني عنانهُ
ولا تجُزِ الارحى فان وراءها يبابًا وعيني لا تريد عيانهُ

ويدخلهُ عدة انهر من الشمال والجنوب منها نهر شنّيل وهو المارُّ على مدينة غرناطة. ونهر مرسية وهو الجاري شرقًا الى مدينة مرسية منصبًا في البحر المتوسط ونهر الوديان وهو يجري غربًا ثم جنوبًا. ونهر نغوس وهو يجري غربًا ثم يمرُّ على برتوكال. ونهر دورو كذالك وهذه الثلاثة تصب في الاوقيانوس. واما نهر أَبْرُهْ فهو يجري الى الجنوب الشرقي ويصب في البحر المتوسط بقرب مدينة طرطوشة قال القزويني فيهِ نوعٌ من السمك يقال لهُ التَرَخْت لا يوجد في غيرهِ البتة. ويصبُّ في البحر المتوسط احد عشر نهرًا غير الانهر المذكورة وهذه اعظم انهر اسبانيا

وليس في اسبانيا بحيراتٌ تستحق الذكر ولكن فيها بعض

المستنقعات التي تفسد الهواء بمجاورتها . وليس فيها من الترع المعتبرة سوى اثنتين احداهما بين نافار وسراغوسة والاخرى بين سنتندر على بحر بيسكي ونهر دورو . وبها كثيرٌ من العيون المعدنية حتى قيل انها تبلغ نحو ١٣٠٠ عين

ومن هذه البلاد جانبٌ كبير مرتفع فوق مساواة البحر نحو الف قدم فصاعدًا . ولذلك يكون هواؤها معتدلاً مقويًا للابدان . وهذه البلاد وان كانت في جنوبي اوروبا الآن هواءها اصحّ من هواء غيرها مما يعادلها عرضًا للسبب المذكور . وتربتها جيدة يصحّ بها كل ما يصح في بقية اجزاء اوروبا . وفيها بعض حواصل افريقية واسيا واميركا . وبها كثيرٌ من المعادن الغنية وخيلها وحميرها وبقرها وغنمها ومعزاها جيدٌ في الغاية ومع كل ذلك ترى اهلها في حالةٍ يُرثى لها . وذلك من جرى الحروب الداخلية وكبرياء الاهالي والتعصب الواقع بينهم . ولغتهم ممتزجة من اللاتيني وبعض لغات قبائل شمالية تغلبت على اسبانيا واستوطنت بها وعندهم كثيرٌ من الاشعار والفنون اللغوية وظهر بينهم خلقٌ كثيرٌ من المولفين المشهورين اخذوا جانبًا كبيرًا من علومهم عن العرب في مدة اقامتهم في الاندلس وبهذه الوسيلة دخلت العلوم الى بلاد اوروبا . قيل كان في مكتبة الخلفاء في مدينة قرطبة ٦٠٠٠٠٠ مجلد . وفي بقية البلاد ٧٠ مكتبة عامة ولم يزل في المكتبة الملكية نحو ٢٠٠٠ مجلد من الكتب العربية

اما حكم اسبانيا فمن نوع الملكي المقيد كما تقدم تُجرَى الاحكام بواسطة مجلسين اعلى وادنى . وايراد المملكة السنوي يبلغ نحو ٥٠٠٠٠٠٠ من الليرات الانكليزية . وعلى المملكة دينٌ يبلغ ٢٠٠٠٠٠٠٠٠ من هذه الليرات المذكورة . واجنادها نحو ٣٠٠٠٠ نفر . ومراكبها الحربية لا تستحق الذكر . وقد انقسمت المملكة الى اربعة اقسام كبرى وهذه الاقسام تنقسم ايضاً الى عدة اقسام صغرى اي ٤٧ مقاطعة ما عدا الجزائر

اما مدن اسبانيا فمنها مدينة قرطبة سكانها الآن نحو ٤٩٠٠٠ نفس . وكانت كرسي الخلافة في ايام حكم المسلمين في الاندلس . قيل كان بها يومئذٍ ١٦٠٠ جامع و٩٠٠ حمَّام . ومن الحوانيت ٨٠٤٥٥ ومن البيوت ٢٦٣٣٠٠ ومن السكان ١٠٠٠٠٠٠ ولم تزل بها بقايا دور الخلفاء . وكان بالقرب منها مكانٌ يقال له الرصافة انشاه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان الاموي اول من ملك في الاندلس من بني أُميَّة وسمَّاها باسم رصافة جدّهِ . وقد نُسِبَ اليها قومٌ منْ اهل الفضل منهم يوسف بن مسعود الرصافيُّ وغيرهُ . ذكرهُ ياقوت في المشترك وفيها يقول بعض علماء الاندلس

باربعٍ فاقت الامصارَ قرطبةٌ ... منهنَّ قنطرةُ الوادي وجامعها
هاتانِ ثنتانِ والزهراءُ ثالثةٌ ... والعلم اعظم شيءٍ وهو رابعها

واما مدينة اشبيلية فكانت ايضًا من المدن المعتبرة . قيل كان بنو مروان بعد انتقال دولتهم من الشرق ما زالوا يلهجون بالشام حبًّا لها فسموا عدة بلادٍ في الاندلس باسماء بلادٍ في الشام ومن ذلك اطلقوا على اشبيلية اسم حمص . وكان من معاملة اشبيلية مدينة شلب وكان فيها قصرٌ مشهورٌ يقال لهُ الشراجيب وفيهِ يقول المعتمد بن عباد الاندلسيُّ

وسلم على قصر الشراجيب عن فتًى
لهُ ابدًا شوقٌ الى ذلك القصرِ

وسكانها الآن نحو ١٢٢٠٠٠ نفس ومن المدن المشهورة في تلك الايام مدينة طُلَيطِلة التي يقول فيها بعض الشعراء

زادت طُلَيطِلةٌ على ما حدَّثوا بلدٌ عليهِ نضارةٌ ونعيمُ
اللهُ زينهُ فوشَّح خصرهُ نهر المجرَّة والغصون نجومُ

عصى اهلها على الامير محمد فغزاهم وهدمها وفي ذلك قال الحكيم عبَّاس بن فِرناس

اضحت طليطلة معطَّلةً من اهلها في قبضة الصقرِ
تُرِكت بلا اهل تؤهلها مهجورة الاكناف كالقبرِ

ما كان يبقي الله قنطرةً نُصبت لحمل كتائب الكفرِ

ومن تلك المدن ايضًا مدينة بطليوس . وهي التي يقول فيها ابن القلاس

بطَلْيُوسُ لا انساكِ ما اتَّصلِ البعدُ
فلله غورٌ من جنابكِ او نجدُ
ولله دوحاتٌ تحنُّكِ بينها
تفجَّر واديها كما شُقِّق البُرْدُ

اما مدينة غرناطة فقال فيها بعضهم

غرناطةٌ ما لها نظيرٌ ما مصر ما الشام ما العراقُ
ما هي الاَّ العروس تجلى وتلك بالجملة الصداقُ

وسكانها الآن نحو ٧٢٠٠٠ نفس

واما مدينة مادريد فهي قصبة المملكة وهي مدينة حسنة اهلها نحو ٢٩٢٠٠٠ نفس وبها ابنية فاخرة من الدور والكنائس والمدارس والمكاتب والقصور . وعلى مسافة ٢٢ ميلاً منها دارٌ من دور الملك تحسب من افخر ابنية الدنيا . ومن مدن هذه المملكة ايضًا مدينة قادس وملاغة ومرسية وبلنسية وطرطوشة وبرشلونة وسلمنكة وليبوس وقستليون وسرَقُسطة وهي من ثغور المسلمين في

ايامهم وكان فيها كثيرٌ من المتنزهات منها قصر السرور ومجلس الذهب اللذان يقول فيهما ابن هود

قصرَ السرور ومجلسَ الذهبِ بكما بلغت نهاية الطربِ

وسكانها الآن نحو ٨١٠٠٠ نفس

ومن الاماكن المشهورة بالاندلس عين الذهب التي يقول فيها مصطفى افندي الساني هذا الموشح

بأبي وبأبي وبابي جرعةٌ من ماء عين الذهبِ

دور

يارعاه الله من وادٍ وسيم
صحَّ فيهِ الماء واعتلَّ النسيم
نُعرَف النضرة فيهِ والنعيم
عيشُنا فيهِ رخيٌّ اللبَبِ
يؤخَذ الصيدُ بهِ من كثَبِ

دور

وديع الحسن معشوق الدلال

لو عصرت الظرف من عطفيه سال
قمرٌ ينظر من عينِ غزال
واذا ساجلتهُ بالادبِ
يملأ الدلوَ لعقد الكَرَبِ

دور

نفخ روح الراح في جسم الزجاج
انما ينمو عن فيض المزاج
ايها الساقي فبادر بالعلاج
رصّع الشمسَ لنا بالشهُبِ
واسكب الفضّة فوق الذهبِ

ومنها مرج الفضة وهو الذي راى المعتمد بن عبد غديرهُ يتجعد بهبوب الرياح عليهِ فقال نسج الريح على الماء زرَد وامر وزيرهُ ابا بكر بن عمار باجازتهِ فافحم فاجازتهُ الرميكية بالهُ درعًا منيعًا لو جمَد . وفي تلك الايام نشا من المسلمين بالاندلس خلق كثيرٌ من العلماء والشعراء منهم الشيخ محمد بن مالك الجيّانيّ صاحب الالفية المشهورة في علم النحو والتصريف . والشيخ ابو حيان الاندلسيّ صاحب اللمحة البدرية في النحو . والشيخ علي الاشبيليّ صاحب الديوان المشهور في الغزل . والاديب ابو

الحسن القرطبيُّ والشريف الغرناطيُّ . وابن هاني الاندلسي الشاعر المشهور الذي يقول فيهِ بعضهم

ان تكن زاهدًا فكن كأُوَيسٍ   او تكن شاعرًا فكن كابن هاني
انَّ من يدَّعي بما ليس فيهِ   كذَّبتهُ شواهد الامتحانِ

كان في عصر الخليفة معز لدين الله الفاطميّ وكذلك اصحاب الموشحات الاندلسية وهم سبعةٌ وغيرهم مما لا يحصى من المشائخ والادباء الذين لا موضع لذكرهم هنا

ومن مدنها الشهيرة مالقة ينبت فيها التين الذي يضرب المَثَل بحسنهِ ويحمل منها الى الآفاق قال ابو الحجاج المالقي

مالقةٌ حُيِّيتَ ياتينها   الفلك من اجلك ياتينها
نهى طبيبي عنك في علَّتي   ما لطبيبي عن حياتي نهى

وسكانها الآن نحو ١١٣٤٠٠ نفس . اما جبل طارق فهو حصنٌ قويٌّ على مدخل البحر المتوسط حيث العرض ٩ ٣٦ شمالي . والطول ١٧ ٥ شرقي . وهذا الجبل صخرٌ عظيم يبلغ ارتفاعهُ ١٤٣٩ قدمًا وفيهِ مغاير واسعة محصَّنة بالمدافع وغيرها فهي حصونٌ طبيعية . ومدينة جبل طارق على سفح الجبل في جونٍ من غربيهِ . وهذه الاماكن بيد الانكليز اخذوها من مملكة اسبانيا

بعد حرب شديدة سنة ١٧٠٤ وقد اهتمت باخذها منهم مملكة فرانسا واسبانيا وبلغوا غاية جهدهم في ذلك مرارًا عديدة فلم يستطيعوا اخراجهم منها

واما مملكة برتوكال فيحدُّها من الشمال والشرق مملكة اسبانيا . ومن الجنوب والغرب الاوقيانوس الاتلانتيكي . ومسافة سطحها ٣٦٠٠٠ ميل مربع . واهلها نحو ٤٧٠٨٠٠٠ نفس . ويدخلها سلاسل جبال اسبانيا الجنوبية والغربية . واعظم انهرها نهر دورو . ونهر الوديان ونهر تاغوس . وهي تدخلها من اسبانيا وتصبُّ في الاوقيانوس . واما هواؤُها فهو جيد معتدل يوافق صحة الابدان ولا يشتد فيها الحرُّ لمجاورتها للبحر . واراضيها مخصبة حسنة وفيها معادن غنية ولكن قلما تُطرَق لتهاون اهلها وكسلهم . وحكمها من نوع الملكيّ المقيد والبلاد مقسومة الى عشرين مقاطعة ما عدا الجزائر

اما المدن فمن اعظمها مدينة ليسبون المبنية على جانبي نهر تاغوس بالقرب من مصبهِ . وفيها ابنية فاخرة جميلة وقصورها اجمل قصور اوروبا وبها ١٤٠ كنيسة و٧٥ ديرًا ولها مكتبة فيها ٨٠٠٠٠ مجلد وسكانها نحو ٢٤٦٠٠٠ نفس . ومدينة ابورتو وهي مدينة حسنة غزيرة المياه واكثر متجرها في البرتوكال والليمون والخمر . واهلها يبلغون نحو ١٠٥٨٠٠ نفس . واهل هذه المملكة لا يعتنون بالفلاحة مع جودة ارضهم وخصبها . ولا يوجد فيها

الآن الا قليلٌ من المتجر والكراخين لسبب الحروب والمخاصمات الجنسيةّ التي ابتدأت فيها من سنة ١٨٣٠ واهلها على مذهب اللاتينية . وفيها ٣٦٠ ديرًا للرهبان فيها ٦٠٠٠ راهب . و١٢٨ ديرًا للراهبات فيها ٦٥٠٠ راهبة . ولا يوجد بها سوى مدرسة كلية في مدينة كويمبا وغيرها قليل من المدارس العامة ولذلك كانت علماؤها قليلة . وكان لها سابقًا املاكٌ خارجية واسعة ولكن في عصرنا هذا لم يبقَ لها غير القليل في اميركا والهند وجزائر اسيا والجزائر الغربية في الاوقيانوس الاتلانتيكي

اما الاهالي فهم من اصل اهالي اسانيا وهم يشبهونهم في اللغة والاخلاق والعوائد . وكان اسم هذه المملكة عند اليونانيين والرومانيين لوسيستانيا . وكانت خاضعة للرومانيين مثل اسبانيا ثم استقلّت بنفسها سنة ١١٣٩ واشتهرت في القرن الخامس عشر وامتدت املاكها في الشرق واميركا . واهل هذه المملكة هم الذين كشفوا طريق الهند بحرًا على راس الرجاء الصالح في جنوبي افريقية وصارت في القرن السادس عشر مملكة قوية عظيمة ولكنها اضيفت الى مملكة اسبانيا بعد وفاة الملك سبستيان سنة ١٥٧٨ اذ كان لم يترك وارثًا لهُ . ثم قام اهلها سنة ١٦٤٠ واستقلوا ولكن لم يحصلوا على ما كانوا عليهِ قبلاً من الحرية والسطوة والقوة برًّا وبحرًا . واهل هذه المملكة واهل اسبانيا ايضًا لا يريدون ان يدخل احدٌ من اليهود الى بلادهم البتّة

واما جزائر اوروبا فليست كثيرة العدد ولا معتبرة بالنسبة الى جزائر اسيا واميركا . وبعضها في بحر الثلج الشمالي والبعض في الاوقيانوس الاتلانتيكي وبعضها في بحر المتوسط وهي افضلها . ومن هذه الجزائر جزيرة سبيتسبرْكَن في البحر الثلج الشمالي وهي في الحقيقة عدة جزائر قاحلة واقعة بين ٧٦° و٨٠° من العرض الشمالي وبين ٩° و٢٤° من الطول الشرقي . واكبر هذه الجزائر يبلغ طولها نحو ٣٠٠ ميل . وبها جبالٌ عالية يبلغ بعضها الى ٤٥٠٠ قدم . وهي تابعة لمملكة المسكوب وهم يصيدون الحيتان في البحر تلك الناحية عندما ينفتح مجرى للسفن في الجليد الذي غالبًا يمنع دخول المراكب

اما جزيرة ايسلندا فبينها وبين كرينلاند في اميركا ٩٩ ميلاً. وهي عن جزائر فرو ٢٢٠ ميلاً . وعن نروج ٣٢٠ ميلاً . وطولها نحو ٢٨٠ ميلاً . وعرضها نحو ٢١٠ اميال . ومساحتها نحو ٤٠٥٠٠ ميل مربع . واهلها نحو ٧٢٥٠٠ نفس . وهي تابعة لدنيمارك والجانب الاعظم منها جبال قاحلة غير مسكونة وارتفاع بعضها يبلغ نحو ٦٠٠٠ قدم وبها بركان جبل هكلة وكثيرٌ من العيون الحامية يفور منها الماء سخنًا الى درجة الغليان ومن بعضها يندفع اندفاعًا شديدًا فيصعد احيانًا نحو ٩٠ قدمًا كانهُ من نوفرة عظيمة . وفيها من الحيوانات الدب والثعلب وعجل البحر والدب الابيض الشمالي وبعض الحيوانات والطيور الاليف

واكثر النباتات المأكولة الشمالية . ويصاد من شطوطها كثيرٌ من انواع السمك

اما جزائر فارو فهي نحو ٣٥ جزيرة واقعة بين ايسلاند وجزائر شتلاند وهي تابعة لدنيمارك . واهلها نحو ١١٣٠٠ نفس . واكثر اعتمادهم على صيد السمك والتقاط الطيور التي تصنع اوكارها في الصخور على شطوط البحر . واما جزائر شتلاند وهبريدن فهي تابعة للملكة البريطانية . واهاليها فقراء واكثر اعتمادهم على صيد الاسماك والطيور . واما جزائر البحر المتوسط فمنها منوركه وميوركه وافيكه وهي تابعة اسبانيا . وجزيرة كورسيكا لفرانسا وجزيرة سرّدينيا وهي تابعة لمملكة ايطاليا . وجزيرة سيسيليا او السقلية وهي تابعة لمملكة ايطاليا . وجزيرة مالطة وهي تابعة لمملكة الانكليز . والجزائر البندقية وهي سبع جزائر كبار وعدة من الصغار على غربي بلاد الرومُ عند مدخل بحر ادريا الذي منها تسمى خليج البنادقة وهي مستقلة بذاتها وكانت تحت حماية دولة انكليترا وهي الآن تابعة هلاّس

اما جزائر الروم فهي عدة جزائر واقعة بين بلاد الروم واسيا الصغرى . منها جزيرة ميلو واندروس وتينو وسيرا وغيرها . واما الجزائر التي تخص اسيا فقد تقدم الكلام عليها وذكرنا منها جزيرة كريت لمناسبةٍ هناك وان كانت عادة الجغرافيين ان يذكروها مع جزائر اوروبا فلا نعيد ذكرها هنا لعدم الحاجة اليهِ

الفصل السابع والعشرون

في قارة افريقية

هذه القارة شبه جزيرةٍ متصلة بقارة اسيا عند برزخ السويس. والراس الشمالي منها الذي يقال لهُ راس بونا واقعٌ في عرض شمالي ٤٥َ ٣٧ْ والراس الجنوبي منها الذي يقال لهُ راس الرجاء الصالح واقعٌ في عرض جنوبي ٣٤َ ٣٤ْ فيكون معظم عرضها من الشمال الى الجنوب ٤٢٣٠ من الاميال الجغرافية. ومثل ذلك طولها بين راس كواردفوي في عرض شمالي ٥٠َ ١١ْ وطول شرقي ٢٣َ ٥١ْ والراس الاخضر في عرض شمالي ٤٥َ ١٤ْ وطول غربي ٣٢َ ١٧ْ وقد حُسِبَت مساحتها مع بلاد السودان الخاضعة لها فكانت ٣٠٠٠٠٠٠٠ كيلومتر مربع وعدد السكان نحو ١٦٥٠٠٠٠٠٠ نفس وحدّها من الشمال بوغاز جبل طارق والاوقيانوس الاتلانتيكي والبحر المتوسط. وشرقًا برزخ السويس والبحر الاحمر وبوغاز باب المندب والاوقيانوس الهندي. وجنوبًا الاوقيانوس الجنوبي. وغربًا الاوقيانوس الاتلانتيكي. وشطوطها قليلة الرؤوس والخلجان والاجوان والجزائر. وهذه القارة يقسمها خط الاستواء قسمين غير متساويين شماليها مضاعف جنوبيها

في المساحة ومن النظر الى الخارتة يظهر ان افريقية كانت سابقًا متصلة باميركا لان الجزء الشمالي الغربي من افريقية عند اتصال القارتين يدخل الى خليج مكسيكو ومن اميركا الجنوبية عند راس سانت روك يدخل جزء الى خليج كينيا

ومن جبال افريقية سلسلة جبال اطلس . وهي في الحقيقة عدة سلاسل متوازية مارّة في بلاد الغرب بين ٣٨° و٢٧° من العرض الشمالي . وهي تمتدّ من راس خليج الكبريت شمالاً بغرب الى راس بونا ومن هناك غربًا الى فاس ومن هناك جنوبًا بغرب الى راس نون . واعلاها بين فاس ومراكش حيث ارتفاعها ١٢٣٠٠ قدم . وفي هذه الجبال كثيرٌ من الغياض الواسعة تأوي اليها الوحوش الضارية والافاعي الخبيثة . ومن جبال افريقية ايضًا سلسلة تمتدّ من بلاد الحبش جنوبًا وتلحق الشاطئ الشرقي الى راس الرجاء الصالح من اعلى رؤوسها جبل كليما نجارو في عرض جنوبي ١٠' ٣° وطول شرقي ٢٩' ٣٧° علوهُ نحو ١٨٨٣٠ قدمًا والثلج عليهِ على مدار السنة وجبل كنيا في عرض جنوبي ١٠' وطول شرقي ٥٠' ٣٦° وبينهما سلسلة جبال طولها نحو ٦٠ ميلاً علو اعلى رؤوسها بين ٣٠٠٠ و١٤٠٠٠ قدم . وبقي جانبٌ كبيرٌ من اواسط هذه القارة غير منكشف ولا يُعلَم ما فيهِ من الجبال والسكان . وفي المكتشف منها كثيرٌ من الصحاري والبوادي الواسعة . منها الصحراء الكبيرة الى جنوبي بلاد الغرب وهي تشغل

اكثر شمالي افريقية بين ١٦° و٢٩° من العرض الشمالي وطولها نحو ٦٦٠٠ ميل وعرضها نحو ٧٥٠ ميلاً

اما انهر افريقية فكثير منها لا تُعلَم مخارجها وكثيرٌ لا نُعلَم مصابّها . وذلك للمشقات التي تتعرض لاهل السياحة في الدخول الى اعماق البلاد واستتباع انهرها. ومن اشهر انهر افريقية نيل مصر وهو مصطنع من نهرين او اكثر يقال للواحد البحر الابيض وللاخر البحر الازرق . اما البحر الازرق فمؤلف من نهيرات مخارجها في جبال بلاد الحبش يجري الى الشمال الغربي ويلتقي بالبحر الابيض عند مدينة الخرطوم ويدخلهُ نهر عطبرة من الجنوب الشرقي بقرب بربر

اما البحر الابيض او النيل الابيض فقد تتبعهُ بعض السياح الى عرض جنوبي ٢° فهو مؤلف من مياه بحيرتين شرقيهما بحيرة نيانزا ڤكتوريا وغربيهما بحيرة نيانزا أَلْبَرْت تصب اليها مياه الجبال المجاورة ويخرج من الاولى نهر يصب في الثانية في جهتها الشمالية الشرقية ثم بقرب مصب هذا النهر يخرج من الثانية نهر النيل الابيض يجري الى الشمال ويلتقي بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم كما تقدم فيمرُّ في بلاد الحبش والنوبة ومصر ويصب في البحر المتوسط. ونهر سنيكال وهو يخرج من جبال على جنوبي الصحراء الكبيرة ويصب في الاوقيانوس الاتلانتيكي حيث العرض ١٦′٥° شمالي . وطولهُ نحو ٨٠٠ ميل. ونهر كمبيا مخرجهُ في الجبال

الى الجنوب الغربي من الصحراء حيث العرض ٢٦° ٣٠′ ١٠ شمالي . وهو ياخذ الى الشمال الغربي بتعاريج كثيرة ثم ينعطف الى الجنوب الغربي ويصبّ في الاوقيانوس في عرض شمالي ١٤° ٢٠′ وطولهُ نحو ٦١٠ اميال . اما نهر نيجر فمخرجهُ في الجبال الى جنوبي الصحراء الكبيرة حيث الارتفاع نحو ١٦٣٨ قدماً والعرض ١٠° ٩′ شمالي وهو يجري تارةً الى الشرق واخرى الى الغرب واخرى الى الجنوب وينقسم الى عدة فِرَق واعظمها يصب في الاوقيانوس الاتلانتيك عند راس فرموسا . وطولهُ نحو ١٤٤٠ من الاميال الجغرافية وبين فِرَقهِ دلتا طول قاعدتها نحو ٣٦٠ ميلاً . ونهر كونكو مصبهُ حيث العرض ٦½° جنوبي ومخرجهُ من بحيرة بمبا في ١١° عرض جنوبي ٣٨½° طول شرقي ومن ثم يجري الى الشمال مائلاً الى الغرب حتى يقطع خط الاستواء الى ٣° عرض شمالي ثم ينعطف الى الجنوب الغربي حتى يصب في الاوقيانوس الاتلانتيكي كما تقدم وبين مصبهِ وبحيرة ستانلي عدَّة شلالات ورقاريق ومن بحيرة ستانلي الى شلالات ستانلي مسافة ١٠٠٠ ميل ونيف تجري فيهِ السفن بسهولة . ونهر اورانيا مصبهُ عند ١٩° عرض جنوبي . ونهر كويليمان مصبهُ في الاوقيانوس الهندي في نحو ٦½° عرض جنوبي

واما بحيرات افريقية فمنها بحيرة تشاد في اواسط القارة في نحو ١٣° من العرض الشمالي يدخلها عدة انهر من الجنوب

والغرب . وفيها كثيرٌ من السمك وحولها اراضٍ جيدة مخصبة . وبحيرة دبو بقرب تنبكتو . وبحيرة قارون في مصر . وبحيرة دنبيه في بلادْ الحبش وبحيرة فكتوريا وبحيرة ألبرت المشار اليهما . وبحيرة نياسا وبحيرة تنكيكا وبحيرة بمبا وربما في داخل البلاد بحيراتٌ اخر لكنها غير معروفة عند الجغرافيين الى الان

اما هواء هذه القارة فهو حار يابس لوقوعها في الاقاليم الاستوائية وكثرة صحاريها . فمتى كانت الشمس الى الشمال من خط الاستواء تقطع الامطار هناك ومتى كانت الى جنوبيهِ تقع الامطار فيهِ . وتكثر الانواء في الاجزاء الواقعة بين خطي الاعتدال ويعسر السفر جدًّا في صحاريها لقلة الماء وكثرة الرمال الثائرة مع الرياح . وفي بعض الاماكن منها تهب ريح السموم وهي موْذية جدًّا للحيوان والنبات

وفي هذه القارة كثيرٌ من الحيوانات البرية والوحوش الضارية كالاسد والنمر والفهد والضبع . وهناك ايضًا انواع من القرود والكركدن والفيل والجمل والزرافة وفرس النهر وحمار الزرد والتمساح . وفيها من الطيور ٦٤٣ صنفًا منها ٥٠٠ صنف مختصة بهذه القارة . وفيها من الحيَّات العظيمة اصنافٌ كثيرة منها البواء الذي يبلغ طوله ٤٠ قدمًا . وبها ايضًا كثيرٌ من الاحناش والدبابات . وبها جميع حواصل الاقاليم الاستوائية ومعادن الذهب والحديد والنحاس والزيبق والملح والفحم المعدني . ومن

الجواهر البلور واليشب وغيرها

واما اهل هذه القارة فقد حسب عددهم نحو ١٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس. وهم قسمان سودان وبرابرة . اما السودان ففي كل القارة . واما البرابرة فهم اهل الجهة الشمالية وهم يمتازون عن السودان بهيئاتهم ودينهم الاسلام ومن المسلمين طوائف في اواسط القارة الى غربيها ولغتهم اللغة العربية وعندهم بعض كتب العلوم والآداب الموجودة في سائر البلاد العربية والسودان على مذاهب مختلفة من العبادة الاصنامية. وفي هذه القارة من اللغات نحو ١٥٠ لغةً . ولعدم تعيين الحدود بين الولايات والممالك وقلة المعرفة بها نقسم القارة الى سبعة اقسامٍ باعتبار الوضع لا باعتبار الولايات فنقول ان القسم الاول منها البلاد النيلية المشتملة على مصر ودنكلا والنوبة والحبش وبعض الولايات الصغار المجاورة لها . والقسم الثاني بلادُ المغرب المشتملة على الصحراء الكبيرة وبرقة وفزّان وتونس وطرابلس والجزائر ومراكش وتوابعها ويقال لها بلاد البربر . والثالث افريقية الشرقية المشتملة على زنجبار وموزمبيق وصوفالا وغيرها . والرابع افريقية الوسطى المشتملة على اقسامٍ شتى من القارة سكانها خلط من السودان والعرب . والخامس افريقية الغربية المشتملة على سنيكامبيه وكوينيه. والسادس افريقية الجنوبية المشتملة على بلاد الراس وبلاد الكفرة وولاية الترانسفال. والسابع الجزائر التابعة لهذه القارة وسيأتي الكلام فيها على هذا الترتيب

الفصل الثامن والعشرون

في بلاد مصر

هذه البلاد يحدُّها شمالاً البحر المتوسط . وشرقًا خطٌّ مفروض من خان يونس على البحر المتوسط الى السويس والبحر الاحمر . وجنوبًا بلاد النوبة . وغربًا الصحراء وبلاد برقة . وهي بين ٢٣°٤٠′ و٣١°٣٨′ من العرض الشمالي وبين ٣٠° و٣٢°٣٦′ ٣٤° من الطول الشرقي . فيكون معظم عرضها ٤٦٨ ميلاً . ومعظم طولها ٣٣٠ ميلاً من الاميال الجغرافية ومساحتها نحو ٨٠٠٠٠ ميل مربع . واهلها نحو ٣٠٠٠٠٠٠ نفس. والمعتبر من هذه البلاد هو الوادي المرويُّ بماء النيل الواقع بين جبلين . والبقية براري وصحاري قليلة النبات والسكان

اما نهر النيل فقد تقدم الكلام بمخرجهِ واصلهِ ويصبُّ فيهِ انهرٌ ونهيرات من بلاد الحبش . وقبل دخولهِ الى مصر يتعرض لجريانهِ صخورٌ فيحدث نوعٌ من الشلاَّلات وتسمى جنادل النيل الاول منها في بلاد دنكلة من النوبة . الثاني في بلاد النوبة الداخلة في حكم مصر وهو اقوى الثلاثة . الثالث عند دخول

النيل الى مصر بقرب اسوان ومن اسوان الى القاهرة يجري بين جبلين شرقيها ممتدٌ الى البحر الاحمر وغربيها ينتهي الى الصحراء الكبيرة والوادي الحادث بين هاتين السلسلتين ينفرج الى جهة الشمال واراضيهِ مروية بماء النيل عند فيضهِ وعندما ينتهي النيل الى مكان يقال لهُ بطن البقرة ينقسم الى شطرين احدهما يصبُّ في البحر المتوسط بقرب مدينة رشيد والاخر ياخذ الى دمياط . والارض التي بينهما يقال لها الذلتا عند اليونانيين والافرنج والبحيرة عند العرب. وهذا النهر حينما يكون على حالتهِ الاعتيادية لا يصلح لركوب سفينةٍ وسعها اكثر من ١٢٠٠ قنطار من مدخلهِ الى الجندل الاول ولكن عند فيضهِ تجري فيهِ السفن الكبيرة الى حد القاهرة اذ يكون عمقهُ حينئذٍ نحو ٤٠ قدمًا واما علة فيضهِ فهي وقوع الامطار الغزيرة في الجبال المجاورة لمخارجهِ . وقد اشار الى ذلك الامير تميم بن المعزّ بقولهِ

أما ترى الرعدَ بكى واشتكى والبرق قد اومض واستضحكا
فانظر الى غيمٍ كصبغ الدُّجى اضحك وجه الارض لما بكى
وانظر لماء النيل في مدّهِ كانهُ الصندل قد مُسِّكا

وهو يبتدئُ في الزيادة عند الانقلاب الصيفي ويصل الى اعلى درجة الارتفاع عند الاعتدال الخريفي فيستمر على ذلك عدة ايامٍ

ثم ياخذ في التناقص الى الانقلاب الشتوي . وبعد انحدار الماء من الاراضي تراها مكتسية بالطين وهو يدملها ويقويها على تغذية النبات والزروع . وكلما زاد فيض النيل زاد الخصب في بلاد مصر وفي ذلك يقول ابو الحسين المعروف بابن الوزير

اری ابدًا كثيرًا من قليلٍ * وبدرًا في الحقيقة من هلالِ
فلا تعجب فكل خليج ماءٍ * بمصر مسببٌ لخليج مالِ

وماء النيل في الغالب لا يصلح للشرب الاّ بعد ترشيحهِ وتصفيتهِ لما يخالطهُ من الاكدار وفيهِ انواعٌ شتى من السمك وكثيرٌ من التماسيح واكثرها في بلاد الصعيد . وقد بالغ بعض الشعراء في احترازهِ عن النيل لخوف التمساح حيث يقول

اضمرت للنيل هجرانًا ومقليةً * مذ قيل لي انما التمساح في النيلِ
فمن رَأَى النيل رَأْيَ العين من كَثَبٍ * فما ارى النيل الاَّ في البواقيلِ

يقول اذا كان الناس يرون ماء النيل في مجراهُ عن قربٍ

فهو لا يراهُ الاَّ في الكيزان التي يشربون منها في البيوت . وضدُّ التمساح حيوانٌ صغيرٌ يقال لهُ النمس يأكل بيضهُ ولكنهُ قليل لا يألف البيوت

اما الاقليم المصريُّ فقد وقع فيهِ المدح والذم . والصحيح انهُ لا يجوز الاطلاق في ذلك بل انما يقال ان هواءهُ مختلفٌ باختلاف الفصول . فانهُ في ايام فيض النيل يكون رطبًا ومن كانون الى اذار يكون باردًا ولكن البرد قليلٌ بالنسبة الى غيرهِ وحرارة الشمس تكفي لانبات الزروع فتكون ارض مصر كبستان واسع موشًّى بمروج خضر منثور بها النخيل . ومن اذار الى وقت فيض النيل يشتدُّ الحرُّ وتكثر الامراض الوبائية وامراض العينين. ووقوع المطر في مصر نادرٌ جدًّا الاَّ على الريف البحري وذلك لان الرياح الشمالية الغالبة هناك تطرد الابخرة الصاعدة من البحر الى الجنوب وليس هناك جبال عالية تستقرُّ عليها الغيوم فتجذبها جبال اواسط القارة حتى لا تقف على بلاد مصر . وبين الاعتدال الربيعي والمدار الصيفي تهبُّ ريح الجنوب وهي حارة يابسة ويكون هبوبها غالبًا ثلاثة ايام متوالية ويقال لها هناك ريح الخمسين

واما نباتات مصر فمنها ما يزرع في الاراضي التي يسقيها النيل عند فيضهِ ومنها ما يزرع في الاراضي الآخر ويساق اليها الماءُ بالترع او واسطة اخرى . فيخرج من هناك جميع انواع

الحبوب والجوارش والبزور والكوامخ كالخردل والانيسون والسمسم والقرطم والحلبة والزعفران والبرسيم والشلجم والقثاء والبطيخ والقطن والكتان والذرة والتبغ في بعض المواضع وفي الصعيد يزرع قصب السكر والنيلة . وفي نواحي دمياط والبحيرة يكثر الرز الجيد . وقيل ان اول زرع الرز في بلاد مصر كان في ايام الخلفاء . وفي نواحي الفيوم يزرع كثيرٌ من الورد لاستخراج مائهِ . وفيها من الاشجار الكمثري والتفاح والخوخ . ويكثر هناك الليمون والعنب والنارنج والمشمش والرمان والموز والجميز والخرنوب والتمر الهندي والحناء والاقاقيا وخيار الشنبر والدفلة والصفصاف والنخيل وهو اكثر اشجارها . وبالجملة يقال ان حواصل مصر كثيرة متنوعة لا يسعنا تعدادها واحدًا فواحدًا

والمواشي في مصر قليلة لقلة المراعي . وكان بها الخيل الجيدة للركوب في ايام مماليك الغزّ . واما جمالها وبغالها وحميرها فهي افضل شيء من هذه الانواع وكذلك جواميسها وفي البحيرة غنمٌ اصلهُ من بلاد المغرب . وحيواناتها البرية قليلة لقلة المأوى لها . ولكن بها الضبع والغزال وابن آوى وفرس البحر والتمساح في بلاد الصعيد . وبها انواع شتى من الطيور الاليفة والبرية

واما معادن مصر فمنها الرخام واليصب واليشم والنطرون

والشب والملح والجير . واكثر جبالها جيرية . وفي نواحي اهرام الجيزة حصى عقيقية . ويوجد احيانًا في بعض الاماكن الياقوت والجَمَسْت والكركهن والخلكيدوني واللازورد . قيل ومن اغرب جهاتِ مصر الوادي المسمى بحرًا بلا ماء ووادي بركة النطرون في ناحية رشيد وهما متوازيان. وجبل النطرون مشرف على وادي النطرون ويوخذ من هنا لك كل سنة نحو ٣٦ قنطارًا من النطرون والنطرون المصري هو المعروف عند اهل الكيميا بسسكوي كربونات الصودا . وفي وادي بحر بلا ماء وجد تحت الرمال جذوع اشجارٍ مستحجرة وفقار سلسلة حوت عظيم وبهِ من الحجارة ما يوجد فيّ وادي النطرون

وقد اشتهرت بلاد مصر منذ قديم الزمان وملك عليها ملوك كثيرة من اهلها وتسلط عليها اكثر الدول المشتهرة القديمة. واول من استفتحها من الغرباء بختنصر ملك بابل ثم اضيفت الى مملكة فارس ومادي في عصر كمبيز بن كورش سنة ٥٢٥ قبل التاريخ المسيحي . ثم استفتحها اسكندر بن فيلبس المكدوني . وبعد وفاتهِ قامت فيها الدول البطليموسية وبقيت حتى اخذها الروماييون قبل المسيح بمدة وجيزة وحُسِبت جزءًا من المملكة الشرقية حتى استفتحها عمرو بن العاص في خلافة عمر بن الخطاب وكانت تابعة للخلفاء العباسيين الى سنة ٩٦٨ حينما قامت فيها الدولة الفاطمية التي بقيت الى سنة ١١٧١ وحينئذٍ ملك عليها

السلطان صلاح الدين الايوبي . وفي سنة ١٥١٧ اضيفت الى المملكة العثمانية. ولما كانت سنة ١٧٩٨ تسلطت عليها الفرنساوية تحت لواء نابوليون بونابارتي وبقيت في ايديهم الى سنة ١٨٠١ ثم رجعت الى المملكة العثمانية حتى استقلَّ فيها محمد علي باشا الذي تسلط ايضاً على الديار الشامية من اثناء سنة ١٨٣٠ الى سنة ١٨٤٠ ثم عادت الى ايدي آل عثمان . وبقي محمد علي باشا مستقلاً في مصر ولم تزل الى الآن بيد نسلهِ وهو اخضع للحكومة المصرية كل بلاد السودان الى كرفان والى ١٠° من العرض الشمالي

وفي ايام المصريين القدماء كانت العلوم والفنون عند كهنتهم الذين كانوا يستعملون نوعاً من الكتابة بالصور والعلامات يُعرَف بالقلم المصري القديم . وبقيت هذه الكتابة مجهولةً زماناً طويلاً حتى اهتدى الى فكها رجلٌ فرنساوي اسمهُ شمبوليون . وهي منقوشة على كثيرٍ من الاعمدة وحيطان الهياكل ومرسومة على اللفائف التي كانوا يلفُّون بها الموتى المحنَّطين

واما سكان مصر فهم ثلاثة انواع قبط وعرب واتراك اما القبط فهم بقايا المصريين القدماء واكثرهم في بلاد الصعيد وقد اندرست لغتهم القديمة حتى لا تستعمل الأ في طقوسهم وكتبهم الدينية . واما العرب فهم من نسل العرب الذين استوطنوا في

مصر بعد ما استفتحها عمرو بن العاصي كما تقدم . واما الاتراك فدخلوا اليها عندما اضيفت الى المملكة العثمانية

اما مدن مصر واماكنها الشهيرة فمنها الاسكندرية اختطَّها اسكندر المكدوني فنسبت اليهِ . وكانت قديمًا من اشهر مدن العالم في التجارة والعلوم وكان بها مكتبة عظيمة احترقت في اول استيلاء المسلمين عليها . وكانت يومئذٍ قصبة بلاد مصر . وعلى الجزيرة التي تجاه ميناها منارةٌ عالية تهتدي بها السفن ليلاً وكانت تحسب احدى عجائب الدنيا السبع . وهذه المدينة الان اعظم مدن مصر تجارةً وبها كثيرٌ من بقايا ابنيتها القديمة . ولم يزل هناك عمودٌ قائمٌ ارتفاعهُ نحو ٦٤ قدمًا يقال لهُ مسلَّة فرعون وعليهِ كثير من الكتابة بالقلم القديم . وعمودٌ اخر علوهُ نحو ٨٨ قدمًا ويقال لهُ عمود السواري . وكل واحدٍ منهما حجرٌ واحد . وخليج الاسكندرية الذي ياتيهِ ماءُ النيل كان قد حُفِر قديمًا ثم رُدِم ثم اصلحهُ محمد علي باشا . وطولهُ ٤٨ ميلاً وعمقهُ عند الفيض نحو ٣٠ قدمًا وقلبهُ يبلغ نحو ٦ اقدام وعرضهُ بين ٣٠ و ٨٠ قدمًا. وقيل كان هذا الخليج قديمًا من احسن المتنزهات محفًّا بالحدائق والبساتين . وفيهِ يقول ظافر الحداد

وعشيةٍ اهدت لعينك منظرًا   جاء السرور بهِ لقلبك وافدا
روضٌ كخضرّ العذار وجدولٌ   نقشت عليهِ يد الشمال مباردا

والنخل كالغيد الحسان تزيّنت ولبسن من اثمارهنّ قلائدا

واهل الاسكندرية كانوا يشربون من الآبار التي يملأُونها من ماء النيل عند فيضهِ واما الآن فلهم الماء في البيوت بواسطة آلات رفع الماء وسكان الاسكندرية سنة ١٨٨٣ كانوا نحو ٢٠٩٠٠٠ نفس

ومدينة الرشيد وهي على شاطي النيل وبينها وبين البحر نحو ٤ اميال وبينها وبين اسكندرية نحو ٤٠ ميلاً . وحولها جنائن كثيرة من الليمون والموز والحناء والجميز والنخل . واهلها نحو ١٦٠٠٠ نفس . ومدينة دمياط وهي على الشرقي من شطرَي النيل وبينها وبين البحر نحو ١٠ اميال وسكانها نحو ٣٤٠٠٠ نفس . واكثر تجارتها في الرز . وبقربها بحيرة المنزلة فيها جزائر حسنة كثيرة السكان . ومن مدن هذه البحيرة الفُوَّة والمنصورة والصالحية وبلبيس والخانقاه والمحلة الكبرى وسمنُّود وهي كثيرة الحمام . وطنطا وهي اعظم مدن البحيرة وبها قبر الشيخ احمد البدوي ياتيهِ كثيرٌ من الناس للزيارة وقت الاعتدال الربيعي والمدار الصيفي وسكانها نحو ٣٩٠٠٠ نفس . ومدينة منوف اهلها نحو ٥٠٠٠ نفس اكثرهم يشتغلون بنسج الحصر . ومن قرى تلك الناحية رنبال والرحمانية ودمنهور وطرَّانة ووردان وغيرها ومن مدنها ايضًا المنصورة اهلها نحو ٢٧٠٠٠ نفس والزقازيق اهلها

نحو ١٩٠٠٠ نفس وبورت سعيد عند طرف الترعة الشمالي سكانها نحو ١٧٠٠٠ نفس والسويس عند طرف الترعة الجنوبي اهلها نحو ١١٠٠٠ نفس

اما مدينة القاهرة فهي قصبة الولاية . قيل اختطها الملك المعزّ لدين الله بن المنصور اول خلفاء الدولة الفاطمية بمصر سنة ٥٧٣ للهجرة . وبنى عليها السور الحاضر الملك صلاح الدين الايوبي . وهذه المدينة كثيرة الجوامع والمساجد واشهر جوامعها جامع الازهر يُدرَس فيهِ اكثر العلوم الموجودة في اللغة العربية ولا سيما علم الفقه وسكان القاهرة نحو ٣٦٨٠٠٠ نفس. وتجاه القاهرة على الجانب الغربي من النيل ارض الجيزة وهي كثيرة النخل والزيتون والى غربيها الاهرام الثلاثة الكبار وهي تُرَى على بعد ٣٠ ميلاً وعلو الاكبر منها نحو ٥٠٠ قدم . وفي مصر اهرامٌ كثيرة غير هذه الثلاثة وهي مدافن لملوكها او للثيران المقدسة التي كانوا يعبدونها تحت اسم افيس . وبقرب الاهرام تمثال كبير لهُ راس انسان على جثة حيوان من ذوات الاربع طولهُ نحو ١٢٥ قدمًا وهم يدعونهُ ابا الهول . والى الجنوب من هناك بوصير التي منها الشيخ محمد البوصيري صاحب قصيدة البردة . وبالقرب منها منف وهناك كثيرٌ من الاهرام . واهل القرى في تلك النواحي يتخذون جوامد الاجسام المحنطة من المغاير والمدافن ويبيعونها للاطباء وهي المعروفة بالمومية الآدمية

واما الفيوم فهي بلدة مخصبة سكانها نحو ٦٠٠٠٠ نفس . ومنها الشيخ الفيومي صاحب الكتاب المشهور في اللغة العربية وبها يصنع بعض الاقمشة وماء الورد والزيت والخمر الاَّ ان خمرها ردي . ولها ترعة من النيل يقال لها خليج يوسف . وبقربها بركة قارون طولها نحو ٣٠ ميلاً وعرضها نحو ٦ اميال وقيل انها محتفرة بالايادي في الزمان القديم وان مياهها حُفِظت بواسطة سدٍّ في طرفها واستعملت لسقي الاراضي المجاورة لها . وفي تلك الناحية ايضاً مدينة بني سُوَيف تصنع فيها الطنافس الخشنة. وكذلك المنية واراضيها مرتفعة. وانسانة وبها تماثيل واصنام كثيرة. وملوى وهي مدينة عظيمة يخرج منها كل سنةٍ نحو ٤٠٠٠٠٠ اردبّ حنطة . ومنفلوط وقرية سهودي وهناك اول كهوف الصعيد الممتدة مسافةً طويلة حفرها القدماء لدفن الموتى

اما الصعيد ويقال لهُ مصر العالية كما يقال مصر الوسطى لما يليهِ الى القاهرة فمن مدنهِ السيوط التي منها الشيخ جلال الدين السيوطي صاحب المصنفات الكثيرة في جميع الفنون . وهي على غربي النيل على ميلٍ منهُ بقرب جبل مستوعر وسكانها نحو ١٥٠٠٠ نفس . وهي مجتمع للقوافل من النوبة وبلاد السودان ويُؤتى من نواحيها بالافيون الجيد . وبقربها كهوف كثيرة فيها كثيرٌ من التماثيل والصور القديمة . ومدينة اخميم وهي ذات اسواق رحبة مستقيمة وحولها رسوم وبقايا مدينة قديمة . وفي تلك

الجهات ايضاً قرية المنشية وعندها ترسو المراكب الصاعدة الى الجنادل او الهابطة الى القاهرة لاخذ الزاد. والى الجنوب الشرقي منها الجرجاء وهي قاعدة صعيد مصر ومقام حاكم القبط واسقفهم. وفي جوارها بساتين حسنة . والى جانبها قرية دندرة وهي تعتبر لكثرة الرسوم والخرب القديمة التي حولها وقد وجد هناك منذ مدةٍ صورة منطقة الابراج منقوشة على حجر فاخذتها الفرنساوية الى باريس . ومن جرجاء فصاعداً ينعطف النيل نحو الشرق الى مدينة قنا . وهذه المدينة لها تجارةٌ مع قُصَير الواقعة على البحر الاحمر. واكثر الاماكن في تلك الجهات مشهورة لاجل رسومها واطلالها القديمة . ومن ذلك كرنك والقصور واسنة واصوان او الصوّان ومن هناك قطعت الاعمدة العظيمة التي انتشرت في جميع برّ مصر والشام ولم يزل كثيرٌ من الاعمدة غير تامٍّ مطروحاً هناك. واما مدينة ثيبة القديمة المشهورة في اشعار القدماء وتواريخهم فكانت بقرب الكرنك ولم يزل منها اثارٌ واهرام ورسوم هياكل وكهوف ومغاير لدفن الموتى وغير ذلك من البقايا القديمة التي يتعجب منها غاية العجب ولاسيما في الموضع المعروف بالقصور

اما بلاد الواحات فهي اماكن خُضَر في الصحراء الكبيرة منها على طرق القوافل ومنها موارد للعرب المتبدية والقوافل المارّة بين فزان وطرابلس ودارفور ومصر تميل اليها لاتخاذ الماء .

وهي اربع واحات احداها على مساواة عرض بني سُوَيف في مصر. وطولها نحو تسعة اميال وعرضها نحو ميلين وبها مدينة سيوا فيها من السكان نحو ٣٠٠٠ نفس . وسكان الواحة كلها يبلغون نحو ٨٠٠٠ نفس . والى الجانب الشرقي منها على نحو خمس مراحل الواحة الصغرى التي يجلب منها افضل التمر . اما الواحة الكبرى فهي على مرحلة من اسيوط وطولها نحو مئة ميل وهي في الحقيقة عدة واحات متسلسلة بينها مسافةً قريبة في البرية . والى غربيها على نحو مرحلة ونصف الواحة الغربية فيها نحو ١٢ قرية ولكن اهلها لا يتمتعون بمعيشتهم لخوفهم من عرب المغاربة المتبدّية

اما الاراضي الواقعة على البحر المتوسط بين حدودْ مصر وطرابلس الغرب فهي براري خالية من السكان وبها قليلٌ من النبات . وهي كثيرة الارانب والغزلان وفيها اثارٌ قديمة وآبارٌ كثيرة تدل على انها كانت قديمًا معمورة كثيرة الاهل وهذا ما يسع المقام شرحهُ عن الديار المصرية

الفصل التاسع والعشرون

في بلاد النوبة والحبش وبقية البلاد النيلية

اما بلاد النوبة فيحدّها شمالاً مصر . وشرقًا البحر الاحمر . وجنوبًا بلاد الحبش . وغربًا بلاد السودان . ولم تكن هذه . البلاد معروفةً عند القدماء الاّ قليلاً . قيل دخلت اليها الديانة المسيحية في القرن السابع . فلما استفتح المسلمون مصر التجأَ اليها كثيرون من القبط وتلمذوا اهل البلاد وعلموا تلاميذهم بالطبيعة الواحدة . والظاهر ان الهياكل الاصنامية الكثيرة في تلك البلاد تحوّلت الى كنائس مسيحية في ذلك الوقت . وفي اواخر القرن الثالث عشر دخل اليها الملك الظاهر بيبرس واستملك قصبتها مدينة دنكلة ووضع الجزية على النصارى . ومن ثمّ قويت شوكة المسلمين هناك وسكن في البلاد بعض القبائل المتبدية من العرب . والاهالي هناك في هذه الايام من اصولٍ مختلفة وعلى هيئاتٍ متنوّعة ولغاتٍ شتى منها بربرية ومنها متفرعة من العربية . وقد الزمهم محمد علي باشا والي مصر بعض الخضوع لكنهم لم يزالوا على شيءٍ من الاستقلال والحرية

واراضي النوبة ترتفع شيئًا فشيئًا من حدود مصر الى ناحية الجنوب . والنيل منحصرٌ بها في وادٍ ضيق مخصب . وتخرقها اودية كثيرة الى جميع الجهات . والاماكن البعيدة منها عن النيل عقيمة مستوعرة الى جهة البحر الاحمر ورملية الى جهة الغرب واما الجهات الجنوبية فهي مرويةٌ بالانهر التي من التقائها يحدث النيل

اما هواء النوبة فهو حار جدًّا لكنهُ ليس رديّ الكيفية ولا يعرف هناك من الامراض المعدية الاَّ الجدري وقد يحدث الطاعون قليلاً . وابتداء فصل المطر في الجهات الجنوبية يكون في شهر حزيران . والحر يشتدُّ جدًّا في وادي النيل حتى يكاد يطبخ الطعام اذا غمس اناوُهُ في الرمل السخن

ومن حيوانات تلك الجهات الخيل والبقر والغنم والمعزى والجمال . وفي بعض البوادي يوجد الفيل والزرافة والتمساح وفرس النهر في النيل وتوجد هناك الضباع والغزلان . ومن الطيور النسر والبجع والغراب والحجل وانواعٌ من طيور الماء . ويكثر هناك نوعٌ من الجراد كبيرٌ جدًّا . ومن اشجارها ونباتها الدوم والابنوس والطرفاء والسناء واكثر الحبوب المغذية . وفي بعض الاماكن الكرم والقطن والتبغ ولضيق وادي النيل يحتاجون الى سقي الاراضي بالنواعير . ويصنعون شرابًا مسكرًا من التمر ومن الشعير . ويجلب من هناك الى مصر نحو

٢٠٠٠ اردب تمر كل سنة . ومن الاهالي من يعتني بالتجارة بين مصر وبلاد السودان وبضائعها الحبوب والذهب والعاج والمسك والابنوس والعلق والبن والتمر والعسل والارقاء . قيل انه يباع كل سنة في سوق مدينة شندي نحو ٥٠٠٠ نفس من العبيد يرسل منهم نحو ٢٠٠٠ نفر الى بلاد العرب و١٥٠٠ الى مصر والباقي يباع للقبائل من العرب المتبدية في تلك الجهات

وقد حُسِب عدد سكان النوبة نحو ١٥٠٠٠٠٠ نفس . ومساحتها نحو ١٧٠٠٠٠ ميل مربع . وهي اربعة اقسام . الاول في الشمال وهو النوبة العثمانية وقاعدتها الدر . الثاني في الوسط وهو دنكلة وقاعدتها مدينة دنكلة . الثالث في الجنوب وهو سنّار وقاعدتها مدينة سنّار . الرابع في الشرق وهو بلاد البجاه وقاعدتها سواكن على شط البحر الاحمر

اما مدن النوبة فمنها الدر وهي في وسط نخيل واسع واهلها نحو ٢٠٠٠ نفس . وابسمبول وفيها بقايا هيكل عظيم زعموا ان بناءهُ كان قبل المسيح بالف وخمس مئة سنة فيهِ ١٤ غرفة طولهنَّ جميعًا ١٥٤ قدمًا . ودنكلة الجديدة على الجانب الايسر من النيل . واما دنكلة القديمة فقد خربت بالكلية . وسنار على النيل الازرق اهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس . وسواكن على البحر الاحمر وهي مجتمع القوافل الذاهبة الى مكة وغيرها من بلاد

العرب . كانت قديمًا مدينة عظيمة والخرطوم عند ملتقى النيل الابيض بالنيل الازرق ومن مدنها شندي وبربر اشتهرتا في الحرب بين حملة الانكليز وعساكر المتمهدي سنة ١٨٨٥

اما بلاد الحبش فيحدها من الشمال سنّار . ومن الشرق البحر الاحمر وخليج عدن . ومن الجنوب اراضٍ مجهولة يتشعب فيها شُعَبٌ من الجبال وتُعرَف ببلاد الغلاّ . ومن الغرب بلادٌ تعرف ببلاد الشلُوك . وهي واقعةٌ بين ٩° و٤٠َ ١٥° من العرض الشمالي و٤٠َ ٣٤° و٤٠° من الطول الشرقي

وهذه المملكة كانت قديمًا ذات شوكةٍ واقتدارٍ ولها تاريخ يخبر عن عدة ملوك لها قبل التاريخ المسيحيّ . وقد دخلت بينهم الديانة المسيحية في القرن الرابع . وتملكوا بلاد اليمن نحو سبعين سنة حتى اخرجهم الملك سيف بن ذي يَزَن الحِميْريُّ عنها . والى ذلك اشار ابن دُرَيد في مقصورتهِ حيث يقول

وسيفٌ استعلت بهِ هِمَّتهُ حتى رمى أبعَدَ شأْو المرتمى
فجرَّع الأَحبُشَ سمًّا ناقعًا واحتلَّ من غمدان محراب الدُمَى

وكان ملكهم يومئذٍ مسروق بن يكسوم بن ابرهة الاشرم الذي جاء بالفيل ليهدم الكعبة وهو الذي ارادهُ الشيخ البوصيري في قصيدتهِ المشهورة بالبرده حيث يقول

كانهم هربًا ابطال ابرهةٍ
او عسكرٌ بالحصى من راحتيهِ رُمي

وفي سنة ١٤٤٥ للمسيح ارسل ملكهم يعقوب وكيلاً الى المجمع الفلورنتيني الذي اخذ من طرف الكنيسة الشرقية. وفي سنة ١٤٩٠ أرسلوا معتمدًا الى دارّ ملك برتوكال. والان ضعفوا من جرى الحروب مع القبائل المحيطة بهم ولم يزالوا على نوعٍ من الديانة المسيحية ممزوجة بعقائد يهودية ووثنية وبطريركهم من قبل بطريرك الاسكندرية القبطيّ. وحكمهم من نوع الملكيّ المطلق ولكن دولتهم لا تزال ضعيفة لسبب الحروب بين قبائلهم المتعادية

وهذه البلاد كثيرة الجبال المستوعرة ومنها سلسلة توازي شط البحر الاحمر طولها نحو ٣٠ ميلاً. وربما كانت جبالها شُعبًا من جبال القمرا. ومن انهرها النيل الازرق الذي يُقال لهُ هناك البحر الازرق والنيل الابيض يلاقيهِ حيث العرض نحو ١٦° شماليّ. وينحدر من جبالها انهرٌ اخر عديدة لا يسعنا ذكرها هنا. وهذه البلاد مع كونها في المنطقة الحارة لا يشتدّ بها الحرُّ لارتفاع اراضيها الاَّ على شطوط البحر الاحمر. وفصل المطر هناك يبتدي من نيسان الى ايلول فتحدث فيهِ امطارٌ غزيرة وهي سبب فيض النيل. وتربتها جيدة تاتي بالحبوب والاثمار كالعنب والليمون والنارنج والبلسم والمرّ وغير ذلك.

ومن حيواناتها الخيل والبقر والجاموس والغنم وهي في غاية الجودة وكذلك الفيل والاسد والنمر والضبع والفهد والكركدن وحمار الزرد والزرافة والتمساح وفرس النهر. وفيها من الطيور والاحناش والدبابات كما في أكثر الاقاليم الاستوائية . واما معادنها فقلما يُعرَف عنها سوى انها كثيرة الملح . واهلها يشبهون العرب في الهيئة وفي لغتهم الفاظ كثيرة من العربية . وقد انقسموا الى اقسام شتى باعتبار الاصل والديانة وهم يكابدون شدائد كثيرة من جرى مهاجمات الغلاَّ عليهم وهم طائفة متوحشة تسكن اطراف البلاد الى جهة اواسط القارة

اما مدن بلاد الحبش فمنها مدينة نيغرَي اهلها نحو ٨٠٠٠ نفس . وانتالوا وهي كرسي الملك اهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس . واكسوم وهي خرابة فيها كثيرٌ من بقايا الابنية القديمة . وغندار في عرض شمالي ١٢°٣٥' وطول شرقي ٣٧°٢٣' واهلها نحو ١٠٠٠٠ بيت

واما مملكة عادل ويقال لها بلاد زيلع فهي الواقعة على بحر العرب من باب المندب الى راس كاردفوي . وسكانها من جنس البربر ودينهم الاسلام وتجارتهم في العبيد والذهب والفضة واللبان والعاج والزيت والعسل ونوع من الفلفل ومن اعظم مدنهم زيلع وبربرة . وكانت هذه البلاد سابقًا تابعة الحبش وفي سنة ١٥٢٥ دخلت تحت حماية الدولة العثمانية وحاكمها امامٌ من اهلها

واما مملكة اجان فهي على شاطئ البحر بين عادل وزنجبار. واهلها بعضهم عرب من بلاد العرب وبعضهم سودان جهلاء عبدة اصنام

واما مملكة دارفور فهي بين ١١ْ و١٦ْ من العرض الشمالي و٢٦ و٢٩½ْ من الطول الشرقي . طولها نحو ٢٤٥ ميلاً وعرضها نحو ٢٢٠ ميلاً . وهي تُسقى بالامطار ويمرّ فيها نهيرٌ يصبُّ في النيل الابيض. واكثر اعتناء اهلها في الزراعة ولهم تجارةٌ مع مصر على القوافل بضاعتها العبيد والعاج وجلد الكركدن وفرس النهر . والدين الغالب عندهم الاسلام . وعدد السكان نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس . وقصبتها مدينة قبّه في عرض شمالي ١١َ ١٤ْ وطول شرقي ٨َ ٢٨ْ وسكانها ٦٠٠٠ نفس وهي تابعة مصر على ما يُدّعى

واما مملّكة كردفان فلها سنّار من الشرق ودارفور من الغرب . وعلى جنوبها سلسلة جبال يسكنها قومٌ من النوبة وهي تارةً تتبع دارفور واخرى مملكة النوبة بحسب قوة احد الفريقين ويقال فيهم على الغالب ما قيل في اهل دارفور . والى الجنوب الغربي من دارفور على نحو ٤٠٠ ميل بلاد دَربِيَة وهي تُسقى بعدّة انهارٍ وتربتها على ما يقال مخصبة ولكن لا يُعرَف من امرها شيء بالتحقيق وهي تابعة مصر على ما يُدّعى . والى هنا انتهى الكلام في البلاد النيليّة

الفصل الثلاثون

في بلاد المغرب والصحراء

يحدُّ بلاد المغرب من الشمال الاوقيانوس الاتلانتيكي وبوغاز جبل طارق والبحر المتوسط . وشرقًا بلاد مصر والبحر المتوسط ايضًا . وجنوبًا الصحراء الكبيرة . وغربًا الاوقيانوس ومعظم طولها من الشرق الى الغرب نحو ٢٦٠٠ ميل وعرضها في بعض الاماكن ٥٥٦ ميلاً وفي بعضها ١٤٠ ميلاً . وكانت قديمًا تسمى بلاد البربر وارسل اليها اهل فينيقية كولونيَّة من صور سنة ٨٨٦ ق م فنزلوا في نواحي تونس وبنوا هناك مدينة قرطاجنة التي قويت شوكتها في تلك الايام وكانت خصمًا شديدًا للمملكة الرومانية . ثم استولى عليها الرومانيون وعلى جميع شمالي افريقية. وفي سنة ٤٢٨ للمسيح دخل اليها قوم الوندال من اسبانيا وتملكوا هناك ثم استفتحها المسلمون في القرن السابع والثامن . ولما ضعفت قوة العرب في تلك النواحي استنجدوا الاتراك العثمانية. ومن ثمَّ انقسمت الى اقسام شتى خاضعة للدولة العثمانية وما زالت

كذلك حتى قويت فيها الولاة والعُمّال واستقلُّوا في بلادهم ٠ وقد قسمتها علماء الجغرافية من العرب الى ثلاثة اقسام ٠ الاول المغرب الاقصى وهو من الاوقيانوس الى تلمسان الثاني المغرب الاوسط وهو من تلمسان الى برقة . ويقال لهذين القسمين برُّ العدوة لإنهُ يُعدَّى من فُرَضها الى بلاد الاندلس . الثالث المغرب الشرقي وهو من برقة الى حدود مصر . وهي الآن سبعة اقسام برقة وفزّان وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وفاس. واهلها عرب متحضرة ومتبدية وبربر وهم اصول مختلفة. بين الاهالي الاصليين والروماييين والوندال والعرب الذين تملكوا في البلاد في ازمنة مختلفة . ولغتهم ممتزجة من لغاتٍ شتى اكثرها عربية وهي الآن تكتب بالحرف العربي . ومنهم ايضًا سودان ويهود . قيل لما طُرِد اليهود من اسبانيا وبرتوكال اتى منهم نحو مئة الف الى مراكش ونحو خمسين الفًا الى غيرها من بلاد المغرب . وتخرق بلاد المغرب سلسلة جبال اطلس فتقسمها الى قسمين احدهما شمالي وهو معتدل الهواء جيد التربة متجهٌ الى جهة البحر المتوسط والاخر جنوبي وهو شديد الحر واليبس لاتجاههِ نحو الصحراء الكبيرة . وقد تقدم الكلام عن ذلك بالكفاية في كلامنا على قارة افريقية بالاجمال

اما بلاد بَرْقة فهي المسمّاة في ايام اليونانيين بنطابولس اي المدن الخمس ولما افتتحها العرب في صدر الاسلام سمّوها برقة

لكثرة حجارتها المخلفة بالرمال وينسب اليها جماعة من اهل الفضل .وعلى جنوبيها جبال تسمى جبال جردية واخصب ارضها في غربيها واما اواسطها فاكثرها مفاوز لا يُنتفَع بها ومن مدنها برقة وابن غازي ودرنا دمي وهي مقرّ حاكم الولاية . والى الجنوب الشرقي منها واحة يقال لها واحة اوجلة فيها مدينة أوجلة وهي عند طرف سلسلة جبال جردية

واما بلاد طرابلس فهي تلي الشط البحري على مسافة نحو ٨٠٠ ميل . ويلي شرقيها برقة وجنوبيها فزّان وغربيها تونس وبلاد الجريد اي الوجه الجنوبي من بلاد المغرب المتجهة الى الصحراء سميت بذلك لكثرة نخيلها . وكانت طرابلس تابعة الدولة العثمانية الى سنة ١٧١٣ حينما استقلّ واليها حمد باشا الذي اخضع لولايتهِ فزّان ايضًا وما يليها .وهي بلاد جيدة كثيرة الحواصل والخيرات وخيلها ومواشيها حسنة في الغاية والنخل ينمو بها حتى يصير علو النخلة مئة قدم وتمرها مشهور ويكثر هناك شجر السدر ويوجد الذهب على الشطوط البحرية وفي الاماكن الوسطى الى حدود فزّان .ولها تجارة كثيرة مع مالطة وبلاد اليونان وجزائرها وتجارة على القوافل مع فزّان وواحة غدامس وبلاد الصحراء يرسلون الى هناك الاقمشة والاسلحة ويجلبون العبيد والعاج وريش النعام والذهب وغير ذلك

ومن مدن تلك البلاد طرابلس وهي على لسانٍ داخل

في البحر وعليها سورٌ حصين ومرساها جيد لكن عمقهُ قليل لا يكفي للسفن الكبيرة . واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس . ومدينة لبيد كانت سابقًا المدينة الثالثة من قرطاجنة والآن لا تستحق الذكر . ومدينة مسوراتا وهي قاعدة ولايةٍ وفيها من السكان نحو ٤٠٠٠٠ نفس

واما بلاد فزّان فلها من الشمال طرابلس ومن الشرق بوادي برقة ومن الجنوب والغرب الصحراء الكبيرة . ومعظم طولها من الشرق الى الغرب نحو ٣٠٠ ميل ومعظم عرضها من الشمال الى الجنوب نحو ٢٥٥ ميلاً . وفي شماليها ثلاث سلاسل جبال يقال لها الجبال السود علوها نحو ١٥٠٠ قدم وطولها من الشمال الى الجنوب نحو ١٠٠ ميل وهي جرداء مستوعرة . وهواء فزّان حارٌّ والامطار بها قليلة واكثر السكان في واحاتٍ صغيرة واكثر اعتمادهم على النخيل وعندهم ايضًا الليمون والرمان والتين وبعض الحبوب . وفيها من الحيوانات الغزلان والنمورة والضباع ويكثر في براريها طير النعام . وقاعدتها مدينة مرزوق تاتي اليها القوافل من ابن غازي وطرابلس وغدامس والقاهرة وبلاد السودان . واهل هذه البلاد على قول بعضهم ٧٥٠٠٠ نفس وعلى قول اخرين ١٥٠٠٠٠ نفس وهي خاضعة لحاكم طرابلس ومن مدنها سقنا على نحو ١٥ ميلاً الى شمال الجبال السود عليها سورٌ وفيها من السكان نحو ٢٠٠٠

نفس . وبقربها نحو ٢٠٠٠٠٠ نخلة يباع اكثر تمرها في سوق طرابلس

وفي الجنوب الغربي من ولاية طرابلس واحة غدامس قاعدتها مدينة غدامس . وهي الى الجنوب الغربي عن طرابلس على مسيرة ١٥ يومًا . وبها قبيلتان من العرب لا تختلط احداها بالاخرى البتة . وفي هذه الواحة ٩٢ ضيعة وبها كثيرٌ من بقايا ابنية الرومانيين القدماء . وفي غدامس تجتمع القوافل الذاهبة الى الجهات الاربع . وفي شرقيها ودّان وهي واحات ذات نخلٍ ومياه واليها ينسب ابو الحسن عليٌّ الوداني الشاعر ومن قولهِ

من يشتري مني النهار بليلةٍ لا فرق بين نجومها وصحابي

اما بلاد تونس وهي المسماة في كتب العرب والرومانيين افريقية فحدودها من الشمال البحر المتوسط . ومن الشرق البحر المذكور وطرابلس . ومن الجنوب بلاد بعض قبائل متبدّية على حدود الصحراء الكبيرة . ومن الغرب بلاد الجزائر . ومن اقسامها القديمة بجاية وقيروان التي اهلها نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس . ومساحتها نحو ٧٠٠٠٠ ميل مربع ومن حواصلها الصوف الجيد والحبوب والاثمار والصابون والاسفنج . ومنها تذهب القوافل الى اواسط القارة . وحكمها من نوع الملكيّ المطلق وكانت سابقًا تابعة المملكة

العثمانية والآن استقلت بنفسها. ومن مدنها مدينة تونس وهي على قرب موقع قرطاجنة القديمة وسكانها نحو ١٣٠٠٠٠ نفس. ومدينة القيروان وهي مستحدثة بُنيت في صدر الاسلام سنة ٥٠ للهجرة عن يد عقبة بن نافع الصحابي وكانت يومئذٍ قاعدة تلك البلاد. وبالقرب منها مدينة رقادة اقام بها المهدي اول خلفاء الفاطميين وكان يدَّعي بالالوهية ولذلك قال بعض تابعيهِ

حلَّ برقَّادة المسيحُ حلَّ بها آدمٌ ونوحُ
حل بها الله ذو البرايا وما سوى ذاك فهو ريحُ

ومدينة صفاقس الى الجنوب الشرقي من القيروان على نحو ٤٥ ميلاً وهي التي نشأ بها الشيخ الصفاقسيُّ صاحب المصنَّفات في العروض. لها تجارةٌ في الصابون والزيت والجوخ وسكانها نحو ٦٠٠٠ نفس ويقابلها جزيرة مالطة كما ان جزيرة السقلية تقابل تونس واستولتْ حكومة فرانسا على تونس سنة ١٨٨٤

اما بلاد الجزائر المسماة باسم مدينة الجزائر التي كان يقال لها جزائر بني مزغنَّان فحدودها من الشمال البحر المتوسط. ومن الشرق تونس. ومن الجنوب الصحراء. ومن الغرب مراكش. وهي بين ٣٠َ ٨ْ طول شرقي و٣٠َ ١ْ طول غربي. ومعظم طولها نحو ٥٦٠ ميلاً وعرضها بين ٤٠ و١٠٠ ميل. وهذه البلاد

كانت ايضًا تابعة المملكة العثمانية ثم استقلت نوعًا في سنة ١٠٨٥ واشتهر اهلها كثيرًا بخروجهم في البحر للغزو والنهب فكانوا يطوفون البحار ويمسكون سفن التجارة وينهبون امتعتها ويقتلون من فيها او يستأسرونهم فحاربهم اهل اوروبا في البحر مرارًا عديدة واتلفوا كثيرًا من سفنهم . وكانوا كل مرةٍ يجددونها ويعودون الى دابهم القديم حتى خربت مراكبهم بالكلية في وقعةٍ حدثت لهم مع مراكب انكليترا وهولاندا في ٢٧ آب سنة ١٨١٦ وهدم نحو نصف مدينة الجزائر . وحينئذٍ اضطروا ان يطلقوا جميع الاسرى الذين عندهم فكانوا ١٢١١ اسيرًا . وبعد ذلك صاروا يجتنبون المراكب الانكليزية ويتعرضون لمراكب الفرنساوية وغيرهم حتى ارسلت دولة فرانسا عسكرًا بحريًا يبلغ عدده ٣٧٥٧٧ نفرًا فاستفتحوا مدينة الجزائر في ٥ شهر تموز سنة ١٨٣٠ ومن ثمَّ امتدت الدولة الفرنساوية هناك بعد حروب شديدة مع الاهالي القائمين تحت لواء الامير عبد القادر الذي هو اشهر رجال تلك البلاد واخذوا عبد القادر المذكور اسيرًا الى فرانسا فصار اكثر البلاد تابعًا للدولة الفرنساوية

وفي هذه البلاد عدة انهر مخارجها في جبال اطلس ومصباتها في البحر المتوسط . واعظمها نهر سَلَف الذي مصبه الى شرقي مدينة مستغانم والى غربي الجزائر على نحو ٩ اميال منها وهواء هذه البلاد جيدٌ وفيها جميع حواصل الاقاليم الحارة وبها براري

وجبال كثيرة الوحوش الضارية والنعام وفي خلالها كثيرٌ من اللصوص وسكانها نحو ٢٢١٠٤٠٠ نفس من عرب وبرابرة ويهود وافرنج واتراك . ومن مدنها مستغانم سكانها نحو ١٢٠٠٠ نفس ومن مدنها ايضًا بون اهلها نحو ٢٣٠٠٠ نفس واوران اهلها نحو ٨٥٠٠٠ نفس وقسطنطينية سكانها نحو ٢٨٤٠٠ نفس وتلمسانُ التي ينسب اليها الشيخ عفيف الدين التلمساني الشاعر صاحب الديوان المشهور سكانها نحو ١٨٤٠٠ نفس . اما مدينة الجزائر فهي فرضةٌ مشهورة وهي قصبة البلاد . قيل كان بها قبل حرب الفرنساوية نحو ٢٠٠٠٠ بيت وسكانها الآن نحو ٨٠٠٠ نفس

واما بلاد مراكش فحدودها من الشمال الاوقيانوس الاتلانتيك وبوغاز جبل طارق والبحر المتوسط . ومن الشرق مقاطعة تلمسان وهي من مقاطعات الجزائر . ومن الجنوب الصحراء . ومن الغرب الاوقيانوس ايضًا . ومساحتها نحو ٢٨٥٣٠٠ ميلًا مربعًا . وهي مقسومة الى اربعة اقسام كبرى الاول فاس وهي في الشمال . والثاني مراكش وهي في الجهات المتوسطة . والثالث سوس وهي في الجنوب والرابع . طفيلة وهي في الجنوب الشرقي . وكانت هذه البلاد تابعة لخلفاء العباسية في القديم ثم أُضيفت الى الدولة الفاطمية ثم استقلت بنفسها ومنذ نحو ٢٠٠ سنة تولى عليها احد شرفاء البلاد ولم يزل الملك بيد

نسلهِ الى الآن ويدعون الوالي عليهم سلطانًا وفي هذه البلاد جبالٌ عالية وهي شعبٌ من سلسلة جبال اطلس المذكورة آنفًا . ومن شوامخها جبل درَن على مرحلتين من مراكش لا يزال عليهِ الثلج دائمًا . وجبل غُمارة في جهة الشمال . وجبل مديونة الى شرقي مدينة فاس وهو يتصل بجبلي درَن . والى شرقيهِ جبل يسر فيهِ مخرج نهر يسر وجبل نشريش وهو يتصل بجبل يسر من شرقيهِ وفيهِ مخرج نهر سَلَف الماضي ذكرهُ

ومن انهر تلك البلاد السويس الاقصى الذي يزرع على جانبيهِ قصب السكر والحناء وغير ذلك مثل الديار المصرية . ونهر مَلْوِيَّة ويصبُّ اليهِ نهر سحلماسة فيصيران نهرًا واحدًا يصبّ في البحر المتوسط في شرقي سبتة . ونهر الفلفل الذي يمرُّ على مدينة مكناسة . وهواء هذه البلاد معتدل لسبب الجبال العالية والرياح التي تهبُّ عليها من البحر والاوقيانوس . وتربتها جيدة وحواصلها كما في الديار المصرية وسائر بلاد المغرب . ومن مصنوعاتها اقمشة الحرير والصوف والبسط والادم من جلود المعزى . واكثر تجارتها مع اهالي تلك البلاد والقبائل التي في الجهات الجنوبية من بلاد الصحراء والسودان وعدد سكانها نحو ٦١٤٠٠٠٠ نفس

ومن مدن تلك البلاد مراكش اهلها نحو ٤٥٠٠٠ نفس قيل هي محدثة بناها يوسف بن تاشفين وجلب اليها الماء في اقنية

وهي محصنة بسورٍ وحولها صحراءُ واسعة كثيرة الزيتون والنخيل . ومدينة مغادور وهي فرضةٌ عظيمة بُنيَت في سنة ١٧٦٠ . ومدينة فاس وهي على نهر يجري في اسواقها باقنيةٍ واهلها نحو ١٠٠٠٠٠ نفس . ومدينة مكناسة ويقال لها مكناسة الزيتون وهي على نهر فلفل وفيها يقول بعض الشعراء

انظر الى مكناسة الزيتونِ   بين الاباطح والجبال الجونِ
وكأنَّ فُلفُلَ بينهن مهنَّدٌ   يهتزُّ بين تعطفٍ وسكونِ

ومدينة طنجة وهي فرضةٌ على الاوقيانوس الى الجنوب الغربي من جبل طارق على ٣٠ ميلاً منهُ وهي مقرٌّ قناصل الدول الاجنبية. اما مدينة سبتة فهي إحذاء جبل طارق وهي مكانٌ للحط والاقلاع بين برّ العدوة وبر الاندلس . قيل كان بالقرب منها متنزهاتٌ كثيرة اشهرها مكان يقال لهُ بليونش بينهُ وبين سبتة جبل مستوعر . وفي ذلك يقول بعضهم

بَلْيُونشٌ جنَّةٌ ولكن   طريقها يتطع النياطا
كجنة الخلدِ لا يراها   الاَّ الذي جاوز الصراطا

واما مقاطعة طفيلة فقصبتها مدينة طفيلة على ٣٠ مرحلة من

مراكش . والتجارة بين هاتين المدينتين في الملح والعبيد . وحول طفيلة سهلة ريانة بها نهر يفيض عليها كل سنة مثل نيل مصر

اما بلاد الصحراء فحدودها من الشمال بلاد المغرب . ومن الشرق مصر والنوبة . ومن الجنوب بلاد السودان وسنيغمبية . ومن الغرب الاوقيانوس الاتلانتيك . وهي بقعة واسعة كثيرة الرمال الثائرة وفيها بعض الواحات الخصر وفي براريها قليل من النخل والاقاقيا وكثير من الاسود والنمورة والنعام والافاعي الخبيثة . وفيها تجتاز القوافل الطارقة بين بلاد المغرب وبلاد السودان واهلها قبائل متوحشة

الفصل الحادي والثلاثون

في افريقية الشرقية والوسطى

علم ان الاجزاء الشرقية والوسطى من هذه القارة لا تُعرَف معرفة تامة ولذلك لا يمكننا الكلام عليها الاَّ بطريق الايجاز فنقول ان الشطوط الشرقية منها الى جنوبي مملكة عادل

مقسومة الى اربعة اقسام كبرى

الاول الزنج ويقال لهُ زنجبار وهو الواقع بين ٣° عرض شمالي و ١٠° عرض جنوبي وهي خاضعة لسلطان جزيرة زنجبار . وهذه الشطوط منخفضة رطبة غير موافقة للصحة كثيرة الافيال وغيرها من حيوانات الاقاليم الاستوائية . وبها اكثر حواصل الاقاليم الحارَّة . واهلها بعضهم مسلمون وبعضهم عبدة اوثان . وهي مقسومة الى عدة اقسام فرعية لاسبيل الى ذكرها هنا وقد استولت الحكومة الالمانية على جانب من تلك الشطوط مع ما في داخل البلاد تجاهها . ومن الاماكن التي على الريف البحري جزيرة كيلو وعليها مدينة كيلو وهي تجاه شبه جزيرة حادثة بين نهرين كبيرين . وتلك النواحي بيد دولة برتوكال وتجارتها في الذهب والعاج والعبيد وريش النعام والشمع والعقاقير الطبية

اما جزيرة ممباسا فهي على الشط البحري حيث العرض ٣ ٤′ جنوبي والطول ٤١ ٣٩° شرقي . كانت تابعة لمملكة برتوكال فطردتهم منها العرب سنة ١٦٣١ وبينها وبين البر نحو ٢٠٠ ذراع ومحيطها نحو ١٤ ميلاً . وفي داخل البلاد سلسلة جبال على موازاة الريف البحري يتحدر منها انهر ونهيرات كثيرة

القسم الثاني مزمبيق وقاعدتهُ مدينة مزمبيق في عرض جنوبي ٣ ١٥° وطول شرقي ٣٠ ٤٠° وهي مكان حطٍ واقلاع

وفرضة مشهورة في تلك النواحي تابعة لبرتوكال واكثر تجارتها بالعبيد

القسم الثالث مكرنكا ويقال له ايضا منُومتَبا . وهي الى جنوبي مزمبيق وتخرقها عدة انهر كبيرة واهلها سودان يعبدون الاوثان ويتاجرون مع الافرنج بالعاج . ومن فُرَضها صوفال على بحر الهند تجاه جزيرة مداكاسكار وهي تابعة لبرتوكال ياخذون منها الذهب والعاج والعبيد واكثر العبيد يرسلونهم الى مملكة برازيل وغيرها من بلاد اميركا الجنوبية

القسم الرابع دَلكوا وهي الاجزاء المحيطة بخليج من هذا الاسم الذي يصب فيه عدة انهر آتية من داخل البلاد . ويجلب من هناك الذهب والعاج والعبيد وبعض العقاقير وفي الخليج المذكور في بعض الفصول يوخذ كثيرٌ من الحيتان الصغار التي يستخرج منها الزيت . وفي داخل البلاد اكثر حواصل الاقاليم الحارة وحيواناتها . واهلها متوحشون اشداء مثل اهل بلاد الكفرة الآتي ذكرها

واما افريقية الوسطى وهي بلاد السودان فحدودها من الشمال الصحراء الكبيرة . ومن الغرب سنيكمبيه وكينيه . وبقية حدودها غير معروفة . وهي واقعة في المنطقة الحارة على جانبي خط الاستواء فيكون هواؤها وحواصلها وحيواناتها كما في سائر الاقاليم

الاستوائية . وجانبٌ كبيرٌ منها لم يدخل اليهِ احدٌ من اهل السياحة فيخبرنا عنهُ . وعلى حسب قولهم في الاجزاءِ التي دخلوا اليها انها مقسومة الى عدة ولايات وممالك . منها بَغَرمي الى غربي دارفور وشمالي ذارقلة وبينها وبين النوبة بلاد برغو ومنها برنو بين ١٠° و١٥° عرض شمالي و١٢° و١٨° طول شرقي . وهي مملكة ذات شوكةٍ في تلك الاطراف والوالي عليها يُدعى سلطانًا واهلها مسلمون وبها بحيرة شاد في نحو ٣٠َ ١٤° من العرض الشمالي فيها كثيرٌ من السمك وطيور الماء . قيل طول هذه البحيرة نحو ٢٠٠ ميل وعرضها نحو ١٥٠ ميلاً وعدد الاهالي نحو ٥٠٠٠٠٠٠ نفس ومنهم قبائل رُحَّل لغتهم عربية على اصطلاح الديار المصرية ولهم تجارة مع مصر والمغرب والنوبة في الذهب والعاج والخيل والعبيد وريش النعام والزباد والملح . ومن مدنها كوكا وبرني وانكرنو

ومن اقسام تلك النواحي بلاد مندارة الى جنوبي برنو وكرسي ملكها في مكانٍ يقال لهُ مورة على مسافة ١٨٠ ميلاً من كوكا ويدخل بحيرة شاد من الجنوب نهر كبير يقال لهُ الشاري وعليهِ مدينة لُغُّون وهي قصبة بلاد لغونٍ والاهالي على نوعٍ من الاستقلال وهم اصحاب صلح وسلامة يعتنون بحياكة الاقمشة وبلادهم جيدة سوى انهُ يكثر عندهم الضفادع البعلية وانواعٌ من الزنابير وصنف من البرغش لسعتهُ موذية جدًّا حتى انها احيانًا تقتل الاطفال ولكي ينجوا منها يشعلون التبن المبلول بالماء

ويجلسون في دخانهِ وهذا لامحالة دواءٌ اخبث من الداء

والى ناحية الغرب من بُرنُو بلاد قوم البدي وهم متوحشون يعبدون الاصنام ويسكنون الاوعار والجبال . والقبائل المجاورة لهم تسبيهم عند كل فرصةٍ وهم يقتلون من صادفوهُ في الطريق. والى الغرب من بلادهم بلاد الفلاَّتة وهي جيدة مخصبة تاتي بالحبوب وانواع الاثمار الاستوائية . واهلها مسلمون يستعملون اللغة العربية في صلواتهم بدون ان يعرفوا معناها . ولا يعتنون بالوضوء سوى مرةٍ في كل صباح . وقد خضعت لهم بلاد كثيرة مما يجاورهم وهي تؤدي لهم الجزية

اما بلاد كانوا فهي مخصبة كثيرة السكان وقصبتها مدينة كانوا في ٣٦َ ١١° عرض شمالي و٣ً ١٣° طول شرقي واهلها نحو ٣٠٠٠٠ نفس والجانب الاكبر منهم عبيد . وهذه المدينة مشهورة في تلك النواحي بصبغ الاقمشة . وقصبة بلاد كشنا في عرض شمالي ٥٩َ ١٢° والتجارة تاتيها من غدامس وفزَّان للتجارة في العبيد والملح . اما مدينة سكاتوا فهي قصبة بلاد الفلاَّتة وطولها ١٢َ ٦° شرقي وعرضها ٥٢َ ٤ً ١٣° شمالي وعليها سورٌ علوهُ نحو ٣٠ قدماً وله ١٢ باباً والتجار تاتيها من غدامس وطرابلس بعطر الورد والحرير وبعض الطيوب ويستعيضون بالزباد والعبيد . والى شمالي هذه المدينة مستنقعاتٌ للمياه تحدث منها الحميات

اما مدينة تنبكتو فهي قاعدة قسم كبير من بلاد السودان

وقد استوطن فيها بين اهلها السودان كثيرٌ من اهل بلاد المغرب للتجارة ولكنهم غالبًا بعد ان يتموّلوا يعودون الى بلادهم واللغة العربية شائعة هناك لكنها ليست لغة الاهالي الاصلية . والمدينة على شكل مثلث غير قياسي محيطها نحو ثلاثة اميال والبيوت جميعها طبقة واحدة فقط وهي مبنية باللبن المجفف في الشمس واهلها نحو ١٠٠٠٠ نفس والاراضي حولها قاحلة لا تصلح للزراعة فياتون بلوازم معاشهم من اماكن بعيدة . والى الجنوب الغربي منها صهاريج كثيرة عمقها نحو ٤٠ قدمًا يجتمع فيها ماء المطر وتشرب الاهالي منها . وفي جوارها قبائل متبدية يقال لها التواريك يعتمدون على المواشي وهم لصوص ياخذون الخفارة من القوافل الطارقة في تلك الاقطار ويثقلون على اهل تمبكتو جدًّا .

اما مملكة بُرغو فهي الى الجنوب الشرقي من تمبكتو طولها نحو ٣٠ مرحلة وعرضها نحو ١١ مرحلة . وهي مقسومة الى اربعة اقسام . الاولى بصة وقاعدتها مدينة بصة في عرض شمالي ١٤َ ١٠ْ وطول شرقي ١١َ ٦ْ واهلها مع اهالي رساتيقها نحو ١٢٠٠٠ نفس . الثاني كياما وقاعدتها مدينة كياما في عرض شمالي ٣٧َ ٣٢ َ ٩ْ وطول شرقي ٥٦ً ٣٢َ ٥ْ والاهالي نحو ٣٠٠٠٠ نفس . الثالث وَامَا حيث العرض ٥٤ً ٥٢َ ٩ْ شمالي والطول ٥٦َ ٥ْ شرقي واهلها نحو ١٨٠٠٠ نفس . الرابع نيكي واهالي هذه المملكة جميعهم عدة اصام

مولعون بالسكر

واما مملكة يوريبا فهي الى الجنوب من برغو واهلها نوعٌ من السودان اصحاب سلامةٍ وديانتهم اصنامية وحكمهم ملكيٌّ مطلق يتداولونهُ بالوراثة . وقاعدتها كاتونكا في عرض شمالي ٥٩َ ٨° وطول شرقي ١٢َ ٦°

واما مملكة بمارة فهي الى الجنوب الغربي من تمبكتو على حدود سنيكمبيه وطولها نحو ٥٠ افرسخًا وعرضها نحو ١٠٠ فرسخ ويخرقها نهر جليبا واكثر اهاليها سودان وبينهم جماعةٌ من اهل بلاد المغرب . وقاعدتها سيكو وكانت مدينة جنى تابعةً لها والآن صارت تابعة لمملكة الملاَّنة . واهل سيكو يبلغون نحو ١٠٠٠٠ نفس . وهذا القَدَر كفايةٌ في الكلام على افريقية الوسطى

الفصل الثاني والثلاثون

في افريقية الغربية

اعلم ان الشطوط الغربية من هذه القارة قد انقسمت الى اقسامٍ وولاياتٍ شتى منها سنيكمبيه التي سميت بذلك لمرور نهر

سنيكال ونهر كمبيه بها وحدودها من الشمال الصحراء ومن الشرق بلاد السودان . ومن الجنوب كينيه العليا . ومن الغرب الاوقيانوس الاتلانتيكي. وهي مقسومة الى عدة اقسام ايضاً لا سبيل الى ذكرها هنا . وكل ذلك منحصرٌ بين ٩° و١٨° من العرض الشمالي وقد استولت عليها حكومة فرانسا . واكثر اراضيها منخفضة سهلة ما خلا بعض التلال في ناحية الراس الاخضر وفي الجهات الجنوبية على جانب نهر سيراليون . وهي كثيرة الغياض والآجام وفيها كثيرٌ من النخل والنارجيل والتمر الهندي والموز والتين والليمون والبرتوكال . وبها كثيرٌ من الحيات والاحناش والذبابات المؤذية . وتكثر فيها الحيوانات والطير المالوفة كما في اكثر البلدان . وهواؤها حار جدًّا والامطار تقع فيها من حزيران الى تشرين الثاني والندى غزيرٌ على مدار السنة

اما انهرها فمنها نهر سنيكال ونهر كمبيه المشار اليها سابقًا ويصب فيهما عدة انهر ونهيرات على جوانبها اراضٍ مخصبة مزروعة بنبات النيلة وغيرهِ . وبها بحيراتٌ منها ما يبقى ابدًا ومنها ما يجف في الصيف . وعلى الشطوط البحرية كثيرٌ من الجزائر الصغار الحسنة . واما اهالي هذه البلاد فمنهم من جنس السودان ومنهم مسلمون ومنهم عبدة اصنام فتشية وعددهم نحو ١٠٠٠٠٠٠٠ نفس وهم قبائل واحزاب كثيرة يحارب بعضها بعضًا ويكثر بينهم النهب والسبي وكان يوخذ من هناك كثيرٌ من العبيد ويرسلون

الى اميركا الجنوبية وكل ذلك أُبطِل منذ استيلاء فرانسا على تلك الجهات

ومن اقسام غربي افريقية كينيه وهي مشتملة على الاجزاء الواقعة بين ١٦° عرض جنوبي ونحو ١٠° عرض شمالي . واراضيها جيدة وحواصلها وحيواناتها كما في سائر الاقاليم الاستوائية . واهلها سودان وهم على انواع من المذاهب الفتشية وعددهم نحو ٧٠٠٠٠٠٠ نفس . وقد انقسمت هذه البلاد الى كينيه العليا وكينيه السفلى . اما العليا فلها من الشمال سنيكمبيه وبلاد السودان . ومن الشرق الاجزاء المجهولة . ومن الجنوب الشرقي كينيه السفلى . ومن الجنوب والغرب الاوقيانوس . ويخرقها عدة انهر منها نهر رُوكَلّ ونهر شَربرو ونهر مسورادو وغيرها . وقد وضع الانكليز كولونية من العبيد المعتوقين في سيراليون سنة ١٧٨٧ ونجحوا كثيرًا في جميع ظروف الهيئة الاجتماعية وقد بلغ عددهم نحو ٥٠٠٠ نفس او اكثر وكذلك فعل الاميركان في ليبريا سنة ١٨١٧ وزاد عدد هولاء المعتوقين كثيرًا وكثرت ضياعهم وصارت تجارة عظيمة معتبرة بينهم وبين اهل اوروبا واميركا وهم يعينون على منع اختلاس العبيد وبيعهم في تلك الجهات

ومن اشهر اقسام تلك النواحي مملكة بنين على شمالي خليج كينيه . ومملكة دهومي الى شمالي بنين ومملكة أشنتي الى غربيها وهي من اقوى ممالك السودان واهاليها على مذهب الفتشية وهم

يقدمون البشر ذبائح لالهتهم . والملك الحاضر الآن لما ماتت امهُ سقى قبرها دم ٢٠٠٠ نفس بعضهم من الاسرى الماخوذين في الحرب والبعض اخذهم من رعيتهِ بالقرعة . وقاعدة البلاد مدينة كوماسي في عرض شمالي ٥٠ ´٣٤ ´٦° واهلها نحو ١٨٠٠٠ نفس

واما كينيه السفلى فحدودها من الشمال كينيه العليا . ومن الشرق والجنوب مجهولة . ومن الغرب الاوقيانوس الاتلانتيكي . وهي منقسمة الى تسع ممالك صغار لا اعتبار لها واشهرها كونكو وانكولا وبنكويلا ولوانكو . ويجوزها عدة انهر آتية من الشرق ومصبّاتها في الاوقيانوس . وحواصل تلك البلاد وحيواناتها كما في سائر الاقاليم الحارة . والتجار الغرباء ينزلون في مدينة سان سلفدور على نهر زير . والجهات الداخلة غير معروفة لكن قيل انهُ يوجد قبائل متوحشة على حدود البلاد المذكورة ياكلون لحوم الناس ولم يدخل الى هناك احد من اهل السياحة . وفي هذا العصر حضر الى بعض تلك الجهات رسل يبشرون الاهالي بالديانة المسيحية .

ثم انهُ بمساعي ليوبولدو الثاني ملك بلجيوم اقيمت على جانبي نهر الكونكو مملكة حرّة بين مصب النهر المشار اليهِ وبحيرة تنكنيكا وفتحت تلك البلاد للتجارة والتمدن واستولت فرانسا على قسم كبير من تلك الجهات بين البحر و١٧° طول شرقي على الجانب

الشمالي من نهر الكونكو وللبرتوكال املاك واسعة من جنوبي الكونكو والحكومة الالمانية ايضًا استولت على بعض تلك الشطوط

الفصل الثالث والثلاثون

في افريقية الجنوبية والجزائر

اما افريقية الجنوبية فهي مقسومة الى بلاد الراس وبلاد الهوتنتوت وبلاد الكفرة . وانما سميت بلاد الراس بذلك نسبةً الى راس الرجاء الصالح وهو الراس الجنوبي لقارة افريقية الذي كشفهُ اهل برتوكال سنة ١٤٩٢ ومن ثمَّ صار الطريق الى الهند على هذا الراس وتملكت دولة الانكليز بعض الاماكن هناك . واهل هولاندا استملكوا الراس سنة ١٦٥٠ وارسلوا اليهِ قومًا من بلادهم فطردوا الهوتنتوت الذين كانوا ساكنين هناك واستوطنوا في اماكنهم . ولم تزل اهالي اوروبا تكثر هناك والهوتنتوت يقومون من قدامهم الى هذا اليوم. ثم اخذت انكلترا تلك البلاد من هولاندا في سنة ١٨١٤

وتخرق هذه البلاد سلاسل جبال متوازية من الشرق الى الغرب . الاولى على مسافة ما بين ٢٠ و٦٠ ميلاً من البحر . والثانية يقال لها الجبال السود وهي اعلى واكثر اوعارًا من الاولى . وهي بين الاولى والثالثة التي هي عن البحر على مسافة ما بين ٨٠ و١٠٠ ميل وارتفاعها نحو ١٠٠٠٠ قدم . والاودية والسهول التي بين هذه الجبال جيدة التربة ريّانة بها انهرٌ ونهيرات كثيرة وبعض السهول خالية من الماء تكتسي بالاعشاب والزهور في فصل الشتاء وتبقى محترقة متشققة في فصل الصيف

ومن الانهر في تلك الجهات نهر الجبل ونهر الفيل تصعد فيها الزواريق نحو ٢٠ ميلاً . والنهر العريض الذي يصبُّ في خليج سباتيان تصعد في فمهِ السفن الكبار . ونهر السمك الذي منبعهُ من داخل البلاد ومجراهُ بين الجبال في اودية عميقة . ونهر البرتوكال منبعهُ من داخل البلاد على اكثر من ٦٠٠ ميل عن البحر وهو يصب في الاوقيانوس حيث العرض ٣٠ ′٢٨° ولا يعرف هناك سوى فصلين فصل المطر واولهُ من اذار وفصل الصيف واولهُ من ايلول ولا يشتد البرد كثيرًا وبالاجمال يقال ان الهواء هناك جيدٌ يوافق الصحة

اما حيوانات بلاد الراس فهي كما في بقية أقسام افريقية وحواصلها الحبوب والكتان واما البن والسكر والرز فقليل الى الآن واعشابها وزهورها كثيرة متنوعة . ومن معادنها الفضة

والرصاص والحديد وملح البارود . والكرم يخصب هناك فيصنعون انواعًا من الخمر الجيد . وعندهم شجر التوت وقد شرعوا الآن في تربية دود الحرير . والاهالي ياتون من داخل البلاد بالعاج والجلود ويستعيضون بالاقمشة والاسلحة والبارود . وقد حُسِب عدد سكان البلاد الخاضعين لدولة الانكليز نحو ١٢٤٩٨٠٠ نفس

واما الهوتنتوت فهم الاهالي الاصلية والان قلّوا جدًّا في نواحي بلاد الراس ويوجد منهم كثيرون في الجهات الداخلية وهم في حالة الجهل والغباوة . وقد اعتنى بعض الصالحين في تعليمهم وارشادهم فتهذَّبوا نوعًا . وهناك طائفة اخرى من القبائل المتوحشة يقال لها بشمان اي ساكنة الاحراش . وهم قباح الصور غلاظ الطباع يلبسون جلود الغنم والمعزى ويتصيدون الوحش بالنبال ويعتمدون بالاكثر على السرقة والنهب

ومن اشهر المدن في تلك البلاد مدينة الراس وهي على سفح جبل مبنيَّة على راس خليج حسن . وسكانها اخلاط من اهل هولاندا وانكلترا والسودان والهوتنتوت وعددهم يبلغ نحو ٣٠٠٠٠ نفس . وهي محط للمراكب الجارية بين اوروبا والهند

واما بلاد الكفرة فهي الواقعة بين مزمبيق شمالاً وبلاد الراس جنوبًا . واهلها يشبهون الجنس القوقاسي في بعض الصفات والسودان في البعض الاخر . ولهم ما للقوقاسية من النضارة

الخف ودقة الانف وما للسودان من جعودة الشعر وضخامة الشفتين . ويشبهون الهوتنتوت ايضًا في ثقل الارداف وهم سود الالوان طوال القامة خفاف الحركة اشداء البأس واكثر اعتمادهم على البقر ولا يُعرَف لهم دينٌ ولا عندهم شيء من الامور الدينية غير الختان . وهواء تلك النواحي رديٌّ على الشطوط البحرية جيدٌ في الجبال الداخلية التي منها يحدر عدة انهر وتصب في الاوقيانوس . وفي براريها انواعٌ من جنس الذئب والوعل والفيل وحيوان على صورة الفرس غير انهُ مشقوق الظلف ولهُ قرنان كالبقر

واهل تلك الاقطار ينقسمون الى قبائل كبيرة لا حاجة الى ذكرها هنا . وقد دخل بينهم المبشرون وسكنوا في الجهات الواقعة بين خليج دلاكوا ونهر أُملازي

وفي الداخل شرقًا من خليج دلاكوا ولاية الترانسڤال الحرَّة اكثر سكانها من اهل هولاندا الذين سكنوا هناك ولم يخضعوا للانكليز

اما جزائر افريقية فمنها مُدَيرا في عرض شمالي ٣٢ ٣٨ وطول غربي ١٦ ٥٦ وهي مشهورة بجودة هوائها وطيب خمرها . وجزيرة پرتوسانتو في عرض شمالي ٣٣ ٥٨ وطول غربي ١٦ ٢٠ وهما من املاك پرتوكال . والجزائر الخالدات التي كان يحسب منها الطول عند القدماء لزعمهم انهُ لم يبقَ برٌّ الى جهة الغرب

منها . وهي سبع جزائر اصلية فيها من الناس نحو ٢٠٢٠٠٠ نفس . وحولها عدة جزائر صغار وهي تابعة لاسبانيا . وفي جزيرة تنريف منها جبل تنريف الذي ارتفاعهُ ١٣٠٠٠ قدم . وراسهُ في طول غربي ١٦°٤٠′ وعرض شمالي ٢٨°١٧′ وجزائر الراس الاخضر واصولها عشر جزائر اعظمها جزيرة سان ياكو حيث العرض ١٤°٥٦′ شمالي والطول ٢٣°٢٩′ غربي . وهي جزائر حسنة كثيرة الحواصل والخيرات جيدة التربة والهواء وهي تابعة لبرتوكال . وفي خليج كينيه عدة جزائر منها جزيرة مار توما طرفها الجنوبي في ٠١′ عرض شمالي و٨° طول شرقي وتربتها جيدة وهواؤها رديء في الغاية وجزيرة بريس في ٣٦′° عرض شمالي و٤٠′٦° طول شرقي وهما لبرتكال . وجزيرة فرناند وبو حذاء مملكة بين حيث العرض ٣°٢٨′ شمالي والطول ٨°٣٠′ شرقي كانت لبرتوكال ثم صارت لاسبانيا في سنة ١٧٧٨ والآن اخذت دولة الانكليز في اقامة منازل بها وهي حسنة جيدة تاتي بجميع حواصل الاقاليم الاستوائية . وجزيرة اسنشن في عرض جنوبي ٧°٥٧′ وطول غربي ١٣°٥٩′ وهي محط للمراكب الجارية بين اوروبا والهند . وجزيرة سنتا هيلانة في عرض جنوبي ١٥°٥٥′ وطول غربي ٥°٤٩′ محيطها نحو ٢٨ ميلاً وهي عن اقرب البرور ١٢٠٠ ميل . وقد اشتهرت بنفي بونابارته اليها بعد سقوطهِ في وقعة واترلو

وبين راس الرجاء الصالح وشطوط برازيل ثلاث جزائر غير مسكونة اعظمها ترستان آكونها محيطها نحو ١٣ ميلاً وهي مكتسية بالاشمار وبها الخنزر البري والمعزى الجبلية وكثيرٌ من الطيور البحرية . وبسبب علو الصخور على شطوطها لا يقترب اليها الاَّ من جهة واحدة . وبالقرب منها جزيرتار لا يمكن الاقتراب اليها الاَّ عند الهدو الكامل في البحر

اما جزيرة مدكسكر فهي بين ١٢° و٢٥° عرض جنوبي و٤٤° و٥٠° طول شرقي . وهي جزيرة عظيمة طولها نحو ٨٤٠ ميلاً جغرافيًّا ومعدل عرضها نحو ٢٣٠ ميلاً . وبها سلسلة جبال ممتدة من الشمال الى الجنوب ينحدر منها انهرٌ كثيرة . ومن حواصلها قصب السكر والنارجيل والموز والتبغ والنيلة والفلفل والكهرباء والكتان وبعض العقاقير . ولا فيها الخيل ولا الفيل ولا الاسد ولا النمر . وبها كثيرٌ من البقر والجاموس والغنم والتمساح في انهرها . ومن الطيور نوعٌ من الدرة اسود اللون . وبها الزمرد والصفير وغيرها من الحجارة الكريمة . وحكمها ملكيٌّ مطلق واكثر اهلها يعبدون الاصنام وقد دخل اليها المبشرون بالديانة الانجيلية ونجحوا كثيرًا . وكانت الملكة بعد وفاة الملك منذ سنواتٍ اقامت اضطهادًا شديدًا على المسيحيين هناك وقتلت كثيرين منهم واخرون هربوا الى جهات اخر فلما ملك ابنها ابطل كل ذلك واعطى الحرّية في الديانة وغلبت الديانة المسيحية على الديانة

الوثنية . وعدد اهلها نحو ٤٥٠٠٠٠ نفس وكتابتهم بالاحرف العربية

وفي الخليج بين هذه الجزيرة وبر افريقية عدة جزائر صغار اعظمها جزائر كوموراس وجزيرة هنكوان عليها مدينة بوحما . وهي في ١٢° ٩′ عرض جنوبي و ٤٤° ١٩′ ¾ طول شرقي . وفي هذه الجزائر توجد جميع حواصل الاقاليم الحارة . والى الشرق من مدكسكر جزيرة بوربون حيث العرض ٢٠° ٥′ ٤٢″ جنوبي والطول ٥٥° ٣٠′ ١٥″ شرقي . وهي تابعة فرنسا وهواؤها جيد في الغاية . وجزيرة موريتوس في عرض جنوبي ٢٠° ٩′ ¾ وطول شرقي ٥٧° ٢٩′ ¼ محيطها نحو ١٢٥ ميلاً وبها جبال عالية وهواؤها جيد جداً وهي تابعة انكلترا وحولها عدة جزائر صغار تابعة لها . وهذا القدر كفاية في افريقية وجزائرها

الفصل الرابع والثلاثون

في قارة اميركا

هذه القارة هي القسم الثاني من اقسام الدنيا الخمسة . ويليها من جهة الشرق الاوقيانوس الاتلانتيكي وهو الفاصل بينها وبين اوروبا وافريقية . ويليها من جهة الغرب الاوقيانوس المحيط وهو الفاصل بينها وبين اسيا . وطرفها الجنوبي وهو راس هورن واقع في عرض جنوبي ٣٠ ٥٨ ٥٥ وطرفها الشمالي الذي لم يتعين طوله وعرضه بالتدقيق لا يختلف كثيرًا عن ٧٥° من العرض فلا يكون طولها من الشمال الى الجنوب اقل من ٩٠٠٠ ميل . وهي ايضًا بين ٥٥° و١٦٠° من الطول الغربي فيكون عرضها من الشرق الى الغرب بين ١٥٠٠ مل و١٨٠٠ ميل . ومساحتها نحو ١٥٠٠٠٠٠٠ ميل مربع

وقد انقسمت هذه القارة الى قسمين اصليين وهما اميركا الشمالية واميركا الجنوبية ويوصل بينهما برزخ داريان ويفصل بينهما الى شرقي هذا البرزخ خليج مكسيكو . والبرزخ المذكور عرضه في بعض الاماكن منه بين ٣٠ و٤٠ ميلاً فان القسم الشمالي منه

عريضٌ في جهة الشمال ثم يتضايق شيئًا فشيئًا حتى ينتهي في البرزخ المذكور. واما القسم الجنوبي فيزداد عرضهُ من البرزخ الى نحو ثلثهِ ثم يتضايق حتى ينتهي في الراس الجنوبي منهُ. وفي الشمال الغربي يقطع الاتصال بين اميركا واسيا بوغاز ضيق يقال لهُ بوغاز بيرين. وتخرق القارتين سلسلة جبال من قرب بوغاز بيرين الى راس هورن لها اسماء مختلفة في اجزاء مختلفة منها كما سياتي وهي السلسلة الثانية في العالم باعتبار العلو لان علو بعضها ٢٥٠٠٠ قدم. وانهر هذه القارة اعظم انهر العالم وكذلك بحيراتها

ولكون هذه القارة ممتدة من القطبة الشمالية الى نحو ٥٦° من العرض الجنوبي لا بد ان يختلف هواؤُها واقاليمها حسب وقوعها في المنطقة الباردة او الحارة ويكون لها ايضًا حواصل هذه الاقاليم المختلفة جميعًا. ويوجد بها من الحيوانات ما يوجد في بقية القارات الَّا الفيل والاسد والجمل والنمر والزرافة والكركدن وفرس النهر والنعام. ولكن فيها نحو ثمانين صنفًا من الحيوانات تختص بها دون غيرها. وبها من النبات والشجر ما في غيرها من القارات ولها ايضًا من ذلك خصائص لا توجد في غيرها. وفيها من المعادن الذهب والفضة والزيبق والنحاس والحديد والانتيمون والكبريت وملح البارود وملح الطعام والرصاص وحجر المغناطيس وانواع الرخام. ومن الحجارة الكريمة

الماس والزمرد واللؤلؤ وغير ذلك . وعدد اهلها يبلغ نحو ٥٠٠٠٠٠٠٠ نفس . وهم اما من القبائل الاصلية التي كانت هناك قبل اكتشاف هذه القارة واما من نسل اهل اوروبا الذين استوطنوا فيها بعد ذلك واما من السودان الذين جلبوا اليها كأَرِقَّاء من قارة افريقية . وهذه القارة واسعة الارض كثيرة الخيرات حتى لو زاد اهلها على العدد المذكور خمس مئة مليون لوُجد لهم سعةٌ ومعاش

ولم تكن هذه القارة معروفة عند اهل اوروبا حتى كشفها كرستوفر كلمبوس سنة ١٤٩٢ ووجد هناك يومئذٍ قبائل كثيرة متوحشة سموها هنودًا لمشابهتهم في اللون لاهل الهند الشرقية . وفي كيفية وصول هؤلاء السكان الى هناك اقوالٌ كثيرة لا سبيل الى ذكرها هنا . ومن حين اكتشافها اخذت اهالي اوروبا ترحل اليها وصار فيها للمالك اوروبا املاك واسعة . وهؤلاء الدخلاء حاربوا الاهالي الاصليين وطردوهم الى داخل البلاد حيث لم يزل البعض منهم الى يومنا هذا . ثم استقلت بعض تلك الاملاك وقامت بذاتها ولم يزل بعضها تحت تسلط الممالك الاصلية في اوروبا كما سياتي ذكرهُ في محلهِ . وبعد ما رجع كلمبوس الى اسبانيا واخبر عن كشفها وما وجدهُ بها سافر اليها رجل اسمهُ امريكوس فسبوسيوس وكشف شطوطها الجنوبية وتسمت القارتان على اسمهِ وكان حقها ان تسمى كلمبيه على اسم كلمبوس

ثم ان اميركا الشمالية قد انقسمت الى عدة اقسامٍ بعضها باعتبار الدول والاحكام وبعضها باعتبار الموقع فالقسم الاول منها املاك روسيا . والثاني كرينلاندا . والثالث الاملاك الانكليزية . والرابع البلاد المتحدة . والخامس مكسيكو . والسادس اميركا الوسطى . وكذلك اميركا الجنوبية تنقسم الى اقسامٍ شتى الاول غرنادة الجديدة . الثاني فنيزويلا . الثالث اكوادور . الرابع كيانه . الخامس برازيل . السادس بيرو . السابع بوليفية . الثامن شيلي . التاسع لابلاتا ويقال لهُ ارجنتينة . العاشر براكواي . الحادي عشر اوروكواي . الثاني عشر باتاكونيه . واما الجزائر التابعة لاميركا فتذكر مع القسم الذي تُعدُّ منهُ

الفصل الخامس والثلاثون

في املاك روسيا في اميركا وكرينلاندا

اعلم انهُ من حين اكتشاف طريق الهند على راس الرجاء الصالح كما ذكرنا سابقًا قد اعتنى اهل السياحة والملّاحون في اكتشاف جهات اميركا الشمالية لعلهم يجدون هناك طريقًا من الاوقيانوس الاتلانتيك الى الاوقيانوس المحيط وارسلت دول

اوروبا ولاسيما الدولة الانكليزية كثيرًا من سفنها في اوقات مختلفة لاجل الغاية المذكورة حتى كان سنة ١٥٨٥ كشفوا بوغاز دافيس . ومن ثمَّ الى نحو سنة ١٧٥٠ تقدمت المعرفة بتلك النواحي قليلاً وكشف بعض السائحين مصبات نهر كُبرَمين ونهر مكنزي في البحر الشمالي . وفي سنة ١٨١٩ وصل بعض الربانيين الى جزيرة ملفيل حيث العرض ″٤٧ ′٧٤ شمالي والطول ′٤٧ ١١٠° غربي . وهي جزيرة طولها نحو ١٥٠ ميلاً وعرضها بين ٣٠ و٤٠ ميلاً وفي سنة ١٨٢٧ وصل بعضهم الى عرض شمالي ٥٠ ′١٢ ٨١° ثم الى ٤٥ ′٨٢° وذلك بترك المراكب والمشي على الجليد . وقد انكشفت الشطوط البحرية من مصب نهر كُبرَمين الى بوغاز بيرين وفي سنة ١٨٨٠ نفذ من بحر الى بحر على هذه الطريقة الدكتور فرد نسكيولد في سفينة تجارية من ستوكهولم اسمها النسر الواقع

وقد تقدّم الكلام ان المسكوب استفتحوا سيبيريا في اثناء سنة ١٦٤٠ واكتسبوا بذلك تجارةً جيدة في الجلود والفراء وما زالوا يتقدمون الى الشرق حتى قطعوا بوغاز بيرين وتملكوا جزائر كوريل وألوتان وشطوط اميركا للمتاجرة مع الهنود الذين هناك في الفراء . وحدّ هذه الاملاك الشرقي واقعٌ في نحو ١٤١° من الطول الغربي من البحر الشمالي الى جبل مار الياس . ومن ثم يلحق شط البحر الى ٥٦° عرض شمالي ومنذ عهدٍ قريب اشترت حكومة البلاد المتحدة جميع املاك روسيا في اميركا فلم يبقَ لها شيء

في تلك القارة . وتلك البلاد باردة مستوعرة وتلالها مكتسية بغياض من الارز والصنوبر وجبالها لا تخلو من الثلج ابدًا . وعلى السهول بين الجبال والبحر ينبت بعض انواع الحشائش والطحالب . وفي تلك النواحي حيوانات جيدة للفراء وقد اعتنى المسكوب كثيرًا في هذا النوع من التجارة مع طائفةٍ من الهنود الساكنين في شمالي اميركا يقال لها اسكيمو

اما بلاد كرينلاند فطرفها الجنوبي حيث العرض ٣٠ ′ ٥٩° شمالي . والشط الشرقي منها يمتدُّ الى جهة الشمال الشرقي الى حذاء جزيرة سبتسبركن . والشط الغربي منها يمتدُّ الى جهة الشمال الغربي . ويحدهُ بوغاز دافيس وبوغاز بافين . وجهاتها الشمالية لم تزل غير منكشفة . قيل ان رجلًا من اهل ايسلاند طردتهُ الريح الى هذه البلاد في القرن الثامن او التاسع . وعند رجوعهِ الى بلادهِ اخبر عن هذه البلاد وانتقل اليها مع عدة عيال وسمَّاها كرينلاند اي البلاد الخضراء وكانت يومئذٍ تحت حماية نروج ولم يزل اهل الشمال يترددون بين نروج وايسلاند وكرينلاند زمانًا قبل اكتشاف اميركا عن يد كلمبوس كما تقدم ذكرهُ

واما اهاليها الاصليون فهم من طائفة الاسكيمو . وهم قصار القامة لهم نشاطٌ وقدرةٌ على احتمال البرد والجوع والتعب المفرط . ويلبسون قمصانًا من جلود الطيور بريشها وفوقها فساطين من جلد الرنه او عجل البحر لها قلانس كقلانس الرهبان .

ويتخذون احذية وجوارب من جلود هذه الحيوانات واحيانًا من امعاء الحوت او الدلفين . وفي الشتاء الطويل يسكنون بيوتًا صغارًا من الحجارة خلالها مسدودة بالطين وسقوفها من اصول الاعشاب النابتة في الاراضي السباخ البالوعية وبعض هذه البيوت يكون تحت مساواة سطح الارض يُدخَل اليها من دهليزٍ ضيق معوّج تحت الارض لأيدخلهُ احد الاَّ زحفًا على بطنهِ . وطعامهم من لحوم عجل البحر الذي يصيدونهُ ويخزنونهُ طعامًا لهم في ليلهم الطويل . والقوارب التي يتخذونها للصيد مصنوعة من جلود عجل البحر ولاجل خفتها لا يخشى عليها من هيجان البحر وانوائهِ . وهم يضربون الصيد بحربةٍ لها مرسٌ طويل يربطون في طرفهِ جسمًا خفيفًا يطفو على وجه الماء . ويستخدمون الكلاب لجرّ العربات على الجليد والثلج مثل اهل كمشتكا . وديانتهم من جنس العبادة الوثنية

واما تجارة هذه البلاد فهي بيد مملكة دنيمارك يرسلون الى هناك آلات الحديد وانواع الاقمشة والاسلحة ويستعيضون ريش الطيور وقرون فرس البحر وجلود عجل البحر وكذلك جلد الثعلب والدب والارنب والرنه وما يشبهُ ذلك

وفي بلاد سكرينلاندا سلاسل جبال قاحلة مسنوعرة علوّ بعضها نحو ٣٠٠٠ قدم . وليس فيها من الانهر ما يستحق الذكر . وبها عيون كثيرة تتسلسل من مياه الثلوج الدائبة في الارض .

وفيها عين حارّة تبلغ درجة حرارتها ١٠٤° اما هواء هذه البلاد فلا يخلو من شدة البرد والبحر يتجلّد في الشتاء الى مسافة بعيدة . وفي تلك الاقاليم يُرى الشفق الشمالي في بهاء فائق لا يرى مثلهُ في الاقاليم المعتدلة الاستوائية . ويكثر في تلك الابحر نوعٌ من الحيتان يوخذ منهُ الزيت الجيد للمصابيح . وطول الواحد من هذه الحيتان يبلغ احيانًا ٦٠ قدمًا . وهناك ايضًا فرس البحر وعجل البحر والدب الابيض . وعلى شطوط كرينلاندا جزائر كثيرة غير مسكونة فيها ما لا يحصى من طيور البحر التي يصطادونها لاجل ريشها لانهُ انعم من ريش طيور الاقاليم الاستوائية . وكذلك حيواناتها التي فراؤُها افضل من غيرها لوجود الزغب الدقيق الناعم المخلوق لها لاجل وقايتها بهِ من شدة برد تلك النواحي ولدولة دنيمارك منازل على الشطوط الغربية الى ٧٤° من العرض الشمالي والسكان نحو ٩٤٠٠ نفس ونحو ٣٥٠ منهم من دنيمارك

الفصل السادس والثلاثون

في الاملاك الانكليزية في اميركا

اعلم ان الاملاك الانكليزية في اميركا الشمالية هي الاراضي الواسعة الواقعة بين °٤٢ ′٥٠ و°٧٠ من العرض الشمالي و°٥٥ و°١٤٠ من الطول الغربي . وحدُّها شمالاً بحر الثلج الشمالي . وشرقًا خليج بافين وبوغاز دافيس والاوقيانوس الاتلانتيكي . وجنوبًا الاوقيانوس المذكور ايضًا والبلاد المتحدة . وغربًا الاوقيانوس المحيط واملاك المسكوب . واقسامها اربعة . الاول برتانية الجديدة . الثاني كنادة . الثالث اسكوتسيا الجديدة . الرابع فونلاند الجديدة وجزائر برموداس اما برتانية الجديدة فهي كل الاراضي الواقعة الى شمالي °٥٠ من العرض الشمالي . وبها خليج هدسون بين °٥٢ و°٦٧ عرض شماليّ وطول هذا الخليج نحو ١٠٠٠ ميل ومعظم عرضهِ نحو ٦٠٠ ميل وهو متصل بالاوقيانوس بواسطة بوغاز هدسون ومدخلهُ عند مدخل بوغاز دافيس . والاجزاء الواقعة الى الغربي منهُ يقال لها وَيلْس الجديدة .

والاجزاء الواقعة بينهُ وبين بوغاز بلايل الفاصل بين البر وفوزلاند الجديدة يقال لها لبرادُور

وفي هذه البلاد عدة بحيرات منها بحيرة وينبك بين ٥١° و٥٤° من العرض الشمالي و٩٦° و٩٩° من الطول الغربي يصبُّ فيها انهرٌ من الغرب ويخرج منها انهرٌ الى خليج هدسون . وحولها غياضٌ واسعة اخشابها تصلح للبناء والوقود . ومنها شجرة كثيرة الوجود في اميركا تثقب في ايام الربيع فيخرج منها ماء حلو المذاق واذا غُلي ينعقد فيصير منهُ نوعٌ من الدبس لذيذ الطعم فان افرط غليانهُ حتى يجفَّ يحصل منهُ سكر اشقر اللون تستعملهُ الاهالي عوض السكر المصنوع من القصب . وبحيرة الغياض وهي مصطنعة من نهرٍ طولهُ نحو ٨٠ ميلاً . واما بحيرة العبيد فهي بين ٢٨َ ٦٠° من العرض الشمالي و١١٠° و١١٩° من الطول الغربي . وطولها نحو ٢٧٠ ميلاً ومحيطها نحو ١٠٠٠ ميل . يدخل اليها عدة انهر ويخرج منها نهر مكنزي الذي يصبُّ في البحر الشمالي حيث العرض نحو ٧٠° شمالي . ويصبُّ في خليج هدسون نهر شرشَل ونهر نلسون ونهر سفرن ونهر ألبني ونهر موس ونهر مِين وغير ذلك

ثم ان سلسلة الجبال التي تخرق اميركا من الشمال الى الجنوب اولها بالقرب من حدود املاك المسكوب عند البحر الشمالي ومن هناك تمتدُّ الى الجنوب الغربي واسمها هناك وفي

البلاد المتحدة الجبال الصخرية . وعلو بعضها في هذه البلاد نحو ١٦٠٠٠ قدم .

اما هواء هذه البلاد فلا بد ان تكون جهاتها الشمالية باردة جدًّا وجهاتها الجنوبية اكثر اعتدالاً . والهواء في جوار خليج هدسون رطب جدًّا. وتربة البلاد قلما تصلح للزراعة وفي اراضيها معدن الحديد والرصاص والنحاس والرخام والفحم المعدني . ومن حيواناتها انواع الوعل والجاموس البري والذئب والثعلب والسنور البري والارنب والسنجاب والبادستر والقرقدون . ويكثر هناك طائر الاوزّ البري وفي مياهها انواع كثيرة من السمك . واهلها من طائفة الاسكيمو وقبائل اخر من الهنود متوحشة تنقسم الى طوائف كثيرة مختلفة اللغات وكلهم طوال القامة الوانهم نحاسية وشعرهم مسترسل وعظم الخد منهم عالٍ كما ذكرنا في صحيفة ٤٦ من هذا الكتاب . وهم اشداء في الحرب يعتمدون على الصيد وينتقلون من مكانٍ الى اخر . وحيثما ارادوا الاقامة مدةً من الزمان يصنعون هناك بيوتًا من اغصان الشجر ويغطونها بقشور الاشجار . وملابسهم من الجلود وصيدهم كان سابقًا بالقوس والنشاب واما الآن فياخذون من البيض ما يحتاجونهُ من بواريد وبارود ورصاص للصيد والحرب وملاحف للكسوة . وللانكليز عدة منازل في تلك الجهات اكثرها لاجل التجارة في الفراء وذلك في شرشل وسفرون وحصن يورك

وحصن موس وحصن ألبني وغير ذلك

واما بلاد كنادة فهي بين ٣٠َ ٤٢ْ و٥٠ْ عرض شمالي وبين ٦٤ْ و٩٧ْ طول غربي . وحدُّها من الشمال برطانية الجديدة . ومن الشرق خليج مار لورنس وبرنسويك الجديدة ومن الجنوب البلاد المتحدة وجزء من نهر مار لورنس وبحيرة اونتاريو وبحيرة إري وبحيرة هورون والبحيرة العليا . ومن الغرب بحيرة هورون والبحيرة العليا ايضًا وبرتانية الجديدة . والحدُّ بينها وبين برتانية الجديدة غربًا وشمالاً لم يتعين بالتدقيق . وهي منقسمة الى كنادة العليا في جهة الغرب وكنادة السفلى في جهة الشمال الشرقي والحد بينهما نهر اوتاوا الذي يصب في نهر مار لورنس . ويفصل بين كنادة العليا والبلاد المتحدة عدة بحيرات كبيرة . منها البحيرة العليا طولها نحو ٤٠٠ ميل ومعظم عرضها نحو ١٠٠ ميل . ومحيطها نحو ١٢٠٠ ميل . وماؤُها رائق عذب كثير الاسماك واذا سخن وجههُ في الصيف فلا بد ان يبقى غورهُ باردًا كما شوهد مرارًا بالتجربة . وفيها عدة جزائر احداها يبلغ طولها نحو ١٠٠ ميل وعرضها نحو ٤٠ ميلاً ويصب فيها اكثر من اربعين نهرًا . وينحدر اليها نهرٌ صغيرٌ فيهِ شلاَّلة علوها ٦٠٠ قدم . والانواء في هذه البحيرة شديدة جدًّا يحصل منها خطرٌ جزيل على السفن . ولها مخرجٌ من طرفها الشرقي يقال لهُ بوغاز القديسة مريم تدخل منهُ المياه الى بحيرة هورون وبحيرة مشيغان اللتين

محيط الاولى منها ١٠٠ اقدم وطول الثانية نحو ٢٦٠ ميلاً ومحيطها نحو ٥٤٠ ميلاً وهي عميقة جداً . ومن طرف بحيرة هورون الجنوبي تخرج المياه بواسطة بوغاز الى بحيرة سنتكلار ومن ثمَّ تمرُّ ببوغاز ديترويت الى بحيرة إري التي طولها نحو ٢٣٥ ميلاً ومعدل عرضها نحو ٤٠ ميلاً . ثم يجري من هذه البحيرة نهر نياغرا وفيه شلاَّلةٌ عرضها نحو ٢٢٠٠ قدم وعلوها ١٥٠ قدماً وهذا النهر يصب في بحيرة اونتاريو التي طولها نحو ١٦٠ ميلاً ومحيطها نحو ٦٠٠ ميل ويخرج منها نهر مار لورنس ويجري الى الشمال الغربي ويصب في خليج مار لورنس

ويدخل الى كنادة من الغرب شُعَبٌ من الجبال الصخرية وتتفرع في شمالي البحيرة العليا . وهواء هذه البلاد على سبيل الاجمال باردٌ يقوي الابدان . واراضي كنادة العليا صالحة لانواع الزروع والسفلى اقل خصباً منها . ولم يزل فيهما اراضٍ واسعة غير معمورة تاوي اليها الوحوش وقبائل من الهنود . وفيهما من الحيوانات الجاموس البري والدب والذئب والوعل ونحو ذلك . ومن المعادن الحديد والنحاس والرصاص والفحم المعدني . واهلها من اصول فرساوية وانكليزية وعدد سكان كاندا برونسويك الجديدة وسائر املاك انكلترا في اميركا نحو ٤٢٣٥٠٠٠ نفس . وكلهم تحت حكم الدولة الانكليزية التي ترسل اليهم نوابها . غير ان لكل واحدٍ من الاقسام ديواناً ينتخب

اعضاءهُ الشعب ويكون تصرفها بموجب الشرائع الانكليزية

ومن مدن كنادة السفلى كويبك وهي على نهر مار لورنس بمسافة ٤٠٠ ميل من البحر فتصعد اليها فيهِ السفن وهي محصنة بقلعةٍ عظيمة واهلها نحو ٦٢٤٠٠ نفس . ومن كويبك الى منتريال المبنية على جزيرة في النهر المذكور ترى الضياع متصلة الاَّ قليلاً على جانبي النهر . وذلك مسافة نحو ١٨٠ ميلاً . وهذه الجزيرة طولها نحو ١٠ اميال وعرضها نحو ٤ اميال وسكان مدينة منتريال التي عليها عددهم يبلغ نحو ١٤٠٧٠٠ نفس . وفي كنادة العليا مدينة كينستون على مخرج نهر مار لورنس من بحيرة اونتاريو وهي محل تجارة تلك الجهات اهلها نحو ١٥٠٠٠ نفس ومدينة تورونتو على بحيرة اونتاريو وهي قاعدة هذا القسم واهلها ٨٦٤٠٠ نفس . وكوينستن على نهر نياغرا الموصل بين بحيرة إري وبحيرة اونتاريو

اما اسكوتسيا الجديدة فهي قسمان احدهما اسكوتسيا الجديدة والاخر برنسويك الجديدة . وحدودها من الشمال نهر مار لورنس . ومن الشرق خليج مار لورنس . ومن الجنوب الاوقيانوس الاتلانتيك وخليج فوندي . ومن الغرب خليج فوندي ايضاً والبلاد المتحدة . ويقال في حكمها وسكانها كما قيل في كنادة . ومن مدنها هليفاكس على البحر سكانها نحو ٣٦١٠٠ نفس . ومدينة مار يوحنا على خليج فوندي اهلها نحو ٢٦١٠٠ نفس .

ويتبع اسكوتسيا الجديدة جزيرة بريتون وجزيرة ادورد في خليج مار لورنس وجزيرة سابل تجاه هليفاكس في البحر . ومتجر تلك البلاد في الاخشاب والفراء والسمك

واما فوندلاند الجديدة فهي جزيرة في خليج مار لورنس يفصلها عن البرّ بوغاز بلايل . وهي بين ٠٥ ′٥٠ °٤٥ و ′٣٠ °٥١ من العرض الشمالي وبين ′٣٠ °٥٢ و ′٣٠ °٥٨ من الطول الغربي . وطول هذه الجزيرة نحو ٢٨٠ ميلاً وعرضها يختلف من ٤٠ الى ٢٨٧ ميلاً . وهي مثلثة الشكل ومحيطها نحو ٩٠٠ ميل . ويوخذ من هناك كل سنة مقدار جزيل من السمك المقدَّد ويرسل الى الآفاق . وقاعدتها مدينة مار يوحنا . والى الغرب من فوندلاند الجديدة جزيرة انتيكوستي طولها نحو ٩٠ ميلاً وعرضها ٣٠ ميلاً . ويتبع حكم اسكوتسيا الجديدة جزائر برموداس في عرض شمالي ١/٢ °٣١ وطول غربيّ نحو °٦٥ وهي مجموع جزائر صغار يكثر فيها شجر الارز واكثر لوازمها تجلب من البلاد المتحدة واهلها يشربون من مياه الآبار

الفصل السابع والثلاثون

في البلاد المتحدة

ان البلاد المتحدة في اميركا الشمالية عدة اقسام مستقلة كل قسمٍ لهُ احكام وشرائع بنفسهِ وكلها متحدة تحت حكمٍ واحدٍ عموميٍ يلاحظ الامور التي تتعلق بالاقسام المذكورة عموماً . وحدود هذه البلاد من الشمال الاملاك الانكليزية الماضي ذكرها والبحيرات المذكورة في الفصل السابق ونهر مار لورس . ومن الشرق الاوقيانوس الاتلانتيك وخليج مكسيكو . ومن الجنوب مكسيكو وخليجها ايضاً وخليج كليفورنيا ومن الغرب مكسيكو ايضاً والاوقيانوس المحيط . ومساحتها نحو ٢٥٠٠٠٠٠ ميل مربع وسكانها ٥٠٤٤٥٣٣٦ نفس سنة ١٨٨٠

ومن سنة ١٦٠٧ للمسيح فصاعداً رحل اناس كثيرون من بلاد اوروبا ولاسيما من الاملاك الانكليزية الى بعض الاماكن في البلاد المتحدة . ولما كثرت الاهالي هناك واخذوا املاكاً واسعة من الهنود تارةً بالحروب وتارةً بالشراء اخذ الحكم الانكليزي في اجراء المظالم عليهم . فقسم البلاد المعمورة اقساماً شتى وارسل اليهم

عملاً فاحتمل الاهالي ما احتملوهُ من الاثقال واسترحموا في طلب التخفيف عنهم فأُذن لهم في اقامة اولئك الحكام بانتخابهم . ولكن لم تزل الدولة الانكليزية تجور عليهم في اشياء كثيرة حتى عقدت الاقسام المذكورة ديوانًا في مدينة فيلادلفيا وحضرت اليهِ الوكلاء من كل قسم منها . وفي سنة ١٧٧٦ طرحوا عنهم نير الانكليز ونادوا بالحرية وتعاهدوا على المعاضدة من عموم الجمهور في اتمام ذلك فانتشبت الحروب بينهم وبين الدولة الانكليزية الى سنة ١٧٨١ ثم سلمت لهم الدولة المشار اليها بالحرية في سنة ١٧٨٣ ثم انهم جددوا المعاهدة بموجب دستور ترتب في ديوان عن يد وكلاء البلاد جميعًا في مدينة فيلدلفيا سنة ١٧٨٩ وكانت الاقسام الداخلة في هذه المعاهدة اولاً ثلاثة عشر قسماً وهي نيوهمشير ومساشوستس ورُودأيلند وكنيكوت ونيو يورك ونيوجرسي وبنسلوانيا ودلاوار ومريلاند وورجينيا وكروليبنا الشمالية وكرولينا الجنوبية وجاورجيا . وكلها تلي شط الاوقيانوس الاتلانتيك وكلّ قسمٍ منها يسمى عملاً . وكانت البلاد الداخلة يومئذٍ وجانبٌ كبير من هذه البلاد نفسها غير معمورة لا يسكنها احدٌ سوى قبائل الهنود والوحوش فلما امتلكت الحرية اخذت في التقدم والنجاح وزادت الاهالي كثيرًا واتاها كثيرون من اهل اوروبا وعمرت البلاد الداخلية شيئًا فشيئًا وهربت الهنود من قدامهم . وكلما كثر السكان في جهةٍ اقاموا حدودًا وجعلوا

ما كان داخل الحدود عملاً بنفسهِ وطلبوا الدخول في المعاهدة الاصلية حتى صار الآن عدد الاعمال ٣٦ عملاً. وبقي عدة اقسام واسعة لم تقبل بعدُ في المعاهدة لعدم الاستعداد الكافي او لقلة الاهالي . والاعمال الزائدة عن الثلاثة عشر الاصلية هي ماين وفرمونت ومشيغان واُوهيو وإنديانا وإلينوي وكنتوكي وتنيسي وألاباما وفلوريدا ومسسبي ولوسيانا ووسكونسن وإيوا ومسوري واركانساس وكانساس ونبراسكا واُرجون ومنيسونا وتكساس وكليفورنيا واوتاه . اما ماين وفرمونت فهما الى شمالي الاعمال الاصلية وعلى حدود كنادة والبقية الى الغرب من الاصلية. واما الاقسام التي لم تدخل بعدُ في المعاهدة فهي هنديا ونيومكسيكو وكولورادو وايداهو واريزونا وهذه الاعمال مختلفة في الانساع فاكبرها تكساس ومساحتها ١٠٠٠٠٠ ميل مربع واصغرها رودايلاند ومساحتها ١٢٥٠ ميلاً مربعاً .

وفي هذه البلاد سلسلتان من الجبال احداهما ممتدة اليها من كنادة بقرب مصب نهر مار لورس . وهذه الجبال تسمى في نيوهمشير الجبال البيض وفي فرمونت الجبال الخضر وفي نيويورك جبال كتسكل وفي فنسلوانيا وورجينيا جبال اليغاني وفي تنيسي جبال كومبرلاند . وارتفاع اعلاها ٦٤٧٦ قدماً . والسلسلة الثانية هي الجبال الصخرية المقدَّم ذكرها الممتدة الى هذه البلاد من الاملاك الانكليزية مجتازة فيها الى مكسيكو . وهذه

السلاسل ترسل شُعَبًا كثيرة شرقًا وغربًا. والمياه والانهر الكثيرة بين هاتين السلسلتين تجري الى نهر مسسبي والى خليج مكسيكو

اما انهر هذه البلاد فهي كثيرة عظيمة جدًّا حتى لا يكاد يسمى نهرًا هناك ما لا يمكن جري السفن الكبار فيهِ. وما دون ذلك يسمونهُ جدولاً وغديرًا. ومن الانهر المعتبرة هناك نهر كنيكوت مخرجهُ في الجبال الى شمالي نيوهمشير وفرمونت. وهو يجري على الحد الفاصل بين هذين العملين ويمرُّ في مساشوستس وكنيكوت ويصب في خليج الجزيرة الطويلة بقرب مدينة نيوهافن. وطولهُ نحو ٤٠٠ ميل. ونهر هدسون مخرجهُ في شمالي نيويورك وطولهُ نحو ٣٥٠ ميلاً. ويُرَى فيهِ المدُّ والجزر على نحو ١٥٠ ميلاً وتصعد فيهِ السفن الكبار ١٢٠ ميلاً. ونهر دلاوار مخرجهُ في جنوبي نيويورك. وهو يجري على الحد بين نيوجرسي وفنسلوانيا ويصب في خليج دلاوار. وطولهُ نحو ٣٠٠ ميل ونهر سُسكويهَنّا مخرجهُ في جنوبي نيويورك. وهو يجري في فنسلوانيا مارًّا على مدينة فيلدلفيا ويصب في خليج شسابيك. وطولهُ نحو ٥٠٠ ميل. ويصب في هذا الخليج ايضًا نهر بتوماك وهو الفاصل بين ميرلاند وورجينيا مارًّا على مدينة وشينتون. وطولهُ نحو ٥٠٠ ميل ويصب في الاوقيانوس انهر اخر كثيرة مثل نهر جمس ورونوك وبيدِيّ وسوانّا وغيرها. اما نهر أُوهَيُو فهو يتالف من نهرين ملتقاها عند مدينة بِتسبرج في غربي فنسلوانيا. وهو يجري الى

الجنوب الغربي ولهُ اوهيو وانديانا والينوي من الشمال وورجينيا وكنتوكي من الجنوب ويصب في نهر مسسيبي وطولهُ من بيتسبرج الى مصبهِ نحو ٩٥٠ ميلاً . ويصب فيهِ من الشمال نهر واباش الذي طولهُ ٥٠٠ ميل وغيرهُ ومن الجنوب نهر تنيسي طولهُ ١٢٠٠ ميل . واما نهر مسوري فمخرجهُ في الجبال الصخرية في شمالي نبراسكا . وهو يجري الى الجنوب الشرقي ويصب في نهر مسسيبي بقرب مدينة سانت لويي وطولهُ ٣١٠٠ ميل . ويصب فيهِ نهر بلات طولهُ ١٥٠٠ ميل ونهر الحجر الاصفر طولهُ ١١٠٠ ميل وانهر اخر كثيرة . ونهر اركانساس مخرجهُ من الجبال الصخرية وهو يجري الى الجنوب الشرقي ويصب في المسسيبي وطولهُ ٢٠٠٠ ميل . والنهر الاحمر مخرجهُ من الجبال الصخرية ايضاً وهو يجري الى الجنوب الشرقي ويصب في المسسيبي كذلك وطولهُ ١٥٠ ميل . واما نهر مسسيبي فمخرجهُ في شمالي منيسوتا وهو يجري الى الجنوب ويصب في خليج مكسيكو وطولهُ نحو ٣١٠٠ ميل . ومن مصبهِ الى مخرج نهر مسوري ١٤٤٦ ميلاً . ونهر ريودلنورت مخرجهُ من الجبال الصخرية وهو يجري الى الجنوب الشرقي على الحد بين تكساس ومكسيكو ويصب في خليج مكسيكو بقرب مدينة متموراس وطولهُ ٢٠٠٠ ميل . ويمرُّ في تكساس نهر برازوس وطولهُ ٦٠٠ ميل . ونهر كلورادو طولهُ نحو ٦٠٠ ميل ايضاً وانهر اخر كثيرة كلها تصب في خليج مكسيكو .

ومن الانهر الجارية الى الغرب نهر كلومبيا مخرجهُ من الجبال الصخرية وهو يجري الى الشمال الغربي ويصب في الاوقيانوس المحيط وطولهُ نحو ١٠٠٠ ميل . ونهر كواورادو الغربي مخرجهُ من الجبال الصخرية وهو يجري الى الجنوب الغربي ويصب في خليج كليفورنيا وطولهُ نحو ١٠٠٠ ميل ايضًا . وفي كليفورنيا نهر سكرامنتو ونهر يواكين وغيرهُ . وهذا كفاية في انهر هذه البلاد التي لو اردنا ذكرها فردًا فردًا لطال بنا المجال فوق الاحتمال

وفي هذه البلاد كثيرٌ من التُرَع الموصلة بين انهرها وبحيراتها . منها الترعة الجامعة بين نهر هدسون وبحيرة اري طرفها الواحد عند مدينة آلبني والآخر عند مدينة بوفالو على طول ٣٦٢ ميلاً . ومقدار الانحطاط من البحيرة المذكورة الى النهر المذكور يبلغ ٥٦٨ قدمًا . وترعةٌ اخرى من روشستر في نيويورك الى نهر اليغاني في فنسلوانيا طولها ١١٩ ميلاً . والترعة الموصلة بين بحيرة اري ونهر اوهيو طولها ٣٠٧ اميال وترع اخرى كثيرة لا سبيل الى ذكرها هنا . وفي هذه البلاد ايضًا كثيرٌ من طرق الحديد وشرائط البسطة المغناطيسية وهم يريدون اجراء هذه الطرق من الاوقيانوس المحيط فيصير اقرب طرق الهند والصين من اوروبا في اواسط البلاد المتحدة

اما هواء هذه البلاد فالجهات الشمالية منها باردة والجنوبية معتدلة . ويشتد الحرُّ في فلوريدا والجهات التي بقرب خليج

مكسيكو وفي تكساس. والهواء هناك بالاجمال موافق للصحة غير انهُ توجد اماكن تكثر فيها الحميات وهذه الاماكن غير كثيرة بالنسبة الى اتساع البلاد . وحواصل هذه البلاد كثيرة متنوعة. وتربتها تصلح لكل ما يزرع فيها ما عدا بعض النباتات التي لا تنبت الاَّ في الاقاليم الاستوائية فيوجد هناك جميع انواع الحبوب واكثر انواع الفواكه والاثمار وتفاحها في غاية الجودة حتى لا يوجد نظيرهُ في العالم . ويؤتى من هناك بالرز الابيض والقطن والتبغ والسكر على مقادير جزيلة . وقد أُدخل اليها الشاي من الصين فاخصب نباتهُ وربما عن قليل يوجد فيها منهُ ما يكفي احتياج اهلها . وفيها كثيرٌ من معادن الذهب ولا سيَّما في كليفورنيا . وكذلك من الفضة والنحاس والحديد والقصدير والرصاص والزيبق والفحم المعدني والرخام والجصّ . وبها ايضاً بحيرات مالحة يستخرج منها ملح الطعام . وفيها من الحيوانات المالوفة ما يوجد في غيرها من البلاد . وبها الخيل البرية ايضاً والجاموس البري والوعل والدب والذئب والسنور البري وحيوانات اخر كثيرة وانواعٌ من الطيور تبلغ الى ٣٦٢ نوعاً منها النسر الاميركاني المشهور في تلك الاقطار . وبها بعض الحيات الخبيثة التي لا يكاد ملسوعها يسلم من الموت

واما حكم هذه البلاد فمن نوع الاحكام الجمهورية . والحكام ينتخبون من قِبَل الشعب على مدةٍ معينة لهم الا القضاة فانهم

ينتخبون الى مدة حياتهم ما لم يثبت عليهم ذنبٌ يوجب العزل ولكل عملٍ من اعمالها حكمٌ خاصٌ بهِ غير ان الجميع يشتركون في انتخاب الحكام العمومية ويرسلون وكلاء الى الديوانين القائمين في مدينة وشينتون وهناك يُلاحَظ ما يلزم للخير العمومي وما يتعلق بالدول الاجنبية. والديانة الغالبة هناك هي الانجيلية البروتستانتية والحرية مُطلقة لجميع المذاهب . وفي هذه البلاد من المدارس الجامعة ٣٠ مدرسة وللعلوم العالية ١٠١ مدارس . ومن المدارس المتوسطة في كل ضيعةٍ وبلدةٍ عددٌ كثير . والكتب كثيرة رخيصة وقلما توجد بلدة ليس فيها مطبعة لكازتّات الاخبار فتكون وسائط المعرفة متيسرة للجميع . وايراد الحكم السنوي من الجمارك وغيرها يبلغ الى ٣٤٣٠٠٠٠٠٠ من الريالات . وعساكرهُ القانونية نحو ٣٥٠٠٠ نفر والرديف ٣٠٠٠٠٠٠ نفر . ومراكبهُ الحربية نحو ١٥٠ مركبًا مختصة بالحكم ولكن يمكنهُ ان يستخدم من المراكب في وقت الحاجة قدر ما يشاء

ومن مدن البلاد المتحدة مدينة بستون على راس خليج في شرقي مساشوستس في عرض شمالي ٤٢°٢١′ وطول غربي ٧١°٤′ سكانها نحو ٣٦٢٠٠٠ نفس وهي قاعدة العمل التي هي فيهِ ولها تجارة واسعة . وبالقرب منها تلّ بونكر حيث كانت الوقعة المشهورة بين الاهالي وعساكر الانكليز . وعليهِ منصبٌ علوّهُ ٢٢٠ قدمًا . ومدينة نيوهافن على مصب نهر كنتيكوت سكانها

نحو ٦٢٣٠٠٠ نفس وهي حسنة جدًا ذات منتزهاتٍ كثيرة وفيها مدرسة شهيرة . ومدينة نيويورك على مصب نهر هدسون . وهي اعظم مدن هذه البلاد في التجارة وكثرة الاهالي سكانها مع رساتيقها نحو ٢٠٠٠٠٠٠ نفس وفي المدينة نفسها ١٢٠٦٠٠٠ نفس . وموقعها على جزيرةٍ بين نهر هدسون ونهر اخر يصل بين النهر المذكور والخليج الطويل . فيكون مرساها جيدًا في الغاية عميقًا واسعًا . وبها عدة مدارس . ومدينة فيلدلفيا بين نهر دالاوار ونهر سكولكيلّ سكانها نحو ٨٤٧٠٠٠ نفس وهي مدينة حسنة واسواقها مستقيمة يحدث بعضها مع بعضٍ زوايا قائمة كتقطيع رقعة الشطرنج . وفيها ابنية فاخرة ومدارس مشهورة في الطب . ومدينة بلتيمور ايضًا سكانها ٣٢٣٠٠٠ . ومدينة وشيستون وهي قاعدة البلاد سكانها ١٤٧٠٠٠ . ومدينة شرلستون وسفنا . ونيو ارلينس . وسنسناتي . وسانت لوي . واستوريا على الاوقيانوس المحيط عند مصب نهر كلومبيا . ومار فرنسيس في كاليفورنيا . وكلها مدن عظيمة معتبرة . ولا يسعنا هنا ان نذكر بالتفصيل سائر متعلقات البلاد المتحدة

ومنذ عهدٍ قريب قد بُنيت سكك الحديد مارة بعرض القارة من الاوقيانوس الاتلانتيكي الى المحيط واخذت البواخر تسير بين كليفورنيا وبلاد يابان والصين وقد استوطن في البلاد كثيرون من اهل الصين لا سيما في بلاد كليفورنيا حيث معادن

الذهب والفضة والزيبق ومنذ بعض السنين اثار اهل المقاطعات الجنوبية حربًا شديدة على الحكومة بسبب مسئلة الاسترقاق وبعد محاربة ثلاث سنين ونيّف انتصرت الدولة عليهم وتحرر العبيد جميعًا وصار اقتناء عبدٍ ضد شرائع البلاد

الفصل الثامن والثلاثون

في جمهورية مكسيكو واميركا الوسطى وجزائر الهند الغربية

اما جمهورية مكسيكو فيحدّها من الشمال والشرق البلاد المتحدة . ومن الجنوب كواتمالا والاوقيانوس المحيط . ومن الغرب الاوقيانوس المذكور وخليج كليفورنيا . واهلها ١٠٠٠١٩٠٠ من كل نوع وكانت هذه البلاد تابعة اسبانيا حتى استقلت تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨١٠ ولكنها لم تنجح كثيرًا لانقسامها الى احزابٍ مختلفة لا يطمع في اتفاقها حتى اتفقوا على دستورٍ سنة ١٨٥٧ . وفيها كثيرٌ من معادن الذهب والفضة والزيبق . وهي مخترقة بسلسلة الجبال الصخرية وفيها عدة براكين اعلاها بوبوكتابتل ارتفاعهُ نحو ٣٠٠٠٠ قدم . ولما استفتحها اهل اسبانيا في القرن

السادس عشر وجدوا الهنود الذين هناك عندهم نوع من التمدن ولهم مدن وضياع عظيمة . وحكمهم ملكيّ مطلق ذو غنى جزيل وسطوة قوية على الاهالي . فقتلوا الاكابر واستعبدوا الرعايا وتملكوا البلاد واختلطوا مع الاهالي الاصليين. والموجودون الآن من الاهالي هناك اما من اهل اسبانيا واما من الاخلاط المذكورين . واراضي هذه البلاد جيدة ولكن الاهالي لا يعتنون بها كما يجب . ومن مدنها تمبيكو وفيراكروز على خليج مكسيكو وبتوسي سكانها نحو ٣٤٠٠٠ نفس ومكسيكو سكانها ٢٦٠٠٠٠ نفس وزكاتيكاس اهلها نحو ٣٥٠٠٠٠ نفس وغيرها في الجهات المتوسطة . ولها شبه جزيرة كليفورنيا في الغرب . ويتبع مكسيكو شبه جزيرة يوكاتان التي لها جون هندوراس من الشرق وجون كمبيشي من الغرب . وهناك بقايا مدن قديمة وابنية عظيمة كانت لقوم سكنوا هناك قديمًا ثم انقرضوا . وقد تحرروا من اسبانيا وصار حكمهم جمهوريًا

واما اميركا الوسطى فجمهورية مؤلفة من ولايتين وهما كواتمالا وقسطاريكا وهندوراس ونيكاراغا وسلفادور واهلها نحو ٢٦٤٤٧٠٠ نفس فلها مكسيكو من الشمال . وبحر كريب من الشرق . وبرزخ داريان والاوقيانوس المحيط من الجنوب . والاوقيانوس المذكور من الغرب . وكانت ايضًا تابعة لاسبانيا ثم استقلت في سنة ١٨٢١ تحت الحكم الجمهوري . ولكن كثرت

الحروب الداخلية بين اهاليها فلم تنجح حتى انفصلت سنة ١٨٤٠. وتخرق هذه البلاد الجبال الصخرية مارَّةً الى برزخ داريان وبها ثلاثة براكين هائجة. وفيها بحيرة نكراكل طولها ١٨٦ ميلاً وعرضها ٧٧ ميلاً. ويخرج منها نهر سانتجوان ويصب في بحر كريب. وقد اعتنى بعض اهل البلاد المتحدة في الجمع بين البحر المذكور والبحر المحيط بترعةٍ من هذه البحيرةً الى الاوقيانوس. ويجلب من هذه البلاد شيء كثير من احشاب الصباغة. ومن مدنها كواتما لا اهلها نحو ١٢١٠٠ نفس ونيكراغا اهلها ١٠٢٣٨٠ نفس وهندوراس سكانها ١٢٠٥٠٠ نفس وسانت سلودور اهلها ١٢٣٠٠ نفس وليون وغيرها

واما الهند الغربية فهي عدة مجاميع جزائر في مدخل خليج مكسيكو وفي بحر كريب. منها مجموع يقال له الانتليس الكبرى احدى جزائرهِ جزيرة كوبا طولها نحو ٧٠٠ ميل وعرضها نحو ٧٠ ميلاً وهي تابعة اسبانيا. وبورتوريكو طولها نحو ١٣٠ ميلاً وعرضها نحو ٤٠ ميلاً وهي ايضاً لاسبانيا. وهايتي طولها نحو ٣٩٠ ميلاً وعرضها نحو ٣٠ ميلاً وهي مستقلة تحت حماية الانكليز واهلها عبيد معتوقون. وجميكا طولها نحو ١٥٠ ميلاً وعرضها نحو ٤٠ ميلاً وهي تابعة انكليترا. ومجموع جزائر صغار منها للانكليز ومنها لفرانسا ومنها لهولاندا ومنها لدنيمارك ومنها لاسوج. واعظمها جزيرة تريداد وهي للانكليز. ومجموع جزائر بهاما

وهي جزائر كثيرة صغيرة الى شرقي فلوريد من البلاد المتحدة منها
جزيرة كوانيهاني وهي اول ارضٍ صادفها كلمبوس بعد سفرهِ
من اسبانيا سنة ١٤٩٢ وهذه الجزائر كلها كثيرة الحواصل بها
السكر والبن والرز والتبغ والقطن واثمار الاقاليم الاستوائية
جميعها . البعض منها جيدة الهواء والتربة والبعض ردية الهواء
وتكثر هناك الرياح العاصفة التي في بعض الاحيان تخرب
البيوت والاراضي . وبها من المدن هفانا وسانسلفدور على كوبا
وبرنوبرنس على هايتي وكينستون على جميكا . وسانت
جوان على بورتوريكو . وجانب عظيم من الاهالي
عبيد جلبوا من افريقية للعمل في الاراضي
وزرع القطن والرز وقصب السكر.

وهذا ما تيسر لنا شرحهُ
في اميركا
الشمالية

الفصل التاسع والثلاثون

في اميركا الجنوبية

لا يسعنا هذا المختصر والتكلم عن بلاد اميركا الجنوبية بالتفصيل فنقول على سبيل الاجمال انهُ يخرقها من الشمال الى الجنوب سلسلة جبال اندس بقرب شط الاوقيانوس المحيط . واعلاها جبل سوراتا الذي يبلغ ارتفاعهُ ٢٥٤٠٠ قدم . وفيها عدة براكين اعلاها بركان كوتوباكسي علوهُ نحو ٢٠٠٠٠ قدم . ولاجل قرب هذه الجبال من الشط الغربي يكون جري اعظم الانهر الى الشرق . ومن انهرها نهر امازون مخرجهُ من جبال اندس ومصبهُ في الاوقيانوس الاتلانتيك تحت خط الاستواء وطولهُ ٤٠٠٠ ميل وعرضهُ عند مصبهِ ١٨٠ ميلاً وعمقهُ ١٧٥ باعًا فهو يدفع الماء المالح قدامهُ ويقتحم بمائهِ العذب داخلاً في البحر الى مسافةٍ بعيدة . ويدخلهُ انهر كثيرة من الشمال والجنوب . ونهر لابلاتا طولهُ نحو ٢٠٠٠ ميل وعرضهُ عند مصبهِ نحو ١٥٠ ميلاً

ومن اقسام اميركا الجنوبية جمهورية كلومبيا . وهي ثلاثة

اقسام ونيزويلا وغرناطة الجديدة واكوادور . وكلها مستقلة تحت الحكم الجمهوري . واهلها من اصل اسانيولي وعددهم نحو ٠٠٠ ٢٠٠٠ نفس .وفي ونيزويلا يمرُّ نهر اورونوكو طوله ١٢٠٠ ميل . وقاعدتها مدينة كراكاس واهل هذه المدينة نحو ٢٢٠٠٠ نفس وقاعدتها غرناطة الجديدة مدينة بوغوتا سكانها نحو ٢٥٠٠٠ نفس . وبها ايضًا مدينة شاغرس على برزخ داريان من جهة الشمال . وتجاهها مدينة بناما على راس خليج بناما وقد شُرِع بخرق برزخ پناما تحت مناظرة الموسيو دي اسس الذي فتح ترعة السويس وهذه الترعة من لولون الى پناما شرع في العمل سنة ١٨٨٤ ويطمع في انجازهِ سنة ١٨٨٨ ان قدَّر الله . واما جمهورية اكوادور فقاعدتها مدينة كويتو واهلها نحو ٨٠٠٠٠ نفس وهي الى جنوبي خط الاستواء بمسافة يسيرة . وبقربها بركان كوتوباكسي . وهذه المدينة بين جبال عالية ترتفع كثيرًا فوق مساواة البحر ولذلك لا يشتدُّ فيها الحرُّ ولو كانت تحت خط الاستواء . وتكثر هناك الزلازل التي تخرب بها المدن والقرى واهل الجمهورية كلها يبلغون نحو ٩٤٦٠٠٠ نفس

اما جمهورية بيرو فهي الى جنوبي اكوادور . وكانت قديمًا تابعة اسبانيا ثم استقلت تحت الحكم الجمهوري سنة ١٨٢١ كما تقدم في مكسيكو . وبها معادن غنية من الذهب والفضة والنحاس . اما امور الفلاحة والزراعة فقلما يعتنون بها . وقصبتها

مدينة ليما اهلها نحو ١٠١٥٠٠ نفس . وعدد اهالي هذه البلاد يبلغ نحو ٣٦٨٠٠٠٠ نفس . وهم ممتزجون من الهنود الاصليين واهل اسبانيا الذين استوطنوا هناك

واما مملكة برازيل فهي اعظم اقسام اميركا الجنوبية مساحتها ٢٧٠٠٠٠٠ ميل مربع واهلها نحو ١٢٠٠٣٠٠ نفس . ويخرقها من الغرب الى الشرق نهر امازون . وجانب عظيم منها براري واحراش كثيرة الاشجار والحيوانات البرية . وبها معادن من الذهب والفضة ويوجد حجر الماس في رمال بعض انهارها . وعناية اهلها قليلة في الفلاحة والزراعة وتجارتها بيد الغرباء . وفيها قبائل هنود متوحشة . وحكمها من نوع الملكي المقيد . والديانة الغالبة فيها اللاتينية . وقصبتها مدينة ريوجنير . وهي في عرض جنوبي ٥٠ ٥٩ ٢٢ وطول غربي ٤٥ ٣٩ ٤٢ واهلها نحو ٣٥٠٠٠٠ نفس . ومن مدنها مدينة سانت سلودور او باهيا في عرض جنوبي ٥٨ ٨ وطول غربي ٣٠ ٣٢ ٣٨ واهلها نحو ١٤٠٠٠٠ نفس ولها تجارة واسعة ومدينة برناموكو في عرض جنوبي ٥٨ ١٢ وطول غربي ١٥ ٣٥ واهلها نحو ١٣٠٠٠٠ نفس . ومدينة فلاريكا اهلها نحو ٢٠٠٠٠ نفس . وهذه المملكة مروية بانهر كثيرة وفيها عدة سلاسل جبال فكان يمكن ان يوجد بها جميع انواع حواصل الارض ولكن لقلة اعتناء الاهالي تراها دون غيرها في الغنى ورتبة الهيئة الاجتماعية

والى الشمال من برازيل بلاد كويانا . اهلها نحو ١٥٠٠٠٠ نفس . وهي ثلاثة اقسام . الشرقيُّ منها تابعٌ لفرنسا والغربي لانكليترا والاوسط لهولاندا . واراضيها مخصبة بها كثيرٌ من الترع . وفي اواسطها احراش كثيرة واسعة بها كثير من الحيات الكبار الخبيثة وجانبٌ كبيرٌ من اهلها عبيد

واما جمهورية بوليفيا فهي بين برازيل وبيرو . وتتشعَّب فيها شُعَبٌ من جبال اندس وبها الراس الاعلى من هذه الجبال اعني جبل سوراتا المذكور سابقًا . واكثر الانتقال هناك يكون على البغال لسبب صعوبة الطرق بين الجبال والاوعار . وعلى الحد الفاصل بينها وبين بيرو بحيرة تتياكاكا طولها نحو ٩٥ ميلاً . وفي الجنوب الغربي منها رية كويمبرا . وحكمها من النوع الجمهوري . وقاعدتها مدينة شوكويساكا اهلها نحو ٢٥٠٠٠ نفس . وبقربها معادن فضة غنية واهل بوليفيا يبلغون نحو ١٣٢١٠٠٠ نفس

واما بلاد شيلي فهي الواقعة بين جبال اندس والبحر المحيط من حدود بوليفيا الى حدود باتاكونيا اهلها نحو ٢٢١٣٠٠٠ نفس . وفيها عدة براكين ومعادن ذهب وفضة وزيبق . وحكمها جمهوريٌّ وقاعدتها مدينة سانتياغو اهلها نحو ٢٠٠٠٠٠ نفس . وعلى شاطي البحر مدينة كوكيمبو فالبرا سكانها نحو ٩٥٠٠٠ نفس وكنسبشن وفالديفيا والسكان منهم من اصل اسبانيولي ومنهم اخلاطٌ من هولاء واهل البلاد الاصليين

واما بلاد بونس ايرس التي يقال لها لابلاتا والجمهورية الفِضّيّة فلها بوليفيا من الشمال. وشيلي من الغرب. وبرازيل واوروكواي والاوقيانوس الاتلانتيك من الشرق. وباتاكونيا من الجنوب وهي مستقلة تحت الحكم الجمهوري وقاعدتها مدينة بونس ايرس على مصب نهر لابلاتا سكانها نحو ٩٥٠٠٠ نفس. ويجوزها النهر المذكورّ من الشمال الى نحوّ ٣٥° من العرض الجنوبي. وبها عدة انهر غير النهر المذكور وعدة بحيرات لا سبيل الى ذكرها هنا. وبها سهول واسعة فيها كثيرٌ من البقر البرية تصطادها الاهالي بالاشراك. وهواؤها معتدلٌ في الجنوب حارٌّ في الشمال. ويجلبٌ من هنالك كثيرٌ من جلود البقر وقرونها وشحمها. وقد انفصلت عنها جمهورية براكواي وهي الواقعة بين نهر برانا من الشرق والجنوب ونهر براكواي من الغرب. وقاعدتها مدينة اسمشن سكانها نحو ... ٣٠ نفس والى الجنوب برازيل جمهورية اوروكواي لها الاوقيانوس من جهة الشرق. ونهر اوروكواي من الغرب. ومصب نهر لابلاتا من الجنوب. وسكانها نحو ٤٢٨٣٠٠ نفس. وقاعدتها مدينة منتفديو سكانها نحو ٨٣٠٠٠ نفس سنة ١٨٧٩

واما باتاكونيا فلها شيلي ولابلاتا من الشمال. والاوقيانوس من بقية الجهات. ومساحتها نحو ٤٤٠٠٠٠ ميل مربع. وهي كثيرة الجبال واجزاؤها الداخلية غامضة قلما تُعرَف واكثر

سكانها قبائل متوحشة من الهنود وهم طوال القامة شداد البأس وعددهم نحو ١٥٠٠٠٠ نفس اما ارض النار فهي جزيرة على طرف باتاكونيا الجنوبي ويفصل بينهما بوغاز مجلاّن . وهذه الجزيرة صخرية قاحلة وطرفها الجنوبي يقال لهُ راس هورن . اما جزيرة فالكلاند فهي الى الشرق من مدخل البوغاز المذكور وهي تابعة انكليترا ولا اعتبار لها سوى انهُ يصطاد منها كثيرٌ من عجل البحر . وهي خالية من السكان وكذلك يقال في جزائر شتلاند الجنوبية وهي في عرض جنوبي ٦١° الى ٦٤° وطول شرقي ٥٤° الى ٦٥° وجزيرة جاورجيا في ٥٤° عرض جنوبي و٣٦° طول غربي . وارض سندويج الى الجنوب الشرقي منها وكلها قاحلة خالية من السكان

واما جزائر كلوباغوس فهي تحت خط الاستواء تجاه اكوادور وهي غير مسكونة والسفن تتردد اليها لكي تاخذ من السلاحف الكثيرة هناك لاجل لحومها . واما جزيرة سانت فيلكس وجزيرة جوان فرناندز فهما لشيلي . وهذه الاخيرة تعرف بجزيرة ربنصن كروزي . وفي الاوقيانوس الاتلانتيك جزيرة مرتين وجزيرة فرناندو وهما لبرازيل . والى هنا انتهى الكلام في قارة اميركا

الفصل الاربعون

في اوستراليا وبزائر البحر المحيط

اعلم ان الجزائر الواقعة في البحر المحيط بالاجمال يقال لها اوسيانيكا . وهي مقسومة الى ملاسيا واوستراليا وبلينيسيا . اما ملاسيا فهي مشتملة على جزائر بورنيو وجيلبس وفيلبين وغيرها وقد تقدّم الكلام عليها . واما اوستراليا فهي مشتملة على هولاندا الجديدة وكينيا الجديدة وارض فانديمان وزيلاند الجديدة وعدة جزائر صغار في جوار هذه

اما هولاندا الجديدة فهي قارةٌ عظيمة اكتشفها اهل هولاندا في سنة ١٦٠٦ . ومساحتها نحو ٣٠٠٠٠٠٠ ميل مربع وجانبٌ عظيم منها لم يزل مجهولاً . وهواؤها معتدل وبها انواع كثيرة من الحيوانات التي لا توجد في غيرها من القارات . وكذلك يقال في الطيور والنباتات . واهلها الاصليون نوعٌ من السودان يقربون شيئًا من الجنس الملقي وهم في حالة البربرية والتوحش . وقد اقامت الانكليز منازل على الشاطئ الشرقي والى هناك يسفون بعض المذنبين من بلادهم وعدد المستوطنين فيها من

الغرباء يبلغ الى نحو ٣٠٠٠٠٠٠ نفس وقاعدة الحكم الانكليزي في تلك النواحي مدينة سيدني في ٥٥ َ ٣٥ ْ عرض جنوبي و٢٥ َ ١٥١ ْ طول شرقي سكانها نحو ٢٢٤٠٠٠ نفس

والى الجنوب من هولاندا الجديدة ارض فانديمان او تسمانيا. ويفصل بينهما بوغاز باس . ومساحة هذه الجزيرة نحو ٢٧٠٠٠ ميل مربع . وسكانها نحو ١٢٢٥٠٠ نفس . وهي تابعة للدولة الانكليزية والاهالي الاصلية كما تقدم في هولاندا الجديدة . وبها من المدن هوبارتستن في الجنوب ولانسستن في الشمال

والى الشمال من هولاندا الجديدة كينيا الجديدة . وهي بين ١٣٢ ْ و١٥٢ ْ من الطول الشرقي وبين خط الاستواء و ١٠ ْ من العرض الجنوبي وبها جبال عالية وغياض واسعة واهلها متقدمون في التمدن قليلاً اكثر من اهل هولاندا الجديدة. وقد حُسِب عددهم نحو ٨٠٠٠٠٠ نفس

واما زيلاند الجديدة فهي الى الشرق من هولندا الجديدة وهي جزيرتان منفصلتان بوغاز ضيق . وفيها سلسلة جبال علو بعضها نحو ١٤٠٠٠ قدم . ومساحة الجزيرتين نحو ٩٥٠٠٠ ميل مربع . وسكانها نحو ٥١٧٠٠٠ نفس . وهواؤها جيدٌ وتربتها مخصبة يصحُّ بها كل ما يصح في بلاد اوربا واهلها قبائل متوحشة وقد دخل بينهم مبشرون بالانجيل فنجحوا شيئًا . وبها نوعٌ من

الكتان في غاية الجودة وقد أُدخِل منهُ الى كراخين بلاد اوروبا لاصطناع الاقمشة وجملة سكان اوستراليا الخاضعة للحكم الانكليزي مع تاسمانيا وزيلاند الجديدة وجزائر فيجي نحو ٣١٧٠٠٠٠ نفس سنة ١٨٨٣

اما كليدونيا الجديدة فهي بين ٣٧ ٬١° و٣٠ ٬٢٢° من العرض الجنوبي وبين ٣٧ ٬١٦٣° و١٤ ٬١٦٧° من الطول الشرقي . واهلها متقدمون قليلاً في التمدن اكثر من سكان الجزائر الماضي ذكرها. والى الشمال منها جزائر هبريدن الجديدة وهي مجموع جزائر بين ١٠ ٬١٤° و٢٠° من العرض الجنوبي . والى الشمال منها جزائر سليمان بين ٥° و١٠° من العرض الجنوبي و١٥٥° و١٦٠° من الطول الشرقي . واهلها في غاية ما يكون من التوحش والبربرية. وفي اوستراليا جزائر كثيرة غير الجزائر التي ذكرناها لا سبيل الى تعدادها هنا .

واما بلينيسيا فهي مشتملة على جميع جزائر البحر المحيط الواقعة الى جنوبي خط ٣٠° من العرض الشمالي ما عدا الجزائر المذكورة من ملاسيا واوستراليا. ومنها مجموع جزائر بيلو بين ٬٦٥٤ و١٣ ٬٨° من العرض الشمالي وبين ٥ ٬٣٤° و٤٠ ٬١٣٦° من الطول الشرقي . وجزائر فيجي وجزائر الشركة وجزائر الاصدقاء وجزائر الربانيين وجزيرة بتكارن في ٬٢٥٤° عرض جنوبي و٣٥ ٬١٣٠° طول غربي . وسكانها قوم نواتي من مركب انكليزي خطفوا

نساء من احدى جزائر الشركة ونزلوا في هذه الجزيرة واقاموا هناك . وكانوا في الاصل نحو خمسين نفرًا والآن قد تكاثروا بخلاف اهل بقية جزائر البحر المحيط فانهم يقلون شيئًا فشيئًا كما تقرر بعد الفحص وبعض القبائل منهم انقرضوا تمامًا وقد استولى الحكم الفرنساوي على بعض جزائر البحر المحيط ودولة المانيا كذلك

اما جزائر سندويج فهي نحو ١٠ اجزائر واقعة بين ٥٠ ١٨ و٣٠ ٢٢ من العرض الشمالي وبين ٥٢ ١٥٤ و١٥ ١٦٠ من الطول الغربي . وكانت منذ ٣٠ سنة في حالة البربرية كباقي جزائر البحر المحيط وقد دخل اليها المبشرون بالانجيل ونجحوا نجاحًا عظيمًا وصارت الاهالي في حالةٍ حسنة من الهيئة الاجتماعية تحت الحكم الملكيّ المقيد وسلمت دولة البلاد المتحدة ودولة انكليترا وغيرها من دول اوروبا باستقلالها . ولا بد ان تكثر بها السكان من اوروبا واميركا لانها محطٌ للسفن الجارية في تلك الابحر والسائرة بين اميركا والصين وسكانها نحو ٥٨٠٠٠ نفس

ثم ان بعض الربانيين من اميركا وانكليترا كشفوا اراضي واسعة في جهة القطب الجنوبي داخل الدائرة الجنوبية لكنها باردة في الغاية يعسر الاقتراب اليها من كثرة الجليد في ابحر تلك النواحي ولم يجدوا فيها احدًا من السكان . وكان اكتشافها سنة ١٨٤٠ للتاريخ المسيحي . والى هنا انتهى الكلام في تفصيل الكرة الارضية

ومتعلقاتها فتكون مساحتها ٢٠٠٠٠٠٠٠ ميل مربع والابحر.
التي فيها ١٥٠٠٠٠٠٠ ميل مربع وعدد الناس عليها
١٣٠٠٠٠٠٠٠ نفس

قال مؤلفهُ هنا ما رايت ان اشرحهُ في هذا الفن مقتصرًا
على اهمّ اموره مع انهُ يمكن ان يؤلف في كل بلادٍ مجلّدات. فجاء
هذا الكتاب بحمده تعالى كافيًا في بابهِ منزّهًا عن الاسهاب الممل
والايجاز المخل وقال فيهِ بعض الواقفين عليهِ

ان رمت في الدنيا نزاهة سائحٍ فانظر الى هذا المصنّف دارسا
من ليس يطمع ان يراها ماشيًا فانا الضمين بان يراها جالسا

والمسؤول ممن نظر فيهِ ان يصلح ما يجدهُ من الخطاء ويسبل على
عيوبهِ الغطاء والحمد لله اولًا واخرًا وباطنًا وظاهرًا وكان الفراغ
من تبييضهِ في اليوم الثاني عشر من شهر شباط الواقع في اوائل
سنة اثنتين وخمسين وثمان مئة والف من التاريخ المسيحي
ومن مراجعتهِ ثانيةً في ١٠ بقين من شهر نيسان من
اشهر سنة ١٨٧١ وكان الفراغ من
تبييضهِ ثالثةً في ٢٨ من آب
سنة ١٨٨٥

م

فهرس

	وجه
القسم الاول الجغرافية الطبيعية	٣
في اليابسة واقسامها	٨
في الماء واقسامهِ	١٩
في الهواء والرياح	٣٠
في تفريق الحيوانات والنبات	٣٣
في الاحكام والاديان	٣٩
في انواع البشر ولغاتهم	٤٤
في قارة اسيا	٤٧
في املاك روسيا في اسيا	٥٦
في المملكة العثمانية في اسيا	٧١
في اسيا الصغرى	٧٣
في ارمينية	٩٧
في كردستان	١٠٠
في الجزيرة	١٠٣
في العراق	١١٠
في بر الشام	١١٩

وجه

في بلاد العرب ٢١٢

في مملكة ايران ٢٤٦

في بلاد فارس الشرقية ٢٦١

في بلاد التتر ٢٧٣

في هندستان ٢٧٧

في الهند الصينية ٢٩٣

في مملكة الصين ٣٠٦

في جزائر اسيا ٣٢٠

في قارة اوروبا ٣٢٨

في الولاية البريطانية ٣٣٣

في بلاد اسوج ونروج ٣٤٢

في بلاد المسكوب ٣٤٦

في ولاية فرانسا ٣٥٤

في مملكة بلجيوم وهولاندا ٣٦٣

في جرمانيا ودنيمارك ٣٦٩

في مملكة بروسيا ٣٧٥

في مملكة اوستريا ٣٧٨

في بلاد السويس ٣٨١

في مملكة رومانيا ٣٨٤

	وجه
في المملكة العثمانية في اوروبا	٣٨٥
في مملكة اليونان	٣٩٠
في مملكة ايطاليا	٣٩٣
في اسبانيا وبرتوكال وجزائر اوروبا	٣٩٦
في قارة افريقية	٤١١
في بلاد مصر	٤١٧
في بلاد النوبة والحبش	٤٣٠
في بلاد المغرب والصحراء	٤٣٧
في افريقية الشرقية والوسطى	٤٤٧
في افريقية الغربية	٤٥٣
في افريقية الجنوبية والجزائر	٤٥٨
في قارة اميركا	٤٦٤
في املاك روسيا في اميركا	٤٦٧
في الاملاك الانكليزية في اميركا	٤٧٢
في البلاد المتحدة	٤٧٩
في جمهورية مكسيكو	٤٨٨
في اميركا الجنوبية	٢٤٢
في اوستراليا وجزائر البحر المحيط	٤٩٨